



الدكتور كامل السوافيري

الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين

من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٦٠

الطبعة الثانية

مزيدة منقحة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشعر العَرَبِي المحدث في مأساة فلسطين

من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٦٠

الطبعة الثانية

مزيدة منقحة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

بحث نال به مؤلفه درجة

الماجستير في الأدب العربي

من كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

مع مرتبة الشرف

في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٦٢

طبعت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بمطبعة نهضة مصر

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م

وطبعت الطبعة الثانية بمطابع سجل العرب

١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الأهراء

إلى أرواح الشهداء من أبناء فلسطين الذين خطوا بدمائهم في سجل الكفاح الوطني أروع صفحات البطولة والمجد .

إلى أرواح الشهداء الذين توافدوا على فلسطين من كل قطر عربي وأجروا دمهم المتحد فوق بطاحتها ورباها .

إلى الذين ساروا في قوافل تحرير الوطن العربي واستجابوا للجهاد في كل مكان من دنيا العرب .

إلى إخوتى أبناء فلسطين الذين بعثرتهم المأساة ، وشردتهم تحت كل كوكب ونثرتهم على الرمال ، ومزقتهم في دروب الحياة .

إلى الكتاب والشعراء الذين هزتهم كارثة فلسطين فكانت مصدر وحيهم ، ومنبع إلهامهم .

إلى الذين يضيئون طريق العودة بمشاعل الأمل ، ويوقعون الحانها بروائع الشعر ، ويضرمون في الأفئدة جمرات الثأر .

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث .

كامل السوافيرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

عندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في صيف عام ١٩٦٤ ، استقبله القراء في مصر والأقطار العربية بأعظم حفاوة ، وأجل تكريم ، وانبرت أقلام أعلام الأدب ، وأقطاب الفكر في الوطن العربي مشيدة بالجهد الذي بذل فيه ، منوهة بالنتائج التي حققها إذ كان أول بحث منهجي تناول الشعر الذي استوحى محنة فلسطين قبل الكارثة وبعدها ، وكان دراسة رائدة مبتكرة في هذا المجال لم يسبق أن خاض غمارها دارس ، أو اقتحم لجها باحث ، ولعله كان يومئذ المرجع الوحيد للشعر العربي الحديث الذي استوحى محنة فلسطين من الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قبل وقوع المأساة وفواجعها الدامية بعد وقوعها من ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٥ .

وضم شعر أبناء فلسطين الذي استلهم أحداث بلادهم ، وفواجع وطنهم أولا ، وشعر أبناء الوطن العربي في جميع أقطاره ثانيا ، وشعر الشعراء العرب في المهاجر الأمريكية ثالثا ، وسلط أشعة النقد على هذا الشعر كاشفا عن مواطن الجمال ، ولحاحات الفن ، وسمات العبقرية ، وقبل أن يعرض النصوص الشعرية قدم عرضا تاريخيا موجزا لقضية فلسطين ، وما كان ينعم به أهلها من أمن ورخاء قبل تنفيذ المؤامرة الاستعمارية على بلادهم التي كان تصريح بلفور بداية لها وكان هذا العرض محققا أهدافه لالقاء الأضواء على الأحداث والموضوعات التي تناولها الشعر ، والتي يتوقف فهمه عليها .

وبتعبير أدق . كان الكتاب كتاب تاريخ ، وكتاب أدب ، وكتاب نقد وكان سجلا أميناً لأجود ما أوخت به فلسطين من شعر في الموضوعات

المختلفة نسقت أبوابه ، ورتبت قصائده ترتيبا روعى فيه الربط بين الأحداث والنصوص •

* * *

وتراخى الزمن بالكتاب بعد أن نفذت نسخه ، وكثر عدد الباحثين عنه ، وصرفتنى عنه صوارف أعباء الحياة من ناحية ، والتفكير فى إصدار كتب جديدة غيره بدلا من اعادة طبع كتاب قديم وبالفعل أصدرت بعده أربعة كتب فى الفترة الواقعة بين ١٩٧٠ و ١٩٨٠ • أى فى غضون عشر سنوات ، ولكن الحرص على اعادة طبعه ، والرغبة العارمة فى الحصول عليه أخذت تزداد على مر السنين وطفق البريد يطرني بوابل من كتب القراء فى مصر والأقطار العربية متوجهة لى بالرجاء لأعيد طبع الكتاب ، وتوالت على منزلى وفود من طلاب الدراسات العليا فى الجامعات المصرية والعربية اختاروا للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه موضوعات تتصل بفلسطين وبالشعر الذى استوحاها قبل الكارثة وبعدها وبالشعراء من أبنائها الذين صوروا فى شعرهم مأساة قومهم وبلادهم •

وكانت أقوى هذه الرغبات ، وأعظمها تأثيرا على نفسى تلك الرغبات التى أباها لى الدارسون المعجبون بشعراء فلسطين حيث اختاروهم — اختاروا حياتهم وشعرهم — موضوعات لحصولهم على الماجستير والدكتوراه أمثال : ابراهيم طوقان ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد الكريم الكرمى — أبى سلمى — ومحمد العدنانى الشاعر والكاتب واللغوى ، وبرهان الدين العبوشى ، وغيرهم •

* * *

وتلبية لنداء القراء الكرام ، وتحقيقا لرجاء الباحثين والدارسين ونزولا على رغبة طلابى فى مصر والأقطار العربية من عشاق المعرفة الذين يواصلون دراستهم فى أقسام الدراسات العليا • يسرنى أن أعيد طبع الكتاب للمرة الثانية بعد أن مضى على صدور طبعته الأولى عشرون عاما •

وقد تطلبت إعادة الطبع إعادة النظر لتلافي جوانب القصور ، وتدارك ما يمكن من نقص •

لقد مددت الفترة الزمنية فجعلتها تبدأ من سنة ١٩٠٠ وتنتهى في سنة ١٩٦٠ بعد أن كانت تبدأ من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٥ •

وأضفت نصوصا جديدة للشعراء في المغرب العربى تونس والجزائر والمغرب وليبيا بعد أن أعوزتني في الطبعة الأولى لصعوبة العثور عليها يومئذ •

كما أضفت نصوصا جديدة لشعراء في بعض الأقطار العربية لم يتح لى الاطلاع عليها حين قدمت الكتاب للطبعة الأولى منذ عشرين سنة وحرصت على إبقاء النصوص التى عرضتها في الطبعة الأولى دون أن أحذف منها ذلك لأنى بذلت جهدا مضنيا في جمعها فاق ما بذلته في نقدها وتحليلها ودراستها من الناحية الفنية •

وحذفت جزءا من المقدمة المستفيضة للطبعة الأولى التى رويت فيها قصة تأليف الكتاب ، وتحولته من كتاب إلى رسالة جامعية •

كما حذفت الدراسة التى عقدتها للمقارنة بين الأقطار العربية فى تأثرها بالمأساة وفواجعها •

لقد جال قلمى فى صفحات الكتاب بالحذف والاضافة ، والتنقيح والتنسيق بما دعت الحاجة إليه هنا وهناك ، وبما ييسر على الباحثين والدارسين •

وأرجو أن أكون قد تلافيت جوانب القصور ، وتداركت مواطن النقص ، واستكملت ما لم أكن قد استكملته ، وسلطت الأضواء على الزوايا التى كان يلغها الظلام فى الطبعة الأولى من حيث اضافة بعض النصوص التى تمثل شعراء جميع أقطار الوطن العربى •

وأرى لزاما علىّ أن أتوجه بأصدق آيات شكرى أولا لأعلام الأدب
وفرسان الشعر الذين أمدوني بما طلبت منهم من نصوص ، وثانيا إلى
الأقلام الشريفة التي قرظت الكتاب في طبعته الأولى ، وأطرت الجهد
المبدول فيه ، وثالثا لأبنائى طلبة الدراسات العليا المتناثرين في جامعات
غزة والقدس والخليل وبيزيت والنجاح في فلسطين ، والدارسين بكلية
اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف ، وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ،
وأقسام اللغة العربية في كليات آداب القاهرة والاسكندرية وعين شمس
والزقازيق وبنها • والمدرسين في الجامعات العربية في الوطن العربى •
وأضرع إلى الله عز وجل أن يجعل عملى خالصا لوجهه ، وأن يلهمنى
الرشد والعون إنه نعم المولى ونعم النصير ،،،

الدكتور كامل السوافيرى

مصر الجديدة ٢٧ من رجب سنة ١٤٠٥ هـ
١٧ من أبريل سنة ١٩٨٥ م

كلمات التقريظ

ولست أستطيع أن أتحدث عن كل ما جاء في هذا الكتاب وحسبى أن أقول إن المؤلف قد بذل فيه مجهودا جليلا يستحق التقدير ، وقد جمع فيه من أبيات الشعر وقصائده لطائفة من شعراء الأقطار العربية ما يكاد يملأ عدة دواوين •

ليس من السهل ولا من اليسير هذا المجهود فإذا أضفنا إلى هذه النصوص والمراجع أنها كانت المعالم التي اعتمد عليها في بحوثه ودراساته وآرائه في الشعر الحديث لهذه المناسبة استطعنا أن نحكم على قيمة هذا الكتاب الذي أضاف إلى التأليف الأدبي ثروة جديدة •

ولا ريب أن هذا البحث الذي عرضه الأستاذ كامل السوافيري جديد لم يسبقه إليه باحث ولم يعالجه أحد من دارسي الشعر العربي الحديث •

وقد استطاع أن يحصل على نصوصه من عدة مصادر في الأقطار العربية بعضها من دواوين ومجلات ظهرت في عدة سنين وبعضها من الأندية والجمعيات الثقافية في العالم العربي وبعضها مما صنعه الشعراء أو مما أرسلوه إليه من مخطوطات شعرية لم يسبق نشرها في صحيفة أو كتاب •

طاهر الطناحي

مجلة منبر الإسلام — القاهرة

٢ فبراير سنة ١٩٦٥

العدد العاشر — السنة الثانية والعشرون

وقد أجاد المؤلف وهو من أبناء المحنة عرض مأساة فلسطين في مختلف مراحلها منذ أن كان بلدا عربيا عريقا ينعم أهله بالجمال والرخاء إلى أن عصفت به روح الشر فبدلت ملامحه وتركت أهله للضياع والألم •

وليس الكتاب مجرد بحث أوحى التجربة الذاتية لصاحبه — كواحد من أبناء المحنة — أن يقدمه إلى القراء مشاركا به في انصاف وطنه ولكنه قبل هذا رسالة جامعية تقدم بها لدرجة الماجستير في الآداب من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة •

الدكتور عبد الصبور مزوق

مجلة الكتاب العربى

العدد الرابع — ١٠ سبتمبر ١٩٦٤

عاش الأستاذ كامل السوافيرى خادما لقضية فلسطين ينفح عنها بدمه وماله وقلمه ، وقد امتلأت صحف الأقطار العربية بمقالاته الملتهبة ، وأبحاثه الهادفة كما اتسعت ندوات القاهرة واذاعاتها لمحاضراته السياسية والأدبية بشأن فلسطين حتى أصبحت قضيتها شغله الشاغل وهمه المقعد المقيم •

لذلك كان طبيعيا أن تكون رسالته الجامعية التى نال بها درجة الماجستير من كلية دار العلوم عن موضوع حيوى يتصل بفلسطين فعنوانها « الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين » ومن عرف أن الأستاذ السوافيرى يشتغل بالنقد الأدبى طيلة حياته اشتغاله بمأساة وطنه فقد أيقن أن الكاتب يتحدث فى ميدانه الأصيل سياسيا وأدبيا •

الدكتور محمد رجب البيومى

مجلة الأديب اللبنانية

ديسمبر سنة ١٩٦٤

السنة الثالثة والعشرون

وها نحن أولاء نلتقى اليوم بكتاب ضخم أصدره الأستاذ كامل السوافيرى يدرس فيه الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين منذ عام ١٩١٧ إلى سنة ١٩٥٥ وهو جهد ضخم مقدور بذل فيه مؤلفه العرق الكثير حتى سواء ناضجا أهلا لدرجة الماجستير التى أحرزها من كلية دار العلوم •

وهكذا يمضى كامل السوافيرى فى دراسته الخصبه الضخمة الغنية التى هى الأولى من نوعها فى الواقع وقد عاش بها حفيداً كلفاً كأنما جرد نفسه لها منذ عام ١٩٤٨ وظل يعمل لها حتى استوت دراسة على أسس علمية كاملة أحرز بها ماجستير فى الأدب فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٦٢ •

أنور الجندي

مجلة الآداب اللبنانية

العدد السابع تموز — يولية

١٩٦٤ السنة الثانية عشرة

لقد رحبت بكتاب صديقنا الأديب المبدع الأستاذ كامل السوافيرى منذ ما كان فكرة تجول فى خاطر ، ثم رسالة جامعية مشرفة ثم كتابا جليلا رصينا جامعا لأصدقاء القضية الفلسطينية فى الشعر المعاصر قبل المحنة وبعدها وإنصافا للسوافيرى لآبد من إثبات حقيقة خبرتها بنفسى وهى ان المادة التى تجمعت عنده وهو يعد هذا البحث ألفت فى مجموعها ثلاثة أضعاف الكتاب المطبوع •

وكتاب الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين ينشطر من حيث مادته إلى شطرين أولهما يتناول تاريخ القضية على شىء من التركيز ولا أظن المؤلف أتى فيه بجديد •

أما الشطر الثانى فقد أتعب السوافيرى وألهب فيه حيوية البحث ، وجعله يقوم بعملية غريلة كبرى لدواوين الشعراء فى العالم العربى ثم لدوريات الأدب ما اندرس منها وما احتجب بغية استخلاص ما ورد فيها عن القضية الفلسطينية وتبويبه ثم فحصه بالمجهر الأدبى الدقيق وهنا أتى السوافيرى بجديد بعد جديد إذ دلنا على شعراء ليس لهم ديوان مجموع وقصائد غيبت فى صحف مغيبة وأطلعنا على ما تجهله كثرة كاثرة من دارسى الأدب من شعر قيل فى النكبة مستوحى من أحداثها ، وأشهد أن السوافيرى قد بذل فى مسعاه لتجميع هذا الشعر المترامى الجنبات •• جهودا مضمينة أشد ما يكون الضنى •

وكلمة انصاف نزجيتها إلى صديقنا كامل السوافيري فنقول : لقد حملت عن الباحثين عبئا ثقيلا بإخراجك هذا الكتاب المثقل بعواطف الشعراء ، ولقد أضنيت نفسك في سبيل إعفاء القارىء من كل مشقة فقدمت له محصولا من الشعر القومي لا يصادف له مثيلا في ما عداه من الكتب • وعنيت نفسك بتحرى ملابسات كل قصيدة لتَهون على القارىء تقدير الظروف التي نظمت فيها تقديرا كاملا وحرصت على أن تعطى للشعر الجيد حقه من التنويه والاطراء بغير إسراف أو تقتير أيا كان قائله ، فجاء كتابك قسطاسا للشعر المعاصر من نسق أدبي رفيع فأنت إذن أهل للتقدير من ناحيتين : أولاها أنك أرضيت أمانة العروبة وأخراهما أنك أشبعت دواعي البحث الأدبي الأصيل •

وكتابك (الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين) باق ما بقيت عربتنا وما بقي لساننا الضادى الفصيح •

وديع فلسطين

مجلة العلوم اللبنانية

العدد الأول يناير سنة ١٩٦٥

السنة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

١

لهذا البحث قصة بدأت في خريف سنة ١٩٤٨ وهي السنة التي حملت أيامها لفلسطين وللأمة العربية أسوأ ما تحمل الأيام من محن ونكبات ، إذ وقعت فيها كارثة العرب القومية الكبرى ، ونعني بها كارثة فلسطين التي انتهت باقتطاع قطر عزيز من جسم العروبة وفصله عن الأمة العربية وقيام دولة غريبة فيه بعد تشريد أهله وإجلائهم عن ربوعه .

ولقد كانت الكارثة صدمة عنيفة للعرب والمسلمين أفاقوا على هولها ، ورجعوا إلى أنفسهم يتساءلون في مرارة كيف حدثت ؟ وكيف انتهت إلى هذه النهاية المفجعة ؟ واتجه الكتاب والمفكرون في الوطن العربي إلى تحليل أسباب الكارثة وتعليل نتائجها واستلهاام العظات والعبر من أحداثها وتوضيح الوسائل المؤدية للحلول بتغيير الأوضاع القائمة في الدول العربية ، وانتهاج سياسة جديدة في الثقافة والاجتماع والشئون العسكرية والاقتصادية ، وصدرت طائفة من الكتب نذكر منها على سبيل التمثيل الكتب التالية :

- ١ - معنى النكبة للأستاذ قسطنطين زريق ، بيروت سنة ١٩٤٨ .
- ٢ - عبرة فلسطين للأستاذ موسى العلمي ، بيروت سنة ١٩٤٩ .
- ٣ - من وحى فلسطين للأستاذ أحمد رمزي ، القاهرة سنة ١٩٤٩ .
- ٤ - بعد النكبة للأستاذ قدرى طوقان ، بيروت سنة ١٩٥٠ .
- ٥ - من أثر النكبة للأستاذ محمد نمر الخطيب ، دمشق سنة ١٩٥١ .

وتناولت هذه الكتب كارثة فلسطين شرحا وتحليلا وعرضا

للمشكلات ، واستقصاء للأسباب ، وتعليلاً للأحداث ومحاولة للعلاج .
أى أنها عنيت بالجانب السياسى ، ودعت إلى تغيير النظم السائدة فى
الدول العربية وبنائها على أسس جديدة ؛ فالأستاذ زريق يعالج فى كتابه
الجوانب الآتية : فداحة النكبة — الحل الأساسى — معنى النكبة —
الصراع بين المبدأ والقوة فى قضية فلسطين . كما يبحث الأستاذ قدرى
طوقان النواحي التالية : صلاحية العرب للحياة — أركان البناء — التربية
والمدرسة — الصناعة المقدسة — حاجة العرب إلى الأسلوب العلمى .

٢

وأحدثت الكارثة انقلاباً فى النظم السياسية للدول العربية ، وثورة
جامحة على الحكام والملوك والقادة والرؤساء الذين أداروا دفة السياسة
فى أثناء حرب فلسطين ، وتمردوا على الأوضاع الفاسدة فحدث انقلاب
حسنى الزعيم فى سورية فى ٣٠/٣/١٩٤٩ . ولقى الملك عبد الله مصرعه
فى ٢٠/٧/١٩٥١ ، وقامت فى مصر ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ وكانت وليدة
حرب فلسطين ، ولقى عدد من الساسة مصارعهم على أيدي أفراد من
شعوبهم ، وسقطت حكومات كانت تتولى الحكم فى الدول العربية فى أثناء
حرب فلسطين .

وأحدثت الكارثة أيضاً انقلاباً فى التفكير شمل مختلف النواحي
فتغيرات نظرتنا — نحن العرب — للحياة بعد أن استيقظت مشاعرنا على
واقعنا المؤلم ، وأخذنا نغيره بما يتلاءم مع الزمن والمصلحة والعلم ،
وتجلى ذلك فى حاجتنا إلى القوة بكل ما تستلزمه من تربية عسكرية وإنشاء
لمصانع الذخيرة والعتاد الحربى الذى كنا نعتمد فى الحصول عليه على
أعدائنا من دول الاستعمار ، وحشد كل قوانا فى المعركة ووقوف كافة
طبقات الشعب إلى جانب الجيش المنظم ، وحاجتنا قبل كل ذلك إلى
الوحدة ؛ ففى وحدة الدول العربية وتضامنها أعظم قوة للعرب .

٣

وخلقت الكارثة أيضا أدبا جديدا أطلقنا عليه أدب النكبة أو المأساة ، لأنه اتخذها موضوعا له تناول أحداثها ، وسجل وقائعها ، وقص أهوالها ، فلم تكذ تقع الكارثة حتى أخذ الكتاب والشعراء في العالم العربي ينشرون في الصحف والمجلات ، ويذيعون على أمواج الأثير فيضا زاخرا مما أبدعته قرائحهم من أدب استلهموا فيه الكارثة واستوحوا أحداثها • ولم يكن ما نشر في الصحف والمجلات ، وما أذيع على الأثير إلا قطرة من خضم مما أوحى به الكارثة بجانب ما أخرجته المطابع من ملاحم ومسرحيات ودواوين شعرية وأقاصيص وقصص ومسرحيات نثرية ، وهكذا تمثلت في أدب النكبة كل فنون الأدب من الأقصوصة إلى القصة إلى المسرحية النثرية إلى المقالة إلى الخطبة ، ومن المقطوعة إلى القصيدة إلى الملحمة إلى المسرحية الشعرية • وعلى سبيل التمثيل نسوق الدواوين والملاحم الآتية :

- ١ - فلسطين وأخواتها : ملحمة شعرية للشاعر اللبناني بولس سلامة ، سنة ١٩٤٨ •
- ٢ - ملحمة فلسطين الشهيدة للشاعر المصري محمود محمد صادق - الأهرام في ٢٧/١١/١٩٤٧ وقد عممتها جامعة الدول العربية في جميع أنحاء العالم العربي •
- ٣ - رسالة الشعر القومي إلى العالم العربي والشرق : الحلقة الأولى والحلقة الثانية للشاعر المصري محمود محمد صادق - دار المعارف سنة ١٩٤٩ •
- ٤ - النازحة : ملحمة شعرية للشاعر اللبناني محمد شمس الدين ، سنة ١٩٥٠ •
- ٥ - أرض الشهداء : ملحمة شعرية للشاعر البحراني إبراهيم العريض ، سنة ١٩٥١ •

٦ — المهزلة العربية : ملحمة شعرية للشاعر الفلسطيني محمود الحوت ، سنة ١٩٥١ •

٧ — المشرّد : ديوان شعر للشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي (أبي سلمى) ، سنة ١٩٥٣ •

٨ — مع الغرباء : ديوان شعر للشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد سنة ١٩٥٤ •

وفي ميدان القصة نشير إلى المجموعات الآتية :

١ — من وحى الواقع للأستاذ أمين ملحس — مكتبة المنار — القدس •

٢ — كفر للأستاذ نبيل شحاته الخورى — بيروت — ١٩٥٢ •

٣ — الأخوات الحزينات للأستاذ نجاتي صدقى — دار المعارف — القاهرة سنة ١٩٥٣ •

وفي مجال المقالة تتراءى أمام أنظارنا عشرات المقالات والكلمات القوية الملتهبة ، بل الصرخات المدوية الصادرة من الأعماق لأقطاب الفكر وأعلام البيان فى العالم العربى •

ففى فلسطين الأستاذ أكرم زعيتر والأستاذ عزت دروزة والأستاذ قدرى طوقان والأستاذ إميل الغورى والأستاذ حمدى الحسينى •

وفى مصر الأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ أحمد أمين والأستاذ محمد عبد الله عنان والأستاذ محمد فريد أبو حديد والأستاذ عمر الدسوقى والأستاذ سيد قطب والأستاذ محمود شاكر والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ محب الدين الخطيب والأستاذ عادل الغضبان والأستاذ نقولا الحداد والأستاذ أحمد الشرباصى والأستاذ أنور المعداوى والأستاذ وديع فلسطين •

وفى سورية الأستاذ على الطنطاوى والأستاذ شكرى فيصل والدكتور زكى المحاسنى •

وفي لبنان الأستاذ رثيف خورى والأستاذ عبد الله العلايلي والدكتور سهيل إدريس •

وفي شمال أفريقيا فضيلة الشيخ البشير الإبراهيمي والأستاذ علال الفاسي وعبد العزيز الثعالبي •

وفي العراق الأستاذ كامل الجادرجي والأستاذ إبراهيم الواعظ والأستاذ فائق السامرائي ؛ إلى جانب عشرات من الكتاب في بقية أقطار العروبة والإسلام •

وقد أخذت أتبع باهتمام هذا الأدب الذي استوحى الكارثة بجميع فنونه وألوانه ما صدر منه سنة ١٩٤٨ وما صدر في السنوات التالية لها ، وأحرص على جمعه ودراسته ومدى تصويره للكارثة وتعبيره عنها حتى ألفت عندي منه مادة كافية لإصدار كتاب عنوانه « أثر مأساة فلسطين الأدب العربي الحديث » أتناول فيه فنون الأدب كلا على حدة وأتخير من كل فن ما راقني وأقدم منه نماذج وألقى عليها أضواء من النقد والبحث والدرس •

٤

ولكن الكتاب الذي أشرت إلى صدوره في أعقاب صيف سنة ١٩٥٣ لم يصدر ، على الرغم مما نشر عن قرب صدوره في مجلات القلم الجديد الأردنية ، والأديب والآداب اللبنانيتين والأسبوع العراقية وصوت البحرين البحرانية والعالم العربي القاهرية وعلى الرغم أيضا من النداء الذي وجهته المجلات السابقة للكتاب والشعراء في الأقطار العربية ليرسلوا لي ما أوحى لهم به المأساة من شعر ونثر واستجابتهم لهذا النداء ، حيث تفضلوا وأمطروني بسيل دافق من مقالاتهم وقصائدهم ودواوينهم التي كانت من أهم مصادر البحث •

ويرجع ذلك إلى أنني أردت أن أجعل منه رسالة جامعية أحصل بها على درجة الماجستير من كلية دار العلوم التي تخرجت فيها ، وتقدمت

لمجلس الكلية طالبا تسجيل موضوع الرسالة فلم يوافق عليه بالصيغة التي تقدمت بها وعدله إلى « موقف الأدب العربي الحديث من محنة فلسطين » بدلا من « أثر مأساة فلسطين في الأدب العربي الحديث » *

وتعقدت أمامي جوانب البحث لأني كنت خلال الفترة الماضية قد أعددت الأدب الذي استوحى فلسطين بعد المأساة ولم أعد الأدب الذي استوحاها قبل المأساة ومحنة فلسطين تبدأ بصدور وعد بلفور في اليوم الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ *

والمأساة تبدأ بإقرار هيئة الأمم مشروع التقسيم في التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٧ وبين اليومين أمد طويل معناه بلغة البحث العلمي أن أدرس الأدب الذي استوحى فلسطين خلال هذه الفترة الطويلة التي تبلغ ثلاثين سنة سواء أكان هذا الأدب من نتاج أدباء فلسطين أو نتاج أدباء الأقطار العربية *

وبدأت تواجهني أصعب مشكلة في طريق البحث ، وهي العثور على مصادر هذا الأدب في هذه الفترة التي يغشيها الضباب ويلفها الغموض لأنها أعقبت الحرب العالمية الأولى التي غيرت معالم الدنيا وشهدت الحرب العالمية الثانية ، وساءلت نفسي أين أجد هذا الأدب ؟

أيمكن أن أجد في المجالات الأدبية والصحف اليومية التي صدرت في القاهرة ودمشق وبيروت والقدس وبغداد وغيرها من عواصم العربية ؟

وهل من الممكن الرجوع إلى هذه الصحف التي قد يتجاوز عددها الخمس في عاصمة واحدة ؟

ولأول مرة في حياتي أدركت صعوبة موقف الذين يتصدون للأبحاث العلمية على أسس منهجية دون أن تكون مصادر البحث تحت أيديهم أو قريبة المنال منهم وأخذت أجمع مادة البحث وقضيت شهورا تبين لي بعدها أن هذه المادة من الغزارة والسعة والتنوع بحيث يتعذر أولا جمعها ،

وثانيا الاختيار منها ، وثالثا دراستها ؛ فالأدب شعر ونثر ، والشعر غنائى وقصصى ومسرحى ، والنثر مقالة وخطبة وقصة ورواية ، وتأكدت أن جهودى فى هذه السبيل ستضيع سدى ورجعت الى مجلس الكلية وعرضت عليه الأمر واقتنع به وعدل الموضوع فأصبح « موقف الشعر العربى الحديث من محنة فلسطين » وصار مقصورا على الشعر الذى استوحى فلسطين قبل المأساة وفى أثنائها وبعد حدوثها وتحدد زمن البحث من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٥ •

وعادت تواجهنى الصعاب وتجاهنى المشكلات •

وأولى هذه المشكلات مشكلة العثور على الشعر الذى استوحى المحنة قبل الكارثة من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٧ وتفرع عن هذه المشكلة الرئيسية مشكلات فرعية •

الأولى : صعوبة العثور على شعر شعراء فلسطين الذى نشر فى صحف فلسطين أيام الانتداب البريطانى وقد ضاعت مجموعات تلك الصحف بضىاع فلسطين ، ولم أجد للأسف أى مجموعة منها فى دار الكتب بالقاهرة •

الثانية : العثور على شعر الشعراء من أبناء الأقطار العربية باستثناء مصر الذى نشر فى الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى حواضر العالم العربى يومئذ فى بغداد ودمشق وعمان وبيروت وغيرها فى نفس الفترة ولم ينشر فى دواوين •

الثالثة : العثور على شعر شعراء مصر الذى لم ينشر فى دواوين • وثانية المشكلات الرئيسية صعوبة الاتصال بالشعراء من أبناء فلسطين الذين نشروا دواوينهم فى أقطار عربية غير مصر ، ونشروا قصائدهم فى صحف تلك الأقطار بعد أن سردتهم الكارثة وكثير منهم لم يتح له نشر شعره •

وثالثة هذه المشكلات أن كثيرا من دواوين الشعر التى نشرت لشعراء

الأقطار العربية في القدس وعمان ودمشق وبيروت وبنغازى لا يصل إلى أيدي القراء في القاهرة •

ولكنى أخذت أبذل كل ما فى وسعى للتغلب على هذه المشكلات وتذليل تلك الصعاب باتصالاتى الشخصية فاتصلت أولا بإخوتى الشعراء من أبناء فلسطين الذين طوحت بهم الكارثة إلى أقطار عربية — وكلهم إخوة كفاح وزملاء تشرّد ورفاق فاجعة — فأمدونى أولا بدواوينهم التى نشرها فى تلك الأقطار وثانيا بقصائدهم التى لم تنتشر فى الدواوين •

واتصلت ثانيا بعدد من شعراء الأقطار العربية فى العراق وسورية ولبنان والكويت والبحرين فأرسلوا إلى دواوينهم وقصائدهم التى لم تتضمنها الدواوين •

ووجدت عند عدد من أبناء فلسطين الذين لجأوا للقاهرة بعد الكارثة نماذج شعرية متعددة للشعر الفلسطينى الذى استوحى المحنة قبل الكارثة •

وأشق جهد بذلته هو الرجوع إلى مجموعات الصحف والمجلات التى كانت تصدر فى القاهرة وتوقف بعضها ولا يزال البعض الآخر يوالى الصدور ، وفى مقدمة هذه الصحف صحيفة الأهرام وكم لقيت من عنت ، وقضيت من وقت وأنا أراجع أعداد أعوام منها وكثيرا ما كان يحدث أن أقضى أياما وأسابيع فى مراجعة أعداد عام كامل دون أن أجد أى نص أو أعثر على أى قصيدة وفى مقدمة المجلات مجلة الفتح التى أصدرها فى القاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٩٢٦ ، وكانت أصعب فترة زمنية هى الفترة الواقعة بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٣ إذ كانت مصادرى فيها تكاد تكون محصورة فى مجموعات الصحف اليومية ومجموعات بعض المجلات التى لا ينتظم صدورها •

وابتداء من سنة ١٩٣٣ أصبح العثور على المادة أيسر منلا حيث صدرت فى هذه السنة فى القاهرة مجلة الرسالة التى تولى إصدارها الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وكان يشترك فى تحريرها الدكتور طه حسين وأعضاء

لجنة التأليف والترجمة والنشر كما كانت منبراً لأعلام الفكر والبيان في العالم العربي وفي سنة ١٩٣٨ صدرت في القاهرة أيضاً مجلة الثقافة عن لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وفي سنة ١٩٤٢ أصدر الأستاذ ألبير أديب في بيروت مجلة الأديب اللبنانية وقد أمدتني هذه المجلات الثلاثة بالاضافة إلى مجلة الفتح ومجموعات صحيفة الأهرام بمقادير وفيرة من النصوص الشعرية التي استوحت فلسطين قبل الكارثة وبعدها .

وأتيح لى أن أطلع أولاً على جميع الدواوين الشعرية التي نشرت في القاهرة خلال زمن البحث سواء أكان أصحابها من أبناء مصر أم من أبناء الأقطار العربية كما أتيح لى أن أطلع ثانياً على الدواوين الشعرية التي نشرت في حواضر العالم العربي خلال زمن بحثى وأن أطلع ثالثاً على شعر شعراء المهجر في الزمن نفسه سواء أكان أولئك الشعراء ينتمون إلى الرابطة القلمية في المهجر الشمالي أم إلى العصبة الأندلسية في البرازيل « المهجر الجنوبي » .

أما الأسباب التي دفعتني لاختيار موضوع الكتاب فكثيرة :

منها : أنني من أبناء المأساة اکتويت بها وتلظيت ناراها ، على الرغم من حدوثها وأنا في القاهرة حيث ضاع وطني فلسطين ، واغتصبت العصابات الصهيونية قريتي السوافير ، وتشرد أهلي واخوتي وأبناء عمومتى وأفراد عشيرتي ، ومئات الألوف من قومي ، وهاموا على وجوههم في الأرض .

ومنها : أن النكبة أيقظت العرب وكشفت لهم عن جوانب الضعف ومهدت للثورات السياسية التي حدثت في العالم العربي .

ومنها : أن الشعر الذي استوحى فلسطين قبل النكبة وبعدها شعر وطني قومي تلتهم في ثناياه البطولات وتتألق التضحيات وتشرق الأمجاد العربية والإسلامية الخالدة من ذكريات العزة والقوة .

ومنها : أن هذا الشعر لا يهم عرب فلسطين وحدهم وإنما يهم

الناطقين بالضاد في الوطن العربي ، وملايين المسلمين في الكرة الأرضية لأن محنة فلسطين محنة العرب والمسلمين •

ومنها : أن في عرضي لنصوص هذا الشعر ودراستي لها وفاء مني لفلسطين وأداء لحق من حقوق أمتي العربية التي أفتخر بانتمسابي إليها •
ومنها قبل ذلك وبعده : أن هذا البحث مبتكر وموضوعه جديد لم يمهّد طريقه باحث ، ولم يعالجه دارس ومن أهم مصادري •
أولا : ما تفضل به على إخوتي الشعراء في فلسطين والأقطار العربية الذين اتصلت بهم فأمدوني بفيض من شعرهم في المأساة (١) •

(١) من هؤلاء الشعراء :

أولا في فلسطين :

فدوى طوقان — دعد الكيالي — سميرة
أبو غزالة — أبو سلمى — محمود سليم
الحوت — محمود نديم الأفغاني « شاعر
شباب فلسطين » رجاسميرين — كمال ناصر

ثانيا في الأردن

: عيسى الناعوري — إبراهيم القطان •
محمود حسن اسماعيل — محمد عبد الغنى
حسن — محمود غنيم — محمد مصطفى
المحاضى — على الجندي — العوضى
الوكيل — محمد رجب البيومي •

ثالثا في مصر

: محمد الشريقي — زكى المحاسنى — أنور
القطار — عادل الغضبان — سليمان
العيسى — على دمر •

رابعا في سورية

: محمد على الحوماني •
عدنان الراوى — خالد الشواف — على الحلبي
إبراهيم هاشم الفلالي — طاهر زمخشري —
محمد حسن عواد — حسن عبد الله
القرشي •

خامسا في لبنان

: على أحمد باكثير — أحمد السقايف — عبد الله
يحيى العلوى •

سادسا في العراق

: عبد الله زكريا الأنصارى •
إبراهيم العريض •
محمد اليمنى الناصرى — أبو عبد الله
الجزائرى •

سابعا في المملكة السعودية

: رشيد سليم الخورى « الشاعر القروي »
جورج صيدح — الياس فرحات ، ايليا
أبو ماضى •

ثامنا في حضرموت

تاسعا في الكويت

عاشرا في البحرين

حادى عشر في المغرب العربي

ثاني عشر في المهجر

ثانياً : ما تفضلت به على الأندية والجمعيات الثقافية في العالم العربي وأخص منها بالذكر جمعية الشبان المسلمين في القاهرة والرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف بالعراق حيث أتاحت لى الأولى الاطلاع على مجموعات مجلتها وما أنشد على منبرها من شعر استوحى فلسطين • وقد احتضنت جمعية الشبان المسلمين في القاهرة قضية فلسطين وأحرارها المجاهدين ، وجعلتها قضية المسلمين والعرب وبذلت في سبيلها — ولا تزال تبذل — جهوداً تستحق عليها أصدق الشكر • وذلك منذ نشأتها إلى اليوم في عهد رئيسها السابق المغفور له عبد الحميد سعيد ورئيسها الحالي اللواء محمد صالح حرب •

أما الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف فقد أهدتني مجموعتها الشعرية الرائعة « الفلسطينيين » التي تضم إحدى وثلاثين قصيدة لشعراء الرابطة استوحت فلسطين على أثر ثورتها الكبرى سنة ١٩٣٦ وهي مطبوعة في العراق سنة ١٩٣٩ •

ثالثاً : ما تفضل به على أصدقائي من رجال الفكر والأدب في العالم العربي الذين قدموا لى جزازات من صحف فلسطين أيام الانتداب تحوى شعراً استلهم فلسطين ولم ينشر في دواوين •

وقدمو إلى قصائد نشرت في صحف ومجلات لا تصل للقاهرة وقصائد لشعراء فلسطين كانوا يحتفظون بها لأنفسهم ودواوين شعرية لم أجدها في دور الكتب (١) •

رابعاً : الدواوين الشعرية التي طبعت في القاهرة في الفترة الواقعة

(١) من هؤلاء في القاهرة الأستاذ وديع فلسطين الذي تفضل فقدم الى طائفة من القصائد استلهمت المسألة ونشرت في صحف الأقطار العربية التي لم تصل يدي إليها ، وطائفة أخرى من الدواوين الشعرية لشعراء المهجر . وفي عمان الأستاذ يعقوب العودات « البدوى المثلث » .
وفي بيروت :

الأستاذ ألبير أديب وقد تفصل فأهداني مجموعات مجلة الأديب من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٢ والأستاذ الدكتور محمد يوسف نجم والأستاذ الدكتور احسان عباس •

بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٥٥ لشعراء مصر والأقطار العربية والمهاجر الأمريكية •

خامساً : الدواوين المخطوطة وقد اطلعت منها على ديوان المرحوم الشيخ فؤاد الخطيب وديوان أناشيدى للأستاذ عيسى الناعورى وأغانى العودة للشاعر على هاشم رشيد والضائعون للشاعر رجا سمرين ثم طبعت هذه الدواوين بعد ذلك •

سادساً : مجموعات جريدة الأهرام من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥٠ •

سابعاً : مجلة الفتح •

ثامناً : مجلة الرسالة •

تاسعاً : مجلة الثقافة •

عاشراً : مجلة الأديب •

حادى عشر : مجلة الآداب •

وعلى الرغم مما قرأت من مصادر لا أستطيع أن أزعم أنني قرأت كل الشعر العربى الحديث الذى استوحى محنة فلسطين و استوعبت جميع مادته لم تفتنى منه قصيدة ولم يند عنى نص فهناك من غير شك نصوص لم يتح لى الاطلاع عليها وبخاصة فى المغرب العربى وفى ليبيا ولكنى أقرر حقيقة لا مجال للشك فيها وهى أنني اطلعت على أكبر مقدار من الشعر الذى استوحى فلسطين خلال زمن بحثى وإن حظ شعر أبناء فلسطين كان أوفر وأكبر من حظ شعر أبناء الأقطار العربية • وإنى بذلت جهوداً مضمينة فى جمع مادة هذا الشعر وأخذت أجيل النظر وأمعن الفكر فيما جمعت درساً وتحليلاً وموازنة ونقداً واحتكاماً إلى ذوقى الأدبى الخاص ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى إصدار أحكامى على الشعر •

ودراستى للمادة الشعرية وذوقى الأدبى الخاص هما اللذان أوحيا إلى بتخير النصوص التى عرضتها على اعتبار أنها أقوى القصائد وأجودها وأصدقها تعبيراً عن عواطف الشعراء وإحساسهم بالحنة ، وانفعالهم

بجوانبها ولطالما أمضيت الساعات وأنا أوازن بين طائفة من القصائد تناولت حادثاً سياسياً بذاته أو جانباً من جوانب المحنة لاختيار أجودها وكنت أقف هذا الموقف نفسه من الشاعر الواحد لأختار أجود ما قال إذا كثر عدد القصائد التي استوحى فيها المحنة •

وكنت أجعل الشعر الجيد في نظري هو الهدف لا الشاعر ولذلك لم تدفعني شهرة الشاعر وحدها لاختيار شعره ولم يمنعني عدم شهرته عن الاختيار له ويصدق هذا على شعراء فلسطين كما يصدق على شعراء الأقطار العربية •

فالشعر الذي تخيرته هو أقوى شعر في نظري بالنسبة لما اطلعت عليه ، والنصوص التي عرضتها هي أجود ما قرأت ، وقد تختلف آراء النقاد وأذواقهم مع رأيي وذوقي وقد تبعد أحكامي عن الصواب قليلاً أو كثيراً ولكن عذري الذي يشفع لى هو أنني كنت صادقاً مع نفسي ، ومنصفاً من وجهة نظري •

وهناك مسألة لبد من الإشارة إليها هي أنني لم أتخير نصوصاً في هذا البحث من الشعر الحر لأنى لم أجد فيما اطلعت عليه القوة والجودة اللتين ينبغي أن تتوافرا فيما تخيرت •

٥

وفي أمسية ١٨ أكتوبر سنة ١٩٦٢ نوقش البحث أمام لجنة المناقشة ^(١) بمدرج على مبارك في كلية دار العلوم — جامعة القاهرة — ونلت به درجة الماجستير في الأدب العربي بتقدير جيد جداً ، وحن إصدار الكتاب الذي كان مقرراً صدوره في صيف سنة ١٩٥٣ فتأخر إلى صيف سنة ١٩٦٣ •

(١) كانت لجنة المناقشة مكونة من السادة الأساتذة عمر الدسوقي رئيس قسم الدراسات الأدبية بالكلية والمشرف على البحث والدكتور أحمد الحوفي أستاذ الأدب العربي والدكتور أحمد هيكل أستاذ الأدب العربي المساعد. وقد أبدوا ملاحظات هامة استفدت منها وراعتها في طبع الكتاب واني أتوجه لحضراتهم بأعمق الشكر •

واقترضى طبع البحث في كتاب أن أحدث تعديلات في منهجه ، وتحويراً في أبوابه وفصوله ، وتغييراً في الصورة التي قدم بها للكلية ، بحذف ما لم تدع الحاجة إليه ، وإضافة ما يتطلبه المقام ، وإدماج بعض الفصول في بعض ، وجلاء مواقف ، وإضاءة زوايا ، والوقوف عند أحداث والإيجاز في ناحية الإسهاب في أخرى .

ولقد كانت مادة البحث في الرسالة الجامعية مقسمة إلى ثلاثة أقسام الأول العرض التاريخي للمحنة قبل المأساة وبعدها والثاني النصوص الشعرية التي تناولت المحنة قبل المأساة وبعدها أيضاً والثالث الدراسة النقدية فمقسمتها في الكتاب إلى قسمين القسم الأول المحنة قبل المأساة من الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى التاسع والعشرين منه سنة ١٩٤٧ . وفيه تناولت العرض التاريخي للمحنة خلال هذه الفترة وأتبعته بإيراد النصوص الشعرية التي استلهمت أحداثها لشعراء فلسطين والأقطار العربية والمهاجر الأمريكية واتبعت النصوص بدراسة نقدية لهذا الشعر متضمنة اتجاهاته وأفكاره وصوره وأساليبه .

والقسم الثاني المحنة في أثناء المأساة وبعدها من التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٧ إلى الحادي والثلاثين من ديسمبر سنة ١٩٥٥ وفيه واصلت عرضي التاريخي للمحنة في أثناء المأساة وبعدها ، وأتبعته بالنصوص الشعرية ثم بدراستها كما فعلت في القسم الأول .

واستهدفت من ذلك تقديم صورتين واضحتين لفلسطين الأولى عن أحداثها التاريخية والسياسية وموقف الشعر منها قبل المأساة والثانية عن أهوالها وفواجعها وموقف الشعر منها بعد المأساة والجنون الشاسع بين الصورتين .

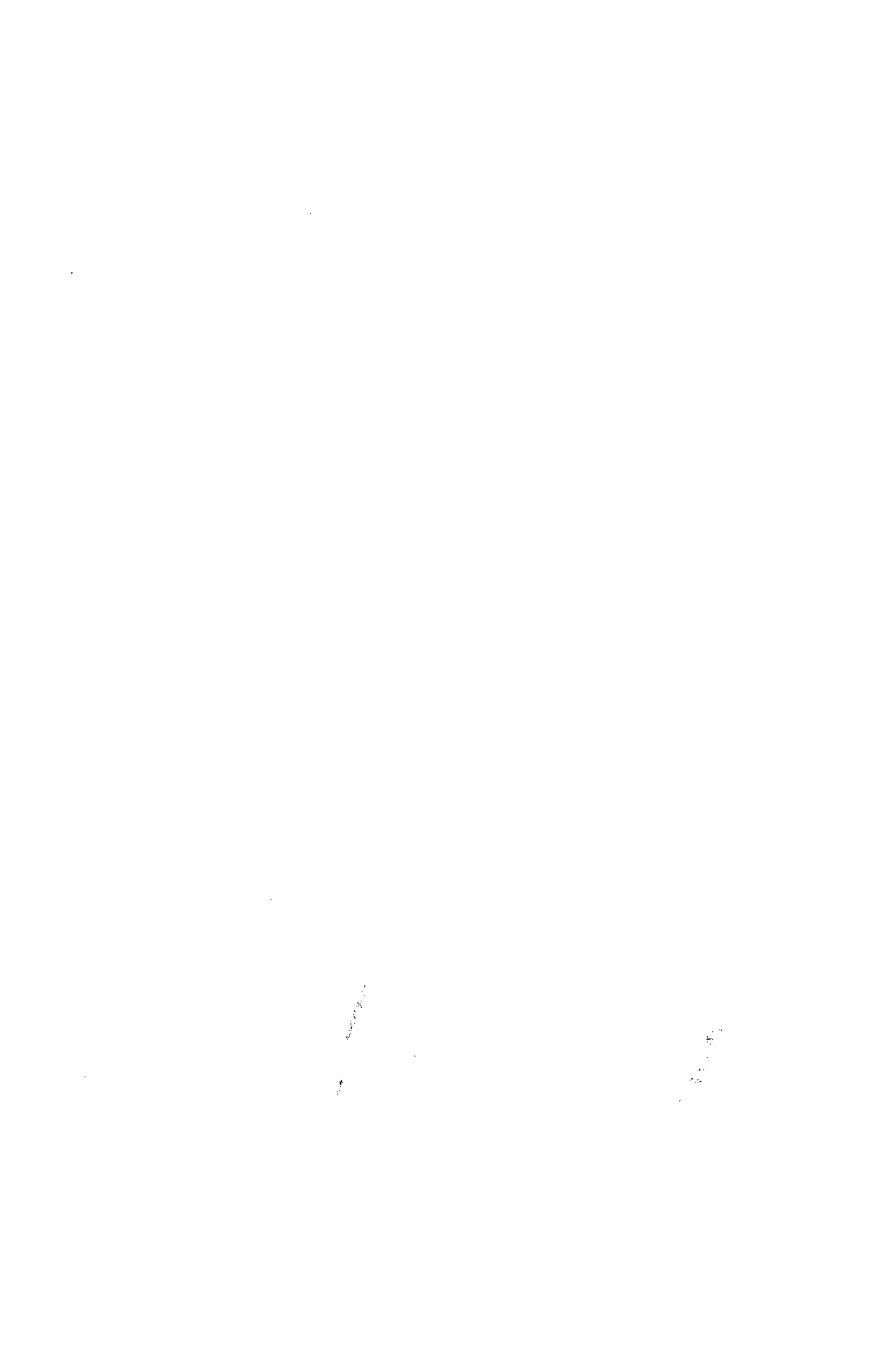
وأنتهيت القسم الثاني من الكتاب بدراسة موضوعية قارنت فيها بين نكبة العرب والمسلمين الأولى في الأندلس ونكبتهم الثانية في فلسطين وما بين النكبتين من اتفاق واختلاف .

وأرى لزاماً على قبل أن أنهى هذه المقدمة أن أعتذر أولاً للإخوة الشعراء في فلسطين والوطن العربي الذين قدموا لى ذوب عواطفهم في مأساة بلادي عن تأخير صدور هذا الكتاب إلى اليوم وأن أشكرهم ثانياً لأن قصائدهم المرسلّة لى كانت أهم مصادري في البحث وأشكر الأصدقاء الأعزاء من أعلام الفكر ، وأرباب القلم الذين قدموا لى كل عون .

والله أسأل أن يلهمني الرشيد والسداد

مصر الجديدة في مايو سنة ١٩٦٣

كامل صالح محمود السّوافيري



تمهيد فلسطين قبل المحنة لمحة تاريخية

فلسطين في ظل الدولة العثمانية
الحياة السياسيّة
الحياة الثقافيّة
الحياة الاقتصاديّة والاجتماعية
فلسطين في موكب الأدب العربي
صلة اليهود المزعومة بفلسطين

فلسطين قبل المحيطة

لمحة تاريخية

فلسطين هي قلب العالم العربي لأنها تقع على الخط الممتد بين القاهرة ودمشق ولأنها الجسر الوحيد الذي يصل آسيا العربية بأفريقيا العربية ، ولأنها منفذ جزيرة العرب إلى البحر المتوسط ولأنها المركز التجاري الهام بين آسيا وأوروبا .

وهي بكسر الفاء وفتحها وفتح اللام (١) آخر كور الشام من ناحية مصر ، أولها رفح ، وآخرها اللجون (٢) وفي إعرابها وجهان الأول إلحاقها بجمع المذكر السالم والثاني إلزامها الياء مع منعها من الصرف (٣) .

وسميت بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة كريتية من الإيجيين الذين نزحوا عن بلاد اليونان على أثر زحف الهنود الأوربيين على بلادهم وجزرها حوالي سنة ١٢٠٠ ق م واسم القبيلة الحقيقي Peleset (٤) .

ولم يكن لها كيان سياسى مستقل بل كانت دائما جزءا من الشام وتابعة لها وكذلك كانت الأردن منذ الفتح الإسلامى إذ أن العرب عندما أتموا فتحهم للشام بجميع أجزائها فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ٦٣٨ م قسموها إلى خمسة أجناد (٥) جند دمشق وجند حمص وجند قنسرين وجند فلسطين وجند الأردن ، ومن مشهور مدن

(١) الفيروز أبادى - القاموس المحيط ج ٢ فصل الفاء والقاف باب الطاء ص ٣٥٧ .

(٢) قرية فى فلسطين .

(٣) ياقوت معجم البلدان ج ٦ ص ٣٩٧ .

(٤) عمر صالح البرغوثى و خليل طوطح - تاريخ فلسطين ص ٣ .

(٥) جند : اما من جندت جندا بمعنى جمعت جمعا واما من أن كل ناحية سميت بجند لأن الجند كانوا يقبضون أجورهم فيه - ياقوت - معجم البلدان ج ١ ص ١٢٥ .

جند فلسطين عسقلان والرملة وغزة وأرسوف وقيسارية ونابلس وعمان ويافا وبيت جبرين ، ومن مدن جند الأردن بيسان وصفورية وعكا وصور وأذرعات وقصبتها طبرية ، من هذا يتضح أن تقسيم جندى فلسطين والأردن في القديم يختلف عن تقسيمهما في الحديث ، حيث كانت عمان من مدن جند فلسطين وهي اليوم حاضرة الأردن وكانت طبرية قسبة جند الأردن وهي اليوم من مدن فلسطين •

مساحتها

وتبلغ مساحتها ٢٦٣٢٠ كيلو متراً مربعاً إذا ما أسقطنا منها مساحة بحيراتها الثلاثة بحيرة طبرية وبحيرة الحولة وبحيرة لوط (البحر الميت) فإذا أخذناها في حسابنا تصبح ٢٧٠٢٤ كيلو متراً مربعاً وهي تعادل ثلث مساحة سورية أو الشام الممتدة من طوروس إلى رفح ومن البادية إلى البحر الأبيض المتوسط •

حدودها

وحدودها في عهد الانتداب البريطانى ، وبعد قيام حكومة في الأردن من الشرق نهر الأردن وجمهورية سورية ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ومن الشمال جمهورية لبنان ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء وتنقسم إلى أربع مناطق :

الأولى : المنطقة السهلية وتضم سهول فلسطين ومن أجودها السهل الساحلى الممتد من غزة إلى حيفا •

الثانية : المنطقة الجبلية وتضم سلاسل الجبال الممتدة من الشمال إلى الجنوب بين فلسطين وسورية ومن أشهرها جرزيم وعيبال اللذان يحتضنان مدينة نابلس وجبل الزيتون (الطور) الذى يشرف على مدينة القدس وجبل الكرمل الذى يطل على مدينة حيفا •

الثالثة : منطقة الغور وتمتد بين بحيرة طبرية والبحر الميت ، وسميت بذلك لانخفاضها عن سطح البحر •

الرابعة : منطقة بئر السبع وتدعى النقب ومعناها الجنوب وتضم مساحات شاسعة من الصحارى وتبلغ مساحتها نصف مساحة فلسطين • ولا يصلح من أرضها للزراعة إلا ثلث مساحتها تقريباً ويقدر بحوالى ٨٠٠٠٠٠٠ ٨٠٧٦٠٠٠٠ دونم^(١) وتعتمد البلاد فى زراعتها على مياه الأمطار التى تهطل فى فصل الشتاء ، وعلى الزراعة يعيش معظم سكان البلاد • وجوها معتدل بوجه عام ، مع تفاوت فى المناطق التى ذكرناها ، وقد بلغ عدد سكانها حتى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، ١٩٤٨٠٠٠٠ نسمة منهم ١٣١٩٠٠٠٠ نسمة من العرب و ٦٢٩٠٠٠٠ نسمة من اليهود • انظر الخريطة (رقم ١)

عروبتهـا

وينحدر شعب فلسطين من أصلاب القبائل العربية التى تتابعت موجات هجرتها من جزيرة العرب إلى فلسطين ، عبر أزمنة سحيقة موغلة فى جذور الزمن قبل الميلاد وبعده ، ومن القبائل العربية التى استوطنت فلسطين بعد الفتح الإسلامى ، ومن الذين استعربوا من السكان على أثر انتشار الإسلام •

ومن تلك القبائل التى سكنت فلسطين فى فجر التاريخ وحوالى سنة ٢٥٠٠ ق م الكنعانيون الذين سميت البلاد نسبة إليهم أرض كنعان قبل أن يسكنها الفلسطينيون الذين نزحوا عن بلاد اليونان سنة ١٢٠٠ ق م وسميت البلاد فلسطين نسبة إلى إحدى قبائلهم كما ذكرنا •

وقد امتد حكم الكنعانيين فى فلسطين إلى ألف وخمسمائة سنة •

ومن تلك القبائل العربية التى سكنت أجزاء من فلسطين قبل الميلاد أيضاً الأنباط الذين ضمت مملكتهم شرقى الأردن وجنوب فلسطين ، وكانت عاصمتهم بطرا التى يسميها العرب (سلع) وهى الرقيم الذى يقع اليوم

(١) الدونم : ١٠٠٠ متر مربع ويعادل ١ فدان مصرى •

في وادي موسى بالأردن (١) ، ومن أعظم ملوكهم الحارث الثالث الذي تغلب على البقاع بسورية وملك دمشق سنة ٨٥ ق م وقد امتدت مملكة الأنباط حتى شملت من الغرب سيناء ومن الشرق حوران وحدود العراق ، وبلغت من الجنوب وادي القرى (٢) .

ومنها الغساسنة الذين بسطوا سلطانهم على فلسطين والأردن منذ القرن الخامس الميلادي .

ويؤكد هذه العروبة قبل الإسلام أن فلسطين كانت إحدى رحلتى الشتاء والصيف المذكورتين في القرآن الكريم في قوله تعالى (لإيلاف قريش • إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) (٣) واتفق المفسرون على أن رحلة الصيف بلاد الشام ورحلة الشتاء بلاد اليمن ، وأول من سن هاتين الرحلتين لقريش هو هاشم بن عبد مناف الجد الثاني للرسول ﷺ الذي مات بغزة ودفن بها وصارت من ذلك الوقت تعرف بغزة هاشم لأن قبره بها .

وازدادت عروبتها قوة بمن نزع إليها واستقر فيها من القبائل العربية بعد الفتح الإسلامي ، ومن هذه القبائل اشتقت أسماء مناطق وقرى كثيرة في فلسطين مثل وادي الحواريث وبنى حارثة ومرج ابن عامر وبنى حسن وبنى زيد وبنى مرة ومن القرى طيرة بنى صعب (٢) .

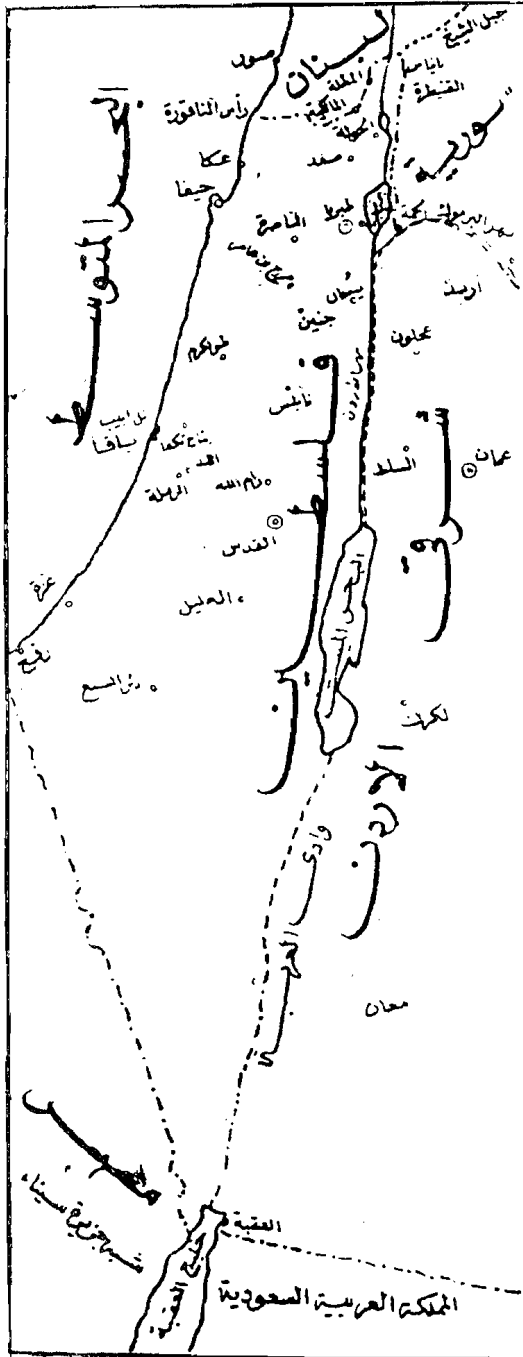
ولانتزال قبائل عربية تحيا حياة البداوة في جهات كثيرة ومناطق متعددة في فلسطين إلى اليوم مثل منطقة بئر السبع وتحتفظ بعاداتها وتقاليدها وتجمع الصلات بينها وبين أصولها في نجد والحجاز ومصر ويبلغ مجموعها ١٠٪ من مجموع عدد العرب في فلسطين الذين يقطنون المدن والقرى .

(١) الدكتور ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية في فلسطين والأردن ص ٨ .

(٢) سورة قريش آيتا ١ ، ٢ .

(٣) عمر صالح البرغوثي وخليل طوطح — تاريخ فلسطين ص ١٧ .

(م ٣ — الشعر العربي الحديث)



الخريطة رقم (١)

ومنذ الفتح الإسلامي أضيفت على فلسطين هالة من التقديس ؛
ففى مدينة بيت المقدس عاصمة البلاد يقوم المسجد الأقصى المبارك الذى
أسرى بالنبى ﷺ من مكة إليه (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا
إنه هو السميع البصير) (١) •

والذى كان أولى القبلتين حيث ولى المسلمون وجوههم شطره عاماً
ونيفاً •

عن البراء رضى الله عنه قال : [صلينا مع النبى ﷺ نحو بيت
المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا نحو الكعبة] (٢)
وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه للكعبة فأنزل الله قوله : (قد نرى
تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) (٣) فتوجه نحو الكعبة
والذى هو أحد المساجد التى تشد إليها الرحال عن أبى هريرة رضى الله
عنه عن النبى ﷺ قال : [لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى
هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى] (٤) •

ويرقد فى ثرى فلسطين عدد من الرسل والأنبياء صلوات الله
وسلامه عليهم ، وعدد من الصحابة والتابعين •

ففى مدينة الخليل مقام أبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام
الذى سميت المدينة باسمه ، وفى نفس المقام عدد من أبنائه ، وعلى مقربة
من بيت المقدس مقام الرسول موسى بن عمران عليه السلام •

(١) سورة الاسراء الآية الاولى •

(٢) رواه البخارى •

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٤ •

(٤) رواه البخارى ومسلم •

وتتناثر في البلاد أضرحة الصحابة الأجلاء أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وعبادة بن الصامت ، وسلمة بن الأكوع الذي سميت قرية سلمة الواقعة بالقرب من مدينة ياقا باسمه ، وأبي هريرة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وشرحبيل بن حسنة •

وفلسطين مقدسة أيضا في نظر النصارى ؛ ففيها مدينة بيت لحم التي أطل منها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام على الوجود والتي تقوم فيها كنيسة المهد ، وفيها مدينة الناصرة التي ترعرعت فيها طفولة المسيح مع أمه المتبتلة مريم والتي ينسب إليها فيسمى الناصري •

• وفي مدينة القدس تقوم كنيسة القيامة ذات التاريخ الحافل •

فلسطين في ظل الدولة العثمانية

التقسيم الإداري

تم للعثمانيين إخضاع مصر والشام لنفوذهم بعد القتال المرير بين جيشي السلطان سليم الأول والسلطان العورى وابن أخيه طومان باى وانتصارهم فى موقعة مرج دابق واللجون الفاصلتين حوالى سنة ١٥١٧ •

وبإخضاع الشام للنفوذ العثمانى دخلت فلسطين ضمنا لأنها جزء من الشام ، وامتد الحكم العثمانى على مصر والبلاد العربية زهاء أربعة قرون ، من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين ، وسنعرض بإيجاز لفلسطين فى ظل هذا الحكم من نواحي الحياة المختلفة •

وكان التقسيم الإدارى للشام بعد إخضاعها أول تغيير أحدثه العثمانيون إذ قسموها إلى ثلاث ولايات : ولاية سورية وولاية حلب وولاية بيروت ، واتبعوا بكل ولاية عددا من المتصرفيات •

وأحدثوا تغييرا فى التقسيم الإدارى لجندى فلسطين والأردن إذ قسموها إلى أربعة أقسام وأطلقوا على كل قسم اسم « لواء » وهى : أولا : لواء القدس ويضم قائممقاميات يافا والخليل وغزة وبئر السبع وهو لواء مستقل لا يتبع ولاية من ولايات الشام بل يرتبط ارتباطا مباشرا بوزارة الداخلية فى مقر السلطنة •

ثانيا : لواء نابلس ويضم قائممقاميتى بنى صعب وجنين ويتبع ولاية بيروت •

ثالثا : لواء عكا ويضم قائممقاميات حيفا وصفد وطبرية والناصرية ويتبع الولاية السابقة ومن هذه الألوية الثلاث تتألف فلسطين •

رابعا : لواء الكرك ويضم البلاد التى أطلق عليها فيما بعد اسم « شرقى الأردن » ويتبع ولاية سورية (١) •

(١) لواء : مديرية وقائمقامية : مركز ويطلق عليه فى فلسطين قضاء •

الحياة السياسية

سام العثمانيون العرب في الشام عامة « سورية ولبنان وفلسطين والأردن » سوء العذاب وبخاصة في أخريات أيامهم وفي العهد الحميدى عهد الظلم والاستبداد حيث نشر الطاغية جمال السفاح — الذى شمل سلطانه الشام والحجاز — جوا من الإرهاب والرعب لم يسبق له مثيل • وأحس العرب بالظلم الواقع عليهم ، وبأنهم مغلوبون على أمرهم لأن الدولة لا تعترف لهم بكيان قومى أو استقلال إدارى •

وضاعف من هذا الشعور أن العثمانيين اختاروا رؤساء الدوائر وكبار الموظفين في فلسطين من الأتراك الذين لا يفهمون اللغة العربية ، وأنهم جعلوا اللغة التركية لغة التدريس في المدارس والمعاهد ولغة القضاء في المحاكم •

وأهدر العثمانيون حرية الصحافة وتكوين النقابات والجمعيات ، وإنشاء الصحف وعقد الاجتماعات ، وفتح المدارس والمعاهد ، ولذلك لم يستطع أبناء فلسطين أن ينشئوا صحافة أو مدارس إلا بعد صدور الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ •

يضاف إلى ذلك تفشى الرشوة والفساد في جهاز الدولة ، وإثقال كاهل الأمم بالضرائب والرسوم • والفوضى التى كانت تعم كل مجالات الدولة • وقد تألم عرب فلسطين لأنهم لم يستطيعوا أن يعلموا أبناءهم في مدارس الحكومة لغتهم العربية ويلقنوهم مبادئها وقواعدها من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، وأن هذه اللغة كادت تموت وقد ظهرت العنصرية واضحة بأجلى معانيها في سيادة العنصر التركى والتحيز له •

ولذلك كان شعور العرب في فلسطين نحو الحكم العثمانى شعورا ممزوجا بالمرارة والأسى يشترك في هذا الشعور المثقفون وعامة الشعب الذين سكتوا على مضمض متخذين من المساواة في الدين بينهم وبين الدولة ذريعة للسكوت •

الحياة الثقافية

خيم الجهل على ربوع فلسطين في ظل الدولة العثمانية : فلا معاهد تقام ، ولا مدارس تفتتح ، ولا ثقافة تنتشر ولم تكن ظلمة الجهل تغمر جانبا واحدا من جوانب الدولة وتنحسر عن آخر ، ولكنها كانت ظلمة غامرة تعم أجزاءها وتشمل ولاياتها .

وإذا اتسم الحكم العثماني بالتأخر الثقافي والفكري بعامة فإن حظ الولايات العربية من هذا التأخر كان أكبر من حظ الأجزاء التركية وتجلي ذلك في عدد المعاهد والمدارس الموجودة في فلسطين في العام الدراسي ١٩١٣ - ١٩١٤ حيث كان في البلاد كلها ٩٥ مدرسة ابتدائية بها ٧٧٥٨ تلميذا وتلميذة يقوم بالتدريس لهم ٢٣٦ مدرسا ومدرسة مع أن عدد التلاميذ الذين كانوا في سن التعليم الابتدائي الإلزامي يبلغ ٧١٩٢٣ ومعنى هذا أن المدارس لم تكن تضم إلا ١٠٪ منهم .

هذا إلى جانب مدرستين متوسطتين (إعداديتين) إحداهما في مدينة عكا والثانية في مدينة نابلس ومدرسة ثانوية واحدة كان يطلق عليها اسم المكتب السلطاني في القدس وكانت لغة التدريس في هذه المدارس التركية لا العربية وفي الوقت نفسه كان في فلسطين في العام الدراسي نفسه ٥٠٠ مدرسة ابتدائية أهلية (حرة) وطائفية وعدد من المدارس الأجنبية من بينها مدارس أمريكية وإنجليزية وألمانية وفرنسية وإيطالية وروسية ويعود معظمها إلى الإرساليات الدينية .

وكانت الدولة العثمانية تمنح كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين امتيازات خاصة في كل ما يمت إلى الشئون الدينية والمذهبية بصلة ومنها التعليم وبمقتضى ذلك كان يحق لكل طائفة أن تعلم أبناءها باللغة السائدة فيها وترتب على ذلك السماح للنصارى العرب أن يتخذوا اللغة العربية لغة التدريس في مدارسهم الطائفية وعدم السماح بذلك للمسلمين العرب الذين لا يجدون أمامهم إلا المدارس الحكومية التي كانت لغة

التدريس بها هي اللغة التركية وإلا بعض الكتاتيب القديمة الموقوفة التي لم تنل أى حظ من العناية والإصلاح (١) .

ومع هذه الظلمات التي غشت سماء فلسطين ، والجهل الذي تفشى في ربوعها ، وجد فيها بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وقبل نشوب الحرب العالمية الأولى في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٠٨ و ١٩١٤ صحف ومجلات حيث أنشئت في القدس في السنة التي أعلن فيها الدستور ثلاث مجالات هي :

١ — الأصمعي لصاحبها حنا العيسى واثترك معه في تحريرها خليل السكاكيني وإسعاف النشاشيبي وتكنى كل واحد من الثلاثة بكنية علم من أعلام الأدب القدامى فكانت كنية صاحبها (أبا سعيد) وهي كنية الأصمعي وكنية السكاكيني (أبا الطيب) وهي كنية المتنبى وكنية إسعاف (أبا الفضل) وهي كنية بديع الزمان الهمذاني .

٢ — القدس لصاحبها جورج حنانيا وكانت أسبوعية واثترك في تحريرها معه أيضا السكاكيني والنشاشيبي الذي تولى رئاسة تحريرها فترة من الزمن .

٣ — النفائس العصرية لصاحبها خليل بيدس ومن كتابها إسعاف النشاشيبي وعبد الله مخلص .

وصدرت في مدينة حيفا مجلة الزهرة لصاحبها جميع بحرى ثم حولها إلى جريدة سماها الزهور والكرمل لصاحبها نجيب نصار .

وصدرت في يافا جريدة فلسطين وقد أنشأها في سنة ١٩١١ عيسى العيسى وأخوه يوسف العيسى وهما شقيقا حنا العيسى منشاء مجلة الأصمعي وكانت تصدر نصف أسبوعية وتوقفت عند نشوب الحرب العالمية الأولى واستأنفت الصدور في عهد الانتداب البريطاني نصف أسبوعية ثم صارت يومية منذ سنة ١٩٢٩ إلى الآن (٢) .

(١) ساطع الحصرى — حولية الثقافة العربية السنة الثانية سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ العهد العثماني ص ٦ — ٩ .

(٢) الدكتور ناصر الدين الأسد — الاتجاهات الأدبية ص ٤٣ — ٤٦ .

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

لم تكن الحياة الاقتصادية خيرا من الحياة الثقافية فوسائل الزراعة هي الوسائل البدائية التي مرت عليها عشرات القرون ، ولم تهتم الدولة العثمانية بتحسينها أو تطويرها ليتضاعف نتاج الأرض ، ولم تنشأ في البلاد صناعات جديدة ولم تشجع الصناعات القائمة حقا لقد كان توزيع الأرض على السكان معقولا إلى حد ، ومعتدلا إلى حد أيضا وقلنا إلى حد لأنه كان هناك عدد لا يمتلكون أرضا وكان هناك إقطاع حيث امتلكت أسر غير فلسطينية « سورية ولبنانية » مئات الألوف من الدونمات من أراضي فلسطين نتيجة لصلات هذه الأسر بالحكام الأتراك واستغلال نفوذهم • وعندما نكبت فلسطين بالانتداب البريطاني • باعت هذه الأسر ما تملكه من أرض لليهود بأثمان مرتفعة وتسبب عن ذلك البيع تشريد ألوف من المزارعين العرب من أهل فلسطين عن تلك الأراضي •

ومع أن أبناء القرى كانوا يؤلفون ٧٥٪ من مجموع السكان فقد كان ٢٥٪ منهم لا يملكون أرضا وإنما يستأجرونها من أصحابها الذين يسكنون في المدن ويدفعون لهم ثلث ريعها مقابل حرثها وزراعتها وجنى حاصلاتها وحوالي ٤٧٪ من أبناء القرى كانوا يشاركون في ملكية الأرض المشاع ويتقاسمونها كل عام •

وكانت المحاصيل الزراعية لا تعدو القمح والشعير والبقول والذرة والسمسم وبعض الأصناف الأخرى كالعدس والبصل وتجنى مرة واحدة في العام • وعندما تزيد هذه المحاصيل عن حاجة البلاد لا تجد أمامها أسواقا خارجية لتصريفها والضرائب تحصل بعنف وشدة ولا تراعى فيها ظروف الممول وحالته الاقتصادية أو عجزه لأن الأرض لم تثبت نتيجة عدم هطول أمطار كافية في فصل الشتاء •

أما الحياة الاجتماعية فكانت أعظم سوءا ، فالجهل يخيم على ربوع

البلاد ، والأمية تنتفشى بين السواد الأعظم من الشعب واللغة التركية تنتشر وتعم والعربية تتلاشى وتموت •

وعقد الاجتماعات محرم ، وتكوين الجمعيات والنقابات جريمة وافتتاح المدارس وإنشاء الصحف جريمة يعاقب عليها القانون •

ولذلك لم يستطع أبناء فلسطين إصدار صحف أو افتتاح مدارس إلا بعد صدور الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ والبطالة متفشية بين العمال • ومستوى المعيشة هابط والدخل الفردى لا يكاد يقيم الأود عند بعض الأفراد يضاف إلى ذلك حرمان البلاد من الرعاية الصحية وقلة المستشفيات ، وصعوبة المواصلات بين المدن المختلفة وبينها وبين القرى •

وهكذا كانت الحياة الاجتماعية فراغا قاتلا وحربا ضد كل نشاط فى أى مجال من مجالات الحياة •

فلسطين في موكب الأدب العربي

قدمت فلسطين للأدب العربي منذ القرن الرابع الهجري والقرون التي تلتها نفرا من أعلام الشعراء والكتاب فمن الشعراء كشاجم الرملي نسبة إلى مدينة الرملة البيضاء الواقعة بالقرب من مدينة يافا على طريق القدس • وقد قسم أيامه بين مصر والرملة وحلب وكان شاعرا لأبي الهيجاء ولابنه سيف الدولة الحمداني وتوفي سنة ٣٥٠ هـ وترك من آثاره المطبوعة ديوان شعره ورسالة سماها « أدب الندماء ولطائف الظرفاء » وقد قال عنه الخوارزمي : « من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجي الحطيئة ونقائض جرير وخمريات أبي نواس وتشبيهات ابن المعتز وزهديات أبي العتاهية ومراثي أبي تمام ومدائح البحتری وروضات الصنوبري ولطائف كشاجم ولم يخرج إلى الشعر فلا شيب الله قرنه » •

ومنهم أبو إسحاق الغزي المشهور واسمه إبراهيم بن يحيى بن عثمان ولد بغزة سنة ٤٤١ هـ وتوفي في بلخ من بلاد خراسان سنة ٥٢٤ وله ديوان شعر مخطوط اختاره لنفسه وذكر في مقدمته أنه يتكون من ألف بيت ذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه •

ومن جيد شعره :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة
خلت الديار فلا كريم يترجى
ومن العجائب أنه لا يثتري
باب الدواعي والبواعث مغلقة
منه النوال ولا مليح يعشيق
ويثخان فيه مع الكساد ويُسرق

ومن شعره أيضا :

وخز الأسنة والخضوع لناقص
والرأى أن يختار فيما دونه
ونقل عنه أنه كان يقول لما حضرته الوفاة أرجو أن يغفر الله لي
أمران في ذوق النهى مثران
المران وخز أسنة المران (١)

(١) المران بفتح الميم وتشديد الراء : الرمح •

لثلاثة أشياء : كوني من بلد الإمام الشافعي وأنى شيخ كبير وأنى غريب (٢) .

ومنهم الأديب القيسراني الذي ولد بمدينة عكا سنة ٤٧٨ هـ ونشأ بقبسارية فنسب إليها وتوفي بدمشق سنة ٥٤٨ هـ .

ومن الكتاب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني نسبة إلى بيسان إحدى مدن فلسطين ، وقد ولد بعسقلان سنة ٥٢٩ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٦ هـ وهو صاحب الطريقة المعروفة في النثر ، ومنهم صلاح الدين الصفدي خليل بن أبيك الذي ولد في مدينة صفد وتوفي بدمشق سنة ٧٦٤ هـ وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب وله عدة مؤلفات (٢) .



وذكر هؤلاء الأعلام ينقض خطأ شائعا وقع فيه بعض الكتاب الذين تناولوا الحياة الأدبية في فلسطين وأصدروا حكمهم المتضمن أن البلاد لم تنتج في عصور الأدب الماضية أدباء . ذلك أن الأدباء يتعاقبون في فلسطين بلا انقطاع منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم ولكن الكتاب والشعراء من أبناء فلسطين لم يستقروا في بلادهم بل تنقلوا في الوطن العربي وبيئاته المختلفة وأقاموا حيث طاب لهم المقام . وهذا التنقل وليد العوامل الآتية :

١ — « إن فلسطين لم تك وحدة سياسية مستقلة في عصر من العصور . لقد كانت جزءا من تلك الرقعة الواسعة التي تعرف بديار

(١) ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٧٠ .

(٢) من المراجع التي اعتمدنا عليها في هؤلاء الأعلام :

أولا — الاتجاهات الأدبية الحديثة للدكتور ناصر الدين الأسد .

ثانيا — مقال في العدد ٨٥٥ من مجلة الرسالة الصادر في ٢١/١١/٤٩ للاستاذ أحمد سامح الخالدي تحت عنوان « أهل العلم والحكم في ريف فلسطين » .

ثالثا — مقال في عدد مايو سنة ١٩٤٥ من مجلة الأديب اللبنانية للدكتور

اسحاق موسى الحسيني تحت عنوان الحياة الأدبية في فلسطين .

العرب ، ولم يستقل بحكمها أمير كما حدث في بعض الأقطار فهي إما تابعة وإما متبوعة » •

٢ — « إنها لم تك مركزا لخليفة أو سلطان مدة طويلة من الزمن حتى يجذبها إليها الشعراء والكتاب أو يحفظا المواهب الأدبية في بيئتها ويحولان دون انتقالها إلى بيئات أخرى » •

٣ — « إن البلاد لم تشتهر بالرخاء الاقتصادي بله الترف الذي نعمت به العراق والشام ومصر والأندلس » (١) •

على أن عدم استقرار الشعراء والكتاب من أبناء فلسطين في بلادهم واتجاههم إلى مراكز السلطان ومواطن الرخاء ليس بدعا ولا عجبا ، ولكنه طبيعة الشعراء والكتاب الذين تضيق بهم ناحية فيتجهون إلى أخرى ، وتضيق بهمهم أوطانهم فيلتمسون حياة أفضل في أوطان أخرى ، ولهذا رأينا المتنبي الشاعر الشامي يقصد مصر ويمدح كافورا ووجدنا أبا تمام والبحترى وغيرهما من الشعراء يولون وجوههم شطر بغداد مقر الخلافة سعيا وراء المجد والرفد وذيوع الشهرة •

وكلما اتسعت همة الإنسان ونال قسطا كبيرا من العلم والمعرفة ضاقت به بلاده وبخاصة إذا لم تصل إلى الحد الذي يرضيه من الحضارة والرقى •

فإذا سرنا مع الزمن ووقفنا عند العهد العثماني وجدنا فلسطين تقدم للأدب في هذا العهد المظلم أعلاما بارزين •

فلى الرغم من قلة عدد المدارس الابتدائية الحكومية في فلسطين في ذلك العهد وفقدان التعليمين الثانوى والعالى فيها ، وضعف الصلة بينها وبين الغرب نجدها تبرز أعلاما ذاعت شهرتهم وتألقت أسماؤهم في تلك الحقبة المظلمة بما تركوا من آثار مطبوعة ومخطوطة تشهد لهم بالنبوغ

(١) ذكر هذه العوامل الثلاثة الدكتور اسحاق موسى الحسينى في مقاله الذى أشرنا إليه في عدد مايو سنة ١٩٤٥ من مجلة الأديب وقد نقلناها عنه بنصها ووضعناها بين أقواس •

والتفوق في ميادين الأدب والفكر وعلى سبيل التمثيل نقدم بعض هؤلاء الأعلام :

أولا : يوسف ضياء الدين باشا الخالدي الذي ولد في مدينة القدس سنة ١٨٢٩ وترفي بها سنة ١٩٠٦ وتلقى دراسته في المدارس الإنجليزية في القدس أولا وفي فرنسا ثانيا وتولى عدة مناصب هامة واختير نائبا عن القدس في مجلس المبعوثين في الآستانة •

ثانيا: روجي الخالدي الذي توفي في الآستانة سنة ١٩١٣ وقد تعلم في القدس أولا ثم في المدرسة الوطنية في طرابلس ثانيا ثم في المدرسة السلطانية في بيروت ثالثا ثم في الآستانة رابعا حيث درس بها الحقوق ثم في باريس خامسا حيث رحل إليها لإتمام دراسته وتخرج في مدرسة العلوم السياسية وفي جامعة السوربون واتصل في أثناء وجوده بفرنسا بنفر من المستشرقين ، واشترك في مؤتمرهم المنعقد بباريس سنة ١٨٩٧ واختير أستاذا في مدرسة اللغات الشرقية بها واختارته الحكومة العثمانية قنصلا عاما لها في مدينة بوردوا سنة ١٨٩٩ وحين أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ انتخبه أهل مدينة القدس مندوبا عنهم في مجلس المبعوثين في الآستانة واختير نائبا ثانيا لرئيس المجلس وقد خلف ثروة علمية وأدبية منها :

١ — علم الأدب عند الإفرنج والعرب نشرته دار الهلال بالقاهرة سنة ١٩٠٤ •

٢ — الانقلاب العثماني نشر تباعا في مجلة الهلال •

ثالثا : أحمد شاكر الكرمي الذي ولد في مدينة طولكرم ونسب إليها ورحل إلى مصر وتعلم في الأزهر ثم استقر في دمشق وتوفي سنة ١٩٢٧ وترك عددا من المقالات ومن مؤلفاته :

١ — الكرميات مجموعة مقالات وقصص طبعت في مصر سنة ١٩٢٠ •

٢ — مى أو الخريف والربيع ترجمها عن الإنجليزية وطبعت فى دمشق

سنة ١٩٢٢ •

وكان تألق هذه الأسماء وذيوع شهرتها العلمية والأدبية نتيجة عاملين : الأول أن بعض الأسر فى فلسطين أوفدت أبناءها للدراسة خارج فلسطين حيث أكملوا تعليمهم الثانوى فى بيروت أو الشام ، وأتموا دراستهم العالية فى الآستانة أو فى الغرب وبخاصة فرنسا وبعضهم اتجه للأزهر فدرس علوم الدين واللغة العربية •

الثانى : أن بعض هذه الأسر كانت تحرص كل الحرص على أن تلقن أبناءها ثقافة خاصة تعدهم لتولى وظائف دينية يرثها الأبناء عن الآباء وفقا للقانون العثمانى كمناصب إمامة المساجد والقضاء والإفتاء والهدف منها المحافظة على مجد الأسرة لا الرغبة فى مرتبات هذه الوظائف •

صلة اليهود المرغومة بفلسطين

يزعم اليهود أن لهم صلة تاريخية قديمة وثيقة بفلسطين تجيز لهم إحياء « إسرائيل » التي قبرت منذ آلاف السنين والعودة إلى « أورشليم » وهذا زعم باطل لا يقوم على حق ولا يستند إلى دليل • ذلك أن بنى إسرائيل حين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام واجتازوا البحر الأحمر إلى سيناء ودعاهم موسى لحرب الفلسطينيين ودخول فلسطين الأرض المقدسة وأجابوه الإجابة التي ذكرها القرآن الكريم : (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)^(١) التي وصمتهم بالجبن • ثم تاهوا في سيناء وبعد وفاة موسى عليه السلام • وحوالى سنة ١١٨٦ ق •م ذهبوا إلى فلسطين غزاة معتدين بقيادة يشوع بن نون وحاربوا الفلسطينيين واستطاعوا بعد قتال عنيف ومعارك دامية اخضاع بعض المدن في حين بقى القسم الأكبر من البلاد في أيدي السكان الأصليين •

وبعد وفاة يشوع بن نون تولى أمر بنى إسرائيل قادة عرفوا بالقضاة ولكن بنى إسرائيل انقسموا على أنفسهم وصاروا شيعا وأحزابا يحارب بعضهم بعضا إلى أن تم لهم إنشاء مملكة استوى على عرشها أولا شاول وتعاقب عليها من بعده داود من (سنة ١٠٠٠ — ٩٦٠ ق •م) وسليمان من (٩٦٠ — ٩٣٥ ق •م) ثم انقسمت المملكة بعد موت سليمان إلى قسمين هما مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا واقتتلتا وأغرت كل واحدة منهما بالأخرى العدو الخارجى من أهل البلاد وظلتا في قتال حتى وقعت فلسطين في قبضة الآشوريين حيث قضوا على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق •م وأسروا رجالها وقادوهم إلى نينوى وأسكنوا مكانهم السامريين من العراق ، وأما مملكة يهوذا فقد قضى عليها بنوخذ نصر البابلى سنة ٥٨٦ و ضرب الهيكل وهدم المدينة وسبى معظم السكان إلى بابل ، وخضعت فلسطين بعد

(١) سورة المائدة الآية ٢٤ .

ذلك في فترات تاريخية متعاقبة للفرس فالليونان فالرومان • وفي عهدهم تم القضاء على اليهود عندما حاصر طيطس القائد الروماني مدينة القدس بجيش كان فيه فرقة عربية نبطية ودخلها عنوة سنة ٧٠ م وأجهزة على البقية الباقية من اليهود وأحرق الهيكل وهدم المدينة ، وبذلك خلت فلسطين من اليهود ومحي منها كل أثر لهم وبعد معركة اليرموك خرجت فلسطين من قبضة الروم ودخلت تحت نفوذ العرب •

ومن هذا العرض التاريخي الخاطف يتضح أن بنى إسرائيل دخلاء على فلسطين — دخلوها غزاة لم تتم لهم وحدة ولم يحكمهم من الملوك إلا ثلاثة : شاول وداود وسليمان الذي بنى الهيكل والذي عرف عصره بالعصر الذهبي • واتسعت فيه المملكة ، ثم انهارت بعد هذه الفترة التي لم تمتد إلى ١٠٠ سنة ، ويتأكد أن فلسطين كانت عربية قبل دخول بنى إسرائيل وأنها ظلت عربية أربعة عشر قرنا من الزمان منذ الفتح الإسلامي في خلافة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى اليوم •

وإذا تركنا التاريخ القديم ومضينا للتاريخ الحديث نجد أنه كان في فلسطين في العهد العثماني وقبل الاحتلال الانجليزي جالية يهودية قليلة العدد لا يزيد مجموع أفرادها عن ٦٠ ألفا يسكنون مناطق معينة من فلسطين هي القدس والخليل ويافا وحيفا وصفد وطبرية يعيشون في وئام وسلام مع العرب ويلقون منهم كل عطف ويتخاطبون باللغة العربية ولم تكن لهم أهداف سياسية يحاولون الوصول إليها أو أطماع خاصة يسعون لتحقيقها ، ولم يكونوا يشكلون خطرا على فلسطين لا من الناحية السياسية ولا من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية وكان أقصى أمانهم أن يعيشوا مع العرب في أمن وسلام وأن يتاح لهم أداء طقوسهم الدينية في البيع والكنائس •

وكان العرب يعاملونهم بما عرفوا به دائما من رعاية الضعيف وحماية اللاجيء •

وكان عددهم الذى أشرنا إليه يكون ٦٪ من مجموع السكان كما كانوا يمتلكون ٢١٪ من مجموع أراضى فلسطين وهو يساوى ٦٥٠ ألف دونم من مجموع مساحة فلسطين البالغة ٢٧ مليون دونم (١) انتقلت إليهم فى العهد العثمانى عن طريق الشراء • أبعد هذا يحق لليهود الزعم بأن لهم صلة تاريخية بفلسطين تبيح لهم امتلاكها لأن أجدادهم سكنوها منذ ستة وعشرين قرناً من الزمان ؟

وهل هذا المنطق مستساغ فى العقول اليوم ؟

وإذا كان مستساغاً أفيحق لنا — نحن العرب — المطالبة بالاندلس التى ملكناها خلال ثمانية قرون وأنشأنا بها حضارة رائعة ؟

أو يحق للأتراك أن يطالبوا بالبلقان مثلاً ؟

إنه منطق عجيب يستحق السخرية •

(١) هذه المساحة تشمل مساحة البحيرات الثلاثة طبرية ٢٦٥ ألف دونم — الحصونه ١٤ ألف دونم — البحر الميت ٥٢٥ ألف دونم •

القِسْمُ الأوَّلُ

الباب الأوَّلُ

محنة فلسطين

من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ الى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧

الفصل الأوَّلُ

مقدمات وأسباب

- * الصهيونية العالمية •
- * الحرب العالمية الأولى •
- * الثورة العربية •
- * تصريح بلفور •
- * تقسيم الشام •

الفصل الأول

مقدمات وأسباب

الصهيونية العالمية

الصهيونية بمعناها الحديث فكرة قومية ودينية واستعمارية هدفها حشد يهود العالم البالغ عددهم خمسة عشر مليوناً في فلسطين وما جاورها من البلاد العربية •

وتنسب إلى جبل صهيون أحد الجبال التي تقوم عليها مدينة بيت المقدس ، والصهيونية بهذا المعنى تختلف تمام الاختلاف عن اليهودية كدين سماوي سبق المسيحية والإسلام •

وقد ولدت هذه الفكرة على أثر موجة الاضطهاد التي لقيها اليهود في روسيا وأوروبا الشرقية والوسطى ، واتخذ الصهيونيون منها وسيلة لاستثارة الشفقة عليهم ، والعطف على قضيتهم ، واستغلوا إلى أبعد الحدود ، وجعلوها وسيلة لمطالبتهم بالوطن القومي في فلسطين •

ويعتبر تيودور هرتسل الصحفي اليهودي النمساوي المتوفى سنة ١٩٠٢ مؤسساً ومنشئاً للصهيونية بمعناها الحديث ، حيث ذكر في كتابه « الدولة اليهودية » أن خلاص اليهود من الاضطهاد النازل بهم ، لا يتم إلا بالهجرة ، وبتأسيس دولة يهودية مستقلة في أرض جديدة ، على أن تكون الهجرة مقصورة على الذين لا يطيقون البقاء في البلاد التي يسكنونها والذين يرغبون في الرحيل عنها • ولم يعين هرتسل تلك الأرض الجديدة ، ولم يحددها تحديداً جغرافياً •

وحين عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ ، أقر المؤتمر نظرية الدولة الجديدة ، وقرروا أن تكون فلسطين مقرها وسموها « أرض إسرائيل » ، ووضعوا برنامج الصهيونية ، وأوصوا بتأسيس شركة لشراء الأرض وأعمال الاستعمار •

وأقر المؤتمر أيضا العلم الصهيوني المستمد من نجمة داود ، والنشيد القومي وقال هرتسل كلمته « اليوم أنشأنا الدولة اليهودية » وتوالت المؤتمرات اليهودية بعد ذلك حتى عام ١٩٠٤ واتجه اليهود بعد موت هرتسل إلى بريطانيا التي أخذت تعطف على قضيتهم وكانت الحرب العالمية الأولى توشك أن تندلع فاستغلها اليهود واستطاعوا أن يحققوا حلمهم إذ حصلوا على وعد بلفور في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ •

والصهيونية كما أوضحناها حركة عدوانية إذ لا يجوز أبدا الربط بين اضطهاد اليهود في أوروبا ، وبين هجرتهم إلى فلسطين ولا يصح أن يكون اضطهاد أمة سببا في العدوان على أمة أخرى واغتصاب أرضها وتشريد أهلها • ومن أجل ذلك عارض بعض اليهود هرتسل ، وحذروا أبناء دينهم من قيام دولة يهودية وتنبؤوا بموتها إذ كتب لها أن تقوم ، وأعلنوا براءتهم منها •

ومن هؤلاء العالم الرياضي « اينشتاين » الذي صرح في يناير سنة ١٩٣٩ بقوله : « إنني لست من أنصار الصهيونية ، ولا أدري لماذا يطالب الصهيونيون بإنشاء دولة يهودية » •

ومنهم أيضا الدكتور « ماجنس » عميد الجامعة العبرية الذي عارض في سنة ١٩٤٨ تأسيس دولة يهودية لا يشترك فيها العرب أهل فلسطين قائلا : « إن معارفي بطبيعتي اليهودية تجعلني أشك في وجوب قيام دولة لإسرائيل على حدود مسلحة ، ومثل هذه الدولة لن تكون إلا مؤقتة لا تدوم » (١) •

(١) محمد عزت دروزه — حول الحركة العربية ج ٣ ص ١٧٢ •

الحرب العالمية الأولى

في صيف سنة ١٩١٤ اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا وتركيا من جهة ، وبين الحلفاء بريطانيا وفرنسا وأمريكا التي انضمت إليهما من جهة أخرى ، ووجد الصهيونيون في نشوب الحرب فرصتهم الذهبية التي يستطيعون فيها تحقيق أحلامهم في فلسطين ، فاتصلوا بالفريقين المتحاربين لعلهم يصلون إلى أهدافهم ، ولم يجدوا غضاضة في ذلك فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ووجد زعماءهم الاتصال بألمانيا وتركيا على الرغم من احتضان الحلفاء لأمنيتهم • ورفضت ألمانيا أن تقطع لهم وعودا قبل استشارة حليفاتها التي استشارت النواب العرب في فلسطين فرفضوا المساعي وكان معنى ذلك رفض تركيا وألمانيا مطالب الصهيونية • وعندئذ انهار أمل الصهيونيين في الحصول على أى مغنم من الدولة العثمانية فولوا وجوههم شطر الحلفاء •

ووقت نشوب الحرب كانت الدعوة إلى حرية العرب واستقلالهم قد سارت بخطى سريعة ، وانتشرت بين الطبقات المستنيرة من أبناء العرب الذين تحققوا من أن الدستور العثماني الذي أعلن سنة ١٩٠٨ لم يؤت الثمار المرجوة ، حيث لم يقيم في مقر الخلافة حكم صالح ، ولم تجد الحرية الشخصية سبيلها إلى الأفكار ، ولم يعر الاتحاديون رغبات العرب في الاستقلال الداخلي ما تستحق من عناية ، وتجلت نزعتهم في تمييز العنصر الطوراني على العرب بصورة أثارت نقمة العرب وغضبهم ، فأخذ فريق من أحرارهم يهاجرون إلى أقطار عربية أخرى وكانت مصر في طليعة تلك الأقطار لأنها كانت ملاذ الأحرار من مسلمين ونصارى ، وأخذ فريق آخر يفر إلى أقطار أوربية في مقدمتها باريس •

وهناك ألفوا الجمعيات والمنظمات السرية والعننية ، وأصدروا

الصحف والمؤلفات التي وجهوا فيها نقداً مرأً للإدارة التركية والحكم التركي^(١) ومن أهم هذه الجمعيات :

١ — جمعية الإخاء العربي التي أسست في الآستانة سنة ١٩٠٨ ومن غاياتها جمع كلمة الملل العثمانية المختلفة ، والسعى لإعلاء شأن الأمة العربية ، وصيانة حقوق أبناء العرب ولكنها لم تعمر طويلاً .

٢ — الملتدى العربي الذي أسس في الآستانة أيضاً سنة ١٩٠٨ على أن يكون مثابة للشبان العرب في تلك العاصمة .

٣ — العربية الفتاة التي أسست في الآستانة أيضاً على أن تكون للعرب بمنزلة جمعية الاتحاد والترقى للترك .

٤ — الجمعية القحطانية التي أسست بمصر سنة ١٩٠٩ وهي جمعية سرية غايتها بث المبادئ الصحيحة بين أبناء الأمة العربية وتوحيد صفوفها .

٥ — الجامعة العربية وقد أسست في مصر أيضاً سنة ١٩١٠ وغايتها السعى لاتحاد حلفى بين أمراء الجزيرة العربية ثم التعاون على عمران البلاد والدفاع عنها وإنشاء صلة بين الجمعيات العربية في سورية والعراق وغيرها .

٦ — جمعية العهد التي أسست في الآستانة سنة ١٩١٣ وتضم نخبة من ضباط العرب في الجيش وغايتها السعى للاستقلال الداخلى لبلاد العرب على أن تظل متحدة مع حكومة الآستانة^(٢) .

هذا إلى جانب المؤتمرات التي عقدت ، والأحزاب التي تألفت للغاية نفسها التي تسعى إليها هذه الجمعيات والمنظمات . وقد وجد العرب في هذه الحرب فرصة تحقق لهم الانفصال عن تركيا ، وإنشاء كيان عربى

(١) محمد علوبة — فلسطين وجاراتها ص ٨٦ .

(٢) أنيس المقدسى — الاتجاهات الأدبية في العالم العربى الحديث

مستقل لهم حيث أتيح لأحرارهم ومفكريهم من أعضاء الجمعيات السابقة للمقاء والتداول ، وحيث احتشد من ضباطهم وجنودهم ألوف نتيجة للتعبئة العامة التي فرضتها الحرب ^(١) ، وحيث تيسر لهم أن يجتمعوا بصورة ضخمة في أمكنة واحدة فقرروا من جهة ثانية أن يعثروها •

ولم يكن الاتحاديون بغافلين عما يجري وراء الستار لانفصال العرب وإنشاء كيان مستقل لهم عن الدولة ، ووجدوا أن الحرب وظروفها أفضل الأوقات للقضاء المبرم على فكرة القومية العربية ، والتنكيل برجالها ، والتخلص من كل من يعارض الأتراك ، فقرروا من جهة ثالثة أن يضعوا حداً لصيحات الحرية والاستقلال التي ينادى بها العرب وأن يطعنوا الحركة العربية الطعنة المميته •

ومن جهة رابعة قرر الحلفاء استغلال الشعور العربى القومى وتوجيهه لمصلحتهم ، ووكلوا هذه المهمة للحكومة البريطانية التي كانت على صلة طيبة بعدد من زعماء العرب ، وكانت أيضاً تعرف حقائق كثيرة عن الحركة العربية وما تضطرم به صدور العرب من نزعة للوحدة والحرية والاستقلال ، ومن أجل ذلك أوغزت إلى مكماهون أن يتصل بشريف مكة الحسين بن على ^(٢) وهكذا وجد كل من الصهيونيين والعرب والأتراك والحلفاء في الحرب العالمية الأولى الفرصة المواتية لتحقيق أهدافه فقرر اغتنامها •

« ونعنى بالحركة العربية الحركة التي انبعثت بين الشعوب العربية الخاضعة للدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وكانت في مبدأ أمرها تدعو للإصلاح والمطالبة بالحكم الذاتى ضمن إطار الدولة ، وجعل اللغة العربية لغة رسمية في البلاد العربية ، وتدریس المواد بها في مراحل التعليم ، ثم تطورت بعد ذلك وصارت تدعو للانفصال عن الترك والاستقلال التام » ^(٣) •

(١) محمد عزت دروزه — حول الحركة العربية ج ١ ص ٤٢ •

(٢) اميل الفورى — المؤامرة الكبرى ص ٢٦ •

(٣) أكرم زعير — القضية الفلسطينية ص ٢٦ •

الثورة العربية

عرضنا في حديثنا عن الحرب العالمية الأولى لموقف كل من اليهود والعرب والترك والحلفاء في أثناء نشوب الحرب ، واتخاذ كل فريق منها فرصته المواتية لتحقيق أهدافه ، وقلنا إن الحلفاء قرروا توجيه الشعور العربى القومى لمصلحتهم ، وعهدوا بذلك لبريطانيا لصلتها بعدد من زعماء العرب حيث أوعزت إلى السير هنرى مكماهون المندوب السامى فى مصر أن يتصل بشريف مكة الحسين بن على وتبودلت بينهما رسائل أسفرت عن قبول بريطانيا لوجهة النظر العربية وتعهدا باستقلال البلاد العربية وبرحمتها وبحدودها التى رسمت وكانت فلسطين ضمن هذه الحدود .

لقد طلب شريف مكة الحسين بن على فى رسالته المؤرخة فى ١٤ يولية سنة ١٩١٥ من المندوب السامى البريطانى فى مصر أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين — أضنة حتى الخليج الفارسى شمالا ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندى للجزيرة جنوبا — باستثناء عدن التى تظل كما هى — ، ومن البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط حتى سينا غربا .

وجاء فى رسالة مكماهون لشريف مكة المؤرخة فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥ أن مرسين وإسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة غربى دمشق وحمص وحماء وحلب لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية محض فيجب أن تستثنى من الحدود التى ذكرتموها ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على أساس هذه التعديلات . أما الأراضى التى تستطيع بريطانيا العمل فيها بملء حريتها دون أن توقع ضرراً بحليفتها فرنسا فإن لى السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة أن أعطىكم التأمينات الآتية :

« إن إنجلترا مستعدة على أساس تلك التعديلات أن تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة » .

وفي ٥ نوفمبر سنة ١٩١٥ ، رد شريف مكة على رسالة مكماهون السابقة قائلاً : « إنه لا يستطيع التنازل عن البلاد الواقعة غربى دمشق وحمص وحماء وحلب لأنها عربية صرف وليس هناك فرق بين المسلم العربى والمسيحى العربى » .

وفي ١٠ يونية سنة ١٩١٦ أعلن العرب ثورتهم على الترك بقيادة الحسين بن على شريف مكة الذى أشعلها أولاً فى الحجاز واستولى على مكة وجدة والطائف وتوطد سلطانه فى الحجاز .

أما خارج الحجاز فقد تحركت فى أوائل سنة ١٩١٧ كتائب بقيادة ابنه فيصل انضم إليها الضباط والجنود العرب من أبناء العراق والشام الموجودون فى الحجاز وظلت تزداد قوة بمن ينضم إليها من البدو وضباط العرب وجنودهم الذين كانوا فى الجيش التركى خارج الحجاز ، وكان فيهم عدد كبير من أبناء فلسطين يمثلون أكثرية الجنود النظاميين ، وقسم كبير من الأسرى العرب من الأقطار العربية المختلفة ممن كانوا معتقلين مع الانجليز فى مصر . واتجه الجيش العربى نحو الشام محتلاً مدن معان ودرعا وفى أول أكتوبر سنة ١٩١٨ دخل فيصل دمشق وتوغل فى سورية واحتل حمص وحماء وحلب .

وبينما كان الجيش العربى بقيادة فيصل يزحف نحو الشام كان الجيش البريطانى الزاحف من مصر إلى فلسطين بقيادة الجنرال ألنبي يتقدم محتلاً مدن غزة والخليل ويافا وبيت لحم وفى ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧ دخل ألنبي مدينة القدس وأرسل كلمته : « الآن انتهت الحروب الصليبية » ومن القدس واصل زحفه محتلاً الناصرة وبيسان ونابلس وحيفا وعكا وسار محاذياً ساحل البحر الأبيض المتوسط حيث احتل

صور وصيدا وبيروت وطرابلس وبذلك انهار الحكم العثماني من بلاد الشام •

لم تكن هذه الثورة ثورة شريف مكة الحسين بن علي ، ولا ثورة الهاشميين ولكنها ثورة العرب جميعا وثورة الولايات العربية الخاضعة للدولة العثمانية •

ولم يكن العرب يومئذ فلسطينيين وسوريين وعراقيين وحجازيين بل كانوا عربا فحسب ولم تكن النعرة الإقليمية موجودة يومئذ ولا الدعوة الطائفية لأن البلاد العربية لم تكن مقسمة ولا مجزأة كما هي اليوم • كانت ثورة عربية عامة ، قام قادة الفكر العرب بتأسيس الجمعيات السرية والعلنية التي تعمل لنيل حقوق العرب بصفتهم عربا لا بصفتهم أبناء فلسطين أو سورية أو العراق • وبوحى من هذه الجمعيات ، وبإيعاز من أعضائها ، أشعل شريف مكة الحرب على الأتراك ، وكان كل مجاهد يحارب في سبيل استقلال جميع البلاد العربية لا استقلال إقليم واحد منها •

وكان تجنيد الجنود قائما في فلسطين لجيش الشريف وقد أفهم الذين جندوا أنهم إنما يحاربون في سبيل القضية الوطنية ، وتحرير بلادهم من نير الترك •



ترى لماذا ثار العرب في الشام والعراق والحجاز على الحكومة العثمانية وهي دولة تدين بالإسلام ؟ ليس من ريب في أن هناك عوامل قوية دفعت بهم للثورة وزجت بهم في لهيب الحرب بعد أن أخفقت كل المحاولات السلمية •

ومن هذه الأسباب ما عاناه العرب في الشام والعراق والحجاز من ظلم الأتراك وعسفهم ، وما لاقوه من ضروب الأذى ، وإهمال شئون التعليم ومحاولة القضاء على اللغة العربية حيث كان التعليم في المدارس العربية باللغة التركية وكان القائمون به من غير العرب وكانت فروع

اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب تدرس وتشرح بكتب موضوعة
باللغة التركية •

كما كان موظفو المرائب والبريد والشرطة الذين يتصلون بالشعب
اتصالاً مباشراً من الأتراك الذين لا يفهمون لغة البلاد •

وهناك صيحات عربية مدوية حول موقف الأتراك من العرب ولغتهم
تفيض بالثورة ، وتزخر بالمرارة والألم حسبنا أن نورد منها نصاً شعرياً
واحداً للشاعر الفلسطيني الشيخ سليمان التاجي الفاروقى يخاطب فيه
السلطان محمد رشاد حوالى سنة ١٩١٠ م يقول منه :

العُرب لاشقيت^١ في عهدك العُرب^٢
سيوف ملكك والأقلام والكتب^٣
سرياح^٤ دولتك الغرراً ومقلها
والثابتون وحبل الأمن مضطرب
هم الجبال فما حملت^٥هم حملوا
لكن إذا سئمتهم ضيم النفوس أبرأ^(١)
كانت ربيعاً من الأيَّام دولت^٦هم
ومعرِضاً راج فيه العلم والأدب^٧
وكل^٨ فضل أتى فالعُرب مصدره
بل أى^٩ فضل أتى لم تحو^{١٠}ه العرب

* * *

لسانهم^{١١} أخلق الإهمال جِدته
فبات ينعى على الكتاب ماكتبوا
تمشئت^{١٢} اللهجة العجماء فيسه إلى
أن أنكرته بنوه الخلص النجب^{١٣}

(١) ضمت الباء في أبو الفعل الماضى المعتل بالألف المسند الى واو
الجماعة لضرورة الشعر والقاعدة الفتح •

بضع وعشرون مليوناً لهم لئلا تموت ما بينهم يا شدة ما غلبوا !

هذي المدارس محظورة تعلمها
فيها ، فمن أين تبغى ؟ أين تكتسب ؟

كننا نعلل بالدستور أنفسنا
بفارغ الصبر ذاك اليوم نرتقب

حتى إذا جاء لم يحدث لنا حدثاً
ولا استجيب لنا في مطلب طلب (١)

ويكشف هذا النص عن الحقائق الثلاثة التالية :

الأولى شقاء العرب في عهد السلطان وهم سيوف الملك وأقلامه
وكتبه وسياس الدولة ومعقلها الثابتون إذا اضطرب الأمن والذين يتحملون
كل مشقة وهول إلا أن يساموا الضيم والذل فإنهم عندها يأبون ويقاقلون
وكانت دولتهم في الماضي ربيعاً من الأيام ومعرضاً راجت فيه العلوم
والآداب ، وهم مصدر الفضل ومشعلو مصابيح الحضارة التي أنارت الدنيا •

الثانية : أن الإهمال قد أصاب لغتهم وأن رطانة العجم قد تمشت
فيها حتى أنكروا بنوها وأن موت لغة حوالي ٣٠ مليوناً بينهم دليل على
أنهم مغلوبون على أمرهم مضطهدون • وأنهم في ذلهم ومهانتهم قد وصلوا
إلى أسوأ الحالات وكيف لا تموت لغتهم وقد منع تعليمها في المدارس
وإذا كانت دور التعليم لا تعلم هذه اللغة فليس هناك سبيل آخر لتعلمها •

(١) رجعتنا في اثبات هذه القصيدة ، وتحديد تاريخ نظمها الى مصدرين .
أ — أنيس المقدسى — الاتجاهات الأدبية ج ١ ص ١٥ .
ب — أمجد الطرابلسي — شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام .
مطبوعات معهد الدراسات العربية ص ٣٩ .

الثالثة : خيبة أمل العرب في الدستور لأنه لم يحقق لهم أى مطلب •

ومنها : خيبة أملهم في الاتحاديين بعد إعلان الدستور الذين تعصبوا للنزعة الطورانية وعملوا جاهدين على محو القومية العربية وإحياء القومية الطورانية وإذابة العناصر العربية إذابة تامة في الترك ووضوح نزعة الاستعلاء على جميع عناصر الدولة •

ومنها : إهمال مطالبهم في الإصلاح إذ لم يعيروا رغبات العرب أى اهتمام ولم يحققوا لهم أى مطلب ولم يراعوا نسبتهم العددية في التمثيل النيابى والمجال الثقافى والعلمى •

ومنها — وهو سبب رئيسى في نظرنا عجل بالثورة : نفى وتشريد العرب وإعدام أحرارهم حيث « كشرت حكومة الاتحاديين عن أنيابها بعد اشتراكها في الحرب وسرعان ما راحت تعمل بالخطة التي رسمتها وهي اغتنام فرصة الحرب للقضاء على القومية العربية في مهدها ولـ « تتريك » العرب بالقوة ، وانتدبت لتنفيذ هذه السياسة قائداً سفاحاً اسمه جمال باشا وزير البحرية والذي كان من أكبر الأركان تأثيراً في جمعية الاتحاد والترقى وعينته قائداً للجيش الرابع وشملت سلطته الشام والحجاز وأطلقت يده في إدارة شؤون تلك البلاد إدارة عرفية وبدأ في أوائل سنة ١٩١٥ بتشتيت شمل ضباط العرب واعتقال كل من برز له عمل أو مقال أو خطاب وطنى ممن اشتركوا في مؤتمر باريس أو في المنتدى الأدبى أو في حزب اللامركزية أو في جمعية العهد » (١) •

وقد ألف جمال السفاح في عاليه ببلغان محكمة عسكرية قدم إليها صفوة أحرار العرب وخيرة القوميين منهم ممن امتازوا بصادق الوطنية ونبل الخلق وسعة الأفق فحكمت على معظمهم بالموت ونفذ الحكم على

(١) مصطفى الشهابى — القومية العربية — مطبوعات معهد الدراسات العربية وقد نقلنا عنه الفقرات الموضوعية بين قوسين ص ١٠٦ ، ١٠٧ •

دفعتين الأولى في ٢١ آب (أغسطس) سنة ١٩١٥ وكان عدد أفراد هذه
الدفعة ١١ شخصاً ومكان تنفيذ الحكم بيروت .

ونفذ في الثانية في ٦ حزيران « مايو » سنة ١٩١٦ وكان عدد
أفرادها ٢١ شخصاً سبعة منهم شنقوا في دمشق وأربعة عشر شنقوا في
بيروت ومن هؤلاء الشهداء أعضاء بارزون في مجلسي النواب والأعيان
وقادة وضباط وقضاة وأدباء ولم يكونوا ينتمون إلى قطر بعينه فمنهم
الفلسطيني والسوري والأردني والعراقي .

وقبل تنفيذ الحكم تشفع لهم شريف مكة الحسين بن علي لوقف
التنفيذ كما تشفع لإطلاق سراح القوميين العرب من السجون والمعقلات ،
ولكن شفاعته لم تغير من خطة الاتحاديين قليلاً أو كثيراً .

هذا إلى جانب أحكام غيابية شملت نحو سبعين رجلاً من الشاميين
القاطنين بمصر .

وقد بكى الشعر في الوطن العربي هؤلاء الشهداء البكاء المر واعتبرهم
القافلة الأولى من شهداء القضية العربية والقومية العربية ومجد بطولتهم
وخلد تضحياتهم ولا تزال الأمة العربية تحنقل بذكرى شهداء ٦ مايو
من كل عام وحسبنا أن نورد نصاً شعرياً واحداً في رثائهم للشاعر
السوري خير الدين الزركلي :

نعى نادبُ العُربِ شَبانَها	فجدَّدْ بالنعي أحزانَها
بكي كل ذي عِزةٍ تربيَه	فهاج نزاراً وعدنانَها
فمن للمدامع الأتِّ تفيضُ	وترسل كالسَّيل هتانَها
نجائع هن حديث القلوب	وهيهات تسطيع سلوانَها
نعتُ لغة العُربِ من أحكموا	لسان قريش وتبيانَها
وناحتُ على من بنوا عزَّها	وأعلوا بما أكلوا شأنَها

* * *

أبي السيفُ إلا انتقاماً لها	وخاف على الضَّيمِ خسرانها
أثار بني هاشمٍ في الحجازِ	وأنطق في التثربِ حسانها

دَعَوْا بِالْخَيُْولِ وَأَهْلَ النَّصُولِ تَشْرَعُ لِلرَّوْعِ مُرَانَهُمَا
كَتَابَ هَبَّتْ تَلْبِي الدَّعَاةِ وَتَطْوِي الْقِفَارَ وَكُتْبَانَهُمَا
هُوَ الثَّارَ أَدْرِكُهُ الثَّائِرُونَ أَشْجَى (فَرُوقًا) وَسُلْطَانَهُمَا
وَأَنْعَشَ أَرْوَاحَ مَنْ فِي الْقُبُورِ فَكَادَتْ تَعَاوِدُ أَبْدَانَهُمَا
أَطَلَّتْ تُرْفَرَفُ فَوْقَ الْجُمُوعِ تَحْيَى مِنْ الْغَيْبِ أَوْطَانَهُمَا (١)

وقد أدت الثورة العربية إلى النتائج الآتية :

أولاً — تقسيم الشام القطر العربي الواحد وتجزئته إلى أربعة أجزاء : سورية ولبنان وفلسطين والأردن وانتداب بريطانيا على العراق والأردن وفلسطين وحصول القطرين الأولين على استقلالهما فيما بعد .

ثانياً — انتداب فرنسا على سورية ولبنان ونيلهما استقلالهما أيضاً .

ثالثاً — استقلال الحجاز واليمن استقلالاً تاماً .

رابعاً — إحياء اللغة العربية وأدبها شعراً ونثراً .

خامساً — انتصار الفكرة العربية والقومية العربية وتوثيق الروابط والصلات بين أبناء الأمة العربية في جميع أجزاء الوطن العربي .

سادساً — إثبات أن الحلفاء — وبخاصة بريطانيا — مدينون بانتصارهم في الحرب للعرب فلولا ثورة العرب لانتصر الأتراك ولانهزم الحلفاء ويؤيد ذلك ما أدلى به الجنرال ألنبي في ٢٨ يولية سنة ١٩١٨ في تصريحه الرسمي إلى وزارة الحربية البريطانية الذي جاء فيه « لقد ساعد الجيش العربي الحلفاء مساعدة كبرى في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب » (٢) .

(١) ديوان الزركلى ص ٦٥ .

(٢) أكرم زعيتر القضية الفلسطينية ص ٤٠ .

تصريح بلفور

بينما كان العرب يريقون دماءهم في ميادين الوغى ، وساح القتال ، ويقدمونها ثمناً لحريتهم ووحدهم ، مطمئنين إلى وعود الحلفاء ، وعهودهم إذ تتكشف لهم الأيام عن سلسلة متصلة الحلقات من غدر الحلفاء ، وخيانة بريطانيا ، وتنكرها لعهودها ووعودها ، والحرب لا تزال مشتتة اللظى ، والدماء ما تزال تروى الربا والبطاح .

وكانت أولى حلقات الغدر اتفاق سرى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في مارس سنة ١٩١٦ على تقسيم البلاد العربية الموعود باستقلالها إلى مناطق نفوذ ، تكون سواحل سورية منها تحت نفوذ فرنسا ، وتدخل أقسام من بلاد العراق وسواحل فلسطين تحت نفوذ بريطانيا ، ولا تقوم دولة عربية إلا في المناطق الداخلية ، على أن يكون بعضها خاضعاً للنفوذ البريطاني ، والبعض الآخر للنفوذ الفرنسي ، أما فلسطين فقد تقرر أن توضع تحت إدارة خاصة على أن يعقد اتفاق على ذلك بين الدول الثلاث تحدد فيه مناطق نفوذها وقد عرفت هذه المعاهدة باسم [باليالوغ — سازانوف] .

وثانية حلقات الغدر والخيانة معاهدة [سايكس — بيكو] السرية المبرمة في مايو سنة ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا والتي أقرتها روسيا القيصرية . وتتضمن بتقسيم الشام والعراق إلى مناطق نفوذ بين الدولتين ، فتقوم دولة أو مجموعة دول عربية مستقلة في منطقة سورية الداخلية [دمشق وحلب وحمص وحماء ودير الزور والجزيرة] وولاية الموصل بالعراق وتدخل تحت النفوذ الفرنسي .

والمنطقة الثانية تشمل العقبة ، وشرقى الأردن ، والقسم الجنوبي من بادية الشام ، والأراضي الواقعة بين بغداد والموصل ، وتدخل تحت

النفوذ البريطاني • وإطلاق يد فرنسا في سواحل الشام ويد بريطانيا في ولايتي بغداد والبصرة • وتقام إدارة دولية في فلسطين يعين شكلها بعد الاتفاق مع الحلفاء الآخرين وممثلى شريف مكة ، وتمنح بريطانيا ميناءى حيفا وعكا (١) •



أما ثلاثة حلقات الغدر والخيانة أو ثلاثة الأثافي فهي تصريح بلفور وهذا التصريح عبارة عن عطف على أمانى اليهود ووعده ببذل أفضل الجهود البريطانية لتأسيس وطن قومي لهم في فلسطين وقد تمثل هذا العطف في كتاب وجهه اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى الثرى اليهودى « آدمون روتشيلد » فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ هذا نصه : « إن حكومة جلالة الملك تنتظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودى فى فلسطين وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى » وأذاع رجال الثورة السوفيتية أسرار هذه السلسلة من حلقات الغدر بعد استيلائهم على الحكم فى روسيا سنة ١٩١٧ ، وأفشوا مؤامرات الحلفاء السرية لاقتسام الدولة العثمانية وكان هدفهم من نشر هذه الوثائق تشويه سمعة القياصرة وحلفائهم •

ولسنا بحاجة لإثبات بطلان هذا التصريح حيث أسهبت فى ذلك الكتب التى تناولت تاريخ القضية الفلسطينية وحسبنا أن نذكر بعض الأدلة التى تدحضه وتفنده •

أولا : أنه لم يكن التزاما دولياً يتعين الوفاء به بل كان مجرد عطف وتشجيع •

ثانياً : أنه أعطى من جانب واحد •

ثالثاً : أن بريطانيا وقت إصداره لم تكن صاحبة سلطان شرعي في فلسطين إذ وهبت مالا تملك وتصرفت فيما ليس من حقها التصرف فيه •

رابعاً : أن فلسطين لم يؤخذ رأيها فيه •

خامساً : أنه منقوض بالوعود الصادرة قبله وبعده للعرب • ومع أن هذا التصريح وصمة عار في تاريخ بريطانيا وتدنيس لسمعتها وتلويث لشرفها تغلبت فيه الأطماع على المبادئ والقيم فإن السياسة الاستعمارية هي التي أملت على بريطانيا إصداره فهو يجعل من فلسطين المتاخمة لقناة السويس منطقة نفوذ تحمي مركزها في مصر ، وتضمن الاتصال البرى بالشرق • وهو يجعل لها من اليهود سنداً قوياً يساعدها في تحقيق أهدافها ، وهو يحقق لها السيطرة على فلسطين ذات الموقع الحربى الممتاز والمكانة الدينية والأهمية الروحية لدى جميع الشعوب •

بل إن بريطانيا بإصدارها وعد بلفور خلقت مشكلة فلسطين لتثبت أقدامها في هذا الجزء من العالم بإدخالها عنصراً جديداً في السكان بطريقة توغر صدور العرب وبذلك يسود النزاع والشقاق ، وتدعو الحاجة إلى حاكم محايد ليفصل بين المتخاصمين • وقد شهد بذلك كاتبان من كبار الكتاب البريطانيين إذ قال الأول (١) •

« كان لدى بريطانيا أسباب خاصة دعتها إلى السياسة التي اتبعتها في فلسطين وهذه الأسباب قد نتبينها في المزايا البديهية لتغطية قناة السويس من الناحية الشرقية في إقليم يسكنه عنصر من الناس يرى مصلحته في تأييد بريطانيا ومؤازرتها هذا إلى جانب ما تناله من تأييد اليهود في جميع أنحاء العالم هذه هي النظرة البعيدة التي اقتنصتها المصالح البريطانية » •

(١) وردت هذه العبارة في الجزء الرابع من كتاب المؤرخ تمبرلى عن مؤتمرات الصلح •

* وقال الثانى (١) :

« إن الخطر على قناة السويس لا يجىء من الغرب بل من الشرق فمن ناحية فلسطين يجىء الخطر الجدى دائماً • ومن وراء فلسطين سورية ومن وراء سورية الأتراك ، ومن وراء الأتراك أية دولة قد تكون معادية لبريطانيا ألمانيا فى الماضى أو روسيا فى المستقبل من يدرى ؟ ولقد أثبت الفرنسيون أنهم أنداد ينافسوننا لا أصدقاء يعاونوننا ولذلك كان قبض بريطانيا على فلسطين مصلحة إمبراطورية من الطراز الأول » •
«Great Britain's - Hold on Palestine is an Imperial interest of The first order».

وكان إصدار تصريح بلفور ، وإبرام هذا الوعد الضربة القاصمة ، والطعنة الدامية التى صوبت إلى قلب الأمة العربية بعامة ، وإلى الشعب الفلسطينى بخاصة كما اعتبر بداية محنة فلسطين ، ونذيراً بنضال مرير بين شعب فلسطين وبين بريطانيا مبرمة الوعد ذلك لأن عباراته صيغت صياغة مرنة وألفاظه وضعت بعد دراسة عميقة ، بحيث تقبل عدة تأويلات وتتسع لعدة احتمالات • وليس أدل على ذلك من أن آخره يناقض أوله إذ كيف يمكن أن تصبح فلسطين وطناً قومياً لليهود دون أن تمس حقوق غيرهم من المقيمين فى البلاد •

وفيه افئنتات وإهدار لحقوق عرب فلسطين الذين تجاهلهم تجاهلاً تاماً ونعتهم بالطوائف غير اليهودية وهم أصحاب البلاد الشرعيون واليهود طارئون دخلاء •

وأحدث تصريح بلفور موجة استياء وتذمر عند العرب أحس الإنجليز بخطورتها وخشوا أن يعقد العرب صلحاً منفرداً مع الأتراك فأوفدت وزارة الخارجية البريطانية المستر هوغارت إلى الحجاز لتهدئة

(١) وردت العبارة فى كتاب السيرمارتن كونواى وقد نقلنا العبارتين عن كتاب الاستعمار والمذاهب الاستعمارية للدكتور محمد عوض ص ٨٢ ، ٨٣ •

العرب وإقناعهم بأن ما أذيع حول المعاهدات السرية ليس صحيحا ، كما أرسلت برقية لشريف مكة الحسين بن علي تنفى فيها صحة الخبر وتؤكد عهدها السابقة بتحرير البلاد العربية واستقلالها ، وقد حمل البرقية الكولونيل « باست » نائب المعتمد البريطاني في جدة وهي مؤرخة في ٨ فبراير سنة ١٩١٦ وصادرة عن بلفور نفسه وزير الخارجية وصاحب التصريح الذي قطع على نفسه عهدين متناقضين .

وزاد من طمأنينة العرب الخطاب الذي ألقاه الرئيس ويلسون في ٤ يولية سنة ١٩١٨ مؤكداً فيه أن التسوية التي ستقوم بعد الحرب ستكون على أساس حرية الشعوب في تقرير مصيرها . كما أصدرت القيادة العسكرية البريطانية في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ بيانا رسميا عرف بالتصريح البريطاني الفرنسي وزعته في البلاد العربية وأكدت فيه « أن الغاية التي يرمى إليها الحلفاء من خوض الحرب في الشرق هي تحرير الشعوب التي رزحت تحت استعباد الأتراك تحريراً تاماً ونهائياً ، وتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطتها من رغبات السكان ومحض إرادتهم الحرة وأن فرنسا وبريطانيا اتفقتا على تشجيع ومساعدة إنشاء حكومات وطنية في الأقطار التي حررت والتي يسعى الحلفاء في تحريرها ، والاعتراف بهذه الحكومات عندما تقوم ومساعدتها » (١) .

تقسيم الشام

برزت الأطماع الاستعمارية بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، وأخذت أعمالهم بعد النصر تظهر ما بيتوه في الخفاء للعرب من شر ، وما أضمره للولايات العربية التي كانت تحت الحكم التركي من مؤامرات • حيث قسمت الشام إلى ثلاث مناطق : الأولى المنطقة الشرقية وتشمل دمشق وحلب وحص وحماء وشرقي الأردن ، وجعلت منطقة عربية أدار شؤونها الأمير فيصل • الثانية المنطقة الغربية وتشمل جبل لبنان وولاية بيروت — أي مدن صور وصيدا وطرابلس — واللاذقية وقضائي أنطاكية والإسكندرونة اللذين كانا تابعين لحلب ، وجعلت خاضعة للاحتلال الفرنسي • الثالثة المنطقة الجنوبية وتشمل فلسطين وجعلت خاضعة للاحتلال الانجليزي • وأطلق على المناطق الثلاث اسم بلاد العدو المحتلة وأصبح الجنرال ألنبي هو الحاكم العسكري المطلق الذي يتولى إدارة شؤون هذه المناطق الثلاث (١) •

وفي ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ عقدت الهدنة بين الحلفاء وبين ألمانيا وكانت قد عقدت قبل ذلك بينهم وبين تركيا في ٣٠ أكتوبر وفي ١٨ يناير ١٩١٩ افتتح مؤتمر الصلح في باريس وشهده الأمير فيصل ممثلاً لوالده وألقى خطاباً طالب فيه باستقلال البلاد العربية ووحدتها موضعاً العوامل الجغرافية والاقتصادية والثقافية التي تحتم ذلك ، ومذكراً بوعود الحلفاء المقطوعة للعرب وضرورة الوفاء بها ، ولكن منوط الاستعمار تغلب على منطق الحق واتخذ مؤتمر الصلح قراراً مؤرخاً في ٣٠ يناير سنة ١٩١٩ يقضى بأن تفصل سورية والعراق وفلسطين وأرمينية عن تركيا ، وأن يشرف عليها وصى يعمل باسم عصبة الأمم وكان هذا القرار مقدمة لما سمي فيما بعد انتداباً من الحرف « أ » (٢) •

(١) مصطفى الشهابي — القومية العربية ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

وفي ٢٨ يونية سنة ١٩١٩ تم التوقيع في مؤتمر فرساي على ميثاق عصبة الأمم وجاء في المادة الثانية والعشرين منه « إن البلاد التابعة للانتداب من الحرف « ا » هي البلاد التي سلخت عن الإمبراطورية العثمانية والتي يقطنها جماعات من الناس بلغوا من التقدم مبلغاً يجوز معه الاعتراف مؤقتاً بأنهم دول مستقلة على أن تتولى إسداء المشورة والمساعدة إليهم دولة منتدبة وذلك إلى الوقت الذي تصبح فيه هذه الجماعات قادرة على الوقوف وحدها . على أن يكون لرغبات هذه الجماعات اعتبار رئيسي في اختيار الدولة المنتدبة » .

ونظراً لأهمية رغبات السكان طلب الرئيس الأمريكي ويلسون من مؤتمر الصلح إرسال لجنة دولية من ممثلي الحلفاء لتستفتي سكان الشام والعراق في الدولة التي يريدون انتدابها عليهم ولم يرق طلب الرئيس الأمريكي في نظر كل من بريطانيا وفرنسا اللتين حاولتا صرفه عنه فأبى وتألقت اللجنة من أمريكا وحدها وسميت باسم عضويها الأمريكيين : كنج - كراين ، بعد رفض كل من بريطانيا وفرنسا الاشتراك فيها .

ولم تسمح بريطانيا للجنة بمباشرة عملها في العراق فاقترص عملها في الشام بمناطقه العسكرية الثلاثة السالفة الذكر .

« وفي هذه الأثناء عاد الأمير فيصل من فرنسا إلى دمشق منتظراً قدوم اللجنة ، ودعى إلى دمشق مندوبون عن سورية ولبنان وفلسطين ، وعقدوا مؤتمراً عرف باسم المؤتمر السوري ، واتخذ لنفسه سلطة مجلس نيابي ، وجمعية تأسيسية ، وانعقد المؤتمر في يونية سنة ١٩١٩ للإعراب عن رغبات الشعب السوري أمام لجنة الاستفتاء الأمريكية ، وتعيين شكل الحكومة السورية ، ووضع دستور لها ، وقرر رفض اتفاق سايكس - بيكو ، ووعد بلفور ، وكل مشروع يرمى إلى تقسيم الشام وإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وأعد مذكرة بمطالب الأمة لتقدم إلى لجنة

الاستفتاء وفي مقدمتها الاستقلال التام ، ورفض الصهيونية والوطن القومي اليهودي (١) .

وقدمت لجنة الاستفتاء فزارت فلسطين وسورية وأصغت إلى رغبات الشعب وآراء الجمعيات والنقابات وأعضاء المجالس البلدية كما استمعت إلى رأى المؤتمر السوري الذى كان يمثل الرأى العام فى أنحاء الشام واستمر عمل اللجنة من ١٠ يونية إلى ٢١ يولية سنة ١٩١٩ حيث قدمت تقريرها وضمنته اقتناعها بالرغبات التى أبدتها معظم السكان فى الشام باعتباره قطراً واحداً وهى أن يكون قطراً متحداً مستقلاً وأن تقوم فيه دولة ملكية دستورية .

وأوصت اللجنة بالعمل على تحقيق رغبات السكان وبأن يكون الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على الشام وأن يمنح لبنان إدارة لامركزية واسعة [استقلالاً داخلياً] وأن تحدد الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وتنبذ فكرة جعلها دولة يهودية (٢) .

ولكن تقرير اللجنة لم يقابل بالرضا من الدولتين المستعمرتين بريطانيا وفرنسا فنبذتاها وألقتا به فى زوايا الإهمال .

ولما كانت المادة الثانية والعشرون من ميثاق عصبة الأمم السالفة الذكر تجعل لرغبات البلاد التى انسلخت عن الإمبراطورية العثمانية أهمية بالغة قرر المؤتمر السوري وضع بريطانيا وفرنسا أمام الأمر الواقع فأعلن من شرفة بلدية دمشق فى ٨ مارس سنة ١٩٢٠ قراره التاريخى الخاص باستقلال سورية والمناداة بالأمير فيصل ملكاً عليها ، وأشار المؤتمر إلى شمول قرار الاستقلال فلسطين باعتبارها جزءاً من سورية كما أعلن رفض المزاعم الصهيونية بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو محل هجرة لهم .

(١) أكرم زعير القضية الفلسطينية ص ٥١ .

(٢) مصطفى الشهابى القومية العربية ص ١٢٦ .

ولم تعترف بريطانيا وفرنسا بشرعية قرار المؤتمر وأبلغنا الملك فيصل بذلك وأعلمناه بقرار مؤتمر الصلح القاضي بوضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ووضع فلسطين والأردن تحت الانتداب البريطاني (١) .

وفي ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠ انعقد المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو بإيطاليا وقرر وضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ووضع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني على أن تلتزم بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور وتوالى الأحداث بعد ذلك سريعا فاحتلت فرنسا سورية بعد معركة ميسلون الخالدة التي استشهد فيها المغفور له البطل المجاهد يوسف العظمة في ٢٤ يولية سنة ١٩٢٠ .

وبذلك تحقق لبريطانيا وضع فلسطين تحت انتدابها وأخذت على عاتقها تنفيذ وعد بلفور .

• وقلد الشجر العربي معركة ميسلون وقائدها البطل .

(١) اكرم زعير القضية الفلسطينية ص ٥٣ .

الفصل الثاني

فلسطين في ظل الانتداب البريطاني

الحياة السياسيّة

- صلح الانتداب - البرنامج الاستعماري - الحكم المباشر -
- الإدارة والتشريع - الهجرة اليهودية - الأراضي -
- مركز اليهود بعد الانتداب - إمداد اليهود بالأسلحة -
- اضطهاد العرب والضغط عليهم .

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

الحياة الفكرية والأدبيّة

الفصل الثاني

فلسطين في ظل الانتداب البريطاني

الحياة السياسية

صك الانتداب (١)

في الرابع والعشرين من يولية سنة ١٩٢٢ أقر مجلس عصبة الأمم صك الانتداب البريطاني على فلسطين ، الذي قدمته بريطانيا ، وأذاع نصوصه ومواده ، بعد إدماج وعد بلفور فيه ، والإشارة إلى ذلك في ديباجته إلى جانب الإشارة إلى موافقة الدول الكبرى على الوعد ، وعلى مسئولية بريطانيا عن تنفيذه ، والإشارة إلى أن ذلك اعتراف بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين .

ويتكون صك الانتداب من ثمان وعشرين مادة : سلبت المادة الأولى منه عرب فلسطين حقهم في إدارة بلادهم ورسم سياستها وتولى شئونها وأعطت للدولة المنتدبة السلطة الكاملة في التشريع والإدارة .

وألقت المادة الثانية على بريطانيا مهمة إعداد فلسطين لإنشاء الوطن القومي بوضعها في أحوال سياسة وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء هذا الوطن وإقامة قواعده . وتعترف المادة الرابعة بالوكالة اليهودية كهيئة تقدم للحكومة الرأي والعون في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وكل ما يحقق إنشاء الوطن القومي ونظراً لأن هذه الوكالة لم تكن قد تألفت بعد فالجمعية الصهيونية تؤدي عملها .

(١) الصك كلمة فارسية معربة ومعناها كتاب وتجمع على أصك وصكوك .

- وتتنص المادة السادسة على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين
- وتوصى المادة السابعة بمساعدة اليهود في اكتساب الجنسية الفلسطينية
- وتجعل المادة الثانية والعشرون اللغات الرسمية في البلاد ثلاثة الإنكليزية والعربية والعبرية •

ونقف هنا لحظة لنقرر في ضوء هذه المواد الستة أن الانتداب كان نكبة سياسية على أهل فلسطين ، وقيدا ثقيلا كبل حريتهم ، وأنه كان أسوأ وثيقة سيست به أمة من الأمم ، وضاعف من هذه النكبة إدماج وعد بلفور في مواده ، والإشارة إلى الصلة التاريخية المزعومة بين اليهود وفلسطين •

وأنه كان انتداباً شاذاً بين الانتدابات ، وبدعا فيها لم يسبق له مثيل • فالفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم التي بنى عليها الانتداب تعترف بأن فلسطين وسورية والعراق قد بلغت درجة من الرقي والتقدم يستطيع معها الاعتراف بها أمماً مستقلة على أن تسدى لها الدولة المنتدبة النصح والإرشاد في إدارتها ريثما تستطيع القيام منفردة بشؤونها ولكن المادة الأولى تخول المندوب السامي سلطة وضع التشريعات والقوانين وكان ينبغي أن تكون هذه السلطة في أيدي أهل البلاد • والمادة الثانية تحتتم على بريطانيا خلق وافتعال ظروف استثنائية تحقق قيام الوطن القومي اليهودي •

والمادة الرابعة تعترف بهيئة تمثل اليهود وتقدم العون للحكومة ولا تعترف لأهل البلاد بهيئة تمثلهم وتتحدث باسمهم •

والمادة الثانية والعشرون تسوى بين الأقلية اليهودية التي لم يتجاوز عددها ٦٠ر٠٠٠ نسمة وبين أهل البلاد الذين يبلغ عددهم ٦٥٠ر٠٠٠٠ نسمة وتتوذى إلى حشد عدد من الموظفين للقيام بالترجمة لهذه اللغات الثلاثة في الإدارات الحكومية •

لقد كانت الدولة المنتدبة دولة مستعمرة لا تخشى سلطانا يحاسبها

ولا تخضع لأي رقابة خارجية عليها ، وكل ما كانت تفعله أنها تقدم تقريراً سنوياً للجنة الانتدابات الدائمة المتفرعة عن عصبة الأمم ، وما كان بوسع هذه اللجنة أن تحاسب أو تلغى الانتداب .

إن بريطانيا حين تولت الانتداب على فلسطين وضعت نصب عينيها هدفاً واحداً هو تحويل فلسطين العربية إلى دولة يهودية وجعلت خطوط سياستها تلتقى عند هذه النقطة .

البرنامج الاستعماري لتهويد فلسطين

وضح منذ اليوم الأول لاحتلال بريطانيا فلسطين أنها وضعت برنامجاً لتهويد البلاد ، وخطت سياسة مرسومة لتحويلها إلى دولة يهودية بعد إجلاء أهلها عنها أو إبادتهم ، وحددت زمناً للوصول إلى هذه الغاية على أن تنفذ السياسة تدريجياً خطوة إثر خطوة ومرحلة بعد مرحلة ولا نريد أن نسهب في تفصيل هذا البرنامج لأن ذلك يخرج بنا عن طبيعة بحثنا من ناحية ولأن الكتب التي تناولت تاريخ القضية الفلسطينية بسطت القول فيه من ناحية أخرى ولكننا سنعرض له في إيجاز .

لقد أعلنت الحكومة البريطانية في أوائل يولية سنة ١٩٢٠ انتهاء الإدارة العسكرية في فلسطين ، وقيام إدارة مدنية وعينت السهربرت صموئيل أول مندوب سام لفلسطين ، وهو يهودي الأصل بريطاني الجنسية من أقطاب الصهيونية المتعصبين لها والمدافعين عنها بقوة قبل صدور وعد بلفور . وقد أخذ على عاتقه تنفيذ برنامج تهويد البلاد وأخذ يسير بخطوات سريعة نحو ذلك الهدف بادئاً بتنفيذ المادة الثانية من صك الانتداب التي تقضى بوضع البلاد في حالات سياسية واقتصادية وإدارية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

ونستطيع أن نحدد هذا البرنامج في المجالات الآتية :

- ١ - الحكم المباشر .
- ٢ - الإدارة والتشريع .

- ٣ — الهجرة اليهودية •
- ٤ — استيلاء اليهود على أرض العرب •
- ٥ — مركز اليهود بعد لانتداب •
- ٦ — تشجيع حكومة الانتداب لليهود •
- ٧ — إمداد اليهود بالأسلحة وتدريبهم عليها •
- ٨ — اضطهاد العرب في شتى مرافق الدولة وحرمانهم الوظائف الرئيسية في بلادهم •
- ٩ — الضغط السياسي على عرب فلسطين ومقاومة الحكم الذاتي •

الحكم المباشر

حكمت بريطانيا فلسطين حكما مباشرا كأنها جزء من الإمبراطورية البريطانية وأنشأت فيها إدارة بريطانية بحثة سمتها — زورا وبهتانا — حكومة فلسطين ، وأهل فلسطين منها براء •

وتحقيقا لهذا الحكم المباشر ألحقت شئون فلسطين بوزارة المستعمرات البريطانية ، وكان حقها أن تلحق بوزارة الخارجية وعوملت على أنها مستعمرة بريطانية إذ كان المندوب السامي يتلقى التعليمات الصادرة إليه من وزير المستعمرات •

وتحقيقا لهذا الحكم المباشر كان المندوب السامي ينفرد بحكم البلاد وإدارة شئونها يعاونه في ذلك مجلسان : تنفيذي يتكون من كبار ورؤساء الدوائر البريطانيين ، واستشاري يختار المندوب نصف أعضائه من كبار الموظفين البريطانيين ، ويعين النصف الثاني من العرب واليهود وقد ظل الحال على ذلك إلى أن جلت بريطانيا عن فلسطين •

ونتيجة لهذا الحكم المباشر أبعد عرب فلسطين عن تصريف أمور بلادهم وإدارة شئونها ، والمشاركة في سن القوانين ، وإصدار التشريعات ورفضت بريطانيا إنشاء مجلس تشريعي منتخب يمثل فيه السكان حسب

نسبتهم العددية ، وأكثر من ذلك رفضت الاعتراف بهيئة تمثل عرب فلسطين وتتحدث باسمهم •

وعندما كانت توجه إليها الأسئلة أمام لجنة الانتدابات عن الأسباب التي حالت دون تشجيع الحكم الذاتي في فلسطين وإنشاء مجلس تشريعي يمثل فيه العرب حسب عددهم كانت إجابتها استحالة قيام ذلك لأنه يتعارض مع سياسة الحكومة الرامية إلى تنفيذ وعد بلفور •

ونتيجة لهذا الحكم المباشر كانت تختار أشخاصاً بريطانيين ليحققوا في أسباب الثورات التي تشتعل في فلسطين بين حين وآخر وتجعل من نفسها خصماً وحكماً في وقت واحد •

ونتيجة لهذا الحكم المباشر قصرت رئاسة الدوائر الحكومية ومناصب حكام الألوية على أبنائها •

وهكذا كانت الحكومة البريطانية في لندن تحاسب الحكومة البريطانية في فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية كما تحاسبها في الشؤون السياسية •

أبا المكارم أشرف من علاك وقتل آرى فلسطين أم دنيا الأعاجيب

الإدارة والتشريع

كان عرب فلسطين يتمتعون كما يتمتع عرب الحجاز والعراق بحق انتخاب ممثليهم في البرلمان التركي وانتخاب مجالس الإدارات والبلديات •

ومع أن الانتداب على فلسطين من نفس درجة الانتداب على العراق وسورية ولبنان وشرقى الأردن وهي درجة (أ) أعلى مراتب الانتداب ، ومع أن بريطانيا وفرنسا نفذتا فكرة الانتداب في العراق وسورية ولبنان وشرقى الأردن وأنشأتا فيها حكومات وطنية تحكم

البلاد وتدير شؤونها تحت إشراف الدولة المنتدبة فقد شذت بريطانيا في انتدابها على فلسطين عن هذه القاعدة ، وتعمدت إهمالها والخروج عليها فلم تنشئ في فلسطين حكومة وطنية من أهلها تضع القوانين ، وتصوغ التشريعات وتنظم الإدارات بل جعلت السلطة المتامة في التشريع والإدارة للدولة المنتدبة وجاء ذلك نصا في المادة الأولى من صك الانتداب وهكذا لم يكن لأبناء فلسطين أى أثر فيما وضع من نظم وتشريعات وقوانين ودساتير حكمت بها بلادهم •

وقد تطلبت إدارة البلاد أن تعيد حكومة الانتداب النظر في التقسيم الإدارى لفلسطين في العهد العثمانى وتقسّم البلاد تقسيما إداريا جديدا يتلاءم مع السياسة البريطانية والبرنامج الاستعماري وتحقيقا لذلك قسمت فلسطين بعد الانتداب إلى ستة ألوية « مديريات » وعينت على كل لواء منها حاكما بريطانيا •

ويتبع كل لواء عدد من الأفضية « المراكز » • وهذه الألوية هي :

أولا — **لواء القدس** ، ومقره مدينة القدس عاصمة البلاد ويتألف من قضاء القدس ، وقضاء الخليل ، وقضاء رام الله •

الخليل : المدينة التى سميت باسم الرسول إبراهيم الخليل أبى الأنبياء عليه السلام وهى مشهورة بعنبتها وما يستخلص منه •

بيت لحم : وهى المدينة التى ولد بها الرسول عيسى بن مريم عليه السلام وبها كنيسة المهد وهى مشهورة بصناعة الصدف •

رام الله : مصيف فلسطين الساحر بجماله ونقاء هوائه ، وفتنة مناظره وأناقته قصوره •

أريحا : مشتى فلسطين والمشهورة بموزها •

ومن أكبر قرى هذا اللواء :

البيرة ، وبيت جالا ، وبيت ساحور ، وعين كارم • ومن قرأه الصغيرة التي وقعت فيها أحداث تناولها الشعر القسطل وديرييس •

ثانياً — **لواء حيفا** ، ومقره مدينة حيفا التي تمتاز بأنها ميناء هام على ساحل البحر الأبيض المتوسط ترسو عليه أكبر البواخر ، وإليها تنتهي أنابيب البترول الممتدة من العراق بعد تصفيته بها ونقله منها إلى إلى أنحاء العالم هذا إلى جانب أنها مركز تجارى وصناعى هام للقسم الشمالى من فلسطين ويتألف من قضاء حيفا •

ثالثاً — **لواء الجليل** ، ومقره مدينة الناصرة التي نشأ فيها السيد المسيح ، وترعرت طفولته ويتألف من قضاء عكا ، وقضاء صفد ، وقضاء طبرية ، وقضاء الناصرة •

عكا : المدينة التي ذاعت شهرتها في التاريخ حين صدت نابليون بونابرت ، وردته مهزوما بعد أن جثت المدن والأقطار بين يديه ، والمعروفة بسورها وأبراجها ، وجامع الجزار وبموقعها على ساحل البحر الأبيض المتوسط •

صفد : وتمتاز بارتفاعها وبجمال مناظرها •

طبرية : وتشتهر بحماماتها المعدنية وبوقوع « حطين » بالقرب منها •
ومن أشهر قرى هذا اللواء : صفورية وترشيحا وسمخ •

رابعاً — **لواء السامرة** ، ومقره مدينة نابلس ذات التاريخ العريق ، والشهرة الذائعة والمكانة العلمية • وتشتهر بصناعة الصابون المصنوع من زيت الزيتون النقى^(١) ويتألف من قضاء نابلس وقضاء جنين ، وقضاء طولكرم •

(١) وتقع مدينة نابلس بين جبلى جرزيم وعيبال ويرتفع جرزيم عن سطح البحر بحوالى ٢٨٩٠ قدما •

• جنين : وتشتهر بغلالها

• طولكرم : وتشتهر ببطيخها

ومن قرى هذا اللواء المشهورة :

• عنبتا وقليلية والطيبة

خامسا : لواء اللد ، ومقره مدينة يافا عروس فلسطين وحسناء البحر المتوسط ، ووسطى ثغوره مدينة الثقافة والصحافة والأدب والجمعيات والأندية الأدبية والرياضية مدينة المال والجمال والشجر والزهر والسحر والفتنة •

هى مشهورة ببرتقالها الذى يصدر إلى أوربا وبأهميتها الصناعية أما مدينة لد التى سمى بها اللواء فهى مدينة تاريخية مشهورة تقع بجوار مدينة الرملة ، وهى مشهورة بنشاطها الزراعى والتجارى والاقتصادى •

• ويتألف من قضاء يافا ، وقضاء الرملة •

الرملة البيضاء : المدينة المعروفة بمسجدها الذى بناه الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك ، والواقعة على الطريق بين يافا والقدس وهى مشهورة بطيب هوائها ، واعتدال مناخها وهى مدينة الشاعر العربى المشهور كئاسم •

ومن أشهر قرى هذا اللواء وأكبرها :

• سلمة ويازور وبيت دجن وبينا ومن قراه التى تناولها الشعر قبية •

ويرتفع عييال عن سطح البحر بحوالى ٣٠٧٥ قدما وقد تردد ذكر الجبلين فى الشعر الفلسطينى الحديث كما تردد ذكر جبل النار وهو سلسلة تمتد بين نابس وطولكرم وكان المجاهدون الفلسطينيون يتخذون منها معقل فى حربهم ضد القوات البريطانية •

سادسا — لواء غزة • ومقره مدينة غزة ذات المكانة التاريخية السامية والماضى المجيد فى العروبة والوطنية والأدب ويطلق عليها فى التاريخ اسم غزة هاشم الجـد الثانى للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم الذى مات ودفن بها ولا يزال قبره بها إلى اليوم •

وبهذا الاسم وردت فى الشعر العربى القديم قال مطرود بن كعب الخزاعى بيكى بنى عبد مناف :

وهاشم فى ضريح وسط بلقعة تسفى الرياح عليه بين غزات
وإنما قال غزات وهى غزة واحدة لأنه سـمى كل ناحية منها باسم
البلدة وجمعها على غزات •

ووردت أيضا فى شعر الحسن بن هانىء « أبى نواس » وهو يذكر المنازل التى مر بها فى طريقه من بغداد إلى مصر حيث قال :

وأصبحن قد فَوَزْنَ عن نهر فطرسٍ وهن من البيت المقدس زور
طوالبَ بالركبان غزة هاشم وبالفرما من حاجهن شقور (١)

وقد دافعت دفاعا مجيدا لصد عدوان بنى إسرائيل فى القديم وأخرجت للأدب نفرا من الأعلام البارزين نذكر منهم الشاعر أبا إسحاق الغزى وفيها ولد الإمام الشافعى الذى يقول فى تشوقه إليها :

وإنى لمُشْتاقٍ إلى أرْضِ غَزَّةٍ وإن خاننى بَعْدَ التفرق كِثْمَانِي
سقى الله أرْضاً لو ظفرت بتُرْبِهَا كحلّتْ بـهـمـن شـدّة الشوقِ أجفَانِي

وهى مفتاح فلسطين الجنوبى ومشهورة بصناعة الفخار وتصدير الشعير •

(١) وردت فى بعض الروايات شعور بالعين بدلا من القاف ياقوت الحموى — معجم البلدان — ج ٨ ص ٢٣٣ •

- كما أنها واقعة على ساحل البحر الأبيض نقية الهواء عذبة الماء
- خصبة التربة • سهلة الأرض

ويتألف من قضاء غزة وقضاء بئر السبع ومن أشهر مدنه :

المجلد : المشهورة بحياكة الملابس وغزل ونسج الحرير والقطن

- وصنع الأزياء المختلفة لسكان البلاد في القرى والمدن

- وتقع بجوارها أنقاض مدينة عسقلان التاريخية

بئر السبع : عاصمة النقب وتنتشر حولها القبائل البدوية التي

- تعيش على زراعة الشعير وتربية الماشية

خان يونس : آخر مدينة فلسطينية في الجنوب وتشتهر ببلحها

ومن أشهر قرى هذا اللواء :

الفالوجا وأسدود وحمامة والمسمية والسوافير وعراق المنشية

- وبيت دراس وبرير وبربرة ودير البلح ودير سنيد

- وقد تناول الشعر الفالوجة وأبطالها بعد النكبة

- أنظر الخريطة (رقم ٢)

الفالوجة : بفتح الفاء والجيم وضم اللام وفي آخرها تاء مربوطة

وهي تحريف لكلمة « الفلوجة » بفتح الأول وتشديد الثاني بمعنى الأرض

الصالحة للزراعة •

وتقع الفالوجة بين قريتي « كرتيا » و « عراق المنشية » وتزرع

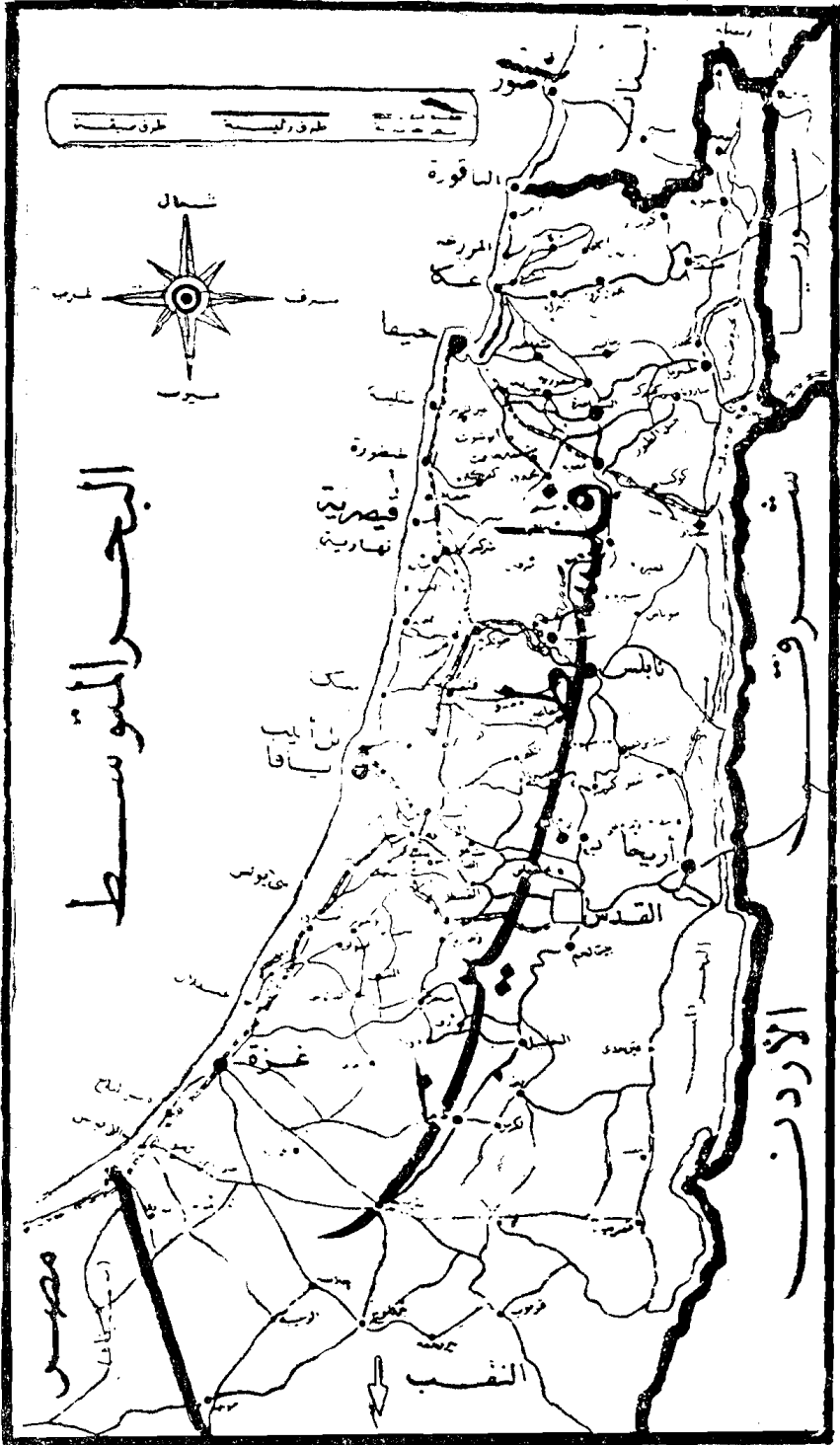
بها الحبوب والخضر وفي السنوات الأخيرة غرست في أرضها أشجار

الفاكهة وقد عدد سكانها عام ١٩٤٥ بحوالي ٤٦٧٠ نسمة وقد أتاح لها

وقوعها بين السهل والجبل والبدو أن تكون مركزا تجاريا مما دعا إلى إقامة

سوق عامة كبيرة فيها في كل يوم خميس من كل أسبوع يفد إليها التجار من

القرى المجاورة وفي عام ١٩٣٦ أنشئ بها مجلس محلي وجه عنايته



الخرطة رقم (٢)

للمستوطن الصحية والمياه وبناء المدارس ، وإدارة السوق وبها مسجد يتألف من ثلاثة أروقة معقودة بقباب ، وأمامها صحن سماوى دفن فى إحدى غرفه الشيخ أحمد الفالوجى أحد الأولياء الصالحين • وبها مدرستان ابتدائيتان حكوميتان الأولى للبنين أنشئت سنة ١٩١٩ وأصبحت ابتدائية كاملة ذات سبعة صفوف سنة ١٩٤١ وفى العام الدراسى ١٩٤٧ / ١٩٤٨ أنشئ بها صف ثانوى أول • أما مدرسة البنات فقد أنشئت سنة ١٩٤٠ •

وكان لحامية الفالوجة موقف رائع فى الدفاع عنها إبان الحرب بين العرب واسرائيل سنة ١٩٤٨ إذ صمدت لحصار العدو ١٣٢ يوماً — من ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٨ إلى ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٩ بلا زاد ولا عتاد وكان بين المحاصرين الرئيس جمال عبد الناصر (١) •

اسدود : بكسر الأول وسكون الثانى وضم الدال وتقع على الطريق

بين يافا وغزة وعلى مسيرة نحو ٤١ كيلو مترا من يافا •

وكانت مدينة ذات تاريخ حافل فى القديم إذ دعاها المؤرخ « هيرودتس » مدينة سورية الكبرى ، وفى الفتوح الاسلامية دخلت فى عداد المدن والقرى التى فتحت أبوابها للمسلمين فى القرن السابع •

وتقام بها سوق كل يوم أربعاء يؤمها سكان القرى المجاورة بيت

دراس والسوافير وحمامة والبطانى •

وقدر عدد سكانها عام ١٩٤٥ بحوالى ٤٦٣٠ شخصا وبها مسجدان ومدرستان ابتدائيتان حكوميتان إحداها للبنين أنشئت عام ١٩٢٢ وأصبحت ابتدائية كاملة فى العام الدراسى ١٩٤٣ — ١٩٤٤ والأخرى للبنات أنشئت عام ١٩٤٢ ومن مزارتها مزار الصحابى الجليل سلمان الفارسى ومزار المولى المشهور الشيخ إبراهيم المتبولى (٢) •

(١) مصطفى مراد الدباغ — بلادنا فلسطين — ج ١ — القسم الثانى —

ص ٢٢٣ — ٢٢٩ •

(٢) مصطفى مراد الدباغ — بلادنا فلسطين — ج ١ — القسم الثانى —

ص ١٩٦ •

بيت درأس : تقع في الشمال والشرق من غزة وعلى مسيرة ٤٦ كيلو مترا منها وترتفع ٥٠ مترا عن سطح البحر وتجاور أراضيها أراضي المجدل والسوافير واسدود وحمامة وقد غرست بها أشجار فاكهة إلى جانب بساتين البرتقال •

وبها مسجدان ومدرسة ابتدائية للبنين أنشئت سنة ١٩٢١ وقدر عدد سكانها في سنة ١٩٤٥ بحوالى ٢٧٥٠ نسمة وهي ثالثة كبريات القرى بعد الفالوجة واسدود (١) •

المسمية الكبيرة : تقع في الشمال الشرقي من قريتي السوافير والقسطينة في الطريق الذى تسلكه السيارات من غزة إلى يافا وتبعد يافا عنها بحوالى ٤٠ كيلو مترا إلى الشمال •

وتتنوع مزارعها من حقول قمح إلى بساتين برتقال وقدر عدد سكانها عام ١٩٤٥ بحوالى ٢٥٦٠ نسمة وتلى بيت درأس في عدد السكان وبها مسجدان ومدرستان ابتدائيتان إحداها للبنين والثانية للبنات •

المسمية الصغيرة : قرية حديثة أنشئت منذ أقل من قرن وذلك أن إبراهيم الحوراني جد سكانها الحاليين هاجر من بلاده حوران منذ نحو مائة وخمسين سنة وسكن المسمية الكبيرة وحدثت خصومة بين أحفاده وبين سكانها اضطر على أثرها آل الحوراني للرحيل والنزول في بقعة تبعد نحو ثلاثة كيلو مترات للشرق وابتنوا منازلهم وسميت القرية بعد ذلك باسم المسمية الصغيرة تمييزا لها عن المسمية الكبيرة (٢) •

(١) المصدر السابق من ص ٢٠٨ — ٢١١ •

(٢) المصدر السابق — ص ٢٠١ — ٢٠٤ •

الهجرة اليهودية

ارتكز الوطن القومي على دعامين رئيسيتين الأولى الهجرة اليهودية ، والثانية امتلاك أرض العرب ، ولا مرأى في أن هجرة اليهود إلى فلسطين كانت أعظم خطر هدد البلاد إذ جعلت عدد اليهود يزداد شهراً بعد شهر ويتضاعف عاماً بعد عام ليصبحوا أكثرية وبذلك يتمكنون من إقامة دولة يهودية يجعلون منها نقطة ارتكاز ويوسعون رقعتها على مر الزمن باقتطاع الأقطار العربية المجاورة •

ولما كانت سياسة بريطانيا تهدف إلى إنشاء الوطن القومي الذي يعتمد أولاً على الهجرة ، فلا غرو أن يكون أول عمل تقوم به في فلسطين هو تمهيد السبيل أمام هجرة اليهود •

ومن أجل ذلك بادرت إثر احتلالها لفلسطين في أواخر سنة ١٩١٧ بتنفيذ السياسة الرامية إلى إغراق البلاد بالمهاجرين وكان أول عمل قامت به الإدارة العسكرية البريطانية يومئذ هو الموافقة على نقل مقر الجمعية الصهيونية « الوكالة اليهودية » إلى القدس ، وتخويلها حق تقديم مقترحاتها بشأن عدد المهاجرين اليهود الذين يسمح لهم بدخول فلسطين إلى المندوب السامي مرتين في العام •

وكان المندوب السامي يوافق على مطالب الوكالة فيما يختص بالمهاجرين وعددهم دون دراسة أو بحث ، مما حدا بالوكالة أن تدخل إلى البلاد من تشاء من المهاجرين بطرق شاذة وأساليب ملتوية يأبأها القانون ، إذ تقدم للحكومة مذكرتين في السنة تعين في كل مذكرة منهما عدداً من الرجال والنساء تزعم أنها في حاجة إليه خلال الأشهر الستة القادمة ، وتحول المذكرة أولاً إلى مدير دائرة الهجرة ليقرها ويرسلها بدوره إلى المندوب السامي فيوافق عليها ، ويصدر مدير الهجرة شهادات من غير أن يكتب بها أسماء أشخاص ، ويبيعت بها إلى الوكالة التي توزعها على فروعها في مختلف الأنحاء •

ويسمح قانون الهجرة الذي سنته حكومة الانتداب سنة ١٩٢٠ وعدلته مرات متعاقبة وفقاً لرغبات الصهيونية في سنى ١٩٢١ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٨ للفئات التالية بالهجرة إلى فلسطين :

١ — الأشخاص الذين يملكون مبلغاً لا يقل عن ١٠٠٠ جنيهه وأسرهم •

٢ — ذوى المهن والحرف الذين يملكون مبلغاً لا يقل عن ٥٠٠ جنيهه •

٣ — الصناع الماهرين الذين يملكون مبلغاً لا يقل عن ٢٥٠ جنيهها •

٤ — الأشخاص الذين لهم مورد ثابت لا يقل عن أربعة جنيهات في الشهر •

٥ — الأيتام القادمين إلى ملاحىء فلسطين •

٦ — الرجال والنساء الذين يمارسون الأعمال الدينية إذا كانت حياتهم وحياء أسرهم مضمونة •

٧ — الطلبة المضمونة معيشتهم •

٨ — الأشخاص الذين يعتمدون في معيشتهم على أقارب لهم في فلسطين إذا كانت حالة الأقارب تمكنهم من إعالتهم (١) •

ومن الأساليب الملتوية والطرق الشاذة التى كانت تلجأ لها الوكالة فى إدخال المهاجرين تزوير شهادات الهجرة ، وتزييف جوازات السفر ، وتأثيرات القنصليات البريطانية ، ووثائق الزواج ، وشهادات الميلاد والزواج الصورى •

والهجرة اليهودية نوعان : مشروعة وهى التى تمت بموافقة الحكومة

(١) عيسى السفرى — فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ج ١ ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

وطبقا للقانون أى علمت الحكومة بعدد المهاجرين دون أن تعلم أسماءهم وأشخاصهم • وغير مشروعة : وهى التى تمت إما دون علم الحكومة وإما على الرغم منها فهناك عدد يدخل فلسطين متذرعاً بالسياحة ويستوطن البلاد وعدد آخر يفد إليها عن طريق التهريب بحراً أو جواً وإذا قبضت الحكومة على مهاجر يهودى دخل البلاد بطريق غير مشروع فسرعان ما تزعم إحدى غانيات صهيون أنه خطيبتها فتفرج عنه الحكومة فوراً دون التأكد من صحة هذه الخطبة أو كذبها وكثيراً ما كان رقم الهجرة غير المشروعة يساوى المشروعة ويؤيد ذلك أن المندوب السامى صرح بمدينة نابلس فى يولية سنة ١٩٣٣ بأن الهجرة غير المشروعة عادت المشروعة فى تلك السنة وساوتها وكان عدد المهاجرين الذين دخلوا البلاد بصورة قانونية ٣١٠٠٠ مهاجر •

وكان المهاجرون يلقون من الحكومة كل عطف ورعاية فتعفى أمتعتهم من التفتيش وتعفى من الرسوم الجمركية • ولطالما استغل المهاجرون هذا الإعفاء فى جلب قطع الأسلحة •

وكانت الوكالة تختار المهاجرين اليهود من الشبان الأقوياء ذوى السواعد المقتولة والعصلات القوية المدربين على استعمال كافة الأسلحة وفنون القتال المنتشبعين بالروح الصهيونية المتعصبين لها المؤمنين بالوطن القومى •

وسنوضح بلغة الأرقام كيف مكنت بريطانيا اليهود من إغراق فلسطين بالمهاجرين •

كان عدد اليهود فى فلسطين سنة ١٩١٨ نحو ٦٠.٠٠٠ وكانت نسبتهم إلى مجموع سكان البلاد ٦٪ •

فإذا عدد اليهود يقفز بفضل الهجرة إلى ٨٤.٠٠٠ فى سنة ١٩٢٢ أى فى خلال أربع سنوات فقط ، وإلى ١٧٥.٠٠٠ فى سنة ١٩٣٢ بمقتضى الإحصاء الرسمى الذى سجلته حكومة الانتداب • وتعترف أرقامها

الرسمية أن عدد اليهود الذين دخلوا فلسطين بطرق مشروعة بين عامي ١٩١٨ و ١٩٣٢ بلغ ١٢٠.٠٠٠ . ذلك عدا الذين دخلوها بطرق غير مشروعة .

وظلت الهجرة اليهودية بطرقها المشروعة وغير المشروعة تغرق فلسطين بسيلها المنهر حتى أصبح عدد اليهود المسجل رسميا في فلسطين حتى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ نحو ٦٥٠ ألف مهاجر ، وبذلك تضاعف عددهم ١٣ ضعفا ، وارتفعت نسبتهم إلى مجموع سكان البلاد من ٦٪ سنة ١٩١٨ إلى ٣٣٪ سنة ١٩٤٨ .

ولم تكن هذه الهجرة خطرا سياسيا فحسب بل خطرا اقتصاديا واجتماعيا أيضا ففي مجال الاقتصاد أخذ المهاجرون اليهود يزاحمون العمال والمزارعين العرب في موارد الرزق ، وميادين العمل ، مزاحمة غير متكافئة بما لهم من خبرات فنية ، وإمكانات مادية وتأييد مطلق من حكومة الانتداب ، وأدت هذه المزاحمة إلى ارتفاع عدد المتعطلين من العمال العرب وزاد من البلاء أن المؤسسات والشركات اليهودية التي كانت تستخدم العمال العرب استغنت عنهم وفصلتهم واستبدلت بهم العمال اليهود .

وفي المجال الاجتماعي جر المهاجرون اليهود الذين تسللوا إلى البلاد دون رقابة عليهم المفاسد الخلقية التي لم تعرفها فلسطين من قبل وانتشرت على أيديهم حوادث تزيف النقود والاحتيال والنصب كما بثوا في البلاد روح الاستهتار والاستهانة بالقيم الأخلاقية والمبادئ الدينية .

الاستيلاء على الأرض العربية

يأتى خطر تملك اليهود لأرض العرب بعد خطر الهجرة فى الأهمية فالأرض هى الدعامة الثانية فى بناء الوطن القومى بل إن خطرى الهجرة وتملك الأرض منتشابكان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر إذ أن الهجرة وحدها لا تخلق وطنا ، وتملك الأرض وحده لا يبنى دولة ، وقد صرح بهذا الدكتور وايزمان فى قوله : « لا يمكن إنشاء دولة دون أرض ورجال » (١) .

ومادامت الأرض هى الدعامة الثانية فى الوطن القومى فلا غرو أن تشجع حكومة الانتداب بيع أرض العرب لليهود كما شجعت الهجرة وأن تضع النظم وتصوغ القوانين التى تسهل لليهود تملك المساحات الشاسعة من أراضى فلسطين .

وتنفيذا للمادة الثانية من صك الانتداب التى تلزم الدولة بوضع البلاد فى ظروف سياسية واقتصادية ، وإدارية تضمن إنشاء الوطن القومى ، عملت حكومة الانتداب جاهدة على إفقار عرب فلسطين ، وإضعافهم اقتصاديا بثتى الوسائل لارغامهم على بيع أراضيهم لليهود ، وتمثلت سياسة الإفقار فى إغلاقها المصرف الزراعى العثمانى الوحيد الذى كان يقدم للمزارعين العرب ما يحتاجون إليه من مساعدات وقروض ، وعدم فتحها مصرفا آخر بدلا منه ، وفى مضاعفتها لبعض الضرائب ، وزيادة مقادير بعضها الآخر ، حتى بلغ ما دفعه المزارع من الضرائب سنة ١٩٣٠ ٣٤٪ من مجموع الدخل ، وفى سنة ١٩٤٤ ارتفعت ضريبة الأملاك إلى أربعة أضعاف عما كانت عليه عند الاحتلال البريطانى ، وفى إهمالها القرى العربية حيث لم تدخل عليها أى تحسينات ولم تمد ما يحتاج منها للمياه النقية بها .

(١) الدكتور سعدى بسيسو — اسرائيل جنابة وخيانة ص ٧٣ .

ولم تهتم باتصال القرى بالمدن ، ولا باصلاح الطرق وتعبيدها ، لتصبح صالحة لسير السيارات والعربات وعندما كانت تقيم محطات السكك الحديدية تنأى بها عن القرى ، ويصعب الوصول إليها •

وإذا كان من المعروف أن أرض فلسطين تروى بالأمطار ، وأن بعض قراها تخزن ماء الشتاء لتشرب منه طول العام ، وأن كثيرا من القرى يتعذر الوصول إليها بالسيارات ، تستعين مسئولية حكومة الانتداب وجناباتها المتعمدة على فلسطين •

يضاف إلى ما سبق أن الحكومة أنشأت دائرة خاصة وأسستها دائرة التسوية لفرز وتحديد الأرض المشاع ^(١) في القرى ، ولراجعة وثائق التملك ، والتأكد من حقوق ملاكها ، وانتزاع ما لا تثبت ملكيتهم له ، وكما وضحنا بلغة الأرقام كيف فتحت بريطانيا أبواب فلسطين للهجرة اليهودية نوضح هنا كيف مكنت لليهود الاستيلاء على أرض العرب •



تبلغ مساحة فلسطين ٢٧ مليون دونم بما في ذلك البحيرات ولا يصلح منها للزراعة إلا ثلثها أو ما يقرب من تسعة ملايين دونم كما سبق أن ذكرنا ^(٢) لأن الباقي إما أرض صخرية وعرة المسالك وإما صحارى •

وعندما احتلت بريطانيا فلسطين كان نحو ١٣ مليون دونم ونصف مليون دونم • مسجلة رسميا باسم ملاكها العرب ونحو ١٢ مليونا مسجلة كأرض مملوكة للدولة تعرف بالأراضي الأميرية ، وكان العرب يستغلون معظمها للرعى والتحطيب ، وإقامة قبائل البدو والعشائر المتنقلة فيها واستتبات ما يصلح للزراعة منها •

(١) وجود المشاع يقف حائلا دون بيع الأرض لأن مالك الأرض لا يعرف ملكه بالتحديد أى أنه يعرف أن له مثلا عشرين دونما في جهات مختلفة ولكن لا يعرف حدودها .

(٢) ذكرنا ذلك عند حديثنا عن فلسطين قبل المحنة .

وكان اليهود يملكون في سنة ١٩١٨ نحو ٦٥٠ ألف دونم أو ما يعادل $\frac{٢}{٢١}$ من مجموع مساحة فلسطين أكثرها من الأراضي الجيدة التي استولوا عليها عن طريق الشراء في العهد العثماني ، ولم يكن في فلسطين إقطاع لأن الأرض موزعة على جميع طبقات الشعب توزيعا يكاد يكون عادلا ومعقولا ، والإقطاع الوحيد الذي عرفته فلسطين هو إقطاع بعض الأسر السورية واللبنانية التي استولت على نحو ٨٧٥ ألف دونم من أجود الأراضي الزراعية نتيجة لنفوذها وسلطانها وصلاتها الوثيقة برجال الحكومة في العهد العثماني ، ولا حاجة بنا إلى ذكر أسمائها ، وتبيان الدوافع والظروف التي أتاحت لها تملك هذه الأراضي مع أنها لم تسكن في فلسطين يومئذ ، لأن ذلك سينأى بنا عن قصدنا في هذا الكتاب ولأن الكتب التي تناولت تاريخ قضية فلسطين أسهبت القول فيه (١) .

وقد قدرت مساحة الأراضي الفلسطينية التي كان اليهود يمتلكونها عند انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ بنحو مليونين وخمسة وسبعين ألف دونم حصلوا عليها بالطرق الآتية :

- (أ) ٦٥٠ر٠٠٠٠ دونم كانوا يمتلكونها قبل الاحتلال البريطاني .
- (ب) ٥٠٠ر٠٠٠٠ » منحتها الحكومة البريطانية للوكالة اليهودية من الأراضي المسجلة باسمها .
- (ج) ٦٢٥ر٠٠٠٠ » باعها أصحابها غير الفلسطينيين من الأسر السورية واللبنانية .
- (د) ٣٠٠ر٠٠٠٠ » باعها فلسطينيون وقد انتزع بعضها قسرا من أصحابه بمقتضى قانون نزع الملكية .

• المجموع الكلى ٢٠٧٥ر٠٠٠٠ »

(١) من هذه الكتب :

- (١) القضية الفلسطينية — أكرم زعبيتر .
- (ب) المؤامرة الكبرى — اميل الغوري .
- (ج) قضية فلسطين — الهيئة العربية العليا .

ولم يكن مسجلا رسميا لليهود في دوائر الحكومة في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ إلا ١٢٩١٦٩٩ دونما وهو يشمل ما كانوا يملكونه قبل الانتداب ، وما اشتروه في عهد الانتداب ، أما الباقي ومقداره (٨٥٠٠٠٠٠) دونم فيشمل أولا الأراضى التى قدمتها الحكومة من أملاكها للوكالة اليهودية ، وثانيا ما اشتراه اليهود من أراضى الفلسطينيين وغيرهم بعقود لم تسجل في دوائر الحكومة .

وقد وضع الخبير العربى فى شئون أراضى فلسطين الأستاذ سامى هنداوى الذى كان موظفا فى دائرة الأراضى فى عهد الانتداب تقريرا سنة ١٩٥١ عن مساحة أراضى فلسطين وكيفية توزيعها من حيث الملكية والسيطرة فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، ودعمه ببيانات مستقاة من وثائق حكومة الانتداب وسجلات دائرة الأراضى وأورد به إحصائيات نرى أن نوردها :

النسبة لجمع مساحة فلسطين	المساحة بالدونم	
٤٧٫٩٧ ٪	١٢٥٧٤٧٧٤	العرب
٥٫٦٧ ٪	١٢٩١٦٩٩	اليهود
٥٤ ٪	١٤٢٠٥٩	طوائف أخرى
٤٫٦ ٪	١٢١١٤٥٠٠	أملاك الدولة
١٠٠ ٪	٢٦٣٢٣٠٣٢	المجموع
		مساحة البحر الميت
	٥٢٥٠٠٠	» بحيرة طبرية
	١٦٥٠٠٠	» » الحولة
	١٤٠٠٠	م جموع مساحة فلسطين
	٢٧٠٢٧٠٣٢	

ومعنى هذا بلغة الأرقام أن اليهود كانوا يمتلكون رسميا من أراضى فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ عند انتهاء الانتداب ، وقيام دولة إسرائيل فى فلسطين المحتلة أقل من ٦ ٪ من مجموع مساحة أراضى البلاد .

وانتقال الأرض العربية إلى أيدي اليهود معناه زوالها إلى الأبد واستحالة استرجاعها في أي وقت ، وحرمان العرب الاستفادة منها على أي صورة ، لأنها تصبح وقفاً على اليهود غير قابل للانتقال إلى الأبد طبقاً لدستور الوكالة الذي يحرم على اليهود استخدام العرب في الأعمال الزراعية حتى تتاح الفرصة أمام العمال اليهود .

وقد أسهبنا القول في الأرض ، وأوردنا الاحصائيات والبيانات ولغة الأرقام لندحض عن عرب فلسطين تهمة ظالمة طالما ردها أعوان الاستعمار ووجدت — والأسف يملأ الجوانح — من بعض إخواننا العرب في الأقطار الشقيقة من يصدقها . تلك التهمة هي تفریط عرب فلسطين في أرضهم ببيعها لليهود تحت تأثير سحر المال وبريق الذهب وليس دحض هذه الفرية من جانبنا تعصبا إقليميا ولكنه وأيم الله دفاع عن الحق من أجل الحق .

فالفلاح الفلسطيني وطني لا يبيع أرضه إلا إذا سدت في وجهه جميع الأبواب ، وهو يحب أرضه أعشق الحب لأنها حياته وكرامته وشرفه ولأنها وطنه فمن لا أرض له لا وطن له . وهذه الشهادة في الفلاح والمزارع الفلسطيني شهد بها أعضاء لجان التحقيق الإنجليز الذين وفدوا على فلسطين وحققوا في أسباب ثوراتها والفضل ما شهدت به الأعداء .

على أن هذا لا يمنعنا من الاعتراف بأنه قد وجدت في فلسطين قلة ضئيلة من ضعاف النفوس ومرضى القلوب وضعفاء الإيمان الذين يوجدون في كل أمة باعت أرضها لليهود .

وقلة أخرى سهلت انتقال أرض العرب لليهود باغرائها المسذج والبسطاء ببيع أرضهم مقابل حصولها على نفع مادي وهي فئة السماسرة .

وقد اعتبر الشعب باعة الأرض والسماسرة خونة مجرمين خانوا وطنهم

وباعوا بلادهم ونصروا عدوهم ولذلك اغتال كثيرا منهم في ثورته الكبرى سنة ١٩٣٦ ووجود هذه القلة لا يطعن أبدا في وطنية عرب فلسطين ومحافظتهم على أرضهم •

وحتى لا نظلم الواقع نقرر أن ما استولى عليه اليهود من أرض فلسطين عن طريق الشراء من العرب ، والهبة من بريطانيا لم يكن ليغير قليلا أو كثيرا من البرنامج الاستعماري الذي رسمته الدولة المنتدبة لإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين •

وجهة نظرنا

إننى من أبناء قرية السوافير (١) أحببت الأرض حبا تعجز الكلمات عن وصفه لأن الأرض بالنسبة لنا — نحن أبناء القرى — عماد الحياة ومصدر الرزق •

ولقد شهدت بنفسى تعلق الفلاح بأرضه وهيامه بها لدرجة الجنون إذ كانت تقسو عليه الظروف ، وتتشدت حاجته للمال فيبيع كل شيء إلا الأرض •

ولطالما ناجينا — ونحن أطفال — الروابي الموشاة بالزهر ، والأشجار المحملة بالثمر ، وأفضينا إليها بأسرارنا ، ولثمنا القرب المندى واحتضنا كئيبان الرمل ، كنا نزور الحقول في الصباح والمساء ونرقب نمو الزرع يوما بعد يوم • كان حبنا للأرض يعادل حبنا للحياة •

السوافير : قريتي التي أنتسب إليها ، وأزهر بهذه النسبة فهي التي احتضنتني منذ تفتحت عيناى على الوجود ، وتنسمت هواءها وشربت

(١) انظر كتابنا — ماذا لقيت من الدنيا — سيرة ذاتية — الذى سيصدر فى أواخر هذا العام ان شاء الله تعالى •

ماءها ، وطعمت غذاءها • وبين سنابل قمح حقولها وأزهار برتقال بساتينها ،
وعنب كرومها ترعرعت طفولتي ، وتنامي صباي • وهى :

بِإِلَادِهَا نَيْطَتِ عَلَى تَمَائِمِي وَأَوَّلِ أَرْضِ مَسِّ جِلْدِي تَرَابَهَا

وهى قرية من أعمال قضاء غزة مكونة من ثلاث قرى متجاورة هى :
السوافير الشرقية ، والسوافير الغربية ، والسوافير الشمالية وقد جعلتها
قرية واحدة لتجاورها حيث لا تزيد المسافة بين كل قرية وجارتها عن
خمسمائة متر • ولأن مدرستها تضم أبناء القرى الثلاثة •

وقد أنشئت هذه المدرسة بالقرية سنة ١٩٢٢ وبدأت بمعلم واحد
وفيها رشفت المعارف فى أول مراحل دراستى الابتدائية بها على أيدي
مدرسين أكفاء نهلوا علومهم من الأزهر الشريف • وأخذت تزدهر وتتقدم
حتى أصبحت فى العام الدراسى ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ابتدائية كاملة ذات سبعة
صفوف وبلغ عدد طلابها ٢٨٢ طالبا يتولى التدريس لهم ستة معلمين ،
وتقع القرية فى منتصف الطريق الذى يربط بين مدينة غزة ومدينة يافا
الذى كانت تسلكه السيارات بين المدينتين عند الكيلو ٣٥ وتبعد الفالوجة
عنها بحوالى ٧ كيلو مترات الى الشمال • ويبعد عنها البحر الأبيض المتوسط
بحوالى عشرة كيلو مترات ، وقد زاد عدد سكانها عن ٥٠٠٠ نسمة وتتنوع
زراعتها من حقول قمح الى كروم عنب ، الى أنواع الخضر وبساتين
البرتقال • وأشجار فاكهة مختلفة تضم المشمش والتين والرمان •

وقد نبغ من أبنائها عشرات ارتحلوا لينهلوا علومهم ومعارفهم
وتخرجوا فى كليات الأزهر الشريف الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ،
وفى دار العلوم وجامعات القاهرة والاسكندرية وعين شمس وحصلوا على
الماجستير والدكتوراه فى الأدب والنقد والتاريخ والاجتماع الى جانب
الحصول على أعلى الدرجات فى الطب والهندسة والرياضة والعلوم ومنهم

اليوم عدد يتولى التدريس في الجامعات العربية وينقلدون أرقى المناصب وصدرت لهم الدراسات الجادة ، والمؤلفات القيمة في الأدب والنقد وعلوم اللغة ، وفروع المعرفة المختلفة •

وتحتوى السوافير الشرقية على أعمدة وكسر أعمدة عند البئر •
ومن الأماكن التاريخية التى تقع فى جوار السوافير :

١ — الصهاريج التى تقع الى الشرق من السوافير الشمالية وتحتوى على صهاريج مبنية من الدبش وشقف فخار على سطح الأرض ، وحصى من الفسيفساء على نشز من الأرض •

٢ — قرقفة أو مقام الشيخ أحمد القرقفاوى أحد أولياء الله الصالحين وتقع فى الجنوب الشرقى من السوافير الشرقية وتحتوى على آثار محلة وصهاريج ومسجد متهدم مبنى فى موقع بناء قديم وعمود من حجر الجرانيت •

وقرقفة كلمة آرمية بمعنى الجمجمة والقمة ورأس الجبل وبعد أن احتل اليهود قرى السوافير سنة ١٩٤٨ أزالوا معالمها من الوجود وأقاموا على أنقاضها مستعمرة « شافير » وتحيط بأرض السوافير أرض بيت دراس وعبدس وجولس وبيت عفا وتل الترمس والجلدية وجسير وكرتيا وحتى والقسطينة (١) •

(١) مصطفى مراد الدباغ — بلادنا فلسطين ج ١ القسم الثانى ص ٢١٢ — ٢١٥ •

تتمر اليهود بعد الانتداب

لبس اليهود بعد الانتداب جلود النمر وأخذوا يعلنون نواياهم ويذيعون أهدافهم التي كانت مستجنة في صدورهم ولا يجرون على إذاعتها وأول هذه الأهداف اتخاذهم من فلسطين وطنا قوميا لا يشاركهم فيه غيرهم ، وطرد أهله العرب منه ، وإعادتهم إلى الصحراء التي جاءوا منها .

وظهرت هذه الأهداف بصورة واضحة فيما أفضى به زعمائهم من تصريحات ، وما أدلوا به من أحاديث ، وما نشره كتابهم من مقالات فاللورد ملتشت (الفريد موند) يقول : « إن اليوم الذي سيبنى فيه الهيكل لقريب وسأعمل بقية حياتي في سبيل إعادة بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى » وزيكويل يصرح قائلاً : « يجب على العرب أن يقوضوا خيامهم ويعودوا إلى الصحراء التي منها جاءوا » .

ويقول نورمان بنتويش : « لا تحتاج فلسطين المستقبل إلى أن تقتصر على حدودها التاريخية فللمدنية اليهودية أن تمتد إلى جميع الإقليم المحصور في الولايات الممتدة من البحر المتوسط إلى الفرات ومن لبنان إلى النيل فإن هذا الإقليم هو المعطى للشعب المختار » (١) .

أما في الميدان العملي فقد رفع الانتداب من مركز اليهود وأعلى من مكانتهم فأخذ عددهم يزداد شهراً بعد شهر وسنة بعد أخرى ، نتيجة للهجرة الدافقة التي شجعها الانتداب ، وفتح لها أبواب البلاد .

وبعد الانتداب حشدت الحكومة عدداً كبيراً من اليهود في الوظائف الهامة في فلسطين لا يتناسب مع نسبتهم العددية ، وأصبحت الوكالة اليهودية حكومة داخل الحكومة ، تقدم للمندوب السامي جداول المهاجرين وتحدد فئاتهم ، وتشرف الإشراف التام على الزراعة والصناعة اليهودية ،

وعلى شئون التربية والتعليم في المدارس والمعاهد اليهودية ، تضع البرامج ، وتخطط المناهج وتحدد الأهداف ، وتشعل الروح القومية في نفوس الطلبة دون رقابة من الحكومة .

هذا إلى جانب مساعدتها لحكومة الانتداب في إدارة البلاد وتوجيه سياستها .

وبعد الانتداب قويت شوكة اليهود وتفاقم خطرهم وشعروا بمكانتهم وأخذوا يتسلمون من الحكومة الأسلحة حيناً ويهربونها أحياناً ويتدربون على استعمالها ويؤلفون المنظمات العسكرية وينشدون الأناشيد القومية على مرأى ومسمع من العرب .

وضاعف من ازدياد شوكة اليهود ومن اعتزازهم بأنفسهم أن حكومة الانتداب جعلت اللغة العبرية لغة رسمية في فلسطين إلى جانب اللغتين العربية والانجليزية وكتبت على طابع البريد وأنواع النقود كلمة « أرض إسرائيل » وهي ترجمة فلسطين بالعبرية وبذلك ساوت بين الأقلية الدخيلة وبين الكثرة الكاثرة من أصحاب البلاد .

تشجيع حكومة الانتداب لليهود

بذلت حكومة الانتداب كل ما في وسعها لتشجيع اليهود في ميادين الزراعة والصناعة والاقتصاد واستغلال ثروات البلاد القومية . ففضلاً عن مساحات الأراضي الشاسعة التي منحتها للوكالة اليهودية وانتزاعها من أرض العرب ما تراه ضرورياً لمصلحة اليهود بمقتضى قانون نزع الملكية فإنها وضعت تحت تصرفهم منابع الثروة القومية في فلسطين .

ففى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢١ منحت « روتمبرغ » امتياز توليد الكهرباء لمدة سبعين سنة وذلك بالاستفادة من نهر الأردن وحوضه ونهر اليرموك وفروعه ، وروافد نهر الأردن في الأرض التي يسيطر عليها

المنسوب السامى لفلسطين والتي لا يسيطر عليها لوقوعها في منطقة الانتداب الفرنسى ، وخولت له حق بناء محطة كهربائية على جسر الجامع ، واتخاذ بحيرة طبرية خزاناً للمياه للاستفادة منها وبناء المحطات والسدود وكل ما يلزم للمشروع وتحويل مجرى نهر اليرموك وروافده إلى بحيرة طبرية واستثمار نهر العوجا ^(١) وامتلاك الأراضى والأبنية اللازمة للمشروع ^(٢) .

ويقتضى هذا الامتياز بقصر إضاءة أى بلد في فلسطين عليه باستثناء مدينة القدس التي كان امتياز إضاءتها ممنوحاً من الدولة العثمانية لأحد اليونانيين سنة ١٩١٤ وابتغاء مرضاة اليهود حاولت الحكومة البريطانية إلغاء هذا الامتياز وضم إضاءة مدينة القدس إلى روتمبرغ ولم يصدها عن هذه المحاولة إلا الحكم من محكمة العدل الدولية ببقاء الامتياز القديم بعد أن رفعت الحكومة اليونانية قضية بها ضد بريطانيا ^(٣) .

ومن العجيب أن صاحب مشروع كهرباء فلسطين لم يستخدم أحداً من الموظفين أو العمال العرب الذين كانوا يستهلكون أكبر مقدار من القوة الكهربائية وهذا أول منبع من منابع الثروة في البلاد .

المنبع الثانى امتياز البحر الميت وقد منحته الحكومة لليهود أيضاً سنة ١٩٢٧ لمدة خمس وسبعين سنة وتقدر أملاح البوتاس في البحر الميت بنحو ١٣٠٠ مليون طن وملح الطعام أكثر الأملاح في مياهه إلى جانب ما به من الفوسفات والصودا الكاوية وغاز الكلوريد وحامض الهيدروكلوريك وفي هذا البحر ثروة ضخمة لا تقل عن ٢٤٠ ألف مليون من الجنيهات .

المنبع الثالث تجفيف أراضى بحيرة الحولة الذى امتدت إليه أطماع اليهود وتسلموه من صاحب امتيازهم العربى سنة ١٩٣٤ .

(١) نهر صغير بالقرب من مدينة يافا .

(٢) عيسى السفرى — فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية

ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) أكرم زعيتر — القضية الفلسطينية ص ٦٥ .

وعلى هذه الأنماط شجع الانتداب اليهود في مختلف السبل وشتى المجالات ، ونشر عليهم أجنحة عطفه وسهل لهم كل صعب ، وأمدهم بكل أسباب القوة والمنعة وتحيز لهم في مجالات الزراعة والصناعة والاقتصاد تحيزا كان يصل في كثير من الأحيان إلى درجة سن القوانين وإصدار التشريعات لحماية صناعتهم •

إمداد اليهود بالأسلحة

وضعت بريطانيا خطة منظمة لإمداد اليهود بالأسلحة والذخائر الحربية منذ دنست أرض فلسطين باحتلالها سنة ١٩١٨ ليصبحوا في وضع عسكري يمكنهم من التغلب على العرب أهل البلاد حين تأزف الساعة •

وقد بدأ اليهود في إعداد أنفسهم عسكريا منذ تأليف الإدارة العسكرية البريطانية لفلسطين التي قامت من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٢٠ إدقررت السماح للجنود اليهود المسرحين من جيش الجنرال ألنبي الذين قرروا الإقامة في فلسطين بالاحتفاظ بأسلحتهم وتكوين جمعية المحاربين القدماء والسماح لليهود بتكوين وإنشاء المنظمات العسكرية تحت ستار الفرق الرياضية والكشفية والثقافية والاجتماعية فتألفت منظمات «المكابى» «الترمبلدور» و «الطلائع» و «شباب إسرائيل» و «أبناء صهيون» وغيرها من المنظمات التي عملت على تسليح الشباب اليهود وتدريبهم وشمل هذا الاعداد الفتيان والفتيات (١) •

وقد ورد في شهادة الدكتور «إيدر» رئيس الجمعية الصهيونية أمام لجنة «هايكرفت» قوله : «يجب أن يجرى العرب من السلاح وأن يكون لليهود وحدهم حق حيازته وحمله» ثم أخذ اليهود بعد ذلك يهربون

الأسلحة إلى فلسطين تحت سمع الحكومة وبصرها ويوزعونها على منظماتهم العسكرية متخذين مختلف الوسائل للتهريب .

وعندما حدثت ثورة البراق سنة ١٩٢٩ اتخذت حكومة الانتداب منها ذريعة لتأليف نواة لانشاء جيش يهودى إذ زعمت أن المستعمرات اليهودية في حاجة إلى أن تدفع عنها هجمات العرب المحتمل وقوعها في المستقبل ووزعت على هذه المستعمرات كمية كبيرة من البنادق ، وسمحت بإنشاء قوة مسلحة من شباب اليهود باسم « بوليس المستعمرات » ، وجعلتها تابعة لإدارة الأمن العام .

ولم يقف الأمر عند حد تسليح المستعمرات ، بل تقدمت حكومة الانتداب خطوة أخرى حين أرسلت عدداً من ضباطها وخبرائها العسكريين لتدريب اليهود على استعمال هذه الأسلحة ، وقد أدى هذا الموقف إلى ثورة العرب ، وعقد مؤتمر في نابلس في ٣ أغسطس سنة ١٩٣١ قرر فيه المؤتمر استنكار تسليح اليهود والاحتجاج عليه والتنبية إلى خطر إمدادهم بالأسلحة ومطالبة الحكومة باسترداد الأسلحة منهم ، ودعت اللجنة التنفيذية العربية البلاد إلى الإضراب العام في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣١ واستجابت فلسطين لدعوة اللجنة وأضربت وسار أعضاء اللجنة في ذلك اليوم في مظاهرة كبيرة في القدس وتوجهوا إلى مقر الحكومة حيث قدموا احتجاجهم ، وعلى أثر ذلك حدثت مصادمات بين الشعب والبوليس سقط فيها جرحى من الفريقين (١) .

وأخذ اليهود يجلبون الأسلحة إلى فلسطين بكميات وفيرة بعد سنة ١٩٣١ ولم تنتبه الحكومة إلى ذلك إلا عن طريق المصادفة وحدها . ففي أكتوبر سنة ١٩٣٤ وصلت إلى ميناء يافا شحنة مكونة من ٥٣٤ برميلا تضمنت مستنداتها أنها تحتوى على أسمنت وقار ، وأنها مرسلة إلى أحد اليهود في تل أبيب وعندما أخذ البحارة العرب يفرغون

(١) أكرم زعيتر — القضية الفلسطينية ص ١٩١ .

الشحنة ، سقط منها برميل ، وتحطم وتبين أن به أسلحة وعندئذ تولى البوليس فتح بقية البراميل وإذا هي مليئة بالأسلحة والذخائر وليس بها أى كمية من الأسمنت أو من القار كما زعمت المستندات • وثارت ثائرة العرب ، وهاجت نفوسهم ، فقامت المظاهرات ، وتوالت الاحتجاجات ، وتناولت الصحافة العربية خطورة الحادثة ولكن حكومة الانتداب منعت الصحافة من الخوض فيها ولم تتخذ أى إجراء تأديبى ضد اليهودى الذى أرسلت الشحنة باسمه (١) •

وقد أنشأ اليهود عدة منظمات عسكرية من أهمها :

أولاً : الهاجناة - وهى منظمة انبثقت بصورة غير قانونية من منظمة الحرس المسلح لحماية المستعمرات اليهودية ثم اتسعت واشتركت النساء فيها وذكر تقرير اللجنة الإنجلو أمريكية التى وفدت على فلسطين سنة ١٩٤٧ أن هذه المنظمة مقسمة إلى ثلاثة أقسام :

(أ) قوة ثابتة من سكان المستعمرات والمدن تقدر بأربعين ألف

شخص •

(ب) جيش ميدان يرتكز على بوليس المستعمرات اليهود والمدن

مدرب على العمليات الآلية وتقدر قوته بستة عشر ألف شخص •

(ج) قوة دائمة للعمل « بالمخ » قائمة دائماً ومجهزة بوسائل النقل

ويقدر عددها فى السلم بألفين وفى الحرب بستة آلاف شخص •

ثانياً : المنظمة العسكرية الوطنية فى أرض إسرائيل « أرغون زفاى

لومى لأرض إسرائيل » وقد تأسست سنة ١٩٣٥ من أعضاء انشقوا عن

الهاجناة • وشعارها خريطة فلسطين وشرقى الأردن تعلوها بندقية يقبض

عليها ساعد مكتوب عليها بالعبرية « هكذا فقط » أى أنها تهدف إلى

الاستيلاء على فلسطين وشرقى الأردن وحدهما بقوة السلاح •

ثالثاً : المحاربون في سبيل حرية إسرائيل « شتين » وقد تألفت سنة ١٩٣٩ بقيادة شتين ممن انشق عن المنظمة السابقة حين هادنت على أثر نشوب الحرب العالمية الثانية وتخصصت في سلب الأموال والسلاح والاعتقال والغاية عندها تبرر الوساطة (١) .

اضطهاد العرب في كل امراق الدولة وابعادهم عن الوظائف الرئيسية في بلادهم

لم يكف حكومة الانتداب ما اقترفت من آثام في حق عرب فلسطين إذ جعلت رئاسة الدوائر وقفا على الإنجليز واليهود وحدهم ، بل أمعنت في اضطهاد العرب وإهدار حقوقهم فاختارت للمناصب الكبيرة والوظائف الرئيسية القيادية والتوجيهية أشخاصاً إما من الإنجليز وإما من اليهود ، وحرمت العرب أبناء البلاد من تولى هذه المناصب مع توافر العدد الصالح منهم ممن تسلحوا بالعلم وتزودوا من الثقافة ونالوا أرقى الدرجات العلمية من الجامعات العربية والأجنبية :

أحرام على بلابله الدّوح حلال للطير من كل جنس ؟
وتجاغت حكومة الانتداب عن تحقيق مبادئ العدالة والانسجام المطلوب بين من يتولى الوظائف من سكان فلسطين ونسبته العددية ولو أنها حققت مبدأ تكافؤ الوظائف مع النسبة العددية لما زادت نسبة الموظفين اليهود عن ١٠ ٪ ولكنها أهدرت كفاءة العرب من ناحية ، وأهدرت كثرتهم العددية من ناحية أخرى .

ففى سنة ١٩٢٦ كان فى حكومة فلسطين ١٩٠ موظفاً بريطانيا يمثلون ٥٢ ٪ من عدد جميع موظفى الحكومة ويتقاضون ٦٧ ٪ من مجموع

(١) أكرم زعيتر — القضية الفلسطينية ص ١٤٤ وقد نقلنا عنه ما أثبتناه عن المنظمات الثلاثة .

المرتبات وإلى جانبهم ٣٥ موظفاً يهودياً يمثلون ١٠٪ من عدد الموظفين ويتقاضون ٧٪ من مجموع المرتبات •

وفي سنة ١٩٣٦ قفز عدد الموظفين الانجليز إلى ٢٩٣ موظفاً وعدد الموظفين اليهود إلى ٧٠ موظفاً عدا موظفى المعارف اليهودية الذين كانوا جميعاً من اليهود •

و في ٢٠ يولية سنة ١٩٤٧ نشرت جريد فلسطين بياناً عن الوظائف في عشر دوائر حكومية هي السكرتارية العامة والمطبوعات ومطبعة الحكومة والطيران المدنى ومراقبة النشر والشئون الاجتماعية والإحصاء والمساحة وتنظيم المدن والبيطرة • وقد بلغ مجموع عدد الموظفين ٨٧ موظفاً من بينهم ٨ من العرب و ٢٣ من الإنجليز والباقي من اليهود وفي هذا ما يؤكد أن العرب لم تصل نسبتهم إلى ١٠٪ •

وقد اعترفت تقارير اللجان التي انتدبتها حكومة فلسطين للتحقيق في أسباب الاضطرابات التي وقعت في البلاد بأن حكومة الانتداب قد غمطت الفلسطينيين حقهم في الوظائف وحابت اليهود وجعلت عدد الموظفين منهم أكثر من نسبتهم العددية •

وتحقيقاً لهذه السياسة كان جميع حكام الألوية « المديرات » وحكام المدن « المراكز » من الإنجليز ، وكان قضاة المحاكم الأول ورؤسائها من الإنجليز وكان مديرو المعارف والعدل والزراعة والأمن العام والمالية والجمارك من الإنجليز ومديرو الهجرة والسفر والأراضى من اليهود الإنجليز •

وإذا استنناغ منطق السياسة أن يكون مدير الأمن العام إنجليزياً فكيف يستسيغ أن يكون مدير المعارف إنجليزياً في حين أن طلبة المدارس وطالباتها ومعلميها ومعلماتها ونظارها ونظاراتها ومفتشى المواد المختلفة من العرب ؟

وهكذا أدار الإنجليز بالاشتراك مع اليهود شئون فلسطين الداخلية وأداروها وحدهم في الشئون الخارجية وتعهدوا حرمان العرب الوظائف الرئيسية والمناصب الهامة وجعلوا من نصيبهم الوظائف الصغيرة والمراكز الثانوية التي لا تسمن ولا تغنى من جوع *

الضغط السياسي على عرب فلسطين

ومقاومة الحكم الذاتى

على أثر قرار مجلس الحلفاء الأعلى في ٢٠ أبريل سنة ١٩٢٠ بوضع فلسطين تحت انتداب بريطانيا على أن تلتزم بتنفيذ وعد بلفور ألقت الحكومة البريطانية في فلسطين إدارة مدنية بدلا من الإدارة العسكرية وعينت السير هربرت صموئيل اليهودى أول مندوب سام لها ومنذ ذلك الحين أخذت تمارس سياسة الضغط على عرب فلسطين بصورة تختلف تمام الاختلاف عن حالات انتدابها على بعض الأقطار الأخرى حيث كانت في انتدابها على فلسطين محتلة مستعمرة وكان انتدابها اسماً بلا معنى ولفظاً بلا معنى أهدرت فيه الحقوق ، وجونب العدل ، وحراب الحق وسلب أبناء البلاد حقهم المشروع في ممارسة الحكم الذاتى كما سلبوا من قبل حق الإدارة والتشريع في بلادهم *

وأى ضغط أشد من أن ينعت عرب فلسطين وهم الكثرة الكاثرة بأنهم الطوائف غير اليهودية ؟

وأى ظلم أكبر من أن تتجاهلهم الدولة المنتدبة فلا تعترف بهيئة تمثلهم ؟

وأى عسف أكثر من أن تلجأ الحكومة للقوة لتمنع مؤتمراً يعقد ، وحفلا يقام ؟

لقد حكمت بريطانيا فلسطين بالحديد والنار وكان منطق القوة هو المنطق الذى تسوس به البلاد *

كتمت الأفواه ، وأخرست الألسنة ، وحطمت الأقلام ، وحاربت حرية الرأي وفرضت الرقابة المشددة على المطبوعات والنشر والصحف والإذاعة وكثيراً ما راقبت المساجد في أيام الجمع وحشدت على أبوابها القوات المسلحة من الجنود والشرطة ، ومن كل ذلك أحس العرب إحساساً حقيقياً بأن اليهود على مر الزمن سيصبحون أكثر منهم عدداً ، وأنهم لا يهددونهم في أرزاقهم فحسب بل يهددونهم أيضاً بالجلاء العاجل عن وطنهم ، وضاعف من هذا الإحساس موقف حكومة الانتداب المتحيز لليهود . وهكذا ران على قلوب العرب في فلسطين شعور بالمرارة والأسى وساد القلق حياتهم وأخذوا يوطنون أنفسهم على الكفاح الطويل من أجل المحافظة على كيانهم ووطنهم وعروبنتهم ومن أجل أن يظلوا أصحاب البلاد لا يشاركون فيها هؤلاء الدخلاء الذين يتدفقون على البلاد كل يوم .

وكان لهذا القلق النفسى الذى تسبب عن الموقف السياسى أثر كبير فى تركيز أفكار الشعب الفلسطينى عامة فى مقاومة الخطر السياسى باعتباره مسألة حياة أو موت بالنسبة للشعب والتخلى عن ميادين العمل الأخرى مؤقتاً حتى يطمئن الشعب على مصيره .

ولهذا اتجه الفكر والأدب والعلم والفن والتاريخ إلى المعركة واتجه كل مفكر وأديب وعالم إلى ميدان السياسة أو ميدان الكفاح لأن حياة فلسطين غدت معركة ولا بد لكل إنسان أن يغذى هذه المعركة ويسهم فيها بجهدده .

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

انتعشت الحياة الاقتصادية انتعاشاً ملموساً بعد الانتداب بالنسبة لما كانت عليه في العهد العثماني ، فتضاعفت المحاصيل الزراعية نتيجة تقدم وسائل الزراعة وتجديدها وتضاعف نتاج الموالح « البرتقال والليمون واليوسفي » وهي المورد الأول للثروة في البلاد وأصبحت تصدر إلى موانئ بريطانيا وفرنسا وغيرها من دول أوروبا ، وزادت مساحة الأرض الصالحة للزراعة .

وتنوعت المحاصيل الزراعية في البلاد وفتحت الأسواق الخارجية أمام تصديرها وتولت حكومة الانتداب تصريف المحصول الزائد عن حاجة البلاد وأخذت هي أولاً ما تحتاج إليه وصدرت ثانياً مازاد عن حاجتها .

وفتحت أسواق جديدة كانت مغلقة في العهد العثماني إذ وجد أبناء فلسطين أسواق مصر وسورية ولبنان مفتحة الأبواب أمام سلعهم وتجاراتهم .

وقامت الصناعات المختلفة في البلاد على أثر توليد الكهرباء وبلغ عدد المصانع التي تدار بالكهرباء ٣١٣ مصنعا ، وتنوعت الصناعات واستثمرت رؤوس الأموال في الشركات الصناعية .

ونظمت حكومة الانتداب المواصلات فقامت بإنشاء بعض السكك الحديدية التي تربط بين كثير من مدن فلسطين ، وبين فلسطين وشقيقاتها من الأقطار العربية المجاورة .

ونظمت أيضاً شبكة الطرق الداخلية التي تربط أجزاء البلاد بعضها ببعض بتعبيد الطرق وجعلها صالحة للسيارات . وفسح المجال أمام عدد من العمال . ولكن ذلك لم يشمل جميع الطرق ، ولم يعم كل القرى .

وازدهرت التجارة ونشطت حركة النقل وتضاعف عدد المشتغلين بالتعليم والطب والقانون وأنشئت المستشفيات التي يعالج فيها أبناء الشعب من الأمراض المختلفة •

ولكن التقدم الاقتصادي عند اليهود كان أكبر منه عند العرب لأن حكومة الانتداب جرياً على سياستها المرسومة كانت دائماً تشجع الاقتصاد اليهودي وتنميه ، وتحارب الاقتصاد العربي وتقف في طريق نموه • وفى مجال الصناعة أخذت حكومة الانتداب تحارب الصناعة العربية وتشجع الصناعات اليهودية بالمساواة وبالسماح بالاستيراد ثانياً وبضمان التصدير للأسواق الخارجية ثالثاً •

وحمت حكومة الانتداب الصناعة اليهودية فكانت تقرض رسوماً جمركية عالية على المصنوعات المستوردة التي لها نظير عند اليهود في البلاد ووجد عدد كبير من العمال العرب مجالات للعمل ، وتفاضوا أجوراً تساوى أضعاف ما كانوا يتقاضونه أيام الأتراك فيما لو وجدوا أعمالاً •

وأنشئت شركات ومؤسسات عربية برؤوس أموال عربية ، واستخدمت عدداً كبيراً من الموظفين العرب ، وفى مقدمة هذه المؤسسات البنك العربي وبنك الأمة العربية وصندوق الأمة وشركات السيارات بين المدن المختلفة وبينها وبين القرى • والشركات التعاونية •

ولكن حكومة الانتداب أيضاً غمطت عرب فلسطين حقهم فى فرص العمل وعدد العمال ومقدار الأجور فكانت تعطى القسم الأكبر من المشروعات العامة للشركات اليهودية ، وتحرم العرب معظم المشروعات وإذا استخدمت عدداً من العمال العرب دفعت للعامل العربي نصف الأجر الذى تدفعه للعامل اليهودي • كما أنها تستخدم العمال اليهود بنسبة أكبر من النسبة التى تستخدم بها العمال العرب مع أنهم يمثلون غالبية السكان •

وقد أتى هذا التقدم الاقتصادي عند العرب في فلسطين أطيب الثمرات وأدى إلى انتشار الثقافة والتعليم في البلاد فزاد عدد المدارس زيادة ملحوظة وأقبل أبناء فلسطين عليها بنهم وأسهمت القرى العربية في بنائها وتأسيسها ومرتببات مدرسيها .



أما الحياة الاجتماعية فقد ازدهرت في أثناء الانتداب البريطاني حيث ارتفع الدخل لدى كل فرد ، واستيقظ الوعي السياسي والفكري في المدن والقرى ، وجرفت المدنية الحديثة قسماً قليلاً من سكان المدن على حين بقيت القرى وبعض الأسر في المدن محافظة على الموروث من أخلاقها وصفاتها لم يبهرها بريق الحضارة ، ولم يفسد عليها حياتها .

واقتمت الفتاة الفلسطينية ميدان العلم الذي كان مقصوراً على الفتيان وحدهم إذ كانت الأسر العريقة تتولى تعليم فتياتها عن طريق الدراسة الخاصة في المنازل ؛ فذهبت الفتيات للمدارس كالفتيان ووفدن للدراسة في جامعات القاهرة وبيروت وأوروبا .

ولقد كان في فلسطين صحافة حية واعية وكتاب وأدباء وشعراء ومحامون وكاتبات وأديبات وشواعر ومحاميات وأطباء ومهندسون ومستشفيات أهلية أنشأها أطباء من العرب على حسابهم الخاص وكان في البلاد عدد ضخم من الأندية والجمعيات الثقافية والرياضية والأدبية وفرق الكثافة والأشبال والمرشدات .

الحياة الفكرية والأدبية

منذ ابتليت فلسطين بالاحتلال الإنجليزي سنة ١٩١٨ ، وأنشئت بها إدارة عسكرية تولت تصريف الأمور من بدء الاحتلال إلى سنة ١٩٢٠ ، حيث تحول الحكم العسكري إلى حكومة مدنية يديرها مندوب سام بريطاني ، أخذت حكومة الانتداب على عاتقها مهمة الإنفاق على المدارس العربية واليهودية ولكنها أدارت المدارس الأميرية العربية إدارة مباشرة وتركت لليهود إدارة مدارسهم الأميرية .

ومنذ أن تم للإنجليز احتلال البلاد أخذوا يتوسعون في نشر التعليم ويزيدون من عدد المدارس بعد أن جعلوا اللغة العربية لغة التدريس وأدخلوا في المدارس وسائل التربية الحديثة .

وهكذا أصبح عدد المدارس العربية الحكومية ٢٤٤ مدرسة في سنة ١٩٢٠ وأخذ يتزايد سنة بعد أخرى حتى بلغ ٥١٤ مدرسة في سنة ١٩٤٥ .

وكان عدد المدارس اليهودية الحكومية ١٣٧ مدرسة في سنة ١٩٢٠ فأصبح ٥٣٧ في سنة ١٩٤٥ وإلى حكومة الانتداب يرجع السبب في ارتفاع عدد مدارس اليهود عن العرب لأنها تعمدت أن تدير المدارس العربية إدارة مباشرة .

ومن أجل هذا اتجه عرب فلسطين إلى سد النقص من هذه الناحية وأنشأوا بأموالهم الخاصة ، مدارس وطنية « حرة » بلغ عددها ٣١٣ مدرسة في سنة ١٩٤٥ (١) . وأسهم عرب فلسطين أيضاً في إنشاء المدارس الحكومية العربية في المدن والقرى فكانوا يتبرعون بالأرض التي تبني

(١) ساطع الحصري - حولية الثقافة العربية السنة الثانية - سنة

عليها المدرسة ، ويتبرعون بالمال اللازم للبناء والأثاث الضروري للمدرسة ، وتقدم الحكومة بعد ذلك الكتب والأدوات المدرسية وتدفع مرتبات المدرسين وقد أنشئت معظم المدارس الحكومية في قرى فلسطين بهذه الطريقة •

بل وصل الأمر إلى أنه حين كان يحدث عجز في عدد المدرسين في هذه المدارس وتعجز ميزانية الحكومة عن سده تسده القرية وتدفع مرتبات بعض المدرسين • وتدفع أيضاً المال اللازم لزيادة عدد حجر الدراسة بالمدرسة إذا ضاقت بطلاب القرية أو أنشئ فيها صف أعلى •

ودل إقبال أهل القرى الفلسطينية على التبرع من أجل تشييد المدارس والمعاهد ودور العلم على وعى عظيم وتقدير لقيمة العلم وأهميته في الحياة إذ جمعوا ٤٢٦ر٥١٢ جنيهاً في المدة الواقعة بين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٥ •

ودل الإحصاء على أن عدد الذين أصبحوا يعرفون القراءة والكتابة من أبناء القرى ممن في سن السابعة فما فوقها كان أكثر من ٣٠ ٪ أما في المدن فكانت النسبة تتراوح بين ٤٠ و ٤٥ ٪ ، وهي أعلى نسبة في البلاد العربية باستثناء لبنان (١) •

وفي سنة ١٩٤٦ بلغ عدد المدارس العربية في فلسطين ٨٢٧ مدرسة منها ٥١٤ مدرسة حكومية و ٣١٣ مدرسة حرة ولكن معظم المدارس الحكومية التي أنشأتها حكومة الانتداب كانت ابتدائية أما المدارس الثانوية فكانت محدودة لم توجه إليها حكومة الانتداب عنايتها فظل عددها قليلاً جداً لا يتناسب مع عدد الطلبة الذين يتمون المرحلة الابتدائية •

ولم يكن في فلسطين حتى سنة ١٩٤٧ إلا خمس مدارس ثانوية

(١) على عودة - التعليم في فلسطين - مقال في مجلة القلم الجديد الأردنية - العدد الخامس يناير سنة ١٩٥٣ •

أميرية كاملة اثنتان منها في القدس ومدرسة في كل من يافا وعكا ونبلس
ونعنى بكاملة أن بها الصف الثانوى الرابع الذى ينال الطالب فى نهايته
شهادة إتمام الدراسة الثانوية أما بقية المدن الفلسطينية فكان فيها الصف
الأول والثانى الثانويان فقط •

وقد سد عرب فلسطين النقص فى هذا التعليم بإنشاء المدارس
الثانوية الحرة ذات الصفوف الثانوية الأربعة •

واندفع فتيان عرب فلسطين وفتياتهم إلى التعليم الجامعى فى البلاد
العربية الشقيقة بكثرة وإلى الجامعات الأوربية بقلّة ، فاتجه فريق منهم
إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت وثن إلى الأزهر ودار العلوم وجامعة
القاهرة هذا إلى جانب من أخذت توفدهم حكومة الانتداب فى بعثات من
المتفوقين إلى بلادها أولا وإلى جامعتى بيروت والقاهرة ثانيا ، ولكن
الكثرة من أبناء الشعب الفلسطينى اندفعت للتعليم الجامعى على حسابها
الخاص يغذيها شعور وطنى قومى يؤججه أولا الظلم والعسف والقوانين
الجائرة التى فرضها الانتداب على أهل فلسطين ، وثانيا التنافس الشديد
بين العرب واليهود فى مضمار العلم والثقافة ، وثالثاً قيام الجامعة العبرية
فى القدس (١) • ورابعا ظلام الجهل الذى غشى سماء البلاد فى أثناء الحكم
العثمانى • وعاد هؤلاء المبعوثون والدارسون إلى البلاد يحملون مشاعل
النور ويضيئون لأمتهم وبلادهم سبل الحضارة والمدنية •

وقد تحكمت حكومة الانتداب فى منهج اللغة العربية فى المدارس
الأميرية الابتدائية والثانوية ، وأخضعت لرقابتها واستبعدت من المطالعة
والنصوص الأدبية ما يتغنى بأمجاد العرب وبطولاتهم وعزهم الغابر وما

(١) أنشأ اليهود جامعتهم العبرية فى القدس فوق جبل الزيتون
« سكوبس » سنة ١٩٢٥ وشهد اللورد بلفور مبرم الوعد المشؤوم حفل افتتاحها
فى ٢٥ مارس من تلك السنة وقوبل من عرب فلسطين ببوجة عارمة من
السخط والاضراب العام •

يغذى الروح القومية في الطلبة ويضرم في نفوسهم حب الوطن والبذل والتضحية • ونقصت من عدد حصص فروع اللغة العربية لتندعم لغتها الإنجليزية •

وغمطت مدرسى اللغة العربية وبخاصة الذين تخرجوا في دار العلوم بالقاهرة (١) حقوقهم فلم تعرف لهم مكانتهم ، ولم تقدرهم التقدير المادى الذى يستحقونه ، ولم تضعهم في الأمكنة الملائقة بهم ، وكثيراً ما عينت مدرسين للغة العربية من الذين لم تؤهلهم دراستهم لتدريس فروع اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب •

وخلاصة القول أن فلسطين في ظل الانتداب البريطانى عانت نقصا كبيراً في التعليم الثانوى ، وحرمت التعليم الجامعى والدراسة العالية • فكان عدد كبير من الطلبة يnehون المرحلة الابتدائية ولا يجدون أمكنة في التعليم الثانوى فيضطر قسم منهم للوقوف عند هذا المقدار من التعليم وإذا وجدوا أمكنة فينبغى أن يكونوا قادرين على الإنفاق على أنفسهم في المدينة بعد انتقالهم إليها من القرية وهذه عقبات ليس في وسع كل شخص أن يتغلب عليها • وأن الازدهار العلمى والثقافى في البلاد لم يكن نتيجة التعليم الحكومى بل نتيجة اندفاع عرب فلسطين للتعليم على حسابهم الخاص •

ونتيجة للازدهار العلمى والثقافى في البلاد ازدهرت الحياة الأدبية في فلسطين ، وأسهم أبناءها في النهضة العامة التى شعت على البلاد العربية في الربع الأول من القرن العشرين فصالت أقلام فلسطينية في

(١) تخرج من أبناء فلسطين في دار العلوم بالقاهرة من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٧ حوالى ٣٠ خريجاً يمثلون نصف عدد أبناء الأقطار العربية الذين تخرجوا في الدار وتولى خريجو الدار من أبناء تلك الأقطار في بلادهم مناصب الوزراء والسفراء ووكلاء الوزارات ومديرى المناطق في حين ظل خريجو الدار من أبناء فلسطين اما مدرسين في المدارس الثانوية واما مفتشين . محمد عبد الجواد — تقويم دار العلوم — ص ٥٠٤ — ٥٠٥ .

ميادين الأدب • وتألقت كواكب في سماء الفكر ، ولمعت أسماء على صفحات المجالات الأدبية التي كانت تصدر في حواضر العروبة • وصدرت صحف يومية وأسبوعية ، وأنشئت جمعيات وأندية أدبية وثقافية في جميع مدن فلسطين وكثير من قراها •

ففى مدينة يافا وحدها كانت تصدر خمس صحف فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٣٧ ثلاث منها يومية وهى فلسطين التى استأنفت صدورها بعد الحرب العالمية الأولى كما أسلفنا ، والجامعة الإسلامية التى أصدرها الشيخ سليمان التاجى الفاروقى ، والدفاع التى أصدرها الأستاذ إبراهيم الشنطى (١) •

واثنتان أسبوعيتان هما الصراط المستقيم التى أصدرها الشيخ عبد الله القلقبلى ، والإقدام التى أصدرها طانيوس نصر • وفى مدينة القدس كانت تصدر جريدة الجامعة العربية ، وتلتها جريدة اللواء ، وجريدة الوحدة •

ومن المجالات صدرت مجلة العرب فى القدس أصدرها الأستاذ عجاج نويهض ، والفجر فى مدينة يافا أصدرها الأستاذ محمود سيف الدين الإيرانى •

وكان فى مدينة يافا فرقة الكشافة الإسلامية المتجولة ، والنابى الرياضى الإسلامى ، وجمعية الشبان المسلمين ، والنابى الأرثوذكسى ، وجمعية الهداية الإسلامية •

وفى سنة ١٩٣٣ والسنوات التى تلتها انتعشت الحياة الأدبية فى فلسطين انتعاشاً ملحوظاً ، إذ أخذت صحف مصر تصل إلى فلسطين

(١) استأنفت جريدة فلسطين صدورها فى القدس بعد المساء وكذلك جريدة الدفاع وتوالى الصديقتان صدورهما يومين فى القدس •

بانتظام ، وأخذت المجلات الأدبية تغمر مدن فلسطين ، وفي طليعة هذه الصحف الأهرام والجهاد ، وفي مقدمة المجلات الرسالة والثقافة •

وكان لمجلة الرسالة تأثير أدبي كبير إذ كان المثقفون والطلبة من أبناء فلسطين ينتظرونها بشوق ولهفة ، ويعكفون على قراءة كل مقالة من مقالاتها ويتأثرون بها مدرسة أدبية من ناحية الأفكار والأساليب •

وفي سنة ١٩٣٦ أنشئت في البلاد إذاعة وأشرف على القسم العربي بها شاعر فلسطين المطبوع إبراهيم طوقان • وقد وجهت هذه الإذاعة الدعوة إلى أقطاب الفكر والبيان في العالم العربي ليذيعوا الأحاديث ويلقوا الكلمات في مجالات الأدب والفكر المختلفة •

وكذلك وجهت الجمعيات والأندية الأدبية والثقافية الدعوة إلى لفييف من المشتغلين بالأدب والثقافة ليلقوا محاضرات فيها • هذا إلى جانب من كانت توجه إليهم الدعوات في حفلات تأيين الشعراء والكتاب والمجاهدين من أمثال شوقى والكاظمى والزهاوى وغيرهم •

وممن زار فلسطين من مصر طه حسين والعقاد والمازنى وعبد الوهاب عزام ومنصور فهمى والشيخ عبد الوهاب النجار ومن سورية عمر أبو ريشة ومن لبنان بشارة الخورى ومن المغرب العربى عبد العزيز الثعالبى وغيرهم •

على أننا لا بد أن نسجل حقيقة غابت عن أذهان الكثير من المهتمين بالأدب ، وهى أن الأدب الفلسطينى بعامه لم يجد طريقه للظهور كما وجد الأدب المصرى والسورى والعراقى واللبنانى ، أو كما وجد الأدب فى الأقطار العربية ولم يتح لجمهور القراء أن يطلعوا عليه إلا فى القليل النادر ، ومن أسباب ذلك أن الثورات التى اشتعلت فى فلسطين كانت مستعرة لا يخبو لها أوار ، فما كانت تتخذ ثورة إلا لتشتعل أخرى واستمرار هذه الثورات وجه الطاقة الفكرية والوجدانية فى البلاد للجهاد

المسلح جهاد الصهيونية العالمية وجنود بريطانيا الذين حشدتهم في فلسطين لحماية الصهيونية .

وقد حرمت هذه الثورات فلسطين من أن تنعم بفترة من الراحة والطمأنينة التي نعمت بها الأقطار الشقيقة مصر وسورية والعراق ولبنان . وإلى جانب ذلك لم يكن في فلسطين مجلة أدبية خرجت عن النطاق المحلي إلى آفاق العالم العربي . ومجلة العرب ومجلة الفجر اللتان أسلفنا القول فيهما لم تتجاوزا حدود فلسطين .

وكان أكثر الكتاب والشعراء من أبناء فلسطين لا يجدون أمامهم مجالاً لنشر أدبهم إلا صحف فلسطين اليومية التي لا يطلع عليها إلا أبناء فلسطين وحدهم وظل هذا إلى أن ظهرت مجلة الرسالة والثقافة والأديب فبدعوا ينشرون فيها ألواناً من أدبهم .

وأكتفى للتدليل على صحة الحقيقة التي أشرت إليها بمثال واحد هو شاعر فلسطين إبراهيم طوقان وهو شاعر موهوب متنوع الطاقة الفنية قوى الصياغة رائع التصوير متعدد الأغراض صور محنة بلاده ، وناضل ضد الانتداب ، وبصر قومه بالمستقبل وتنبأ بحدوث الكارثة . وقد ظل يرسل صيحاته المدوية في دنيا العرب من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٤١ .

هذا الشاعر لا يعرف عنه جمهور الأدباء في مصر إلا القليل والذين اطلعوا على شعره قلة ضئيلة جداً من أعلام الفكر الذين عنوا بالشعر ونقده ولهذا لم يكتب عنه ناقد مصري كلمة ولم يتحدث عنه أى مؤلف في كتب الأدب والنقد التي ظهرت (١) .

(١) لم أقرأ مختارات من شعر الشاعر في كتاب من كتب الأدب والنقد الا رائعته « الشهيد » في كتاب دراسات أدبية للاستاذ عمر الدسوقي في مقالة عن الوطنية في شعر الشباب العربي أثناء حديثه عن محنة فلسطين من ص ١٢٣ الى ١٢٦ .

وأبو القاسم الشابي شاعر تونس شاعر موهوب وقد عاصر إبراهيم طوقان وبينهما مشابهة دفعت النقاد إلى تأليف كتب تناولت شاعرية الشعارين وما بينهما من اتفاق واختلاف والشابي معروف لدى جمهور الأدباء في مصر لا تجد شادياً من الشادين في الأدب لا يحفظ له عدداً من القصائد في مقدمتها قصيدته « إرادة الحياة » التي مطلعها :

إذا الشَّعْبُ يوماً أراد الحَيَاةَ فلا بدَّ أنْ يستجيبَ القَدَرُ
ولا بدَّ لِلَّيْلِ أنْ ينجلي ولا بدَّ لِلقَيِّدِ أنْ ينعكس
وقصيدته « صلوات في هيكल الحب » وقل أن تجد من يحفظ
لطوقان قصيدة .



وعلى الرغم من الظلمة الحالكة التي غشت فلسطين أيام العثمانيين ، وخلو البلاد من المعاهد العالية والكليات الجامعية • وتتابع الثورات التي حولت فلسطين إلى ميادين قتال وساحات حروب ، مع كل أولئك فمن ذلك القطر الصغير تألقت نجوم ، وتوهجت كواكب في سماء الأدب والفن فيهم الشعراء والنقاد وكتاب المقالة والبحث والقصة والمسرحية والمترجمون والمؤلفون في كل نواحي المعرفة وحسبى أن أشير إلى هؤلاء الأعلام البارزين .

أولاً — في الشعر :

إبراهيم الدباغ (١) — إبراهيم طوقان (٢) — فدوى طوقان (٣) —

(١) له ديوان الطليعة في جزأين .
(٢) له ديوانه المعروف بديوان إبراهيم .
(٣) لها ثلاثة دواوين : وحدي مع الأيام — وجدتها — اعطنا حبا .

عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) (١) — عبد الرحيم محمود (٢) — محمود
سليم الحوت (٣) — هارون هاشم رشيد (٤) — علي هاشم رشيد (٥) —
محمد العدناني (٦) — يوسف الخطيب (٧) — معين بسيسو (٨) *

ثانياً — في القصة :

محمود سيف الدين الإيراني (٩) — نجاتي صدقي (١٠) — سميرة
عزام (١١) *

ثالثاً — في البحث والمقالة :

إسحاق النشاشيبي (١٢) — خليل السكاكيني (١٣) — أحمد سامح
الخالدي (١٤) — إسحق موسى الحسيني (١٥) — أكرم زعيتر (١٦) *

- (١) له ديوانان : المشرّد — أغنيات بلادي .
- (٢) له ديوانه المسمى بديوان عبد الرحيم محمود .
- (٣) له ديوانان : المهزلة العربية — ملاحم عربية .
- (٤) له أربعة دواوين : مع الغرباء — عودة الغرباء — غزة في خط
النار — أرض الثورات .
- (٥) له ديوان أغاني العودة .
- (٦) له ديوان اللهب .
- (٧) له ديوانان : العيون الظماء للنور — عائدون .
- (٨) له ثلاثة دواوين : المعركة — السنابل — الأردن على الصليب .
وهذه الدواوين مطبوعة في القاهرة ودمشق وبيروت وعمان وبغداد .
- (٩) له مجموعتان قصصيتان : أول الشوط — مع الناس .
- (١٠) له : الأخوات الحزینات .
- (١١) لها مجموعتان قصصيتان : أشياء صغيرة والظل الكبير .
- (١٢) له : كلمة في اللغة العربية — العربية وشاعرها الأكبر — البطل
الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي — مقام ابراهيم — الاسلام
الصحيح .
- (١٣) له : ما تيسر في جزأين — سرى — وعليه قس — يوميات
السكاكيني .
- (١٤) من كتبه : ادارة الصفوف — أركان التدريس — أنظمة التعليم —
أهل العلم بين مصر وفلسطين — رحلات في ديار الشام — المعاهد المصرية
في بيت المقدس .
- (١٥) من كتبه : رأى في تدريس اللغة العربية — علماء المشرقيات في
انجلترا — مذكرات دجاجة — العروض السهل — هل الأدباء بشر ؟ —
أزمة الفكر العربي .
- (١٦) من كتبه : القضية الفلسطينية .

رابعاً — في الترجمة :

• محمد عادل زعيتر (١) — أحمد سامح الخالدي — خليل بيدس •

خامساً — في السياسة والتربية والتاريخ :

أحمد سامح الخالدي — أحمد خليفة — أكرم زعيتر — درويش

مقداري — رفيق التميمي — عارف العارف (٢) — قدرى طوقان (٣) —

• محمد عزت دروزه (٤) •

سادساً — في الأدب والنقد والترجمة والثقافة العامة :

أحمد سامح الخالدي — إسحق موسى الحسيني — إحسان

عباس (٥) — محمد يوسف نجم (٦) •

وقد تجاوزت شهرة هؤلاء الأعلام حدود فلسطين بما أثروا به

المكتبة العربية من آثارهم الخالدة (٧) •

(١) من مترجماته عن جوستاف لوبون : حضارة العرب — حضارات

الهند — اليهود في الحضارات الأولى — روح الاشتراكية — روح السياسة — الآراء والمعتقدات •

(٢) من كتبه : تاريخ غزة — الموجز في تاريخ عسقلان — تاريخ القدس —

النكبة « نكبة بيت القدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ — ١٩٥٢ » •

(٣) من مؤلفاته :

١ — تراث العرب العلمي ٢ — نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية

٣ — الكون العجيب ٤ — الأسلوب العلمي عند العرب ٥ — بين العلم

والأدب ٦ — جمال الدين الأفغانى ٧ — العيون في العلم ٨ — بعد النكبة

٩ — وعى المستقبل ١٠ — الخالدون العرب •

(٤) من مؤلفاته :

١ — حول الحركة العربية في ٦ أجزاء ٢ — الوحدة العربية ٣ — القرآن

والمرأة ٤ — القرآن واليهود ٥ — مختصر تاريخ العرب والإسلام •

(٥) من مؤلفاته :

١ — فن الشعر ٢ — أبو حيان التوحيدى ٣ — الشريف الرضى

٤ — العرب في صقلية ٥ — عبد الوهاب البياتى والشعر العربى الحديث •

ومن الدواوين التى حققتها — ديوان القتال الكلابى — ديوان الرصافى

البلنس — ديوان بن حمديس الصقلى •

(٦) من مؤلفاته :

١ — فن المقالة ٢ — القصة فى الأدب العربى الحديث ٣ — المسرحية

فى الأدب العربى الحديث ٤ — المسرح العربى — دراسات ونصوص •

ومن الدواوين التى حققتها :

ديوان أوس بن حجر — ديوان عبد الله بن قيس الرقيات •

(٧) أنظر كتابنا : الأدب العربى المعاصر فى فلسطين — دار المعارف —

القاهرة — سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية رقم ٧٦ •

الفصل الثالث

كفاح فلسطين الوطنى

أدوار الكفاح

- ١ — من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٣١
- ٢ — من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٧
- ٣ — من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٣٩
- ٤ — من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٤٥
- ٥ — من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٧

صدام سنة ١٩٢١ — حادث البراق — المؤتمر الإسلامى — وفاة
موسى كاظم الحسينى — أحزاب فلسطين — عز الدين القسام — ثورة
فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٦ — لجنة بيل توصى بتقسيم فلسطين — الثورة
على التقسيم والعدول عنه — الكتاب الأبيض — فلسطين تجاهد وحدها
أولا — الدول العربية تساعد فلسطين — دور المرأة الفلسطينية فى
الكفاح — فلسطين فى أثناء الحرب العالمية الثانية — موقف اليهود — موقف
بريطانيا — موقف عرب فلسطين — مولد الجامعة العربية — انتهاء الحرب
وأثره فى فلسطين — فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية — هدم سياسة
الكتاب الأبيض — تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية — مؤتمر أنشاص —
مؤتمر لندن •

الفصل الثالث

كفاح فلسطين الوطنى

خرج عرب فلسطين من غمار الحرب العالمية الأولى مثنخين بالجراح فقد التهمت الآلاف من أبنائهم الذين سقطوا فى ميادين القتال ، ودمرت مدنهم ، وأبادت زراعتهم ، وأفسدت اقتصادهم لأن بلادهم كانت ميدان الصراع •

ولم يكن لفلسطين كيان ذاتى مستقل ، بل كانت قسماً من الشام واشترك أبنائها فى الجمعيات السرية والمنظمات الوطنية مع إخوتهم العرب وكان منهم ممثلون فى العهد العثمانى بهذا الاعتبار •

وما كادوا يودعون أعوام الحرب السود بما فيها من مآس وفواجع وزفريات وموجعات ، حتى وجدوا أنفسهم محتلين من بريطانيا التى استولت على بلادهم لتقيم فيها الوطن القومى اليهودى •

ومن خلال هذه المآسى والآلام وجد عرب فلسطين الذين لم يتجاوز عددهم يومئذ ٦٥٠ ألف نسمة أنفسهم فى معركة غير متكافئة • معركة لا يقفون فيها أمام عدو واحد ولا يقاتلون فى جبهة واحدة بل يقفون أمام عدوين ويقاتلون فى جبهتين ويناضلون خصمين جبارين لا نبالغ إذا وصفناهما بأنهما أقوى قوتين على ظهر الأرض — الصهيونية العالمية بنفوذها وسلطانها ومواردها الضخمة ومنظماتها المنتشرة فى أنحاء العالم ، وبريطانيا العظمى بجيوشها وأساطيلها — ومع قلة عدد عرب فلسطين وضعف وسائل دفاعهم وقلة مواردهم وما خلفته فيهم الحرب من دمار ، مع كل ذلك قاوموا وجاهدوا وقاتلوا العدو وحاربوا فى الجبهتين وأعدوا لكل عدو عدته وثبتوا لم يهنوا ولم يضعفوا •

أدوار الكفاح

اتخذ كفاح عرب فلسطين مظاهر متعددة وأساليب مختلفة تطورت بتطور الوعي ، وتقدمت بتقدم الفكر ، وتغيرت بتغير الظروف، وتشكلت بما يتفق مع الأخطار •

وكانت هذه المظاهر تتراوح بين اللين والعنف والشدة والضعف وفقا للأحداث •

ومجارة منا لبعض المؤلفين الذين تناولوا بالتفصيل تاريخ أدوار الكفاح الفلسطيني نقسم هذه الأدوار إلى سبعة (١) •

نتناول منها في القسم الأول من الكتاب خمسة وفي القسم الثاني اثنين •

وهذه هي الأدوار حسب ترتيبها الزمني :

الدور الأول من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٣١

الدور الثاني من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٧

الدور الثالث من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٣٩

الدور الرابع من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٤٥

الدور الخامس من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٧

الدور السادس من سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٤٩

الدور السابع من سنة ١٩٤٩ إلى سنة ١٩٥٥

(١) هو الأستاذ محمد عزت دروزه - في كتابه حول الحركة العربية الحديثة ج ٣ ، ص ٤ •

الدُّورُ الأوَّلُ

من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٣١

في هذه السنوات التي أعقبت الاحتلال جنح عرب فلسطين إلى منطِق الحجّة • ولغة الإقْتناع وأسلوب المنطق ليحملوا حكومة الانتداب على تغيير سياستها بالأدلة المستندة إلى الحق •

وتمثل الكفاح في هذه الفترة في تنظيم المقاومة بإنشاء الجمعيات والأندية وتكوين الهيئات والمنظمات واختيار هيئة سياسية تمثل البلاد وتقود حركة جهادها ، وتدعو لعقد المؤتمرات وتبعث الوفود وقد بادروا بتأليف الجمعيات الإسلامية والمسيحية إظهارا لتضامن المسلمين والنصارى ووحدة العنصرين •

وفي هذا الدور عقد ممثلو فلسطين سبعة مؤتمرات سياسية • عقد الأول في مدينة القدس في ٥ مارس سنة ١٩١٩ ومثلت فيه البلاد بمدنها وقراها وعشائرها وتقرر فيه رفض الانتداب ووعده بلفور والهجرة اليهودية والتمسك بالوحدة السورية على اعتبار أن فلسطين جزء من سورية وتسميتها بسورية الجنوبية وانتخب المثلون لجنة تنفيذية تتولى تنفيذ القرارات وإيصالها للحكومة ، وقد تقدمت هذه اللجنة بمطالب فلسطين للسلطات البريطانية فلم تعرها أى اهتمام ، ووجهت اللجنة المذكورة الدعوة لعقد المؤتمر الثانى في مدينة يافا في فبراير سنة ١٩٢٠ فحالت الحكومة دون عقده بالقوة بحجة المحافظة على الأمن واعتبر المؤتمر الثانى •

وعقد المؤتمر الثالث في حيفا في ديسمبر سنة ١٩٢٠ على أثر احتلال فرنسا لسورية وفيه أكد المؤتمرون مقرراتهم في المؤتمر الأول وتقدموا بمطلب جديد وهو إنشاء حكومة وطنية مستقلة •

وعقد الرابع في القدس في يونية سنة ١٩٢١ وفيه كرر المؤتمر أيضاً مقرراتهم السابقة وامتاز هذا المؤتمر بخطوة جديدة إذ انتخب وفداً للسفر إلى بريطانيا كان أول وفد سافر إلى لندن وقابل المسؤولين وشرح القضية الفلسطينية للأوساط الإنجليزية وأعلن مطالب عرب فلسطين ، وكان من أثر ذلك أن قرر مجلس اللوردات في ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٢ رفض الموافقة على صك الانتداب لمناقضته للوعود التي قطعتها بريطانيا للعرب سنة ١٩١٥ ولأنه لا يتفق مع رغبات عرب فلسطين ، وطلب المجلس من الحكومة إعادة النظر في سياستها ولكن الحكومة صمت آذانها عن قرار مجلس اللوردات وجرت مكاتبات بين الوفد الفلسطيني ووزير المستعمرات البريطاني انتهت بكتاب أبيض أصدره الوزير في أول يوليو سنة ١٩٢٢ حاول فيه تفسير وعد بلفور بما يزيل مخاوف العرب •

ويتضمن هذا الكتاب تأكيد وعد بلفور وتأسيس وطن قومي لليهود بما لا يعنى أن تكون فلسطين كلها وطناً قومياً لهم وأن وجود الشعب اليهودي في فلسطين حق من حقوقه لا منته •

وأن الحكومة البريطانية لا ترمى إلى جعل فلسطين يهودية كما أن إنجلترا إنجليزية ، ولا تفكر في إفناء الشعب العربي واللغة العربية وتود أن تعطى قسماً كاملاً من الحكم الذاتي في فلسطين وستؤسس في البلاد مجلساً تشريعياً ينتخب أغلب أعضائه (١) •

وفي ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٢ بادرت الحكومة بإصدار دستور فلسطين الذي يقضى بقيام المجلس التشريعي المكون من اثنين وعشرين عضواً عشرة منهم من الموظفين البريطانيين يعينهم المندوب السامي واثنان عشر يختارون بطريق الانتخاب ويكون من بينهم ثمانية من المسلمين واثنان من النصارى ومثلهما من اليهود على أن يكون المندوب السامي

(١) أكرم زعيتر — القضية الفلسطينية ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

رئيساً للمجلس وله وحده حق الموافقة على قراراته أو رفضها ، وعلى تأكيد أنه ليس من حق هذا المجلس التعرض للانتداب أو الوطن القومي •

وقد رفض عرب فلسطين قبول هذا المجلس لأنهم أقلية فيه ، ولا يتمكنون من الدفاع عن حقوقهم وقرروا مقاطعة انتخاباته مما أرغم الحكومة على سحب المشروع واقتراح مشروع آخر حيث عرضت على العرب تأليف مجلس استشاري مساو في عدد أعضائه للمجلس التشريعي فرفضه العرب أيضاً •

وفي ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٣ عرض المندوب السامي على العرب إنشاء وكالة عربية على غرار الوكالة اليهودية وكان مصير هذا العرض مصير سابقه •

وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٣ أنشأت الحكومة مجلساً استشارياً مكوناً من كبار الموظفين الإنجليز واستمرت في حكم البلاد حكماً مباشراً بواسطته حتى تخلت عن الانتداب في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ •

وعندما نوقشت الحكومة في دورتين متتاليتين لعصبة الأمم خلال عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ في الأسباب التي حالت دون إنشاء مجلس تشريعي في فلسطين يمثل فيه العرب بنسبتهم العددية ، رد مندوب الحكومة قائلاً : « إنه لا يمكن إنشاء مجلس تشريعي في فلسطين يكون فيه ممثلين على حسب عددهم لأن ذلك يحول بين الحكومة وتنفيذ الواجبات المفروضة عليها بإنشاء الوطن القومي اليهودي (١) •

وعقد المؤتمر الخامس في نابلس في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٢ على أثر عودة الوفد الفلسطيني من لندن وتميز بأمرين : أولهما انتخاب لجنة تنفيذية جديدة برياسة المغفور له موسى كاظم الحسيني ، والثاني وضع

(١) اميل الغوري — المؤامرة الكبرى ص ٣٦ .
(م ٩ — الشعر العربي الحديث)

ميثاق قومي يلزم به عرب فلسطين هذا نصه : « نحن ممثلي فلسطين أعضاء المؤتمر العربي الخامس نقسم أمام الله والأمة والتاريخ أن نواصل المساعي المشروعة لتحقيق الاستقلال والاتحاد العربي ورفض الوطن اليهودي والهجرة الصهيونية » (١) .

وعقد المؤتمر السادس في يافا في ١٦ يونية سنة ١٩٢٣ وأكد مطالبه السابقة .

وعقد المؤتمر السابع في القدس في ٢٠ يونية سنة ١٩٢٨ وقدم المطالب الآتية : حكومة نيابية — الاحتجاج على كثرة الموظفين الانجليز — الاحتجاج على منح امتياز البحر الميت لشركة يهودية — الاحتجاج على تفضيل العمال اليهود على العمال العرب في المشروعات الحكومية — وقف سن القوانين حتى تؤلف حكومة نيابية .

وخلال السنوات العشر التي أعقبت الانتداب حدثت مصادمات دموية مسلحة بين العرب واليهود وقف فيها الجنود البريطانيون إلى جانب اليهود لحمايتهم وسقط فيها عدد من الشهداء أصيب أكثرهم برصاص الجيش والبوليس ، وكانت هذه المصادمات تبدأ صغيرة ثم تكبر وتمتد من المدينة التي حدثت فيها إلى غيرها من المدن والمناطق الأخرى ثم تنتهي .

وعلى سبيل التمثيل نسوق قصتي صدامين حدث أولهما سنة ١٩٢١ في يافا بين العرب واليهود وحدث ثانيهما في القدس سنة ١٩٢٨ وهو الحادث المشهور بحادث البراق .

صدام سنة ١٩٢١

في أول مايو من كل عام يحتفل اليهود بعيد العمال وفي أثناء احتفالهم به في أول مايو سنة ١٩٢١ في مدينتهم اليهودية تل أبيب تجمهروا وتظاهروا وتقدموا نحو مدينة يافا يريدون العدوان على العرب وما كاد العرب يسمعون هتافهم حتى انقضوا عليهم وعلى القوات الحكومية التي كانت تتولى حراستهم ، واتجهوا إلى دائرة الهجرة — ومعظم موظفيها من اليهود — وفتكوا بعدد منهم ، وانتقل الخبر بسرعة إلى أنحاء البلاد فشن العرب هجوما على المستعمرات اليهودية الواقعة بين يافا وطولكرم ، وامتدت الثورة خمسة عشر يوما ، وأسفرت عن مقتل ٥٠ وجرح ١٥٠ يهوديا واستشهاد ٥٠ وجرح ٧٥ عربيا سقط معظمهم برصاص الجنود . وقد سادت الاضطرابات مدن فلسطين في هذه الفترة وقامت المظاهرات في كل مكان مما دعا الحكومة إلى تأليف لجنة تحقيق برئاسة قاضي القضاة في فلسطين « السير توماس هايكرافت » وهي أول لجنة تحقيق بريطانية تتولى التحقيق في أسباب الاضطرابات بين العرب واليهود بعد الانتداب .

وكانت بريطانيا تلجأ إلى تأليف لجنة عقب كل ثورة تشتعل أو صدام يحدث للتحقيق في أسباب الاضطرابات ونتائجها وتلافى حدوثها ، ويختار أعضاؤها دائما من البريطانيين وبذلك تجعل من نفسها خصما وحكما في وقت واحد .

وقد قدمت اللجنة السالفة الذكر تقريرها وعزت فيه أسباب الاضطرابات إلى الشعور السائد في البلاد ضد اليهود الناشئ من خطة الحكومة فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي ، وتذمر العرب من محاباة الحكومة لليهود وحرمانهم استقلالهم وصمت بريطانيا آذانها عن تقرير اللجنة في حين أوعز اليهود إلى أبواقهم في بريطانيا أن يلفقوا لرئيس اللجنة تهمة التعصب للعرب وعلى أثرها نقل من فلسطين إلى قطر آخر (١) .

جساث البراق

فى نهاىة سنة ١٩٢٨ تطورت الأحداث السىاسىة تطورا خطىرا فى البلاد حىث وقع فى تلك السنة حادث البراق الذى هز فلسطين هزة عنىفة وهز معها ملاىين المسلمىن والعرب ، وكان الشرارة الأولى التى أشعلت ثورة سنة ١٩٢٩ أول ثورة مسلحة فى البلاد ضد اليهود •

وقبل أن نلخص الحادث نشىر الى أن المادة الثالثة عشرة من صك الانتداب قضت ببقاء الحالة فى الأماكن المقدسة أيام الانتداب على ما كانت علىه أيام الحكم العثمانى ، فأراد اليهود تعىيرها فى البراق « حائط المبكى » على النحو التالى :

جدار المبكى هو الجدار الغربى للحرم الشرىف • وبداخله من جهة ساحة الحرم غرفةىقال إنها المكان الذى رىط فىه البراق لىلة الإسراء ، ولذلك عرف جدار المبكى عند اليهود « بالبراق » عند المسلمىن • وهذا الجدار جزء من الجدار الخارجى الغربى لهىكل اليهود القدىم اعتادوا زىارته ، وإقامة الصلاة فىه •

وفى مساء ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨ وهو يوم عىد الغفران عند اليهود أحضروا أدوات جدىة إلى المبكى ، وأقاموا ستارا يفصل بىن الرجال والنساء ، ونفخوا فى الصور فأثارت هذه الأعمال مخاوف المسلمىن وجعلتهم يعقدون أن اليهود ىرىدون الاستىلاء على المسجد الأقصى تدرىجىا زاعمىن أنه هىكلهم القدىم بادئىن بالجدار ، وضاعف من خطورة الحادث أن الحكومة أمرت اليهود بنزع الستار وإعادة المواد التى أحضروها فلم ىذعنوا وحقن تولى رجال الشرطة نزعه ثاروا وأخذوا ىستعدن للقىام بعمل استنزازى ىردون به على تحدى الحكومة لهم •

وأخذ الخلاف بىن العرب واليهود على البراق ىتطور حتى جاء يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٢٩ وكان يوم عىد خراب الهىكل عندهم ، فقاموا

بمظاهرة كبرى في تل أبيب رفعوا فيها الأعلام اليهودية الموشحة بالشرائط السود ، وأخذوا يهتفون بالعبرية مرددين « الحائط حائطنا » •

وفي يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٩ وكان يوم الجمعة ويوم عيد المولد النبوى الشريف خرج المسلمون بعد صلاة الجمعة في المسجد الأقصى في مظاهرة ضخمة ، واتجهوا نحو البراق وقلبوا منضدة لشماس يهودى ، وأحرقوا الأوراق التى اعتاد اليهود وضعها في ثقوب الجدار •

وفي يوم الجمعة التالى الموافق ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٩ غادرت جموع المسلمين ساحة الحرم وقامت بهجوم عام على يهود مدينة القدس ، وسرى الهياج من بيت المقدس إلى مدن فلسطين وقرأها فاندلع لهيب الثورة ضد اليهود في جميع أنحاء فلسطين •

فوقع هجوم على يهود مدينة الخليل في ٢٤ أغسطس زاد فيه عدد القتلى عن ٦٠ والجرحى عن ١٠٠ ولم يسكن المدينة يهودى بعد هذه المذبحة •

وفي ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٩ وقع هجوم آخر على اليهود في مدينة صفد سقط فيه ٥٠ يهوديا بين قتيل وجريح •

واقترح اليهود وعلى رأسهم شرطى يهودى منزل إمام مسجد في مدينة يافا وقتلوه مع أفراد أسرته الستة ومثلوا بجثثهم •

وامتدت الاضطرابات من القدس والخليل إلى يافا وحيفا وعكا ، وهاجمت المستعمرات اليهودية في كل ناحية من نواحي فلسطين وأشعلت النار في كثير منها •

ولم تستطع الحكومة يومئذ إخماد هذه الثورة بجنودها المرابطين في البلاد فاستقدمت نجدة عسكرية من الخارج • وقدرت السلطات عدد الاصابات في نهاية هذه الثورة بنحو ١٣٥ قتيلا و ٣٤٠ جريحا من اليهود

١١٦ شهيدا و ٢٤٠ جريحا من العرب سقط معظمهم برصاص الجنود والشرطة ولكن هذا العدد أقل من العدد الحقيقي الذي تعمدت السلطات كتمانها لأسباب سياسية •

وأصدرت المحاكم البريطانية في فلسطين أحكاما بالسجن على نحو ٨٠٠ عربي لمدد مختلفة وغرامات فادحة على بعض المدن جمعتها الحكومة بالقوة وأحكاما بالاعدام على ٢٠ عربيا خفف الحكم عن ١٧ شخصا منهم إلى السجن المؤبد ونفذ شنقا في ثلاثة في سجن عكا صبيحة الثلاثاء ١٧ يونية سنة ١٩٣٠ وهم الشهداء فؤاد حجازي من صفد ، وعطال الزير ، ومحمد جمجوم من الخليل الذين استقبلوا الموت بشجاعة وهتفوا بحياة أمتهم وبلادهم وأوحى إعدامهم لشاعر فلسطين إبراهيم طوقان بقصيدته الرائعة « الثلاثاء الحمراء » كما أوحى إلى شعراء الأقطار العربية بقصائد تمجدهم وتطري بطولتهم • أما اليهود فقد حكم على واحد منهم بالاعدام وهو الشرطي اليهودي الذي قتل أسرة إمام المسجد في يافا ثم خفض حكم الاعدام الى السجن لمدة عشر سنوات •

وعينت الحكومة للمرة الثانية لجنة ثانية للتحقيق برياسة قاض بريطاني سابق يدعى « المستر شو » سميت اللجنة باسمه « لجنة شو » ومعه ثلاثة نواب بريطانيين ينتمى كل نائب الى حزب •

وباشرت اللجنة عملها واستمعت الى عدد كبير من الشهود العرب والانجليز واليهود • وفي مارس سنة ١٩٣٠ أذاعت تقريرها متناولة فيه أسباب الاضطرابات ، والهجرة اليهودية ، والأراضي ، والحكم الذاتي ، وصك الانتداب والبراق •

أما بالنسبة للبراق فقد طالبت اللجنة بالاسراع في تأليف لجنة دولية من قبل مجلس العصبة بمقتضى المادة الرابعة عشرة من صك الانتداب للفصل في الحقوق المتعلقة به وقد تألفت اللجنة فعلا من ثلاثة أعضاء ينتمون إلى ثلاث دول هي السويد وسويسرا وهولندا ، وأصدرت تقريرها

متضمنا الاعتراف بملكية المسلمين للجدار لأنه جزء من الحرم ، وملكيتهم أيضا للجزء الواقع أمام الجدار وهو البراق ، على أن تقتصر زيارة اليهود على الوجه الذي كان لهم في بدء الاحتلال دون أبواب وستائر ومقاعد وغير ذلك •

وأما بالنسبة للانتداب فقد قالت اللجنة إن الصعوبات الملازمة لتصريح بلفور وصك الانتداب من العوامل ذات الأهمية في المشكلة وإصدار تصريح عن السياسة التي تنوى الحكومة اتباعها في فلسطين يساعد على تنظيم شئون الحكم في البلاد •

وأما فيما يتعلق بمشكلة الأراضي فقد ارتأت اللجنة أن ترسل حكومة الانتداب خبيرا في الأراضي واستجابت حكومة الانتداب لرأى اللجنة وعينت « السير جون هوب سمبسون » الذي قدم إلى فلسطين في ٢٠ مايو سنة ١٩٣٠ ووضع تقريره ورفعته إلى وزارة المستعمرات في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٠ وأبان فيه خطة سياسة الحكومة في الأراضي والهجرة اليهودية ، وللأسف ضاع جهده هباء كما ضاعت من قبل جهود لجنة « هايكرافت » و « شو » •

وعلى ضوء ما أسفرت عنه ثورة البراق من نتائج ، قررت اللجنة التنفيذية إرسال وفد لها الرابع إلى لندن لمراقبة الأحداث عن كثب ، وتوضيح حق العرب في إدارة بلادهم ، وتنفيذ المفتريات الصهيونية •

وتألف الوفد من السادة موسى كاظم الحسيني رئيسا وعونى عبد الهادي أمينا للسرا • والحاج أمين الحسيني وراغب النشاشيبي والفردروك وجمال الحسيني أعضاء •

وغادر الوفد فلسطين في ٢١ مارس سنة ١٩٣٠ قاصدا لندن حيث وصل إليها في ٣٠ منه وقابل المسئولين وبسط لهم وجهة نظر أهل فلسطين • وفي ١٣ أبريل سنة ١٩٣٠ أذاعت الحكومة البريطانية بيانا قالت فيه « بسط الوفد الفلسطيني وجهات نظره في عدة موضوعات وبخاصة في مسائل

الأراضي والهجرة ومنح دستور وقد أخذت الحكومة علما بذلك وأفهم الوفد أن التغييرات الدستورية الشاملة التي يطلبها لا يمكن قبولها كلها لأنها تعرقل عمل الحكومة في القيام بالتزاماتها بمقتضى الانتداب ، كما أفهم أيضا أنه لا سبيل للنظر في أى اقتراح لا ينطبق على مقتضيات الانتداب » (١) .

وعلى أثر صدور هذا البيان انقطعت المفاوضات بين الوفد الفلسطيني والحكومة وأرسل الوفد برقية تضمنت ما قدمه من مطالب للحكومة وما قوبلت به من رفض مع أنها عادلة وقرار عودته مع اعتقاده أن الحكومة البريطانية لا ينتظر منها أن تحل قضية فلسطين حلا عادلا لتغلب نفوذ الصهيونية عليها ، وهما قاله الوفد « ولما كنا مقتنعين بأن الاستمرار في هضم حقوقنا إكراما للسياسة الصهيونية يؤدي إلى إبادتنا كأمة وإجلائنا عن بلادنا وأن المسألة عندنا مسألة حياة أو موت فنعتقد أن شعبنا سيكافح هذه السياسة بجميع الوسائل ونحن واثقون من أن كل عربي فلسطيني يؤثر الموت دفاعا عن حقوقه الطبيعية وعن كيانه على الخنوع للضيم .

ولما كان أهل البلاد العربية والإسلامية شركاء في فلسطين ، بات واجبا علينا أن نخطرهم بالحالة الخطيرة التي تهدد كيان بلادهم المقدسة وإخوانهم الساكنين فيها » .

وكان إصدار هذا البيان إيذانا بتحول القضية الفلسطينية من قضية داخلية تخص الفلسطينيين وحدهم إلى قضية عربية إسلامية عامة تخص الدول العربية المجاورة لفلسطين لما بين أبناء فلسطين وأبناء هذه الدول من روابط اللغة والجنس والدم والأهداف والشعوب الإسلامية لما بين أبناء فلسطين وأبنائها من رابطة الدين ولأن الخطر الصهيوني يهدد هذه الدول والشعوب المسلمة .

(١) عيسى السفرى — فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية

الدور الثاني

من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٧

استبان لعرب فلسطين خلال ثلاث عشرة سنة من الانتداب أن بريطانيا لن تغير سياستها الرامية إلى تهويد البلاد ، ولن تستجيب لمطالبهم فقرروا أن يوجهوا نضالهم ضد الانجليز باعتبارهم أصل الداء وفي وسعهم تغيير السياسة وكان نضالهم قبل ذلك موجها ضد اليهود والصهيونية •

وتنفيذا للتوجيه الجديد في الكفاح عقد مؤتمر ضخم في مدينة يافا في ٢٦ مارس سنة ١٩٣٣ لبحث حالة البلاد ، وقرر المؤتمر اعتبار الحكومة البريطانية مسئولة عن كل ما حدث وما سيحدث في فلسطين ، وقرروا مقاطعتها والامتناع عن دفع الضرائب لها •

وجن جنون بريطانيا لهذا التطور الخطير في الكفاح ، فاتصلت بعدد من الزعماء وقطعت لهم الوعود المعسولة لإنصاف العرب ولكن الزعماء كانوا قد تأكدوا من أن هذه الوعود ليست إلا خداعا • وأزمنت البلاد أن تقوم بعمل يظهر تمردها على الحكومة فقررت اللجنة التنفيذية القيام بمظاهرة في القدس يوم الجمعة ١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٣ ، على أن يسير أعضاؤها وزعماء البلاد في مقدمتها ، دون استئذان الحكومة تحديا للقانون ، على أن يصحب هذه المظاهرات إضراب عام في البلاد • وسارت المظاهرة في موعدها المحدد وتصدى الجيش البريطاني للمتظاهرين ليحول دون السير في المظاهرة ، واصطدم الفريقان وسقط عدد من الجرحى من العرب ومن الجنود •

وفي مساء اليوم نفسه قررت اللجنة أن تقوم المظاهرة الثانية في يافا في يوم الجمعة ٢٧ أكتوبر أى بعد أسبوعين من مظاهرة القدس وسارت

المظاهرة في موعدها المحدد أيضا وتصدت لها قوات البوليس وأطلقت النار على الشعب الأعزل الذي رد بالحجارة فسقط ٤٠ شهيدا و ٢٠٠ جريح من العرب كما سقط عدد من قوات الجيش والشرطة بين قتيل وجريح •

وفي اليوم التالي قامت مظاهرات صاحبة في جميع أنحاء فلسطين صاحبها إضراب عام امتد أسبوعا ولم يتوقف إلا بعد أن أطلقت الحكومة سراخ الذين قبضت عليهم • وجريا على مألوف حكومة الانتداب عين وزير المستعمرات لجنة برياسة قاضى القضاة البريطانى السير موريسون للتحقيق فى أسباب الاضطرابات ولكن عرب فلسطين قد طفح بهم الكيل وبلغ السيل الزبى وكفروا بلجان التحقيق التى توالى على بلادهم ونزعوا ثقتهم بأعضائها وقرروا مقاطعتها ورغم كل ذلك قررت اللجنة اعتبارهم المسئولين عن الاضطرابات واعتبار الحكومة بريئة •

المؤتمر الإسلامى

وخلال السنوات التى أعقبت ثورة البراق وامتدت إلى سنة ١٩٣٥ وقعت فى البلاد أحداث هامة سنقف عندها وقفات سريعة لأنها تلقى أضواء كاشفة على الحالة السياسية فى البلاد •

فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٣١ عقد فى بيت المقدس مؤتمر إسلامى عام برياسة السيد محمد أمين الحسينى مفتى القدس ورئيس المجلس الإسلامى الأعلى وكان الهدف منه إيجاد كتلة عربية إسلامية عالمية تقف دون مظالم اليهود فى فلسطين شهده أعلام بارزون يمثلون ٢١ قطرا إسلاميا وعربيا هى : مصر — سورية — لبنان — العراق — فارس — الحجاز — شرقى الأردن — اليمن — المغرب الأقصى — الجزائر — طرابلس الغرب — تونس — جاوة — تركستان الصينية — روسيا — سيلان — قفقاسيا — نيجيريا — الهند — يوغوسلافيا — تركيا •

وتقرر فى هذا المؤتمر مقاطعة المصنوعات الصهيونية فى الأقطار

الإسلامية وتأسيس جامعة إسلامية في القدس وتأسيس شركة زراعية في فلسطين لإنقاذ أراضى المسلمين والحيلولة دون تسربها لليهود وأستتكار الهجرة اليهودية (١) .

وفاة موسى كاظم الحسينى

وفي ٢٦ مارس سنة ١٩٣٤ لبي المغفور له موسى كاظم الحسينى رئيس اللجنة التنفيذية في فلسطين نداء ربه ففقدت الحركة الوطنية قائدها المظفر الذى كان يوجهها نحو شاطئ الأمن إذا هبت العواصف وثار الأعداء وخسرت البلاد بفقد زعيمها مخلصا وقائدا موفقا وشخصية فذة غرقت احترامها وتقديرها على الجميع وقد رثاه الشعر وبكاه الشعراء في فلسطين والأقطار العربية ونوها بوطنيته وإخلاصه .

أحزاب فلسطين

أدت وفاة الزعيم الخالد الذكر موسى كاظم الحسينى إلى تصدع في الجبهة الوطنية إذ اختلف الزعماء على من يخلفه في رئاسة اللجنة التنفيذية ، وتنافسوا على الرياسة واتسعت مسافة الخلف وتمزقت وحدة الصف وأخذ كل زعيم يؤلف حزبا برياسته وتآلفت الأحزاب التالية بالترتيب الزمنى لتأليفها .

١ — حزب الدفاع الوطنى في ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٤ برياسة السيد راغب المنشاشيبى [وعرف بحزب المعارضين] .

٢ — الحزب العربى الفلسطينى في ٢٤ أبريل سنة ١٩٣٥ برياسة السيد جمال الحسينى [وعرف بحزب المجلسيين أو حزب المفتى] .

٣ — حزب الإصلاح في ١٨ يونية سنة ١٩٣٥ برياسة السيد حسين فخرى الخالدى . ومقر هذه الأحزاب الثلاثة مدينة القدس .

(١) عيسى السفرى — فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ص ١٧٨ — ١٨٠ .

٤ — حزب الكتلة الوطنية في ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٤ برئاسة السيد عبد اللطيف صلاح، ومقره مدينة نابلس •

وكان قد تألف قبل ذلك حزب الاستقلال بأمانة سر السيد عونى عبد الهادى وعضوية نفر من الوطنيين المخلصين في ٤ أغسطس سنة ١٩٣٢ وكان يتعاون مع اللجنة التنفيذية • كما تألف في ٥ سبتمبر من السنة نفسها مكتب لمؤتمر الشباب العربى الفلسطينى برئاسة السيد محمد يعقرب الغصين والهدف من المؤتمر إسهام شباب فلسطين فى الميادين الوطنية وبخاصة الفرق الكشفية والرياضية والأندية الثقافية وسمى عام ١٩٣٥ عام الأحزاب لأنه كان عام تنافس بينها وكانت حكومة الانتداب تضرم الصراع بين الأحزاب ورؤسائها وتشعل التنافس بين أسرتى الحسينى والنشاشيبي المتنافستين على الزعامة فى القدس تطبيقا لسياسة « فرقة تسد » لأن فى إشعال هذه الحرب صرفا لأنظار البلاد عن خطر الاستعمار • وتنفيذا لهذه السياسة الاستعمارية عينت السيد راغب النشاشيبي زعيم الأسرة النشاشيبيية رئيسا لبلدية القدس فى بداية عهد الانتداب بدلا من السيد موسى كاظم الحسينى الذى عارض الانتداب واحتج عليه • وعينت السيد محمد أمين الحسينى مفتى القدس وزعيم الأسرة الحسينية رئيسا للمجلس الإسلامى الأعلى الذى أنشأته سنة ١٩٢٢ ووكلت إليه حق إدارة المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية وكل ما يتصل بالشؤون الدينية للمسلمين •

وقد وجه الشعر الفلسطينى اللوم العنيف للأحزاب والزعماء ودعاهم لإيثار مصلحة البلاد الوطنية على مصالحهم الذاتية • ودعاهم للتضامن والإخاء ووحدت الصف •

ووجهت الصحافة الفلسطينية أيضا نقدها المر للتنافس الحزبى والعائلى فى البلاد •

وجهة نظرنا

إننا نشعر بمرارة لقيام عدة أحزاب في فلسطين في عام واحد على أثر وفاة المغفور له موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية •

ونأسف لأن ثلاثة أحزاب تألفت في مدينة القدس عاصمة البلاد ، وعلى رأس كل حزب زعيم أسرة من الأسر العريقة • حتى غدت مدينة القدس دارا للزعامة والأحزاب كما وصفها شاعر فلسطين إبراهيم طوقان في قصيدته القدس (١) •

ويزيد من أسانا أن حالة فلسطين يومئذ لم تكن تسمح بتأليف هذه الأحزاب وبتنافس رؤسائها ، وتمكين حكومة الانتداب من إشعال الخصومة والبغضاء بينها •

حقيقة إن هذه الأحزاب كانت تأتلف استجابة للرأي العام الشعبي في البلاد عندما يحدق الخطر بفلسطين كما حدث حين تألفت اللجنة العربية العليا من رؤساء الأحزاب الخمسة في أثناء ثورة البلاد الكبرى سنة ١٩٣٦ • ولكن الذي لاشك فيه أن وجود خمسة أحزاب في فلسطين التي لم يكن عدد سكانها يزيد على مليون لم يكن له ما يبرره في نظر جمهور الشعب الفلسطيني أولا وبخاصة الطبقة المثقفة منه وفي نظر الشعوب العربية المجاورة لفلسطين ثانيا •

وانه كان عاملا من عوامل الوهن والضعف في وحدة الكفاح والنضال الشعبي ضد الانجليز واليهود ثالثا •

(١) ديوان إبراهيم ص ٧٧ •

الشيخ عز الدين القسام

إذا لم يكن ° إلا الأسننة مركباً
فما حيلة المضطرّ إلا ركوبها

ظن عرب فلسطين خلال سبعة عشر عاماً من الانتداب أن منطق
الحجة وسلاح البرهان سيثنى بريطانيا عن المضي في تنفيذ برنامجها
الاستعماري ، ويردها عن سياسة تهويد البلاد • ويدفعها للاعتراف بحقهم
في الحرية والاستقلال ، فقدموا أقوى الحجج وأسطح البراهين ولكنها
صمت آذانها ، وأغلقت قلوبها عن سماع صوت الحق فاضطروا إلى ركوب
الأهوال متمثلين قول الشاعر :

إذا لم يكن ° إلا الأسننة مركباً
فما حيلة المضطرّ إلا ركوبها

وأخذوا يتسلحون ويتدربون على القتال وحرب العصابات ويكونون
الجماعات السرية ، وينظمون وسائل الكفاح تمهيدا لثورة كبرى ترد الحق
إلى أهله وتنتع الخضم بخطل رأيه •

وكانت جماعة القسام أولى الجماعات التي رفعت راية الجهاد
المسلح ، وضربت أروع الأمثلة في البذل والتضحية وقدمت أرواحها
ودماءها في سبيل البلاد وهانحن أولاء نوجز القول في هذه الجماعة
وزعيمها :

كان يقيم في مدينة حيفا عالم فاضل يدعى الشيخ عز الدين القسام
بتولى وظيفة الإمامة في مسجد الاستقلال ، ويرأس جمعية الشبان
المسلمين بها ، وقد كون جماعة مسلحة أراد من تكوينها أن تكون القدوة
الحسنة للجماعات في فلسطين بجهادها ونضالها وقد نذر الشيخ ورفاقه

نفوسهم للوطن ووهبوا أرواحهم للبلاد ، وأرادوا أن يظفروا بنعمة الاستشهاد في سبيل الله •

ومن أجل هذه الغاية ودع الشيخ أهله وداع المجاهد المؤمن ، وخرج على رأس رفاقه في اليوم الثاني من نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، واعتصموا في الجبال وهاجموا قوافل الحكومة ، وأطلقوا النار عليها فقتلوا « جاويشا » بريطانيا في مدينة « بيسان » وانتقلوا بعد ذلك إلى أحراش قرية « يعبد » بالقرب من مدينة جنين ، وفي ١٩ نوفمبر استشهد أحد أفراد الجماعة وهو يرقب لزملائه الطريق ، وفي فجر يوم ٢٠ نوفمبر حاصرت قوات بريطانية ضخمة بمساعدة الطائرات الأحراش التي يكمن فيها الشيخ ورفاقه ، وأبى الشيخ ومن معه التسليم وأصرروا على القتال واشتبكوا — وهم أفراد قتلا — مع هذه القوات الضخمة في معركة غير متكافئة ، أسفرت عن استشهاد الشيخ القسام ، وأربعة من رفاقه ووقوع أربعة آخرين بينهم جريح في أيدي القوات البريطانية ، ومقتل جندي بريطاني وإصابة اثنين بجراح بالغة •

واحتفل الشعب بتشييع جنازاتهم احتفالا عظيما ، وسارت الألوف خلف هذه الجنازات تشييعا إلى مقرها الأخير ، وقد تأججت حماستها فاشتبكت مع قوة بريطانية وكاد يتحول تشييع الجنازة إلى هجوم على الجنود ومركز البوليس في المدينة •

وقد ألهب هذا الحادث حماسة الشعب وأجج في نفوس أبنائه روح النضال وأضرم فيهم البطولة والبذل ، ووضع الشعر العربي في فلسطين والأقطار العربية على رأس الشيخ عز الدين القسام ورفاقه أكاليل المجد والفخار وتوجههم بتيجان الخلود ونوهد الصحافة العربية بجهد الجماعة وبطولاتها ووطنيتها وجعلتها المثل الأعلى في الجهاد للجماعات •

وتتابع ظهور الجماعات المسلحة واعتداؤها على قوات الجيش وتدمير سياراته وقتل جنوده وضباطه والاستيلاء على أسلحته ، وشن الهجمات على اليهود •

فظهرت جماعة ثانية في ١٥ أبريل سنة ١٩٣٦ على طريق نابلس — طولكرم • وقتلت ثلاثة من اليهود •

ووقعت مصادمات بين العرب واليهود وتوتر الموقف واشتدت خطورته وأُنذر بالثورة •

ثورة فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٦

ولا يبني الممالك كالضحايا
ولا يدني الحقوق ولا يحق
والحرية الحمراء باب
بكل يد مزرجة يدق

على الرغم من هذه المصادمات المسلحة ، والهجمات المتعددة على قوات بريطانيا ، وتدمير سياراتها ، ومقتل جنودها لم تغير من خطتها ، ولم تبدل من سياستها فسيل الهجرة ما يزال يتدفق على البلاد ، والأرض العربية ما تزال تتسرب إلى اليهود ، وشحنات الأسلحة ما تزال تتوالى عليهم وفي آذان الحكومة وقر عن سماع حق العرب الأمر الذي دفعهم إلى أن يغيروا أساليب الكفاح ويطوروها بما يحقق أهدافهم •

وزاد من ثقنتهم بأنفسهم ما حصلت عليه كل من مصر وسوريا إذ وقفت الأولى موقفا صلبا مع الانجليز في أواخر سنة ١٩٣٥ أسفر عن نجاح ، وأضربت الثانية شهرين نتج عنهما تحقيق مطالب وهذا يعني أن بريطانيا وفرنسا ودول الاستعمار لا تستجيب للمطالب العادلة إلا عندما تخاطب بلغة البندقية والمدفع ولذلك قرر عرب فلسطين أن يخوضوا المعركة الفاصلة مع الانجليز بعد أن فشلت كل الوسائل خلال سبعة عشر عاما من الانتداب من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٥ وأن يقدموا الضحايا ويدقوا باب الحرية الحمراء بأيديهم المزرجة بالدماء متمثلين قول شوقي :

ولا يبني الممالك كالضحايا
ولا يدني الحقوق ولا يحق
والحرية الحمراء باب
بكل يد مزرجة يدق

وهانحن أولاء نلخص أحداث هذه الثورة الرئيسية تاركين التفاصيل للمصادر التاريخية التي أسهبت فيها (١) :

بدأت الثورة بإضراب عام قامت به مدن فلسطين في ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦ شمل جميع مرافق الحياة في البلاد ، واشترك فيه الموظفون والتجار والعمال وطلبة المعاهد والمدارس وطالباتها ونظارها وناظراتها ومدرسوها ومدرساتها والمحامون وسائقو السيارات والبحارة في ميناء يافا ، وتألقت في كل مدينة وقرية لجنة دعيت باللجنة القومية ، مهمتها الإشراف على الحركة الوطنية وقيادتها وتنظيم الكفاح وتحت تأثير تضامن الشعب وخطورة الموقف اتفقت كلمة الأحزاب على تأليف لجنة عربية عليا للإشراف على الحركة الوطنية وقيادتها وتنظيمها ، وتألقت اللجنة في ٢٥ أبريل برئاسة سماحة المفتي الأكبر السيد محمد أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى وعضوية رؤساء الأحزاب الخمسة وهم السادة جمال الحسيني رئيس الحزب العربي ، وراغب النشاشيبي رئيس حزب الدفاع ، وعونى عبد الهادى أمين سر حزب الاستقلال ، وحسين فخرى المخالدى رئيس حزب الإصلاح ، وعبد اللطيف صلاح رئيس حزب الكتلة الوطنية ، ومحمد يعقوب الغصين رئيس مؤتمر الشباب العربى ، وثلاثة أعضاء آخرين هم أحمد حلمى عبد الباقي (٢) ، ويعقوب فراج ، وألفريد روك ، وانتخب السيد أمين الحسيني رئيسا للجنة والسيد عونى عبد الهادى أمينا للسر والسيد أحمد حلمى عبد الباقي أمينا للصندوق وعقدت اللجنة أولى جلساتها غداة تأليفها وأذاعت بيانا على الشعب دعت فيه الى مواصلة الاضراب العام حتى تغير الحكومة سياستها في فلسطين تغييرا أساسيا تظهر بوادره في وقف الهجرة اليهودية ، وحددت اللجنة مطالب البلاد

(١) من هذه المصادر :

- أ - عيسى السفرى - فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية .
 - ب - محمد عزت دروزه - حول الحركة العربية ج ٣ .
 - ج - الدكتور يوسف هيكل - القضية الفلسطينية .
 - د - أكرم زعيتر - القضية الفلسطينية .
- (٢) هو السيد أحمد حلمى رئيس حكومة عموم فلسطين بالقاهرة آنذاك .

الأساسية التي ستعمل على تحقيقها وهي منع الهجرة ومنع بيع الأراضي وإنشاء حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابي •

وقد ابتهج الشعب باتفاق الأحزاب وتأليف اللجنة والتف حولها وأبدى استعدادة للكفاح الدامى حتى آخر نقطة من دمه •

وفي ٧ مايو سنة ١٩٣٦ دعت اللجنة العليا للجان القومية في فلسطين لعقد مؤتمر وطنى في القدس تقرر فيه إعلان العصيان المدنى والامتناع عن دفع الضرائب ابتداء من ١٥ مايو ونفذ القرار في حينه • وبدلا من أن تعالج الحكومة الأمور بالحكمة وتحقق للشعب مطالبه كلها أو مطلبا منها ، أضمرت الثورة وأشعلت فتيلها إذ أعلنت في ١٨ مايو جدول الهجرة الذى يتضمن قدوم ٤٥٠٠ مهاجر يهودى إلى فلسطين في النصف الثانى من السنة من يولية إلى ديسمبر سنة ١٩٣٦ وفى الحال تكونت فرق الفدائيين وتحول الأمر من إضراب وامتناع عن دفع الضرائب إلى ثورة مسلحة اتخذت مظاهر مختلفة منها نسف طرق المواصلات والسكك الحديدية ، وقطع أسلاك البرق والهاتف ، وقتل كبار الموظفين الإنجليز ، واغتيال الخونة والجواسيس والسماسة وباعة الأرض من العرب ، وشن هجمات على الجنود الانجليز والاشتباك معهم في معارك تستمر طول اليوم وتمتد عدة أميال ، وتكبيد هؤلاء الجنود خسائر فادحة في الأرواح والعتاد • وأخذت الثورة تعم وتتسع ، وقيادتها تتوحد وتتنظم وزاد من قوتها وصلابتها تدفق وفود المتطوعين من الأقطار الشقيقة من مصر وسورية والعراق والأردن وانضمامهم إلى المجاهدين من أبناء فلسطين ورطب الدم العربى المتحد ثرى الأرض المقدسة •

من كلِّ قَطْرٍ عَرَبِيٍّ فِتْيَةٌ ثائرة ترعى أصولَ المحتدِ
هَبَّتْ عَلَى الوادى وَأَجْرَتْ دَمَهَا متَّحِداً يا لِدَمِّ المتَّحِدِ

وتحققت الوحدة العربية بأجلى مظاهرها في هذا الجهاد المقدس الذى وقف فيه المصرى والسورى والعراقى والأردنى إلى جوار الفلسطينى •

ووقف فيه الشيخ المسلم إلى جوار القس النصراني ، وتمثلت الوحدة العربية قوية الأواصر متينة الصلات • وأى قوة أكبر من أن يريق أبناء العروبة دماءهم على أرض فلسطين المقدسة دفاعا عن عروبتها ؟ وبلغت الثورة ذروتها حين أقبلت نجدة عسكرية من العراق بقيادة البطل العربي المجاهد فوزى القاوقجي حيث أصبحت قوية الشوكة ، مرهوبة الجانب تصدر البلاغات الحربية ، وتؤلف المحاكم العسكرية وتنظم الفصائل • وتحشد الكتائب وتعين القادة ، وكانت الحوادث المتنوعة تقع بمعدل عشر في اليوم وظلت تتزايد حتى وصلت إلى خمسين حادثة ونشرت بعض الصحف اليهودية إحصاء عن نتيجة هذه الحوادث من ٢٠ أبريل إلى ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٦ جاء فيه :

« إن عدد إصابات الإنجليز ١٧٨ منهم ٣٤ قتيلا • وعدد شهداء العرب ٧٠٠ شهيد • وقتلى اليهود ٨١ قتيلا • وعدد الأشجار التي اقتلعت من بساتين برتقال اليهود ٢٠٠٠٠٠ شجرة • وعدد الحرائق التي شبت في المستعمرات والأحياء اليهودية ٢٨٠ حريقا • وعدد المرات التي قطعت فيها أسلاك الهاتف ٣٠٠ • والمرات التي عطبت فيها قطارات السكك الحديدية ٢٢ • وعدد المرات التي اقتلعت فيها الخطوط الحديدية ١٣٠ • وعدد القنابل المصادرة من العرب ٤٠٠ • وزنة السلاح المصادر منهم ٣٥ طنا » (١) • ولاشك أن هذه الأرقام لا تعطى صورة صادقة لضحايا العرب وخسائر الحكومة لأن العرب كانوا في أكثر الأحيان يخفون جثث الشهداء ، ولأن الحكومة كانت تخفي خسائرها ، وهذا دليل على أن خسائر العرب والإنجليز أكثر مما ورد في الإحصاء •

وفي آخر أغسطس بعد قدوم فوزى القاوقجي والشيخ محمد الأشهر وسعيد الحاص على رأس جماعة من المجاهدين السوريين الذين اشتركوا في الثورة السورية ، وقدوم عشرات من المجاهدين العرب من مصر والأردن نظمت الثورة تحت قيادة واحدة وقائد واحد هو المجاهد البطل

(١) محمد عزت دروزه : حول الحركة العربية ج ٣ ص ١٢٥ •

فوزى القاوقجي وأصدر قائد الثورة بلاغه الأول في ٢٨ أغسطس على النمط التالي :

« قيادة الثورة العربية العامة
في سورية الجنوبية (فلسطين)
رقم (١)

وحيا فيه فلسطين وضمه عاطفته الشريفة نحوها معلنا أن البلاد العربية جمعاء موجهة قبلتها نحو فلسطين وليس الذين قدموا ليجاهدوا فيها إلا طليعة من العرب الذين يبلغ عددهم سبعين مليوناً .

التوقيع

قائد الثورة العامة
في سوريا الجنوبية
فوزى القاوقجي «

وقبل توحيد القيادة كانت هناك قيادات فلسطينية في جهات مختلفة من البلاد على رأس كل قيادة قائد مشهور . ومن هؤلاء القادة عبد الرحيم الحاج محمد . وعارف عبد الرازق . والشيخ يوسف أبو درة وتحت إهرة كل قائد عدد من المجاهدين . وألف في كل قرية وناحية فصيل سمى باسم قائد عربي في التاريخ ومن تلك الأسماء فصيل خالد بن الوليد وفصيل أبي عبيدة وفصيل طارق بن زياد وهكذا .

وقد وقف المجاهدون ضد القوات البريطانية موقف الند للند في معارك استمرت أياماً ، وامتدت أميالاً ، واشتركت فيها الطائرات التي أسقط المجاهدون عدداً منها ، ونشير إشارة سريعة إلى المعارك الآتية : معركة نور شمس في ٢٢ يونية سنة ١٩٣٦ وفيها تمكن المجاهدون من إصابة ثلاث طائرات بعطب ، ومعركة وادي عزون في ٢٦ يونيه وفيها اشترك ٣٠٠ جندي بريطاني تصحبهم ثلاث مصفحات وثلاث طائرات ، ومعركة باب الزراد في ٢٦ يولية وقد اشتركت فيها قوات جوية مع القوات

البرية ضد ١٦ مجاهدا (١) . ومعركة الخضر في ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٦ التي استشهد فيها القائد المجاهد الكبير سعيد العاص وجرح زميله عبد القادر الحسيني الذي كان يقف إلى جواره ، وكان عدد القوات البريطانية التي طوقت جبال الخضر بين القدس والخليل ٣٠٠٠ جندي لم يكن أمامهم من المجاهدين إلا ١٢٠ مجاهدا (٢) .

لقد اندمجت الأمة كلها في الثورة بهيئاتها ومنظماتها ونقاباتنا وطوائفها وعناصرها لم يتخلف شخص ولم يشذ إنسان حتى إن كبار الموظفين من العرب وقضاتهم في المحاكم قدموا في ٣٠ يونية مذكرة للحكومة قالوا فيها إن الشعب المظلوم قد فقد ثقته بالوعود الرسمية التي قطعت له بسبب إذعان الحكومة البريطانية للضغط الصهيوني وإن ما يجري في فلسطين هو تعبير عن اليأس فكان إضرابه وثورته وإن قتل الشعور بالقوة غير ممكن وسيظل هذا الشعور قائماً ومصدر اضطراب وقلق حتى تزول العوامل التي ولدته ، وإيقاف الهجرة هو الحل الوحيد الشريف للخروج من هذا المأزق . وقدم موظفو الدرجة الثانية وقضاة المحاكم الشرعية مذكرتين تتفقان مع جوهر المذكرة الأولى (٣) .

وحاولت حكومة الانتداب جاهدة وقف الثورة وإخمادها بكل الوسائل ولكنها أخفقت . سنت أقصى التشريعات وفرضت أشد العقوبات ، وجعلت الإعداد جزاء على إطلاق الرصاص وإلقاء القنابل والمفرقات والتخريب وفرضت الغرامات المشتركة على القرى والمدن التي أطلقت منها أو بجوارها النار على قوات أو قوافل اليهود المحروسة بهذه القوات ، ونسفت عشرات القرى والأحياء والمنازل ، واعتقلت الآلاف بتهم التحريض على الثورة باللسان أو بالقلم أو بالاجتماعات ، واستقدمت النجديات العسكرية من بلاد غير فلسطين حتى بلغ عدد الجيش البريطاني في فلسطين نحو ٥٠ ألف جندي عدا قوات البوليس .

(١) يوسف هيكل — القضية الفلسطينية ص ٢١٠ — ٢١٣ .

(٢) عيسى السفري — فلسطين العربية ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) أكرم زعيتر — القضية الفلسطينية ص ١٠٢ .

وعزلت قائداً وولت آخر وتكرر العزل والاختيار ولكن ذلك لم يزد الثورة إلا ضراماً ولما اتضح لبريطانيا فشل القوانين والأنظمة والطائرات والدبابات في قمع الثورة ، لجأت إلى وساطة ملوك العرب وأمرائهم حيث وردت للجنة العربية العليا برقية من الملك عبد العزيز آل سعود يقول فيها إن الحكومة الانجليزية وافقت على أن يوجه ملوك العرب وأمراؤهم نداء يدعون فيه عرب فلسطين إلى وقف الإضراب والخلود للسكينة مبدية استعدادها للنظر في مقترحاتهم في مصلحة العرب بالنظر للاتق بها • وعندئذ استشارت اللجنة العليا وفود اللجان القومية التي فوضت إليها الأمر ، وأجابت اللجنة على برقية العاهل السعودي باستعداد الأمة لتلقى النداء إذا كان الملوك والأمراء مطمئنين إلى حسن العاقبة •

وإذ ذاك وردت نداءات اتفق على نصها الموحد كل من أصحاب الجلالة والسمو الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية والملك غازي ملك العراق والإمام يحيى حميد الدين ملك اليمن والأمير عبد الله أمير شرقى الأردن وهذا نصها •

» إلى أبنائنا عرب فلسطين •••

لقد تألمنا للحالة السائدة في فلسطين • فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للإخلاء للسكينة حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعى في سبيل مساعدتكم « (١) • وأذاعت اللجنة العربية العليا هذا النداء في ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٦ مع بيان منها أعلنت فيه أنها قررت — بالإجماع وبعد موافقة مندوبي اللجان القومية — تلبية نداءات أصحاب الجلالة الملوك وسمو الأمير عبد الله ، وأنها تدعو الأمة العربية الكريمة في فلسطين إلى إنهاء الإضراب

(١) أكرم زعيتر — القضية الفلسطينية ص ١٠٣ •

اعتباراً من يوم الاثنين ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٦ ، وأن يبكر أفراد الأمة في صباح ذلك اليوم إلى معابدهم لإقامة الصلاة على أرواح الشهداء ، والشكر لله على ما ألهم من صبر وجلد ، ثم يخرجون من المعابد لفتح مخازنهم وحواسنيتهم ومزاولة أعمالهم المعتادة (١) .

وهكذا أنهى العرب في فلسطين ثورتهم بعد إضراب كان الأول من نوعه لأنه استمر ستة أشهر تقريباً من ٤/٢٠ إلى ١٢/١٠/١٩٣٦ .

وقد ألهمت الثورة إبراهيم طوقان طائفة من القصائد الرائعة منها الشهيد والفدائي .

وألهمت أبا سلمى قصيدتيه جبل النار وفلسطين . وألهمت عبد الرحيم محمود قصائده : الشهيد والشعب الباسل ودعوة إلى الجهاد ، وألهمت الشعراء في الأقطار العربية العديد من القصائد القوية (٢) .

كانت الثورة وحى أدب ، وملهمة شعر ، ومفجرة فن .

وكانت وستظل مصدر فخار ، ومبعث أمجاد ، وسجل بطولات لأبناء فلسطين لمعت فيها كواكب ، وأشرفت أبطال ، وتألقت قادة وكانت تعبيراً عن وحدة الأمة العربية في الشعور والأهداف ومقاومة المستعمر انهارت فيها السدود والحواجز بين أبناء الأقطار العربية .

وستظل ثورة فلسطين الكبرى من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩ مصدر فخر واعتزاز لأبناء فلسطين ينحن أمامها التاريخ إجلالاً وتقديراً .

(١) المصدر السابق — ص ١٠٤ .

(٢) أوردنا مختارات من هذه القصائد في الباب الثاني من القسم الأول من الكتاب الذي يلي هذا العرض التاريخي للمحنة .

الدور الثالث

من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٣٩

لجنة بيل توصى بتقسيم فلسطين

حدث في أثناء الإضراب العام ، وعلى وجه التحديد في ١٨ مايو سنة ١٩٣٦ ، أن أعلن وزير المستعمرات البريطاني في مجلس العموم أن الحكومة البريطانية قررت أن توفد إلى فلسطين بعد عودة النظام إليها لجنة ملكية للتحقيق في أسباب القلق الأساسية وشكاوى العرب واليهود من غير تعرض لنصوص الانتداب ، تقدم التوصيات وتزيل الظلمات وتمنع تكرارها مستقبلا ، وستنفذ الحكومة توصيات هذه اللجنة إذا وجدتها جديرة بالتنفيذ دون رهبة ولا محاباة .

ولكن عرب فلسطين الذين فقدوا إيمانهم باللجان لم يأبهوا لتصريح وزير المستعمرات ولم ينتظروا خيراً من اللجنة التي تحدثت عنها .

ولم تستطع اللجنة القدوم إلى فلسطين إبان اشتعال الثورة وتأخر وصولها إلى ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٦ . بعد شهر من إنهاء الإضراب وسميت لجنة بيل نسبة إلى رئيسها « اللورد بيل » .

وكان من رأى اللجنة العربية العليا أن يقاطع عرب فلسطين اللجنة فلا يدلون أمامها بشهاداتهم ، ولكن الحكومات العربية ارتأت الاتصال بها ونزل عرب فلسطين عند رغبة الحكومات وتقدمت اللجنة العليا بمذكرة تفصيلية عن قضية فلسطين ومطالب العرب ، وتقدم لها أيضاً للإدلاء بشهاداتهم رؤساء الدوائر الحكومية وزعماء اليهود .

وفي ٧ يولية سنة ١٩٣٧ أذاعت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة مع بيان عن سياستها .

وتناول تقرير اللجنة الملكية أسباب الاضطرابات ومشكلتي الأراضي والهجرة اليهودية .

[ففيما يتعلق بأسباب الاضطرابات ذكر التقرير أن من أسبابها رغبة العرب في نيل استقلالهم وكرهيتهم لإنشاء الوطن القومي كراهية تجاوزت فلسطين إلى العالم العربي ، وكان من آثارها قيام مظاهرات عداوية في القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وغيرها . وهذان السببان هما اللذان سببا اضطرابات سنة ١٩٢٠ سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٣ ، يضاف لذلك انتشار الروح القومية خارج فلسطين حيث ظفر العراق باستقلاله ، وإلى مدى أقل منه شرقي الأردن ، ثم مصر فسورية ولبنان .

وفي مشكلة الأراضي أشار التقرير إلى أن الأرض التي تمكها اليهود ارتفعت مساحتها من ٨٤٤ ألف دونم سنة ١٩٢٥ إلى ١٣٣٢ ر٠٠٠ دونم في سنة ١٩٣٦ . ورأى وجوب تخويل المندوب السامي سلطة منع انتقال الأراضي إلى اليهود في أي منطقة معينة .

وفي مشكلة الهجرة طالب التقرير بوضع حد أعلى يحدد باثنى عشر ألف مهاجر في السنة للسنوات الخمس المقبلة على أن يخضع دخول المهاجرين لمبدأ مقدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب [(١)] .

واعتبرت اللجنة هذه الاقتراحات الخاصة بالهجرة ومنع بيع الأراضي والاهتمام بتحسين حياة العرب الفكرية والاقتصادية وإنشاء مجلس تشريعي مسكنات لا تحل المشكلة ، أما العلاج فيحتاج إلى عملية جراحية وهي تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام :

« القسم الأول عربي يضم إلى شرقي الأردن وتتكون به مملكة

(١) أكرم زعيتر — القضية الفلسطينية ص ١٠٧ — ١٠٨ وقد نقلنا عنه هذه الخلاصة ووضعناها بين قوسين .

عربية ذات سيادة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا على غرار معاهدتي العراق وسورية ، ويشمل هذا القسم مناطق غزة وبئر السبع وصحراء النقب والخليل ونابلس والقسم الشرقى من مناطق طولكرم وجنين وبيسان ومدينة يافا •

القسم الثانى **يهودى** ويشمل الساحل الممتد من حدود لبنان إلى مجدل عسقلان وسهول سارون ومرج ابن عامر وبيسان ومنطقتى الجليل الشرقية والغربية وتقوم فيه دولة يهودية ذات سيادة مرتبطة مع بريطانيا •

القسم الثالث **خاضع للانتداب البريطانى** • ويشمل مناطق القدس وبيت لحم والناصرة ، وممرا من القدس إلى يافا يشمل القرى الواقعة على هذا الطريق ، ويشمل أيضا مدينتى اللد والرملة ، على أن تبقى مدن حيفا وطبرية وصفد وعكا تحت إدارة الدولة المنتدبة مدة من الزمن ، وأن يكون النقب أو بعضه تحت إدارة الدولة المنتدبة أيضا « (١) » •

وأذاعت الحكومة البريطانية بيانها السياسى فى نفس اليوم الذى أذيع فيه تقرير اللجنة •

ويتضمن البيان موافقة الحكومة على توصيات اللجنة ، وعلى أن مشروع التقسيم الذى أوصت به اللجنة الملكية يمثل فى نظر الحكومة أفضل الحلول لقضية فلسطين المستعصية التى مرعلى بريطانيا سبعة عشر عاما ، انتهت بعدها إلى أن هنالك تعارضا شديدا لا يقبل التوفيق بين أمانى العرب وأمانى اليهود ، وأن الحكومة ستتخذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ مشروع التقسيم •

وجهة نظرنا :

إن موافقة بريطانيا على هذا الحل تعنى أولا حرصها على قيام

(١) محمد عزت دروزه — حول الحركة العربية ج ٣ ص ١٥٤ — ١٥٥
وقد نقلنا عنه هذه الخلاصة ووضعناها بين قوسين •

دولة يهودية في فلسطين في أي جزء من أجزائها على أن تتسع مساحة هذه الدولة على مر الزمن وتظل خنجراً مسموماً مصوباً إلى قلب العرب الذين يعيشون في الأقطار العربية الشقيقة المتاخمة لفلسطين •

وتعنى ثانياً غمط العرب حقوقهم بمنح اليهود أرضاً لا يملكونها إذ لو نفذ التقسيم لكان عدد العرب في القسم اليهودي نصف سكانه ، ومساحة أرضهم ثلاثة أضعاف مساحة الأرض اليهودية • ولكان عدد اليهود في القسم العربي ١٢٥٠ شخصاً فقط ، ومساحة أرضهم ١٠٠ ألف دونم • ولكانت الأراضي الجيدة في القسم اليهودي ، والمناطق الجبلية الجديدة في القسم العربي •

وتعنى ثالثاً — ضمان بقاء الانتداب البريطاني على فلسطين للأبد وعدم خروج بريطانيا من البلاد بأي حال من الأحوال •

الثورة على التقسيم والعدول عنه

على أثر نشر تقرير اللجنة وبيان الحكومة السالفي الذكر خيمنت على البلاد سحابة من الأسى ، وأظلمها جو من الاستياء والتذمر ، وأحس عرب فلسطين بخيبة أمل مريرة لم يكونوا يتوقعونها • وأرسلت اللجنة العربية العليا مذكرة شديدة اللهجة إلى الحكومة البريطانية وإلى لجنة الانتدابات الدائمة فنذرت فيها قرار التقسيم واستنكرته وطالبت بالاعتراف بحق العرب في الاستقلال التام في وطنهم والعدول عن تجربة الوطن القومي وإلغاء الانتداب •

وتوالى صيحات الاستنكار من سائر الأقطار العربية شعوبا وحكومات فأعلنت حكومة العراق رفضها للتقسيم وتصميمها على مقاومته ، وحذت حذوها كل من الحكومة المصرية والسورية والسعودية واليمن •

وسارت المظاهرات في كل من القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت هاتفة بسقوط التقسيم ومؤيدة حق فلسطين في استقلالها وقرر عرب فلسطين أن يقاوموا التقسيم بالقوة وأن يستأنفوا ثورتهم من جديد ليحولوا دون تنفيذه •

وأحست بريطانيا أن الجو في فلسطين قد توتر وأنه ينذر بثورة عارمة فاتخذت للأمر عدته وعينت الجنرال ويفل قائدا عاما لقواتها في فلسطين •

وفي ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٧ عقد مؤتمر بلودان وشهدته وفود تمثل مصر والعراق وسورية ولبنان والأردن والمغرب العربي كما شهدته وفد فلسطين وأذاع قراراته التي وافق عليها المؤتمر بالإجماع وهي : رفض التقسيم ورفض قيام دولة يهودية واعتبار فلسطين جزءا لا ينفصل عن الوطن العربي •

وفي ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٧ عرض وزير الخارجية البريطانية سياسة حكومته في مجلس عصبة الأمم وأعلن باسمها قبول مقترحات اللجنة الملكية واستعداد الحكومة لإرسال لجنة فنية خاصة إلى فلسطين لتخطيط الحدود وقد شهد اجتماع مجلس العصبة وزيرا خارجية مصر والعراق فردا على وزير الخارجية البريطانية مفنديين مشروع التقسيم ومبرهين على تنافيه مع حقوق عرب فلسطين الطبيعية وأنذر الوزيران العربيين الحكومة البريطانية بتفجر عواطف الحقد والعداء ضدها في البلاد العربية إذا نفذ التقسيم (١) واشتعلت الثورة في فلسطين واستهل المجاهدون أعمالهم باغتيال حاكم منطقة الجليل البريطاني المستر أندروز إذ ذهب إليه أحد الفدائيين العرب وأطلق عليه النار وهو يجلس على مكتبه في مدينة الناصرة فأرداه قتيلا في ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٣٧ وجن جنون بريطانيا وفقدت صوابها واتخذت من مقتله ذريعة للبطش والتنكيل بالعرب وأعلنت حل اللجنة العربية العليا وحل اللجان القومية وعزل مفتي فلسطين من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى ورئاسة الأوقاف واعتقلت من أعضاء اللجنة العليا السادة أحمد حلمى عبد الباقي والدكتور حسين الخالدي وفؤاد سابا ويعقوب الغصين وفتهم إلى جزيرة سيشل • وحاولت جاهدة اعتقال المفتي ولكنه اعتصم في الحرم الشريف فلم تجرؤ على اعتقاله ، ومن الحرم هاجر إلى لبنان • وأخذت الثورة تنفجر بصورة أشد وأعنف من سنة ١٩٣٦ وافتتت الحكومة في ضروب العسف والتنكيل بالعرب فسنت قانون الطوارئ وعدلت في مواده فأصبح الإعدام أو السجن المؤبد جزاء لمن يحمل أى نوع من الأسلحة ، أو يضع رصاصات ، أو أطلق رصاصة فلم تصب أحدا •

وأصبحت كل عمارة في مدينة وكل منزل في قرية وكل حديقة عرضة للنسف والتدمير لجرد إطلاق الرصاص بالقرب منها •

(١) كان وزير خارجية مصر يومئذ واصفاً غالى ووزير خارجية العراق توفيق السويدي •

وبلغ عدد الذين أعدموا شنقا من العرب ١٤٦ • وعدد الذين حكم عليهم بالسجن المؤبد ٢٠٠٠ • وعدد المنازل والحوانيت التي نسفت وهدمت وتصدعت ٥٠٠٠ •

ونسفت أحياء وشوارع برمتها في عدد من المدن ، كما نسفت عشرات المنازل في عدد من القرى ومن الذين أعدموا شيوخ تقدمت بهم السن ومنهم الشهيد المجاهد الشيخ فرحان السعدى الذى شنق وهو صائم في رمضان وعمره ثمانون سنة •

وجاوز عدد الشهداء ٣٠٠٠ شهيد ، والجرحى ٧٠٠٠ جريح ، والذين اعتقلوا لمدد متفاوتة ٥٠ ألفا أنشأت لهم الحكومة ١٤ معتقلا وكان الاعتقال يتم بأوامر إدارية ودون تحقيق •

وظهر في هذه الثورة من أبناء فلسطين المجاهدين قادة برعوا في فنون القتال وانضوى تحت لواء قيادتهم الآلاف من أبناء البلاد من بينهم عدد كبير من المثقفين وعدد من الكتاب والشعراء والصحفيين وقد قسمت البلاد إلى مناطق حربية اختص كل قائد بمنطقة ومن هؤلاء القادة •

- ١ — عبد الرحيم الحاج محمد •
- ٢ — الشيخ حسن سلامة •
- ٣ — عبد القادر الحسينى •
- ٤ — عبد الحليم الجولانى •

وهناك أيضا عدد غيرهم من القادة الذين أبلوا أحسن البلاء في الدفاع عن أوطانهم وعروبيتهم •

ولم يكن يمضى أسبوع دون أن تقع فيه معركة كبرى تحشد فيها بريطانيا عددا من ضباطها وجنودها يزيد عن ٢٠٠٠ ويصل أحيانا إلى ٣٠٠٠ ، وتزودهم بالدبابات والمصفحات والمدافع الخفيفة والثقيلة والطائرات ، ويحشد أمامهم المئات من المجاهدين في أروع صورة من

البطولة والبسالة وعدم المبالاة بعدد العدو وأسلحته • وكان المجاهدون يسيرون على طريقة الكر والفر وقد اعترفت الحكومات بذلك حين قالت عنهم •

[إنهم اختفوا كإبرة في كيس من القش] •

وكان فيما قالته الصحف البريطانية في معرض الإشادة ببطولة المجاهدين وبراعتهم « إن حفنة صغيرة من العرب الضعاف العزل في فلسطين تقوم بمقاومة تبهر العالم بما فيها من بأس واستماتة وتثير الحماس بين العرب في كل أنحاء البلاد العربية » (١) •

وقد حاولت الحكومة البريطانية بكل ما أوتيت من قوة إخماد الثورة فلم تستطع • استقدمت آلاف الجنود والضباط حتى بلغ عددهم في فلسطين ٥٠ ألف جندي • بدلت بقائد سابق آخر لاحق وحاولت استمالة بعض العناصر ففشلت •

وكانت تطارد كل من يرتدى الكوفية والعقال لأن المجاهدين كانوا يرتدونهما فارتدى عرب فلسطين كلهم الكوفية والعقال وأصبح ارتداؤهما زيا عاما •

وقد أخذ رجال الشرطة العرب يفرون من الخدمة الحكومية وينضمون للمجاهدين بعد استيلائهم على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر وتموين الثوار المجاهدين بها •

وكثيرا ما احتل المجاهدون مدنا ، ورفعوا عليها العلم العربي بعد إسقاط العلم البريطاني •

ففى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٣٨ احتل المجاهدون مدينة الخليل •

وفى ٢٤ منه دخل فدائي قصر الحاكم البريطاني في مدينة جنين وأطلق النار عليه فأرداه قتيلا وخرج لم يشعر به أحد على الرغم من الحراسة الشديدة على القصر •

(١) محمد عزت دروزه : حول الحركة العربية ج ٣ ص ١٩١ •

وفي ٩ سبتمبر سنة ١٩٣٨ احتل الثوار مدينة بئر السبع وأطلقوا
المساجين واستولوا على مركز البوليس (١) •

وكان المجاهدون إذا احتلوا مدينة أو مستعمرة استولوا على ما في
المصارف الحكومية من أموال وعلى ما في مركز البوليس من أسلحة
وذخائر •

وتجلى اهتمام الأمة العربية بالثورة بصورة لم يسبق لها مثيل
فتألفت في المدن والعواصم العربية لجان باسم الدفاع عن فلسطين ،
أمدت الثورة بالمال والعقاد إذ كانت القيادة العسكرية والحربية بيد
الفلسطينيين •

وإبان اشتداد المعارك وصلت اللجنة التي وكل إليها تخطيط الحدود
بين الدولة العربية واليهودية فتعذر عليها أداء مهمتها فعادت ثم قدمت
تقريرها وأرفقته الحكومة البريطانية ببيان في ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٨
أعلنت فيه إخفاق مشروع التقسيم الذي أوصت به اللجنة الملكية
والعدول عنه ومواصلة انتدابها على فلسطين • وقد وقفت مصر من هذه
الثورة موقفا رائعا إذ دعت لجنة برلمانية إلى عقد مؤتمر برلماني عقد
في القاهرة في ٧ أكتوبر سنة ١٩٣٨ واشترك فيه ممثلون للبرلمانات
العربية في مصر والعراق وسورية ولبنان وشهده ممثلون عن فلسطين
ومندوبون عن المغرب واليمن والهند وأيد المؤتمر نضال فلسطين ، ونادوا
بوحدها وبطلان وعد بلفور •

وعقد أيضا في القاهرة أول مؤتمر نسائي برياسة هدى هانم شعراوى
رئيسة الاتحاد النسائي واشتركت فيه مندوبات عن مصر وسورية ولبنان
والعراق وفلسطين والأردن واتخذت المؤتمرات قرارات بتأييد جهاد
فلسطين ومقاومة التقسيم •

(١) أكرم زعيتر - القضية الفلسطينية ص ١٢٤ •

(م ١١ - الشعر العربي الحديث)

الكتاب الأبيض

على أثر اشتداد الثورة في فلسطين ضد التقسيم أعلن وزير المستعمرات البريطاني توجيهه الدعوة لمصر والعراق واليمن وشرق الأردن للاشتراك في مؤتمر تعقده بريطانيا في لندن ، ووجه الدعوة للعرب واليهود ليشهدوا المؤتمر ، وقد اختار عرب فلسطين ممثلهم من المعتقلين من رجال اللجنة العربية العليا وأذعنت بريطانيا لهذا الاختيار واختارت الدول العربية ممثلها •

وافتح المؤتمر جلساته في السابع من فبراير سنة ١٩٣٩ حيث كان يعقد جلسة صباحية مع العرب وجلسة مساءية مع اليهود ، لأن العرب رفضوا أن يجلسوا مع اليهود على مائدة واحدة •

وعرضت بريطانيا في مفاوضاتها مع العرب واليهود أسس تسوية للقضية الفلسطينية رفضها الفريقان ، وانفض المؤتمر على أثر رفضها دون أن يحقق أى نجاح ، وعندئذ أقرت الحكومة البريطانية سياسة جديدة لفلسطين ضمنها الكتاب الأبيض الذى أصدرته في ١٧ مايو سنة ١٩٣٩ وقررت تنفيذه بالقوة دون نظر إلى رضا العرب واليهود • ويقع الكتاب في ثلاث عشرة صفحة تناول فيها دستور فلسطين والهجرة والأراضي •

أما فيما يتعلق بالدستور فقد اعترفت بريطانيا لأول مرة بأن عبارة وطن قومي الواردة في صلك الانتداب لا تعنى أبداً تحويل فلسطين إلى دولة يهودية خلافا لإرادة سكانها العرب •

ثانياً اعترفت لأول مرة أيضاً بأن إبقاء فلسطين تحت الانتداب إلى الأبد يخالف روح نظام الانتداب من أساسه ، وأن من الأفضل أن يتمتع سكانها بالحكم الذاتى الذى يمارسه أهل البلاد المجاورة ولذلك ترغب في

قيام دولة فلسطينية يساهم فيها العرب واليهود ، ويمارسان سلطة الحكم على وجه يكفل ضمان المصالح الرئيسية لكل من الفريقين .

ثالثاً : تحدد فترة انتقال لإنشاء علاقات بين العرب واليهود تجعل قيام هذه الدولة ممكناً ، وتنمو في غضون مؤسسات الحكم الذاتي ، ويزداد نصيب أهل البلاد من الاضطلاع باعباء الحكم .

رابعاً : تشكل خلال عشر سنوات حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة .

وأما فيما يتعلق بالهجرة فقد حددت لآخر مرة عدد المهاجرين الذين يسمح لهم بدخول فلسطين خلال خمسة أعوام بخمسة وسبعين ألف مهاجر ليصبح عدد اليهود في فلسطين $\frac{1}{3}$ العرب ، وعدم السماح بهجرة يهودية بعد ذلك إلا إذا قبلها عرب فلسطين .

وأما فيما يتعلق بالأراضي فقد أصدرت تشريعات تخول المندوب السامي منع انتقال الأراضي العربية لليهود في بعض المناطق ، وإباحته في البعض الآخر .

وقد رفض العرب واليهود الكتاب الأبيض وأرغم اليهود بريطانيا فيما بعد على الخروج عما قررته والتتصل مما ارتبطت به .

فلسطين تجاهها أَوْلًا

في الدور الأول من أدوار الكفاح الذي بدأ من سنة ١٩١٧ وانتهى سنة ١٩٣١ وقف أبناء فلسطين وحدثهم في غمار المعركة يدركون عن بلادهم أخطار الاستعمار وأطماع الصهيونية وقدموا لهذه المعركة كل ما تتطلبه من وقود وأعدوا للنضال كل ما يقتضيه من وسائل .

أرخصوا أرواحهم في الجهاد ، واستعذبوا أهوال السجن وآلام التشريد ، وبذلوا أموالهم في سخاء ، وصبروا صبر الكرام على بطش بريطانيا بهم وقسوتها عليهم ومضوا في المعركة إلى آخر الشوط لم يضعفوا ولم يستكينوا متمثلين قول الشاعر :

وباب يُرِينِي الخُطْبَ كَيْفَ اشْتَدَّادُهُ

وبتُّ أَرِيه الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

ومع أن فلسطين قطر صغير في مساحته ، قليل في عدد سكانه ، فقير في موارده وإمكاناته ، لم تقم فيه حكومة وطنية ترعى شئونه وتنظم أحواله ، ومع أنه خلال هذا الدور من الكفاح افتقد التنظيم السياسي الشامل . والتدريب العسكري المنظم ، إلى جانب افتقاده الحكومات الوطنية ، فقد وقف أبناؤه وحدثهم في المعركة خمسة عشر عاماً لم تكن المحنة في غضوناتها قد تجاوزت حدود فلسطين .

كان أبناء فلسطين وحدثهم يحملون تبعات الكفاح في ميادينهم المختلفة ، يبعثون وفودهم إلى لندن وييسطون مطالبهم أمام أعضاء مجلسي العموم و « اللوردات » ، وينشرون بياناتهم في الصحف ، ويضربون ويتظاهرون ويخوضون المعارك الحربية ضد اليهود وضد قوات الجيش البريطاني .

ولم تكن الحكومات والدول العربية في هذه الفترة من الزمن قد بلغت درجة من الوعي يجعلها تدرك الخطر الصهيوني ، ولم يكن يدور في خلد هذه الحكومات أن هذا الخطر — الذي كان ضئيلاً يومئذ — يستفحل يوماً بعد يوم ، ويتفاقم عاماً بعد عام وأنه لن يقف عند حدود فلسطين بل سيمتد إلى هذه الحكومات واحدة بعد أخرى •

ومن أجل ذلك لم تثر حكومة من هذه الحكومة قضية فلسطين في محافل دولية أو تعرضها على أنها قضية عربية عامة تهم الحكومات والشعوب العربية كلها لا قضية خاصة تهم أبناء فلسطين وحدهم •

الدول العربية تساعد فلسطين

نما الوعي القومي بنمو الثقافة وانتشار المعرفة وتقدم الزمن وأخذت الدول العربية تدرك أن الخطر الصهيوني يهددها ويهدد شعوبها ، فأخذت تغير موقفها من قضية فلسطين في الدور الثاني من أدوار الكفاح من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٧ والدور الثالث من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٣٩ وأخذت تساند عرب فلسطين ، وتقدم لهم العون المادى والأدبى فتناقش القضية في مجالس وزرائها وتعرضها في المنظمات الدولية على أنها قضية لا تهّم أهل فلسطين وحدهم بل تهّم هذه الدول وهى لذلك لا تستطيع أن تقف من هذا الصراع بين الحق والباطل موقف المتفرج بل تعتبر قضية فلسطين قضيتها ، وقضية أمنها وسلامتها لما بين أبناء فلسطين وأبناء هذه الدول من روابط اللغة والجنس والدم والأهداف •

وفي هذين الدورين والأدوار التى تلتها تحولت القضية من قضية خاصة تهّم أبناء فلسطين ، إلى قضية عامة تهّم جميع الدول والشعوب العربية • وأخذ رؤساء الوزارات ووزراء الخارجية يصدرون التصريحات القوية ، ويدلون بالأحاديث الواضحة المحددة التى تتضمن وقوف هذه الدول إلى جانب فلسطين فى معركتها •

وتجلى هذا بصورة واضحة فى ثورة فلسطين الكبرى من سنة ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ حيث توافد على فلسطين متطوعون للجهاد من مصر وسورية والعراق والأردن ورتبوا بدمائهم الزكية ثرى فلسطين ، وقاتلوا جنبا إلى جنب مع إخوانهم المجاهدين من أبناء فلسطين وحيث ألفت فى المدن والحوضر العربية جمعيات الدفاع عن فلسطين وكانت تجمع الأموال وتقدمها لعرب فلسطين •

وحيث عقدت المؤتمرات الرسمية والشعبية وقامت المظاهرات المعبرة عن سخط الأمة على السياسة البريطانية •

وحسبنا أن نذكر للدول العربية موقفها الرائع من تقرير اللجنة الملكية التي أوصلت بتقسيم فلسطين عقب ثورة سنة ١٩٣٦ عندما وقف المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا في مجلس عصبة الأمم في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٧ معلنا موافقة الحكومة البريطانية على مشروع التقسيم الذي أوصلت به اللجنة حيث وقف وزير خارجية مصر واصف غالى وألقى خطابا قويا أكد فيه اهتمام مصر الشديد بقضية فلسطين لروابط الجوار والتاريخ واللغة والدين والحضارة واستنكر إقامة دولة من مختلف القوميات والأقطار على أساس الدين وحده وطالب بحل مشكلة فلسطين على أساس قيام دولة عربية مستقلة تحفظ حقوق الأقلية اليهودية وتبعه في نفس الجلسة توفيق السويدي وزير خارجية العراق معلنا استنكار سياسة بريطانيا في فلسطين وتصميم العراق على الدفاع عن فلسطين بكل الوسائل •

دور المرأة الفلسطينية في الكفاح

لم تقف المرأة الفلسطينية بمعزل عن محنة فلسطين بل أسهمت في الكفاح بمظاهره المختلفة من إلقاء بيانات ، وعقد اجتماعات وتقديم احتجاجات ، والقيام بمظاهرات •

ومع أن التقاليد الدينية الموروثة في فلسطين كانت مرعية ومع أن الحجاب كان تقليداً عاماً بين السيدات المسلمات ، فإن المرأة الفلسطينية خاضت المعركة واشتركت في الجهاد •

ففي ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٢٩ عقد أول مؤتمر نسائي في القدس شهدته ٣٠٠ سيدة من أنحاء فلسطين وأيدن فيه مطالب البلاد الوطنية ، وتقوية الروابط بين البلاد العربية والدعوة لقيام نهضة نسائية في البلاد وقابل وفد منهن المندوب السامي وألقت إحداهن أمامه كلمة تضمنت استعدادهن للبذل والتضحية في سبيل البلاد وطلبن إلغاء وعد بلفور ووقف الهجرة اليهودية •

وفي أكتوبر سنة ١٩٣٣ قامت السيدات العربيات بمظاهرة في القدس تحدياً للحكومة ولما طلب البوليس إليهن التفرق رفضن فأطلق عليهن النار •

وبنمو الثقافة وازدياد الوعي ألفت في فلسطين اتحادات وجماعات للسيدات وشاركن في كثير من المؤتمرات النسوية التي عقدت في عواصم الأقطار العربية ، والدول الأجنبية •

وقد قامت السيدات العربيات في فلسطين في أثناء ثورة فلسطين الكبرى من سنة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ بمجهود ضخم حيث كانت النساء القرويات ينقلن

للمجاهدين في أثناء اشتداد المعارك بينهم وبين الجنود الانجليز الطعام
والماء ويسعفن الجرحى والمصابين •

ويتعرضن للقتل والموت من سلاح البريطانيين ولكنهن لا يحفلن بكل
ما يصيبهن في خدمة الوطن •

على أن من أبرز ما قامت به المرأة الفلسطينية تأليف الهيئات والمنظمات
لرعاية وتعليم أبناء الشهداء الأبرار الذين سقطوا في ميادين الشرف في
ثورة سنة ١٩٣٦ ومساعدتهم على إكمال دراستهم في المراحل الثانوية
والعالية تقديرا لما قدم آباؤهم للبلاد من خدمات •

وكذلك رعاية الأيتام الذين قست عليهم الحياة ولم يجدوا من يقوم
برعايتهم •

الدور الرابع

من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٤٥

فلسطين أثناء الحرب الثانية

في صيف سنة ١٩٣٩ اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية بين ألمانيا وإيطاليا واليابان من جهة ، وبين الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا وأمريكا من جهة أخرى .

وأخذت الجيوش النازية تحتاج دول أوروبا وممالكها فتخر صريعة أمام تقدمها دولة بعد أخرى حتى فرنسا لم تستطع قواتها المقاومة أكثر من أسبوعين .

وفي هذه الحرب أهدق الخطر ببريطانيا وكانت بالنسبة لها معركة حياة أو موت ، فنقلت جيوشها التي حشدتها في فلسطين لإخماد ثورتها الى بلادها ، ووزعتها على ميادين القتال وحشدت كل قواتها وجندت كل مواردها وأخذت تتوود الى الدول العربية وتبذل لها معسول الوعود كما بذلت من قبل وتطلب الى هذه الدول أن تقف الى جوارها في هذه الحرب ، وتقدم العون والمساعدة مقابل أن يحقق لها الحلفاء كل أمنيتها القومية في الحرية والاستقلال إذا انتصروا في هذه الحرب .

ومن العجيب أنها طلبت من عرب فلسطين أن يقفوا الى جوارها في هذه الحرب ودماء أبنائهم لم تجف ، والسجون زاخرة بمن فيها . وزعماء البلاد وأحرارها مشردون . والمجاهدون مطاردون مضطهدون .

ولكن عرب فلسطين سخروا من هذا المطلب ، وأظهروا شمانتهم ببريطانيا ، واعتبروا غارات الألمان على الجزر البريطانية انتقاما لهم .

وقد تأكد العرب في بداية الحرب كما تأكد الناس جميعا من انتصار ألمانيا الذي يعنى بالنسبة للعرب انهيار أحلام الصهيونية وتحطيم دعائم الوطن القومي ، إذ كانت كل الدلائل تشير الى تلك النتيجة •

ولقد جعلت هذه الحرب بريطانيا تعيش في ظل الخوف والجوع والاضطراب والقلق وبلغ من اضطرابها وفزعها أنها اعتزمت نقل قواتها وعتادها من مصر بعد أن وصلت جيوش المحور الى العلمين بقيادة « رومل » •

وأخذ عرب فلسطين في سنوات الحرب يعيدون بناء ما حطمته ثوراتهم المتتالية من دعائم حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، ويصلحون ما أفسدت ويقيمون ما تداعى من بناء هذه الحياة ، كما أخذوا ينظمون جبهتهم الداخلية ويوحدون نضالهم • وكان معظم رجال الحركة الوطنية إما مشردين خارج فلسطين وإما مقيدين مراقبين داخلها • أخذ عرب فلسطين يصلحون أمورهم وهم مطمئنون نوعا الى أن بريطانيا ستنفذ سياسة الكتاب الأبيض التي ارتبطت بتنفيذها دون نظر الى رضا العرب أو اليهود • وسنتناول موقف كل من اليهود وبريطانيا وعرب فلسطين خلال هذه الحرب •

موقف اليهود

رأى اليهود في الكتاب الأبيض عقبة في سبيل مطامعهم لأنه حدد الهجرة ووقف بها عند نسبة معينة ، ومنع انتقال الأراضى لليهود في بعض المناطق ، واعترف بحق العرب في حكم بلادهم وإنشائهم حكومة وطنية ، ومن شأن هذا أن يهدم آمالهم ويقضى على أحلامهم فوجهوا كل جهودهم لمحاربته والقضاء عليه ، ووجدوا أن فترة الحرب هي الفرصة الذهبية أمامهم لتحقيق هذا الغرض لأن بريطانيا في شغل شاغل وفزع وقلق على مصيرها ، فبذلوا أعظم الجهود في فلسطين وفي خارجها •



ففى فلسطين انتهزوا حاجة بريطانيا فى هذه الحرب لقوات عسكرية تؤيدها فى نضالها ضد النازية والفاشية ، وتخوض مع جنودها المعارك والمواقع فى ميادين القتال ، فأنشأوا قوة عسكرية تابعة للوكالة اليهودية عرفت باسم « الهاجاناه » ودربوا عددا كبيرا من شبانهم على أيدى ضباط من الانجليز واليهود ، وأغروا كثيرا من الضباط البولونيين اليهود بالفرار من الجيش بأسلحتهم •

وافتتحت فى فلسطين دائرة للتجنيد تابعة للوكالة اليهودية ، تحت اسم بريطانيا وبصرها • فرضت التدريب العسكرى على كل فتاة وفتى بلغ من العمر سبعة عشر عاما ، وطالبوا بإنشاء فيلق يهودى كامل يحارب الى جانب الحلفاء • واستجابت بريطانيا لمطلبهم وتكون فيلق يهودى بقواده وضباطه وجنوده ومراسيمه وحاخاميه وطعامه الخاص واندمج فيه عدد كبير من يهود فلسطين الى جانب يهود البلاد الأخرى (١) •

ثم قاموا بثورتهم على بريطانيا بادئين بتدمير دوائر الهجرة فى مدن القدس وحيفا وتل أبيب بقنابل موقوتة ، وكان من مظاهر الدقة والإحكام فى هذه القنابل انفجارها فى المدن الثلاثة فى وقت واحد •

وشنوا سلسلة من هجماتهم على المخافر والمحطات والجسور والمطارات ، واشتبكوا مع البوليس وأخذوا يقاتلون الضباط والجنود البريطانيين الذين دربوهم على فنون الحرب والقتال :

أعلّمه الرّماية كلّ يوم فلما اشتدّ ساعده رمانى
وأخذت ثورة اليهود على الانجليز فى فلسطين تعنف وتشتد يوما بعد
آخر وتبدو فى صورها القاسية ومظاهرها العنيفة من اغتيال ضباط وجنود
وتدمير دوائر الشرطة واختطاف عدد من الجنود الى جلد عدد آخر من
الضباط وصلبهم على جذوع الأشجار وتعذيبهم وإهانتهم والقيام
بمحاولات لاغتيال المندوب السامى •

(١) محمد عزت دروزه - حول الحركة العربية ج ٤ ص ١١ •

وبلغت ثورة اليهود ذروتها عندما اغتيل اللورد موين وزير الدولة البريطاني في القاهرة في ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٤ على أيدي مجرمين من مجرمي عصابة شتيرن حاكمها القضاء المصري ونفذ فيهما حكم الإعدام .

ومن المفارقات العجيبة أن بريطانيا استخذت وضعفت أمام الإرهاب اليهودي بصورة مخزية أذهلت عرب فلسطين وجعلتهم يقارنون بين بطش بريطانيا بهم في أثناء ثورتهم وضعفها وجبنها أمام ثورة اليهود . تحولت شجاعة بريطانيا الى جبن ، وقوتها الى ضعف ، وعزتها الى ذلثة .

لم يعتقل يهودي واحد ، ولم يصدر تشريع خاص لمحاكمة الخارجين على القانون من اليهود .

ولم تنسف أو تدمر مستعمرة يهودية واحدة حتى تلك المستعمرة التي أطلق الرصاص بالقرب منها على سيارة المندوب السامى في فلسطين .

ولم ينسف منزل واحد ، ولم يقدم للمحاكمة العسكرية رجل واحد .



وفي خارج فلسطين أدرك اليهود أنه سيكون أمريكا شأن كبير في الحرب فركزوا جهودهم لحملها على تأييدهم ، وقاموا بدعاية كبيرة للوصول الى أهدافهم ، إذ حصلوا على توقيعات عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب على مذكرة قدمت للرئيس روزفلت سنة ١٩٤٢ تطلب منه تبني القضية الصهيونية ، والعمل على إلغاء سياسة الكتاب الأبيض ، وفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ، وتحقيق الوطن القومى بمعناه الشامل مستغلين ما أخذ يقع على اليهود في أوروبا من اضطهاد (١) .

ولقد كانت أمريكا دائما الملاذ الأخير للصهيونية الذي تلجأ اليه كلما حز بها كرب أو انتابها خطر ، وفي أمريكا تجد أكبر العون وأقوى المساعد الذي يفتح لها الأبواب المغلقة ويذلل الصعاب المعترضة ويحقق الأهداف المرجوة ولم تقف جهودهم خارج فلسطين عند أمريكا ، وإنما وجهوا نشاطا مماثلا في بريطانيا وعقدوا مؤتمرا انتقدوا فيه الكتاب الأبيض وطالبوا بإلغائه وقيام الدولة اليهودية وقد نجحت جهودهم الى حد ، وأقنعوا نفرا من حزب العمال البريطانى بتبنى قضيتهم والوقوف الى جانبهم • واتخذوا مثل ذلك في فرنسا وفي غيرها من الدول •

موقف بريطانيا

وقفت بريطانيا من عرب فلسطين في أثناء الحرب العالمية الثانية موقفا شادا بعيدا عن الكياسة وتقدير الأمور ومراعاة الظروف •

لقد أرادت أن تستغل فترة الحرب أسوأ استغلال لتحول بين عرب فلسطين وبين إشعالهم ثورات أخرى في المستقبل ، وتوسلت الى ذلك بوسائل لا يقرها عرف ولا يرضاها ضمير •

ومنذ سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٢ أخذت تبحث عن الأسلحة التي في أيدي العرب وتطلب تسليمها والويل والثبور لمن لا يسلم سلاحه إذا علمت به ، أو فتشت داره فعثرت بها على سلاح • وأخذت تطارد المجاهدين الذين اشتركوا في الثورات السابقة ضدها ، وتحاول القبض عليهم ، وإيداعهم السجون ، كما أخذت تطارد الكتاب والشعراء والمفكرين الأحرار الذين أمدوا الثورة بطاقات ضخمة من أدبهم وشعرهم وفكرهم وغذوها بالجمهر المتقد واللهب المشتعل •

وقد دفع هذا الموقف كثيرا من المجاهدين والكتاب والمفكرين الأحرار الى مغادرة فلسطين واللجوء الى الأقطار العربية •

كما أخذت تفرض الغرامات على القرى التي أطلقت النار منها أو بجوارها في أثناء الثورة وتفرض الرقابة على الأندية والجمعيات حتى لا يتجه أعضاؤها اتجاها ثوريا وعندما قامت ثورة السيد رشيد عالي الكيلاني في العراق سنة ١٩٤١ وكان مفتى فلسطين يومئذ لاجئا إليها ومعه عدد من المجاهدين على رأسهم عبد القادر الحسيني اشتركوا في المعارك التي خاضها الجيش العراقي ضد القوات البريطانية أخذت بريطانيا تطارد هؤلاء الفلسطينيين الذين اشتركوا في حربها في أثناء وجودهم في العراق ، بعد انتهاء ثورة رشيد عالي الكيلاني ، واضطر عدد كبير منهم لمغادرة العراق واللجوء الى أقطار عربية أخرى . وفي يولية سنة ١٩٤١ كانت القوات البريطانية وقوات ديغول قد أتمت احتلال سورية ولبنان حتى لا يتسنى لدولتي المحور احتلالهما واتخاذهما قواعد للهجوم على بريطانيا في الشرق .

موقف عرب فلسطين

ذكرنا قبل قليل أن عرب فلسطين وقفوا في أثناء الحرب الثانية من بريطانيا موقف الثامت وكانوا يرون في الغارات الجوية التي يقوم بها نسور الرايخ على بريطانيا لمدة ساعات انتقاما لشهدهم الأبرار ، وجزاء وفاقا لما أوقعته بريطانيا بهم من بطش وتتكيل .

وأنهم سخروا مر السخرية من بريطانيا حينما طلبت منهم أن يمدوها بالعون ، وأن يثفوا الى جوارها في هذه الحرب على أن تضمن لهم بعد النصر تحقيق الأهداف ، وتذكروا على الفور وعود بريطانيا في الحرب الأولى وعجبوا أشد العجب من إقدامها على طلب المعونة منهم وهي التي أحالت بيوتهم الى مآتم وأفراحهم الى أتراح وبهجتهم وبشرهم الى أحزان وآلام ، وأحالت بلادهم الطاهرة المقدسة الى ساحات حرب ، وميادين قتال وفجعت الآباء والأمهات بفلذات الأكباد ويتمت الأطفال ورملت النساء ، ودمرت المنازل ونسفت القرى ، ومألت سجونها بالعتقلين .

ولم يؤملوا خيرا من هذه الحرب فقد يئسوا من عدل بريطانيا ،
وفقدوا ثقتهم بعهودها ووعودها •

وأخذوا يعيدون تنظيم جهازهم السياسى بعد أن شردت بريطانيا
زعماء الحركة الوطنية وقادتها ، وحرمت على قسم منهم العودة الى
فلسطين ، وقيدت حرية قسم آخر ممن فى فلسطين •

ولم يقفوا عن مواصلة الجهاد ومحاربة النشاط الصهيونى الذى
عرضنا له فاستنكروا طلب اليهود من الرئيس الأمريكى روزفلت تبني
قضيتهم ، واحتجوا على توصيات حزب العمال البريطانى التى تدعو
الى جعل فلسطين دولة يهودية وإجلاء العرب عنها •

ولم يتركوا ميدانا من الميادين التى خاضها اليهود دون أن يردوا
عليهم ويفندوا باطلهم •

وزاد من إيمان عرب فلسطين بحقهم موقف إخوانهم العرب فى
الأقطار الشقيقة القوى الى جوارهم ، إذ ظهر فيه رد الفعل للنشاط
الصهيونى ، وتجلى هذا فى لجان مكافحة الصهيونية التى تألفت فى مصر
وسورية والعراق ولبنان ، واندمج فيها أعلام بارزون من أقطاب الوطنية
منهم الوزراء وأعضاء مجالس الشيوخ والنواب • وقد أخذت هذه
اللجان تشرح قضية فلسطين وتدحض مزاعم الصهيونية •

الجامعة العربية

هناك حدث هام ظهر في تاريخ العرب الحديث واستقبلته الأمة العربية بأعظم البشر لأنه كان تعبيرا عن رغبتها ونعنى به مولد الجامعة العربية .

ففى يولية سنة ١٩٤٣ بدأت مشاورات بين الحكومة المصرية والحكومات العربية سميت بـمشاورات الوحدة العربية وألفت لجنة تحضيرية قامت بوضع ميثاق عرف باسم « بروتوكول الاسكندرية » لأن أعضاء اللجنة اجتمعوا فى الاسكندرية .

وقد استهلت اللجنة هذا الميثاق بالعبارات التالية « إثباتا للصلات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية جمعا ، وحرصا على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة » واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية . اجتمع أعضاء هذه اللجنة — وكانوا يمثلون مصر وسورية والعراق والأردن ولبنان — بالاسكندرية بين ٢٥ سبتمبر و ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ وقد وقع الميثاق فى السابع من أكتوبر سنة ١٩٤٤ وتضمن خمسة قرارات :

الأول : تأليف جامعة الدول العربية . **الثانى :** التعاون بين هذه الدول فى الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها . **الثالث :** تدعيم هذه الروابط فى المستقبل . **الرابع :** قرار خاص بلبنان . **الخامس :** قرار خاص بفلسطين .

ونصت اللجنة التحضيرية على تأليف لجنة فرعية منها لإعداد مشروع لنظام مجلس الجامعة ، ولجان من الخبراء فى النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لإعداد مشروع بقواعد التعاون ، ولجنة للتنسيق

تكون مهمتها مراقبة عمل اللجان الأخرى • وهانحن أولاء ننقل نص القرار الخامس الخاص بفلسطين •

١ — « ترى اللجنة أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية ، وأن حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير إضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي كما ترى اللجنة أن التعهدات التي ارتبطت بها الدولة البريطانية والتي تقضى بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الأراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي من حقوق العرب الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ، ونحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار ، وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق أمانهم المشروعة وحون حقوقهم العادلة » •

« وتصرح اللجنة بأنها ليست أقل تألماً من أحد لما أصاب اليهود في أوروبا من الويلات على يد بعض الدول الأوروبية الدكتاتورية ولكن يجب ألا يخلط بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونية إذ ليس أشد ظلماً وعدواناً من أن تحل مسألة يهود أوروبا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم » (١) •

٢ — يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في صندوق الأمة العربية لإنقاذ أراضي العرب في فلسطين الى لجنة الثنئون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقبل (٢) •

وشكلت اللجنة التحضيرية لجنة لوضع ميثاق الجامعة الذي تمت صياغة مواده والتوقيع عليه في القاهرة في الثانی والعشرين من مارس

(١) المملكة المصرية — وزارة الخارجية — اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام — دور الاجتماع الأول — ص ٥ •
(٢) المصدر السابق ص ٧ •

سنة ١٩٤٥ ، وبمقتضاه تألفت جامعة الدول العربية من الدول الموقعة عليه مع منح كل دولة عربية مستقلة حق الانضمام للجامعة •

والدول التي وقع ممثلوها الميثاق هي : سورية وشرقى الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية ولبنان ومصر واليمن •

ويتألف ميثاق الجامعة من عشرين مادة ألحقت به ثلاثة ملاحق خاصة أولها : خاص بالتعاون مع الدول وثانيها : خاص بفلسطين ، العربية التي لم تشترك في مجلس الجامعة وثالثها : خاص بتعيين الأمين العام للجامعة •

وهذا نص الملحق الخاص بفلسطين :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأية دولة أخرى •

وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها وإذا لم تكن قد مكنت من تولى أمورها فإن ميثاق العصبة في عام ١٩١٩ لم يقرر النظام الذى وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها فوجودها واستقلالها الدولى من الناحية الشرعية أمر لاشك فيه كما أنه لاشك في استقلال البلاد العربية الأخرى • وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة ، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة •

ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة أنه نظراً لظروف فلسطين الخاصة ، والى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك في أعماله » (١) •

(١) الأمانة العامة — ميثاق جامعة الدول العربية ص ٩ •

وبذلك الملحق اعتبرت فلسطين عضواً في الجامعة ، وتقرر تمثيلها ، واختارت الجامعة بعد قيامها مندوباً لفلسطين في مجلسها ، وتبنت قضيتها ، وأصبحت في نظرها المشكلة الرئيسية الأولى التي توجه كل الجهود لحلها حلاً عادلاً .

وكان يوم ٢٢ مارس من سنة ١٩٤٥ عيداً عربياً قومياً ، وكان قيام الجامعة العربية مصدر بهجة غمرت العالم العربي وبشير مستقبل مشرق تتحقق فيه الأمانى وتجاب الرغبة فلطالما رأود الأمل أجفان العرب في وحدة تلم الشمل وتجمع الكلمة وتوحد القلوب وكانت وحدة العرب الأمل المرجو والغاية المنشودة من أجلها أريقت الدماء وفي سبيلها أرخصت الأرواح ، وقدمت الضحايا .

تغنى بها الكتاب وترنم الشعراء وهتف الشهداء الذين علقهم جمال المسفاح على أعواد المشانق .

حلم تحقق ، وأمل تبسم ، وفجر بزغ فانهارت السدود بين أجزاء الوطن العربي وأزيلت الحواجز ، وماتت الطائفية ، ودفنت العنصرية والإقليمية فلا مصرى ولا شامى ولا عراقى ولا يمانى بل عربى وعروبة وأمة واحدة .

وكان سرور عرب فلسطين بمولد الجامعة أعظم سرور ، أملوا فيها كل خير ، ورأوا فيها أعظم نصر وأحسوا أنها إنما ألفت لتحل مشكلتهم التي طال عليها الأمد ، وتحرر بلادهم من الاستعمار والصهيونية .

وطرب الشعر العربى لمولد الجامعة فتبسمت أبياته وأشرقت وجوه قصائده ورسم الشعراء أزهى الصور لمستقبل العرب .

انتهاء الحرب وأثره في فلسطين

في مايو سنة ١٩٤٥ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بانتصار الحلفاء • واندحار دولتى المحور ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية يعد انحياز أمريكا الى الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا وإطلاقها لأول مرة فى التاريخ قنبلة ذرية على هيروشيما فى اليابان •

ولقد راود عرب فلسطين الأمل فى أن بريطانيا التى انتصرت فى هذه الحرب بمعجزة ونجت من الدمار والفناء ستبادر فور انتصارها الى إعلان استقلال فلسطين نظرا الى موقف الدول العربية القوى من الحلفاء بعامة ، ومن بريطانيا بخاصة فى أثناء هذه الحرب حيث مونت مصر جيوش الحلفاء ، وقدمت للقوات البريطانية كل مواد الغذاء فكان الجنود يأكلون المرغيف الأبيض النقى وكان الشعب يأكل المرغيف الأسود الكالحو الوجه المختلط بالحصى والرمل •

كما قدمت مصر للقوات البريطانية الموانى والمطارات وكافة التسهيلات اللازمة فى البر والبحر والجو ولولا المواد الغذائية التى قدمتها مصر من حبوب وبقول وخضر وفواكه لتضورت القوات البريطانية جوعا هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى حضر المستر روزفلت والمستر تشرشل الى الشرق العربى فى أثناء الحرب ، وعقدوا اجتماعات مع الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود وشكرى القوتلى تناولت قضايا العرب بوجه عام ، وقضية فلسطين بوجه خاص وظهر جو من التفاؤل بعد هذه الاجتماعات بالمستقبل الباسم الذى ينتظر العرب ، وكان من نتائج هذه الاجتماعات إعلان كل من مصر وسورية ولبنان والمملكة السعودية الحرب على دولتى المحور ليكون ذلك سندا لاشتراك الدول العربية فى مؤتمرات الصلحو وخلال ذلك حصرت سورية ولبنان على استقلالهما بعد جهاد مرير وكفاح شاق واحتفلتا بجلاء الجنود الفرنسية عن أراضيها جلاء تاما وممارستها السيادة الكاملة على أراضيها سنة ١٩٤٦ •

• كل أولئك جعل عرب فلسطين يتساءلون

أمن المعقول أن تنتكر بريطانيا لموقف العرب منها ومن جيوشها خلال الحرب الثانية كما تنكرت لهم في الحرب الأولى؟

أمن المعقول أن تجرد الأيادي البيض التي أسدوها إليها ، والجهود الطيبة التي قدموها وكانت السبب الأكبر والمعامل الحاسم في النصر في الحرب؟

وماذا يريد العرب من بريطانيا ؟ لا يريدون إلا أن تحل قضية فلسطين حلا عادلا •

الدور الخامس

من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٧

فلسطين بعد الحرب الثانية

هدم سياسة الكتاب الأبيض

في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٥ أدلى وزير الخارجية البريطانية المستر بيغن ببيان عن فلسطين اعترف فيه لأول مرة بإخفاق الجهود التي بذلت للتوفيق بين العرب واليهود ، وبأن تاريخ فلسطين في عهد الانتداب تاريخ الصدام المستمر بين الفريقين ، وبأن فقدان تعريف صريح للالتزامات الدولة نحو العرب واليهود كان السبب الأول للاضطرابات التي سادت فلسطين خلال ست وعشرين سنة ، وليس من السهل التوفيق بين الاختلافات في الدين واللغة والحياة الثقافية والاجتماعية وطرق التفكير لدى كل من العرب واليهود ، ولقد امتدت آثار النزاع الى أبعد من حدود فلسطين فللقضية الصهيونية مؤازروها الأقوياء في الولايات المتحدة وبريطانيا والدومنيون ، في حين يؤازر العالم العربي كله قضية العرب في فلسطين الى جانب ١٠٠ مليون مسلم في الهند يهتمون بها أعظم الاهتمام . وكل حل لابد أن يأخذ بعين الاعتبار الصداقة الدولية والسلام العالمي الى جانب الإنصاف والإنسانية .

ولذلك قررت حكومة بريطانيا دعوة حكومة الولايات المتحدة للتعاون معها في تأليف لجنة تحقيق إنجلو أمريكية تتحرى مشكلة اليهود في أوروبا وتعيد النظر في قضية فلسطين بالنسبة الى تأثيرها في مشكلة هجرة اليهود إليها على ضوء ذلك التحرى ، وأعلن الوزير قبول الولايات المتحدة لتلك الدعوة وحددت اختصاصات اللجنة بما يلي :

أولا — بحث الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين بالنسبة الى تأثيرها في مشكلة هجرة اليهود إليها ورفاهة الأهالي المقيمين بها الآن .

ثانيا — تقصى حالة اليهود في أوروبا حيث كانوا ضحية الاضهاد النازي والفاشي ، وبحث الاجراءات العملية التي اتخذت أو ستتخذ لتمكينهم من العيش بمأمن عن التحيز والعسف ، وتقدير عدد الذين يودون النزوح أو تضطروهم الظروف للنزوح الى فلسطين أو الى بلدان أخرى خارج أوروبا .

ثالثا — تقديم التوصيات الى الحكومتين البريطانية والأمريكية لمعالجة مشكلة فلسطين وإيجاد حل دائم لها .

وبعد أن تقدم اللجنة توصياتها تتشاور الحكومة البريطانية مع العرب واليهود والولايات المتحدة لاتخاذ التدابير المؤقتة ثم تهيء مشروع حل دائم تعرضه على الأمم المتحدة للموافقة عليه ، وهذا التحقيق سوف يسهل إيجاد حل يمهّد بدوره الطريق لاتخاذ تدابير لوضع فلسطين تحت الوصاية ، والى أن تقدم اللجنة تقريرها تتداول الحكومة مع العرب للتوصل الى تدبير يضمن عدم توقف الهجرة اليهودية عن معدلها الشهري الحالي وهو ١٥٠٠ مهاجر .



ورفض عرب فلسطين بيان وزير خارجية بريطانيا وأعلنت الهيئات الوطنية في البلاد استنكاره ، وأضربت فلسطين إضرابا عاما على أثر إعلان المندوب السامي الاستمرار في الهجرة . ورفضت الدول العربية أيضا بيان الوزير لمخالفته الكتاب الأبيض ، ومنافاته الحق والعدل ولكن بريطانيا مضت في تحديدها للعرب وأخذت تدخل الى فلسطين ١٥٠٠ مهاجر يهودي شهريا .

تقرير اللجنة الإنجلو أمريكية

وتألفت اللجنة وبدأت عملها في واشنطن في ٤ يناير سنة ١٩٤٦ وسمعت شهادات اليهود المطالبين بالدولة اليهودية والهجرة الحرة كما استمعت الى أنصار العرب من المهاجرين ثم سافرت الى لندن حيث استمعت الى ممثلى الدول العربية لدى هيئة الأمم التى كانت تعقد اجتماعاتها يومئذ فى لندن ، وانقسمت اللجنة الى لجان فرعية تولت التحقيق فى ألمانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا واليونان وإيطاليا •

وفى فبراير سنة ١٩٤٦ حضرت للشرق العربى ، وزارت مصر وفلسطين والأردن ، وزار فريق منها سورية ولبنان والعراق والسعودية ، وقدم العرب حكومات وشعوبا أقوى الحجج وأسطع البراهين على عدالة قضيتهم وأعلنوا تصميمهم على الدفاع عن فلسطين فيما عرضوه على اللجنة من شهادات ومذكرات وبيانات وإحصاءات ، ووضحوا لها خطأ الربط بين ما وقع على اليهود من اضطهاد فى دول أوروبا وبين مشكلة فلسطين ، وكما استمعت اللجنة لشهادات العرب استمعت للشهادات التى تقدمت بها الهيئات والشخصيات اليهودية •

وفى ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٦ قدمت اللجنة تقريرها وكان هدما للكتاب الأبيض ، وبه توصية بإصدار مائة ألف شهادة هجرة فى الحال لإدخال مائة ألف يهودى الى فلسطين من يهود معسكرات المشردين خلال سنة ١٩٤٦ بأسرع ما يمكن ، وتوصية ثانية بإلغاء قوانين تحديد الأراضي •

وقالت اللجنة : إنه يجب اتخاذ سياسة قاطعة بالألا تكون فلسطين دولة عربية ولا دولة يهودية ، وأن تبقى تحت وصاية طويلة الى أن يتسنى بمرور الزمن إنهاء النزاع بين سكانها ، وإقامة دولة أو دول فلسطينية مستقلة بها •

وكان الرئيس ترومان رئيس الولايات المتحدة قد بعث الى المستر أتلى رئيس وزراء بريطانيا في ٣١ أغسطس ١٩٤٥ كتابا يؤيد فيه فتح أبواب فلسطين لليهود النازحين من ألمانيا والراغبين في الذهاب الى فلسطين وأيد اقتراحه طالبا منح اليهود ١٠٠ ألف شهادة هجرة إضافية الى فلسطين فحققت اللجنة الإنجلو أمريكية مطلبه .



وكان للتقرير أسوأ وقع في نفوس العرب داخل فلسطين وخارجها آثار حفيظتهم ، وملاً نفوسهم بالحقد والغيط ، فأضربت فلسطين وتظاهر بنوها ، وحذت البلاد العربية حذو فلسطين في الإضراب والتظاهر ، واحتجت الحكومات العربية ، وأوعزت الى سفرائها وممثلها في بريطانيا وأمريكا بالاحتجاج المشترك ، واستدعى ملوك العرب ورؤسأؤهم سفراء أمريكا وبريطانيا ، وأعربوا لهم عن قلقهم البالغ وتأثرهم الشديد .

وارتفعت الأصوات هاتفة منادية بالاتجاه للمعسكر الشرقى والتعاون مع روسيا والدول الشيوعية بعد التآمر الذى بدا من بريطانيا وأمريكا والدول الرأسمالية ، وتعاللت الصيحات المدوية بالدعوة للجهاد المسلح .

مؤتمر أنشاص

وفى غمرة هذه الحماسة عقد مؤتمر الملوك والرؤساء فى أنشاص فى ٢٨ مايو عام ١٩٤٦ وشهده فاروق ملك مصر والسيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، والسيد بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية ، والأمير سعود ولى عهد الملكة السعودية ، والأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وسيف الإسلام عبد الله نجل الإمام يحيى ملك اليمن وقرر الملوك والرؤساء والأمراء أن قضية فلسطين هى قضية العرب جميعا ينتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، وليس فى إمكان الدول

العربية الموافقة على أى هجرة جديدة ، وهم يأملون ألا يؤدي ظلم عرب فلسطين الى تعكير صفو العلاقات بينهم وبين بريطانيا وأمريكا •

ثم عقد مجلس جامعة الدول العربية اجتماعا فوق العادة أطلق عليه مؤتمر بلودان في ٨ يونية سنة ١٩٤٦ اتخذت فيه مقررات سرية وعلنية • فمن العلنية طلب المفاوضة مع الحكومة البريطانية لإنهاء الحالة الراهنة في فلسطين ، وعرض القضية على هيئة الأمم إذا أخفقت المفاوضات ، ولم تصل الى حل مرض ، ورفض التقسيم بأى شكل من أشكاله كحل للقضية وإنشاء لجان دفاع عن فلسطين في كل دولة عربية ، وتنظيم تمثيل فلسطين بهيئة جديدة تحل محل اللجنة العربية العليا ، ودعوة أهلها للتضامن وتوصية الحكومات العربية بمد الهيئة الجديدة بالمساعدات اللازمة •

مؤتمر لندن

وعلى أثر ذلك دعت الحكومة البريطانية الحكومات العربية لشهود مؤتمر يعقد في لندن في ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ للمفاوضة في حل لقضية فلسطين ، وقد عقد المؤتمر دورتين ، وانتهى بأن عرضت الحكومة البريطانية على العرب مشروعا عرف بمشروع « موريسون » نسبة لنائب رئيس الوزراء وزعيم البرلمان العمالي موريسون الذى أعده وقدمه ويتضمن هذا المشروع : تقسيم فلسطين الى أربع مناطق عربية ويهودية ومنطقة القدس ومنطقة النقب وقيام حكومتين محليتين في المنطقتين العربية واليهودية •

ورفض العرب المشروع وقدموا بدلا منه مشروعا آخر رفضته الحكومة البريطانية ورفضها أخفق المؤتمر وألقى المستر بيفن في ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٦ خطابا في مجلس العموم قال فيه :

« إن قضية فلسطين معقدة كل التعقيد وإنه لم يصادف في حياته قضية معقدة مثلها ، وإن نظام الانتداب تضمن وعودا متناقضة حيث سمح بغزو اليهود لفلسطين وفي نفس الوقت حتم عدم الإضرار بسكانها الآخرين ، وبما أن بريطانيا لا تستطيع أن تفرض حلا نهائيا بالقوة لأنها منتدبة انتدابا فان من واجبها أن ترفع الأمر الى هيئة الأمم لتقرر الحل الذي تراه » •

الباب الثاني

موقف الشغل العربي الحديث

من مأساة فلسطين

من ٢ نوفمبر ١٩١٧ - ٢٩ نوفمبر ١٩٤١

المحنة قبل المأساة

الفصل الأول

محنة فلسطين في شعر أبنائها

الموضوعات الشعرية :

- وعد بظور - الاضمار - الهجرة اليهودية -
- المحافظة على الأرض - التضامن والإخاء -
- الوعي القومي - الحزن على الثورة - تمجيد البطل
- والفداء - تخليد الشهداء - الأغاني والأناشيد.

الفصل الأول

(١) مِحْنَةُ فِلَسْطِينَ فِي شِعْرِ أَبْنَائِهَا

الشِعْرُ الْغِنَائِيُّ

المَوْضُوعَاتُ الشِّعْرِيَّةُ

وَعْدُ بِلْفُورٍ

(٢) النص الأول للشاعر عبد الرحيم محمود

وأَتَى الحَليْفُ وقَامَ في أَعْتَابِنَا
مَتَحِيَّرًا إِنَّا هُدَى التَّحِيَّرِ
وَاسْتَنْصَرَ العُربَ الكِرَامَ وَإِنَّهُم
غَوَّثَ الطَّرِيدَ وَنَصْرَةَ المَسْتَنْصِرِ
وَإِذَا عَتَاقَ العُربَ تُورِي في الدَّشْجِي
قَدْحًا وَتَصْهَلُ تَحْتَ كُلِّ غَضَنَفِرِ
وَإِذَا السَّيُوفُ كَأَنَّهَا مِن كَوَاكِبِ
تَهْوِي تَلَامَعُ في العَجَاجِ الأَكْدَرِ
رَجَحَتْ مَوَازِينَ الحَليْفِ وَمَن نَكَنْ
مَعَهُ يَرَجَّحُ بِالعَظِيمِ الأَكْثَرِ
وَبِنْتٌ لَنَا أَسْيَافُنَا صِرْحًا فَلَم
يَحْفَظُ جَمِيلَ العُربِ يَاللْمَنَكِرِ

* * *

(١) نقصد بأبناء المحنة أبناء فلسطين .

(٢) من قصيدة عنوانها « وعد بلفور » ديوان عبد الرحيم محمود ص ٣٩ .

غَدِرَ الحَليْفُ وأَيُّهُ وَعَدَ صَانَهُ
يَوْمًا وَأَيُّهُ ذَمَّةٌ لَمْ يَخْفَرُ
لَمَّا قَضَى وَطَرًا بِفَضْلِ سَيُوفِنَا
نَسَى اليَدَ البِيضَاءَ لَمْ يَتَذَكَّرُ
وَإِذَا الدِّمُّ المِهْرَاقُ لَا بِمِرَاقِهِ
جَدْوَى ، وَلَا بِنَجِيْعِهِ المِتَصَدِّرُ

النص الثاني للشاعر إبراهيم الدباغ (١)

رَدُّوْهُ عَلَى القُومِ كِيدًا وَعَدَ بلفور
وَنَسَجَهُ بِيَدَيْ كِيدٍ وَتَدْمِيرِ
قَدْ سَاءَ تَدْبِيرُهُ عَفَوْا فلو عَقَلُوا
لَمْ يَفِرطِ الوَعْدُ إِلَّا بَعْدَ تَفْكِيرِ
فَهَلْ لَصِحْوَةِ مَأْخُودٍ بَغْمَرْتِهِ
حَسَّ يَنْبُتُهُ مِنْهُ عَقْلٌ مَخْمُورُ

النص الثالث للشاعر نفسه (٢)

مَا وَعَدَ بلفور مِنْ أَمْرِ السَّمَاءِ وَلَا
فِي الجِدْبِ مِنْ أَرْضِنَا زَرَعٍ لِحْتِطْبِ
هَلْ وَعَدَ بلفور تَشْرِيعَ إِذَا فَرَطْتَ
أَغْلُوطَةٌ مِنْهُ تَدْعُو النَّاسَ لِلعَجَبِ ؟
مَا حَكَمَهُ بَعْدَ أَحْكَامِ السَّمَاءِ وَلَا
يَرْضَى بِهِ بَعْدَ حَكْمِ اللَّهِ غَيْرَ غَيْبِي
يَحْصُوطُهُ بِاسْمِهِ القَانُونِ مَعْتَصِمًا
بِنَصِّهِ مَعْنِنًا كَالْفَيْصَلِ الذَّكْرِبِ

(١) من قصيدة عنوانها « صوت فلسطين » ديوان الطليعة ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) من قصيدة عنوانها « فلسطين الدامية » المصدر السابق ص ٨٢ .

الاستعمار

النص الأول للشاعر إبراهيم طوقان (١)

قد شهدنا لعهدكم بالعُداله
وختمننا لجنودكم بالبساله
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً
كيف ننسى انتدابَه واحتلاله
وخجائنا من لطفكم يوم قلتم
وعدُّ بلفور نافذ لا محاله
ولئن ساء حالنا فكفانا
أنكم عندنا بأحسن حاله
غير أن الطريق طالت علينا
وعليكم فمالنا والاطاله
أجلاء عن البلاد تريدون
فنجبلو أم محقنا وألا زاله ؟

النص الثاني للشاعر نفسه (٢)

منذ احتلتم وشؤم العيش يرهننا
فقراً وجوراً وإتعاساً وإفساداً
بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم
وكان وعداً تلقيناه إيعاداً
واليوم من شؤمكم نبلى بكارثة
هذا هو الطين والماء الذي زاداً

(١) من قصيدة عنوانها « أيها الأقوياء » ديوان إبراهيم ص ٧٩ .

(٢) من قصيدة عنوانها « زيادة الطين » المصدر السابق ص ٨٥ .

النص الثالث للشاعر إبراهيم الدباغ (١)

ما الانتدابُ أمرٌ مآه وغايته
إذ لالُ حرٌّ أبىَّ باسم غير أبى ؟
أم الانتدابُ يرامُ الاغتصابُ به
معنى ، وأحرفه في ذمة العَرَب ؟
لما انتدبتم حَسِينًا خيراً منتدب
موفّقٍ وابتلينا شرّاً منتدب
ملائتم الأرض من عدلٍ وأغنية
عنه فهل أخذتها هزّة الطَّرب ؟
العدل شمرٌ خياليٌ حقيقته
في ذمة الظلم والتدليس والكذب

النص الرابع للشاعر إبراهيم طوقان (٢)

أبا المكارم أشرف من علاك وقل
أرى فلسطين أم دنيا الأعاجيب
وانظر إلينا وسرح في الحمى بصراً
عن الهدى لم يكن يوماً بمحجوب
تجدد قوياً وفي وعد الدّخيل ولم
يكن لنا منه إلا وعد عرقوب
ومرّ سبع وعشر في البلاد له
وحكمه مزج ترهيب وتجريب
قد تنتهي هذه الدنيا وفي يده
مصيرنا رهن تدريب وتجريب

(١) من قصيدته السابقة « فلسطين الدامية » .

(٢) من قصيدة عنوانها « رثاء أبى المكارم عبد المحسن الكاظمى » ديوان

إبراهيم ص ١٦٨ .

الخبيرة اليهودية

النص الأول للشاعر إبراهيم طوقان (١)

أرى عدداً في الشؤم لا كئلاثة
وعشر ، ولكن فاقه في المصائب
هو الألف لم تعرف فلسطين ضربةً
أشدّ وأنكى منه يوماً لضارب
يهاجر ألفٌ ثم ألفٌ مهرباً
ويدخل ألفٌ سائحاً غير آيب
وألفٌ جواز (٢) ثم ألفٌ وسيلةً
لتسهيل ما يكفونه من مصاعب
وفي البحر آلاف كأن عبابه
وأواجبه مشحونة بالمراكب
بنى وطني هل يقظة بعد رعدة
وهل من شعاع بين تلك الغياهب
فوالله ما أدري ولليأس هبطة
أنادي أميناً أم أهيب براغب (٣)

النص الثاني للشاعر نفسه (٤)

يا ابن البلاد وأنت سيّد أرضها
وسمائها إني عليك لمثفّق

(١) من قصيدة عنوانها « الرقم ١٠٠٠ » المصدر السابق ص ٧٩ .

(٢) المراد جواز سفر .

(٣) الاشارة الى سماحة الحاج أمين الحسيني والى المرحوم راغب النشاشيبي وكانا رئيسي الحزبين المتزاحمين في فلسطين .

(٤) من قصيدة عنوانها « في رثاء المرحوم موسى كاظم الحسيني »

المصدر نفسه ص ١٦٣ .

انظر لعيشك هل يسرك أنه

ورد يغيض وهجرة تـدفق ؟

ماذا يرد الظلم عنك أحسرة

أم زفرة أم عبرة تترقرق ؟

أم بئس الشكوى تظن بيانها

سحراً وحجتها الضحى يتألق ؟

لا تلجان إذا ظلمت لمنطق

فهنالك أضيع ما يكون المنطق

المحافظتُ على الأرض

النص الأول للشاعر إبراهيم طوقان (١)

باعوا البلاد إلى أعدائهم طمعاً
بالمال ، لكنما أوطانهم باعوا
قد يُعذرون لو ان الجوعَ أرغمهم
والله ما عطشوا يوماً ولا جاعوا
تلك البلادُ إذا قلتَ اسمها وطن
لا يفهمون ، ودون الفهم أطماع
أعداؤنا - منذ أن كانوا - (صيارفة)
ونحن - منذ هبطنا الأرض - (زُرّاع)
لم تعكسوا آية الخلاق بل رجعتُ
إلى اليهود بكم قُربى وأطباعُ

* * *

يا بائعَ الأرض لم تحفلْ بعاقبة
ولا تعلمت أن الخصمُ خداع
لقد جنيتَ على الأحقادِ والهَفَى
وهم عبيد وخُدّام وأتباع
وغرّك الذهب اللمّاع تحرزه
إن السّرّاب كما تكديه خداع
فكّر بموتك في أرض نشأت بها
واتركْ لقبركَ أرضاً طولها باع

(١) من قصيدة عنوانها « الى بائعى الأرض » المصدر السابق ص ٥١ .

النص الثاني للشاعر نفسه (١)

حبذا لو يصوم منّا زعيم
مثل « غندي » عسى يثفيد صيامه

لا يصم عن طعامه في فلسطين
يموت الزعيم لولا طعامه

ليصم عن مبيعته الأرض يحفظه
بقعة تستريح فيها عظامه

* * *

بارك الله في حريض على الأرض
غيورٍ ينهى إليها اهتمامه

هم حمة البلاد من كل سوء
وهم معقل الحمى ودعامته

نهجوا منهج القوى وصفوا
لجهاد منصوره أعلامه

* * *

آزروا القائمين بالعمل الصالح
إن الأبي هـذا مقامه

آزروهم بالمسال فالأرض صندو
ق لالكم بل قوامه

اشتروا الأرض تشتریکم من الضيم
وآت مسودة أيامه

(١) من قصيدة عنوانها « اشتروا الأرض » نفس المصدر ص ٥٣ .

النص الثالث للشاعر نفسه (١)

أنت « كالأحتلال » زهواً وكبراً
أنت « كالانتداب » عجباً وتيهماً
أنت كالهجيرة التي فرضوها
ليس من حيلة لقومك فيها
أنت أنكى من بائع الأرض عندي
أنت أعذاره التي يدعيها
لك وجه كأنه وجه « سمسار »
على شرط أن يكون وجهها
وجبين مثل الجريدة لها
لم تجد كاتباً عفيفاً نزيهاً
وحديث فيه ابتذال (احتجاج)
كلما نمقوه عاد كزيها
جمعت فيك عصبية للبلايا
وأرى كل أمّة تشبكيها

النص الثالث للشاعر نفسه (٢)

أمّا سمسرة البلاد فعصبة
عار على أهل البلاد بقاؤها
إيليس أعلن صاغراً إفلاسَه
لما تحقق عنده إغراؤها

(١) من قصيدة عنوانها « الى ثقيل » لم يتضمنها ديوان الشاعر وقد نشرت في العدد ٢٥١ من جريدة الدفاع الفلسطينية التي كانت تصدر في يافا بتاريخ ١٧/٢/١٩٣٥ .

(٢) من قصيدة عنوانها « السمسرة » نفس المصدر ص ٧٨ .

يَتَتَعَمَّنُونَ مَكْرَمِينَ كَأَنَّمَا
لِنَعِيمِهِمْ عَمَّ الْبِلَادِ شِقَاؤُهَا
هَمْ أَهْلَ نَجْدَتِهَا وَإِنْ أَنْكَرْتَهُمْ
وَهُمْ وَأَنْفُسُكَ رَاغِمٌ زُعْمَاؤُهَا
وَحُمَاتُهَا وَبِهِمْ يَيْتَمُ خَرَابُهَا
وَعَلَى يَدَيْهِمْ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا
كَيْفَ الْخِلَاصُ إِذَا النُّفُوسُ تَرَاخَمَتْ
أَطْمَاعُهَا ، وَتَدَافَعَتْ أَهْوَاؤُهَا

النضامين والاياء

النص الأول للشاعر إبراهيم طوقان (١)

وطنى أخفاف عليك قوماً أصبحوا
يتسبألون من الزعيم الأليق ؟
لا تفتحوا باب الشقاق فإنه
باب "على سئود العواقب مغلق
والله لا يترجى الخلاص وأمركم
فوضى ، وشمل العاملين ممزق
أين الصفوف تنسقت فكأنما
هي حائط دون الهوان وخذق ؟
أين القلوب تألفت فتدافعت
تغشى اللهب وكل قلب فيلق ؟
أين الأكف تصافحت وتساجت
تبنى وتصنع للخلاص وتنفق ؟
أما الزعامة فالحوادث أممها
تُعطي على قدر الفداء وترزق

النص الثاني للشاعر نفسه (٢)

ما لكمم بعضكم يمزق بعضاً
أفرغتم من العبود الكلدود ؟
إذهبوا في البلاد طولا وعرضاً
وانظروا ما لخصمكم من جهود

(١) من قصيدته السابقة « رثاء المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني » .

(٢) من قصيدة عنوانها « رثاء الشيخ سعيد الكرمي » ديوان إبراهيم

والمسوا باليدين صرّحاً منيعاً
شاد أركانَه بعزمٍ وطيد
شاده فوق مجدكم وبتناه
مُشمخراً على رفات الجدود
كلّ هذا استفاده بين فوضى
وشقاقٍ وذلكة وهجود
واشغالٍ بالتشرّعات وحبّ الذا
ت عن نافع عميم مجيد

النص الثالث للشاعر نفسه (١)

دارَ الزّعامة والأحزاب كان لنا
قضيةً فيك ضيّعنا أمانها
هل تذكرين وقد جاءتك ناشئة
غنية دونها الأرواح تفديها
تودّ لو وجدت يوماً أخائقة
لديك يوسّعها برأً ويحميها
ما كان كفوّاً عفيفاً النفس كافلها
ولا أبياً حمي الأنف راعيها
ولا أفادت سوى الأحقاد تُضرمها
فوق البلاد زعامات وتذكيها
ولم تبال بما تلقى لها حطباً
ولا بأى كرام الناس ترميها
قضية نبذوها بعد ما قتلت
ما ضر لو فتحوا قبراً يواريها

(١) من قصيدة عنوانها « القدس » جاء في مقدمتها « بمناسبة التطاحن الحزبي الذي تفشى في فلسطين حينذاك وكانت القدس بوصفها عاصمة البلاد مركز ذلك التطاحن » المصدر السابق ص ٧٧ .

الوعى القومى

النص الأول للشاعر إبراهيم طوقان (١)

أمامك أيُّها العربيُّ يوم
مصيرك بات يلمسه الأعداى
فلا رحبُ القصورِ غداً ببقِ
لنا خصمان ذو حُولٍ وطولٍ
تواصوا بينهم فأتى وبالا
مهاجٌ للإبادة واضحات

تشيب لهوله سُود النواصى
وسارَ حديثه بين الأقباصى
لساكنها ، ولا ضيق الخصاص
وآخر ذو احتيالٍ واقتناص (٢)
وإذلالا لنا هذا التواصى
وبالحسنى تنفذ والرصاص

النص الثانى للشاعر عبد الرحيم محمود (٣)

يا ذا الأميرِ أمام عيِّنك شاعرِ
ضُمَّت على الشكوى المريرة أضلعه
المسجد الأقصى أجئت تزوره
أم جئت من قبل الضياع تودعه ؟
حرمٌ تباح لكل أوكع أبقِ
ولكل أفلق شريدٍ أربعه
وغداً وما أدناه لا يبقى سوى
دمع لنا يهْمى وسينٌ نقرعه

(١) من قصيدة عنوانها « مهاج » المصدر السابق ص ٥٧ .

(٢) يقصد الشاعر بذات الحول والطول حكومة الانتداب وبذات الاحتيال والاقتناص الصهيونية .

(٣) من قصيدة عنوانها « نجم السعود » القاها الشاعر فى قريته

« عنبتا » بين يدى سمو الأمير سعود ابن عبد العزيز - الملك سعود - أثناء زيارته لفلسطين فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٥ ديوان عبد الرحيم محمود

الحض على الثورة

النص الأول للشاعر برهان الدين العبوشي (١)

لَهْفَى عَلَى اللَّيْثِ الْمَهْدِدِ غَابَهُ قَدْ كَانَ أَجْدَرُ أَنْ يَمُوتَ بِبِغَايِهِ
وَالْحَرَّةُ يَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ بِسَيْفِهِ فَإِذَا تَحَطَّمَتْ سَيْفُهُ فَبِنَابِهِ
فَلَنَمُتْ لِلْمِوتِ الزَّوَامِ كَمَا مَشَى جَيْشِ النَّبِيِّ بِشَيْبِهِ وَشَبَابِهِ
فَالْمَجْدُ لَا يَبْنِي بغيرِ جَمَاجِمِ وَالْمَجْدُ تَحْمِيهِ سَيْفُوفُ غِضَابِهِ

النص الثاني للشاعر عبد الرحيم محمود (٢)

دَعَا الْوَطْنَ الذَّبِيحَ إِلَى الْجِهَادِ فَخَفَّ لِفَرْطِ فَرَحَتِهِ فَوَادَى
وَسَابَقَتْ الرِّيَّاحُ وَلَا افْتِخَارِ أَلَيْسَ عَلَىَّ أَنْ أَفْدَى بِلَادَى ؟
وَقَلَّتْ لَنْ يَخَافَ مِنَ الْمَنِيَا أَتَفَرَّقُ مِنْ مُجَابَهَةِ الْعَوَادَى ؟
أَتَقَعِدُ وَالْحَمَى يَرْجُوكَ عَوْنًا وَتَجْبُنُ عَنِ مُصَاوَلَةِ الْأَعَادَى ؟
وَلِلْأَوْطَانِ أَجْنَادُ شِدَادِ يَكِيلُونَ الدَّمَارَ لِكُلِّ عَادَى
بَنَى وَطْنِي دَنَا يَوْمَ الضَّحَايَا أَعْرِضْ عَلَى رَبِّهَا أَرْضَ الْمَعَادِ
وَمَا أَهْلُ الْفِدَاءِ سِوَى شَبَابِ أَبِي لَا يَقِيمُ عَلَى اضْطِهَادِ
أَثِيرُوا لِلنَّضَالِ الْحَقِّ نَارًا تَصَبَّ عَلَى الْعِدَا فِي كُلِّ وَادِ
فَلَيْسَ أَحَطُّ مِنْ شَعْبٍ قَعِيدِ عَنِ الْجُلِيِّ وَمَوْطَنِهِ يَتْنَادِ

(١) من قصيدته السابقة « الوطن البيع » .

(٢) من قصيدة عنوانها « دعوة إلى الجهاد » ديوان عبد الرحيم

النص الثالث للشاعر إبراهيم طوقان (١)

انفروا أيها النيام فهذا
نبئتوني عن القوي متى كان
لا يكن القوي حتى يلاقى
لا سمت أمة دهتها خطوب

يوم لا ينفع العيون كراها
رحيماً ؟ هيئات من عزها
مثلة عزّة وبطشاً وجاها
أرهقتها ولا يثور فتاها

النص الرابع للشاعر عبد الرحمن الكيالي (٢)

يا قوم هل من غصبة مضرية
هالا جمعتم للعدو أموركم
ونفضتم عن عينكم هذا الكرى
فالحر من يلقى القنا بفؤاده
والدار لا يصفو لشعب جوشها
والخصم ليس براجع عن غيئه

أو صيحة فوق الزئير المرعد
ومشيتم مشى الكريم الأمجد
من قبل تفتيت الحشا والأكبد
ويرد كيّد العاشم المتهدد
حتى يكون بها القوي المخوذ
حتى يركد إلى لئيم المورد

النص الخامس للشاعر إبراهيم طوقان (٣)

تمكن الذئب من قومي فلا عجب
ألا يبالوا بتقريع وتأنيب
ما أشرف العذر لو ان الوغى نثرت
أشلاءهم بين مطعون ومضروب
لكن دهتهم أساليب العداة وهم
ساهون لاهون عن تلك الأساليب

(١) من قصيدة عنوانها « يا رجال البلاد » ديوان إبراهيم ص ٥٥ .

(٢) من قصيدة عنوانها « ذكرى وعد بلفور المشئوم » الفتح — العام

التاسع — العدد ٤١٩ .

(٣) من قصيدته السابقة « رثاء أبي المكارم » .

ويقتنعون بمبذولٍ يَلْوَحُّهُ
مُستعمروهم بتبعيد وتَقَرُّبِ
كانهم لم يَشِيدْ مَجْدَ أولهم
على الشُّيُوفِ وَأَطْرَافِ الأَنْبَابِ

النص السادس للشاعر وهيب رشيد البيطار (١)

وطنى ما حييت أفديك بالروح
ومنذا بالروح غَـيْرِكَ يَفْـدِي ؟
هِمَّتْ مِنْذ الصَّبَا بِحُبِّ بِلَادِي
ووجدتَ المريرَ في الحبِّ شَهْدَا
يا سَمَاءَ الإلهامِ ، يا مَهْبَطَ الوَحْيِ
إِلَامَ السُّكُوتِ وَالخُطْبِ جَدَا ؟
أنتَ غُذِّيْتَنِي فَهَـكْ قِصِيدِي
مِدْفَعاً قَاصِفاً وَبِرَقاً وَرَعْدَا

* * *

أيها العُربُ في فلسطينِ جدّوا
ما يفلُ النُحْدِيدُ إلا حَـدِيدِ
جِدِّ يا خُطْبِ وادلهمْ فِعْزَمِي
في مَجَالِ الوَعْيِ سَتَعَلِمُ أَنِي
إن يومَ الخِلاصِ باتَ قَريباً
بات هَزَلُ الزَمَانِ وَاللهِ جَدَا
بيدِ الحَقِّ أَحْرَهُ أَنْ يُمَـدَا
ما ييسارى عَقْدَتَهُ اليَوْمِ عَقْدَا
منك أَمْضَى لَدَى النَوَائِبِ حَدَا
يَوْمَ نَعَّشَى المُنُونَ وَفُؤْدَا

النص السابع للشاعر إبراهيم طوقان (٢)

إنما عدة الضعيف احتجاج
كل يوم حزب وحلم فحدث
لم يجاوز حدَّ السطورِ احتدَامه
عن ضعيفٍ سَـلَاحه أَحلامُه

(١) من قصيدة عنوانها « تحية فلسطين » الأهرام - السنة ٦٢ -
العدد ١٨٣٧٥ - ١٩٣٦/٢/٧ .

(٢) من قصيدته السابقة « اشترُوا الأَرْضَ » .

مغرّم بالبلاد صبّ ولكن بسوى القول لا يفيض غرامه
بطل إن علا المنابر كرّار سريع عند الفعال انهزامه

النص الثامن للشاعر نفسه (١)

يا رجال البلاد يا قادة الأُمَّة
هل لديكم سياسة غير هذا القول
عرف الناس والمنابر والأقلام
مثل القول لا يؤيده الفعل
وهو كالدّوحة العقيم ظلال
ماذا دهاكم ودهاها ؟
يحيى من النفوس قواها ؟
أفضالكم فهاثوا سواها
أزاهير لا يفوح ثناها
واخضرار ولا يرجئ جناها

النص التاسع للشاعر نفسه (٢)

أنتم المخلصون للوطنية
أنتم العاملون من غير قول
وبيان منكم يعادل « جيشاً »
« واجتماع » منكم يرد علينا
وخلص البلاد صار على الأبوا
ما جحدنا أفضالكم غير أننا
في ديننا بقية من بلاد
أنتم الحاملون عبء القضية
بارك الله في الزنود القسوية
بمعدّات زحفه الحربيه
غابر المجد من فتوح أميه
بوجاءت أعياده الوردية
لم تزل في نفوسنا أمنييه
فاستريحوا كي لا تطير البقيه

النص العاشر للشاعر عبد الكريم « أبو سلمى » (٣)

أفاقك الحمر انقشت راياتها
ثورى ولو فرش الذين طغوا على
إيه فلسطين اغضبى وتحررى
قد أقسمت ألا تظل ذليلا
طرق الجهاد أسنّة ونصولا
ضاعت حقوقك بين قال وقبلا

(١) من قصيدته السابقة « يا رجال البلاد » .

(٢) من قصيدة عنوانها « انتم » يخاطب بها زعماء فلسطين ديوان

ابراهيم ص ٨٠ .

(٣) من قصيدة عنوانها « يا فلسطين » الرسالة — العدد ١٥٤ —

أمهلت ظالمك العتل وما درى
لا مجد إلا حيث يشتجر القنا
أن التهامس يستحيل صليلا
فنشيده مجد أثم أثيلا

النص الحادى عشر للشاعر مطلق عبد الخالق (١)

قدمتم قبل أيام مذكرة
يا ليت أنا عرفنا ما يطرزها
وليتنا ما جهلناها وما جمعتم
رويدكم لا تلوموا إننا بشر
مذكرات كثير العد قد سبقت
يا سادتى قد قضيتم فى كتابتها
ماذا جنيتم سوى إغراض أمتكم
طوبى لكم قد حصدتم بعض ما بذرت

إلى الحكومة يا قوم الزعامات
من المعانى ومن سامى العبارات
من الحلول الأبعاد الظلامات
من التراب وأنتم فى السموات
هذى فراحت شظايا كالقصاصات
شهرأ فأمهلتكم شهرأ وساعات
عنكم وغير شماتات الحكومات
أيديكم من «زوان» فارقبوا الآتى

النص الثانى عشر للشاعر نفسه (١)

لهفى على وطن تنازع أهله
الضغن والشحناء بعض خطوبه
وتبلىل الرأى الشئيت وعزة
وتواكل فى الحادثات وذلة

عبث الرءوس وضيعة الأذنباب
ومصارع الأخلاق والآداب
موعودة وتناحر الأحزاب
وفتور أشياخ ونوم شباب

* * *

يوم الهوان نكأت جرحاً داميا
ورجعت بي عشرين عاما كلها

وأثرت بالذكرى الأليمة ما بى
تبريح آلام وطول عذاب

(١) من قصيدة عنوانها « إلى الزعماء » ديوان الرحيل .
(٢) من قصيدة عنوانها « يوم الهوان » قالها الشاعر فى ذكرى
احتلال القدس فى ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧ على يد الجنرال اللبنى - المصدر
السابق ١٠

تجديد البذل والفداء

النص الأول للشاعر أبي سلمى (١)

جبل النار يأعز الجبال أنت لازلت معقود الآمال
تثبت المجد فوق سفحك فينان وتسقيه من دم الأبطال
يُفصح الصخر عن شمائل أبنائك فوق الكلطي وعند النزال
ما ذكرنا حماك إلا انتشيننا وانتشت نخوة رعوس الرجال

* * *

أيها الثائرون في جبل النار سلاماً يا زينة الأبطال
لكم الله يا حمة فلسطين زحمتهم مصارع الأجيال
تحملون الأرواح فوق أكف وتبيعونها ولكن غوالي
ورصاصاتكم تمر على الأيا م حمراً مضيئة في الليالي
تصرع الطائرات مثل طيور الجو تهوى ما فوق تلك التلال
يسمع الجند في صداها لغي الموت فلا يثبتون يوم القتال

* * *

أيها الثائرون قولوا فإن الكون يُصغى إلى لهيب المقال
والمعوا في غياهب الظلم تجلوها فإن الجهاد رحب المجال
إنما الحق من بنادقكم يسطع والعدل من وراء العوالي
انظروا اليوم كيف يلتفت التاريخ حتى يرى بريق النصال

(١) من قصيدة عنوانها « جبل النار » وهو لقب يطلق على جبل نابلس وهو مكون من سلسلة جبال دارت فيها المعارك بين المجاهدين والقوات البريطانية سنة ١٩٣٦ .

الرسالة — العدد ١٦١ — ١٩٣٦/٨/٣ .

(م ١٤ — الشعر العربي الحديث)

جبل النار زارةً تجعل الدهر
جبل النار لم تخلدك إلا
جبل النار إقذف النار حتى
يحيى مَطمَ الأغلل
ثورة في سبيل الاستقلال
نبصر النور يا أعز الجبال

النص الثاني للشاعر نفسه (١)

هذي فلسطين استحالت هرماً
من كل قطر عربي فتية
هبت على الوادي وأجرت دمها
فيه من الخلود أزكى طيبه
مقدساً فقبّلوا التراب النعدي
ثائرة ترعى أصول المحتد
متحداً ، يا للدم المتحد !
وهو يد الثورة بل أسمى يد

* * *

أخت صلاح الدين عشت حرة
دعى « عصابة اللصوص » جانباً
كم وعدوا إن الرصاص وحده
معركة اليرموك هذا نقتعها
يروح فوق رأسنا ويغتدى
فيه من الماضي عَبر السؤدد
تمشى على آثارنا وتقتدى
النار فيها تنتهي وتبتدى

* * *

يا قائد الثورة سَعَر نارها
واخضب ليلاليها دما واسمع صدى
واطلع على الأيام وانشر وهجاً
وزجّ في قاع السعير المعتدى
قول الزمان : يا كواكب اشهدى
فيه سنا الجهاد والتمرد

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين » الرسالة - العدد ١٦٨ -

١٩٣٨/٩/٢١ .

(٢) أصلها تتهودى حذفت احدى التاعين .

واخلع على الجبال أبراد العلا حق لها يوم اللقا أن ترتدى
وقد فلسطين إلى تاريخها وقل لها سودى وإلا استشهدى

* * *

أم العروبة اضحكى يا أمنا فكلنا اليوم أبر ولد
يهفو إلى بيض الصفاح باسمها الخود قبل الشيخ قبل الأمد
ننتثر ما فوق الثرى قلوبنا لينبت استقلالنا بعد غد
فيا قلوب الثائرين أنشدى على المدى ويا سفوح ردى

النص الثالث للشاعر عبد الرحيم محمود (١)

سأحمل رُوحى على راحتى وألقى بها فى مهاوى الردى
فإمّا حياة تسرّ الصّديق وإمّا ممات يَغِيظُ العدا
ونفسُ الشّريف لها غايتان وُرود المنايا ونيلُ المنى
وما العيشُ لا عشت إن لم أكن مخوف الجناب ، حرام الحمى
إذا قلت أصغى لى العالمون ودوى مقالى بين الورى

* * *

لعمرك إننى أرى مصرعى ولكن أغذّ إليه الخطى
أرى مقتلى دون حقى السليب ودون بلادى هو المبتغى
لعمرك هذا ممات الرجال ومن رام موتاً شريفاً فذا
فكيف اصطبارى لكيد العدو وكيف احتمالى لسوّم الأذى ؟
أخوفاً ! ؟ وعندى تهون الحياة وذلاً ؟ ! وإنى لرب الإبا ؟
بقلبى سأرمى وجوه العداة فقلبى حديد ونارى لظى
وأحمى حياضى بحد الحسام فيعلم قومى بأنى الفتى

(١) من قصيدة عنوانها « الشهيد » ديوان عبد الرحيم محمود ص ١٣

النص الرابع للشاعر نفسه (١)

شعب تمرّسَ في الصعاب ولم تنلّ منه الصعاب
لوهمه انتاب الهضاب لكدككتّ منه الهضاب
متمرد لم يرضَ يوماً أن يقرّ على عذاب
وعاداته رغم الأنوف تذكلاً حانو الرقاب
مثل حدا حداى الزمان به وناقلت الركاب
إن تجهل العجَب العجَاب فإننا العجب العجَاب
نحن الألى هاب الوجود وليس فينا من يهاب
وسل الذى خضع الهواء له وذلّ له الصعاب (٢)
هل لان عود قناتنا؟ أو هل نبتّ عند الضراب؟

* * *

حيّيت من شعب تخلّد ليس يعروه ذهاب
لفت الورى منك الزئير مزمجراً من حول غاب
وأرى العدا ما أذهل الدنيا وشاب له الغراب
عرف الطريق لحقبه ومشى له الجدد الصواب
الحق ليس براجع لذويه إلا بالحراب
والصرخة النكراء تجدى لا التلطف والعتاب

(١) من قصيدة عنوانها « شعب فلسطين » أخذناها عن المصدرين الآتيين :

أولا : الرسالة - العدد ١٥٦ - ١٩٣٦/٨/٣١ .

ثانيا : ديوان عبد الرحيم محمود ص ١٦ وعدد أبيات القصيدة في المصدر الأول سبعة عشر بيتا وفي الديوان ثلاثة عشر بيتا فقط مع تغيير في الفاظ بعض الأبيات .

(٢) يريد الشاعر بالذى خضع الهواء له وذلّ له الصعاب . حكومة بريطانيا وقوتها الجوية .

والنار تَضْمَنُ والحديد
حكهما فيما تريد ففيهما فصل الخطاب

النص الخامس للشاعر إبراهيم طوقان (١)

عَبَسَ الخُطْبُ فابْتَسَمَ وطفى الهولُ فاقْتَحَمَ
رابطُ الجأسِ والنهى ثابتُ القلبِ والقَدَمِ
لم ييأس الأذى ولم يئنّه طارئ الألمِ
نفسه طوعَ همّةً وجمت دونها الهممِ
تلتقى في مزاجها بالأعاصير والحممِ
تجمع الهائج الخضم إلى الراسخ الأثمِ
وهي من عنصر الفدا ومن جوهر الكرمِ
ومن الحق جذوة لفحها حرر الأممِ

* * *

سار في منهج العلا يطرُقُ الخلدَ منزلاً
لا ييألى مكبلاً ناله أم مجدلاً
فهو رهن بما عزم

ربّما غاله الردى وهو بالسجن مرتين
لم يشيع بدمعة من حبيب ولا سكن
ربما أدرج التراب سلبيا من الكفن
لست تدري بطاقتها غيبتته أم القتن
لا تقل أين جسمه ؟ واسمه في فم الزمن

(١) من قصيدة عنوانها « الشهيد » ديوان إبراهيم ص ٣٦ .

إنه كوكب الهدى لاح في غيب المحسن
أرسل النور في العيون فما تعرف الوسن
ورمى النار في القلوب فما تعرف الضغن

* * *

أى وجهه تهللاً يرد الموت مقبلاً
صعد الروح مرسلأ لحنه ينشد الملا
أنا لله والوطن

النص السادس للشاعر نفسه (١)

لاتسل عن سلامته رُوحه فوق راحتته
بدلته همومه كفنأ من وساداته
يرقب الساعة التي بعدها هـول ساعته
شاغل فكر من يرا بين جنبيه خافق
من رأى قحمة الدجى حملته جهنم
هو بالباب واقف والردي منه خائف
فاهدنى يا عواصف خجلاً من جرائته

* * *

(١) من قصيدة عنوانها « الفدائي » أوحى بها أن الحكومة المنتدبة عينت يهوديا بريطاني الجنسية في وظيفة النائب العام في فلسطين اسمه « المستر نورمان بنتوتش » فأمعن في النكايه والكيد للعرب بالقوانين التعسفية الجائرة التي كان يسنها ولما ثقلت على العرب وطأته كمن له أحد الشبان المتحمسين في مدخل دار الحكومة بالقدس وأطلق عليه النار فأصابه بجراح .
المصدر السابق ص ٦٥ .

صامتة لو تكلمنا
قل لمن عاب صمته
وأخو الحزم لم تزل
لا تلوموه قد رأى
وبالاداء أحبها
وخصوما بيغيهم
مر حين فكاد
هو بالباب واقف
فأهدئي يا عواصف
لفظ النار والدمار
خلق الحزم أبكما
يده تسبق الفما
منهج الحق مظلماً
ركنها قد تهدماً
ضجت الأرض والسميا
يقتله اليأس إنما
والردى منه خائف
خجلا من جراته

النص السابع للشاعر أبي الإقبال سليم اليعقوبي (١)

غضبت فلسطين فثار شبابها
أرأيت كيف يثور فيها الضيغم
لم تجدها لغة الكلام وإنما
تلك الأسننة وحدها تتكلم
لو كان يجدي القول في يوم الوغى
ما كان يجديه هناك اللهم
لكتبت ألف مقالة وخطابة
ونظمت ما نظموا وما لم ينظموا
لغة الكلام تضيع مع لغة الضبا
هل بالكلام من الرزية نسلم

(١) الدكتور كامل السوافيري - الاتجاهات الفنية في الشعر
اللسطيني المعاصر ص ٤٥ .

« لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم »
أن الدمّ المهرق لو تدرونه
رمز الشباب ورمز من لا يهرم
ولمن أريقته أو تُراق دماؤهم
منا الخلود وخير من خلدوا هم
هم أنطقوا السيف الجزاؤ عنهم
ذاك المهند في الخطوب يتترجم
وأرى المهند ذا لسان ناطق
أما اليراع فلا لسان ولا فم

تخلي الشهداء

النص الأول للشاعر عبد الرحيم محمود (١)

أئذا أنشدتُ يوفيك نشيدي حقتك الواجب يا خير شهيد
أى لفظ يسع المعنى الذى منك أستوحيه يا وحى قصيدى ؟
كملتُ فيك المروءات فلم يبقى منها زائد للمستزيد
حسرتا للوطن العانى ، وللأمل القانى ، ويا تعس الحدود

* * *

أيها القائد لم خلقتنا ولن ونهيتَ تصريف الجنود
أقفر الميدان من فرسانه وخلا من أهله غاب الأسود
خمدت نار لقد أضرمتها لعدا كانوا لها بعض الوقود
والحمى قد ريعَ يا ذخر الحمى وغدا بعدك منقوص الحدود
لم أكن قبلك أدرى ما الذى يرخص الدمع ويودى بالكبود
كل بيت لك فيه مآتم يندب الناس به أغلى فقيد

النص الثانى للشاعر إبراهيم ياسين القطان (٢)

(عبد الرحيم) تحية وسلام لا الشئعر مغن لا والإلهام
يَهْنِيكَ عِشْتِ مجاهداتحمى الحمى تمشى طريقا خطهما (القسم)

(١) من قصيدة عنوانها « البطل الشهيد » قيلت في رثاء زميل الشاعر في الجهاد القائد المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد الملقب بأبى كمال وهو من قرية « عنبتا » قرية الشاعر واستشهد في ٢٦ مارس سنة ١٩٣٩ .
ديوان عبد الرحيم محمود ص ١٢ .

(٢) من قصيدة عنوانها « المجاهد الشهيد » وهو القائد عبد الرحيم الحاج محمد .
الفتح - العام الثالث عشر - العدد ٦٤٨ والشاعر من أبناء الأردن .

ولأنت سيف باقر صمصام
ونهضت لم يصعب عليك مرام
بحر خضم قد علاه ظلام
ودوت قذائف واستشراط حمام
والإيك يسند في الخطوب زمام
لا بالكلام فما يفيد كلام
راياتك الإجلال والإقدام

فانعم فإنك رمز عز خالد
جاهدت لا تخشى غشوما ظالما
حتى إذا التقت الصفوف كأنها
وتصايح الأبطال في ساح الوغى
أقبلت بالنصر المبين مفرجا
حرية الأوطان بالدم تشترى
إيه فلسطين العزيزة أقدمى

النص الثالث للشاعر إبراهيم طوقان (١)

وعلى جهادك من وقارك رونق
ترك الشيبية في حياء تطرق
كالجمر تحت رماده يتحرق
جيش " من الأيام حولك محقق
في نصفها عذر لمن لا يلحق
سبب لمعذرة به يتعلق
صلب وما ينفك غضًا يورق

وجه القضية من جهادك مشرق
الله قلبك في الكهولة إنه
قلب وراء الشيب متقد الصبا
أقدمت حتى ظل يعجب واجما
تلك الثمانون التي وفيتها
لكن سبقت بها فما لمقصّر
عمرتها كالدوح ظاهر عوده

* * *

وارتاح قلب بالقضية يخفق
ملء الصدور وذكره لا يخلق

أفضى الرئيس إلى ظلال نعيمه
آثاره ملء العيون وروحه

(١) من قصيدته السابقة « رثاء المرحوم موسى كاظم الحسيني » والد
البطل الشهيد عبد القادر الحسيني .

الآغاني والآناشيد

النشيد الأول للشاعر إبراهيم طوقان (١) (موطني)

موطني الجلال والجمال والسناء والبهاء في ربك
والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هوائك
هل أراك

سالمًا منما وغانما مكرما
هل أراك في علاك
تبلغ السمك

موطني

موطني الشباب لن يكل همه أن تستقل أو يبيد
نستقى من الردى ولن نكون للعدا كالبيد

لا نريد

ذلتنا المؤبدا وعيشنا المنكدا

لا نريد بل نعيد

مجدنا التليد

موطني

موطني الحسام واليراع لا الكلام والنزاع رمزنا
مجدنا وعهدنا وواجب إلى الوفا يهزنا
عزنا

غايةً تشرُفُ ورايةً تترُفرف
يا هَنَّاك في علاك
قاها را عِداك
مِوطنى

النشيد الثانى للشاعر نفسه (١)

وطنى أنتَ لى والخصم راغم
وطنى إبنى إن تَسَلِّمَ سالم
يا شبا بنا انهضوا
ولنععل الوطن
وانهضوا وارفعوا عالياً
مجدكم خالدا سامياً
وطنى أنت كل المنى
وبيك العزلى والهنبا
آن أن ننهضا
فلنعم الوطن
مجدكم خالدا سامياً

* * *

وطنى مجده فى الكون أوحد
وطنى حسنه فى الكون مفرد
يا شبا بنا انهضوا
ولنععل الوطن
وانهضوا وارفعوا عالياً
مجدكم خالدا سامياً
وطنى صافح الكوكبا
جنّة سهله والشربا
آن أن ننهضا
فلنعم الوطن
مجدكم خالدا سامياً

* * *

وطنى حيث لى محب ينطق
وطنى حيث لى فؤاد يكفق
يا شبا بنا انهضوا
ولنععل الوطن
وانهضوا وارفعوا عالياً
مجدكم خالدا سامياً
بلسانى وما أشعر
وبه رايتى تتشمر
آن أن ننهضا
فلنعم الوطن
مجدكم خالدا سامياً

النشيد الثالث للشاعر محمد العدناني

نشيد فلسطين (١)

تاريخها فخرٌ وتربُّها تبرٌ
وجوِّها سحرٌ وخيرها بحرٌ

* * *

هذي فلسطين إسعادها دين
وحورها عين ومجدها وفر

* * *

فتانة القلب ومنية العُرب
ومنتهى حبي وروحي لها مهر
التين والزيتون واللوز والليمون
والنرجس المفتون في أرضها كثر

النشيد الرابع للشاعر اسكندر الخوري البيتجالي

نشيد الجهاد (٢)

يا فلسطين بلادي فيك يحلوا لي جهادي
أنت إن نادى المنادي لك روحى وفؤادي

يا فلسطين بلادي

نحن إن خطب ألمنا بفلسطين بلادي
وطما الشر وعمنا وأحاطتنا الأعادي
تلقنا نقطر سما في ميادين الجهاد

يا فلسطين بلادي

(١) ديوان اللهب ص ٧٤ .

(٢) ديوان آلام وآمال ص ١٥ .

وطنى مسرى النبى وتراث المسلمينا
هو مهد الناصرى هو لى دنيا وديننا
هو مهد العربى رغم أنف الظامعينا
يا فلسطينى بلادى

زأر الليث وزمجره واضعاً للغدر حدا
وعن الأنياب كثر وعلى الأعداء شدا
أسد فى الحرب يزأر يحصد الهامات حصدا
أسد يحمى بلادى

أسد تتلوه أسد من بنى أمى العروبيه
ما لهم فى البأس ند كم كمى بكتييه
كلهم والله جنود لفلسطين الحبيبه
يا فلسطينى بلادى

فى خلال الحرب العالميه الثانيه

١ — شماتة بالانجليز فى أثناء غارات الألمان على بلادهم

النص الأول للشاعر برهان الدين العبوشى

إلى أين ماخى أنت قل لى إلى أيننا
أخاف عليك الأذن والقلب والعيننا
إلى « المسين » أم « للمانش » أم لكليهما
دفعت بجيش الريح ترهقه بيننا

(١) من قصيدة عنوانها « هتلر » نظمها الشاعر يوم اجتاحت هتلر بولونيا
فرنسا واعتقد أن فرنسا ستسحب جيوشها من سورية ولبنان فيستقلان
وأن الجيوش البريطانيه ستضطر للانسحاب من البلاد العربيه فيغتنم أهل
فلسطين الفرصة ويستقلون . ديوان جبل النار ص ٩٦ .

فتى الريح يا للريح من مارد طنى
على ظالميه إذ أرادوا به هوننا
أذلّ فرنسا في ثمان وهذه
نساء فرنسا بالزعيم تحامينا
أقضّ منام الإنجليز وقد غدا
جلالته أنسى استغاث فلا عوننا
تهل عليه السابحات قذائفنا
لها غنة في الجو إمّا تدانينا
رماكم بليث الروم والريح بعضكم
لبعض عدو فاذبحوا بعضكم شينا
فأنتم عدو الشرق لسنا نريدكم
تسابهتّم ظلما تباينتّم لونا
خطيئتكم في القدس هذا جزاؤها
تركتم بها عماتنا يتباكيننا
هتكم شعار الله في القدس ويلكم
فذوقوا عذاب الله ويلكم جونا

النص الثانى للشاعر نفسه (١)

أرّهتّمونا وقربتّم منايانا واليوم تبغوننا ننسى ضحايانا
لم تتركوا فوقها أنثى ولا ذكراً إلا قتلتم له أهلاً وإخوانا
ولم تراعوا لأهل الدين حرمتهم بل انتبذتم وراء الجور صبياننا

(١) من تصيدة عنوانها « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » نظمها الشاعر
ردا على طلب الإنجليز من عرب فلسطين أن يحالفوهم في الحرب الثانية بعد
أن نكلوا بهم في أثناء ثورة سنة ١٩٣٦ .
المصدر السابق ص ٩٨ .

زاحمتمُ اللهُ في الدنيا ففوقكم
وصاح فيكم فأشقتكم وشرّدكم
وما جمعتم طوال العسر بدّده
يحمونكم من نسور الريح خاوية
ومن صواعق يابانية صهرت
تذبيكم في ثنايا الأرض مائعة
تذبيكم مثلما ذبنا وتصهركم
وزلزل الأرض حيتانا وعقبانا
وضاقت الأرض فيكم من خطايانا
وصرتمُ للعبيدِ السّود عبدا
عليكم كرجوم الجن حُسابنا
من حمرة الشمس نيراناً وبركانا
عظامكم وحليف الشر لا كانا
كما صهرتم أمانينا وقتلنا

أبعدُ ما جرتمُ واشتطّ حاكمكم
جئتم تريدوننا أهلاً وخبلاًنا ؟
أبعد ما بعتمُ صهيون حرمتنا
وعرضنا تبتغون العُرب إخوانا ؟
لا كانت العرب إن مدّت لكم يدها
بغير سيف تجلّت فيه أحزاننا
نعالَ رومل إن كنت الذي بعثت
فيه العنّاية آمالا وإيماننا
إن كان لابدء أن تبقى مواطننا
مستعمرات فإن الموت قد هانا

٢ - في أثناء الصراع بين اليهود والانجليز

نص للشاعر محمد العدناني (١)

إبسى الأسود يا قدس حادادا
وابعثها أنثة تشنجى الجمادا
أمن المجرم في ملجئه
وسلخت الليل يا ثكلى سهادا
لم يصب رزؤك منا بلدا
رزؤك الفادح قد عم البلادا
وسرى الهول إلى أفئدة
في صدور العرب لم تبل ارتعادا
راعها الغدر ومن شيمتها
أن تبيد الخصم في الهيجا جهادا
لا ترى في طعنه من خلفه
غير لؤم برئت منه ، وهادادا

* * *

ذاب قلبى حشرات عندما عاثت الذنوبان في القدس فسادا
كم صغير يتكتم بل كم أب أكلته فبرت منه الفؤادا

(١) من قصيدة عنوانها « الجريمة الحمراء » قدم لها الشاعر بما يأتي :
« نسفت نئة مجرمة من اليهود صباح الاثنين ٢٢ يولية سنة ١٩٤٦
الجناح الأيمن الضخم من فندق الملك داود في القدس وهو قلب حكومة فلسطين
النابض فتضى على معظم رؤساء الدوائر من الانجليز وعلى عدد كبير من
الموظفين العرب وهذه من أشنع الجرائم التي اقترفها اليهود ضد الحكومة
البريطانية إذ ذهب ضحيتها ٩١ موظفا وموظفة و ٤٦ جريحا - ديوان اللهيبي
ص ٨٥ .

وكعباب لفظت° أنفاسَها
نادت° الأقدار كى تنقذها
تحت ردم فى حشاه الرعب سادا
أين يا قلبى تثرى كان المنادى ؟

* * *

يا وفود السوء يا رسل الأذى
أناسى نزلتم أرضنا
وتجاراً لشجا يئسمى الفؤادا
أم نزلتم بفلسطين جرادا ؟
يقرض° الزرع ولا يئبقى على
أثر للضرع يستهوى العبادا
أم نزلتم وباءً مكتسحاً
يزرع الهول ويجتاح البلادا ؟
يا عبيد المال والشر أرى
عهد نيون بكم للأرض عادا

* * *

إيسى إنكلترا واغتبطى
كاد من أنقذت أن يرديك كادا

لم يجدد° غيرك من يورى به
لهب الحقد فأصبحت الوثادا

ما رأى من طارف إلا انتضى
أصله منك ولم يئبق تالادا

إمنحى صهبون وُدًا خالصا
وأحلييه من العين السوادا

وتغاضى° عن أذاه واحذرى
أن تصيحى إن تداعيت انتقادا

واعرضى - لا كنت - فى سوق الورى
شرفا لوثنته تلقى° كسادا

٣ - ابتهاج بمولد الجامعة العربية

النص الأول للشاعر محمد العدناني (١)

عيد العروبة قد زوّدتنا أملا
واليأس عاتٍ فزاد العيش آمالاً
لمت شتات أباة الضميم جامعة
أساسها العزم والمجد الذي نالوا
وهزّت العرب روحاً من مفاخرهم
فاستأثروا بالعبلا والدهر صوال
وحطّتموا القيد لا غرب يسومهم
خسفا ولا يخدع الصيابة الآل
عهد المذلة قد وكى ووحدتنا
كفيلة بمثني كالغيث تنهال
ليهنىء العرب هذا العيد مؤتلقاً
كالصبح حفاً به يمن وإجلال
ويا رجالاتنا دامت مراجلكم
تغلى بها همم شمم وأعمال
بكم فلسطين قلب العثرب قد حليت
فانتم الصّحب والأنصار والآل

النص الثاني للشاعر عبد الرحيم محمود (٢)

عيد بأحناء الصددور يقيم
من وحيه الأشعار والالهام

(١) من قصيدة عنوانها (يوم العروبة) المصدر السابق ص ٤٨ .
(٢) من قصيدة عنوانها (الجامعة العربية) ديوان عبد الرحيم محمود

حلّم لقد لابت عكبة نفوسنا
أجمل° بأن تتحقق الأحلام
جمع الشئيت فكل قطر درّة
في تاجه والوحدة النظام
فإذا تشكّى النيل من آلامه
شقت مرائر دجلة الآلام
وإذا تهادى المغرب الأقصى لدى
جلى استجابته للنداء الشام
ذهبت خرافات الحدود فكلها
وطن لنا لو صحّت الأفهام

الفصل الثاني

عنه فلسطين في شعر أبناء الأقطار العربية

في مصر

وعد بلفور

النص الأول للشاعر أحمد محرم (1)

بلفور بئس الوعد وعدك للآلى
جعلوك للأمل المخبب سـلـمـا
خدعوك حين أطعتهم وخذعتهم
إذ طوعوك وتلك منزلة العمى
لسنا ولاة الحق إن لم يندموا
ولأنت أولى أن تتوب وتندما
تلك الإساءة ما استنقل بمثلها
في الدهر قبلك من أساء وأجرما
إن الكذبن جهلت حسـن بلائهم
ضربوا لك الأمثال كيما تعلمـا
إن جل ما أبصرت من أحداثهم
فكستبصر الحدت الأجل الأعظما
الموت عند القوم أعذب مشرباً
مما يراد بهم وأطيب مطعما
إخواننا الأحرار ما ألفوا الأذى
مرعى ولا عرفوا المذلة مجتما

(1) من قصيدة عنوانها (ذكرى وعد بلفور) الفتح - العام الثاني عشر -

النص الثاني للشاعر محمود حسن إسماعيل (١)

يا يومَ بلفور وشؤمك خالد
عاهدت أعزال الجسوم سلاحهم
وتركتهم رهن المطامع تبنتني
ثاروا بأرض الله ثورة عاجز
عجباً يكاد الصخر يدمع رحمة
ومعالم الإسلام بين ربوعهم
والشرق ويح الشرق نام أسوده
ما ضرّ لو أخلقت هذا الموعدا
ما كان إلا الحقّ صاح مقبدا
فيهم على حرّ المواطن أعبدا
سمع القسوى شكاته فتوعدا
لهم وقلب الآدمي تصلدا
كادت تزمجر لهفة وتوجددا
عن نائر في القدس ضجّ وأرعدا

النص الثالث للشاعر علي محمود طه (٢)

محا الله وعداً خطئه الظلم لم يكن
سوى حلم من عالم الوهم ختال
حمته القنا كيما يكون حقيقة
فكان مشاراً من خطوب وأهوال
وفتح بين القوم أبواب فتنة
تطل بأحداث وتومي بأوجال
أراد ليحمو آية الله مثلما
أراد ليحمو الليل نور الضحى العالى
فيا شمس كفى عن مدارك واخمدى
ويا شهب غورى فى دياجير آجال
ويا أرض شقى من أديمك وارجعى
كما كنت قبل الرسل فى ليك الخالى

(١) من قصيدة عنوانها (زغرة على فلسطين الدامية) ديوان هكذا أغنى ص ٢٢٣ .
(٢) من قصيدة عنوانها (يوم فلسطين) أخذناها عن مصدرين .
١ — الأهرام — العدد ٢١٧٩٠ — ١٩٤٥/١١/٢ .
ب — ديوان شرق وغرب ص ٧٩ .

الاسم — تَعْمَار

النص الرابع للشاعر أحمد محرم (١)

في حِمَى الحقِّ ومن حول الحرم
فَرَع القدسُ وضجَّتْ مكة
ومضى الظُّلم خلياً ناعماً
يأخُذ الأرواحَ ما يعنُّدها
ويرى النَّاس إذا أعجبَه
بعثته شهوةٌ وحشية
أهونُ الأثمياء في شرعتها

أُمَّةٌ تَوذَى وشَعَبٌ يَهْتَضِمُ
وبكتُ « يثرب » من فرط الألم
يَسْحَب البردَيْن من نارٍ ودَمٍ
مَعْقَل الحق إذا ما تَعْتَصِم
أن يبِيدوا كأقاطيع البهَم
تتلطَّى مثل أجواف الأطم
أمة تُمحى وشعب يُلْتَهَم

* * *

يا فلسطين اصطليها نكبة
همم الأحدرار تحمى وطناً
باعه ذئب لذئب غيلة
تنزع الأرزاق من أبناءه
يرهب القوم فإن هم غضبوا

هاجها للقوم عهد مضطرم
عريباً سيم خسفا وظلم
فهو للذئبين نهب مقتسم
وتسلسل الأرض من فرط النهم
راحت الأرواح منهم تخترم

(١) من قصيدة عنوانها (نكبة فلسطين) الفتح — العام الثامن —

النص الخامس للشاعر أبي الوفا محمود رمزي نظم (١)

إخواننا في القـدس
نكسف المنازل راعنى
ويكيد للأحرار في فوضى
والذادة السـادات قد
ويضاد قـوم بالرصاص
والظلم يحصدهم كأن
ضربوا الحصار على المنا
فرضوا الغرامة في القـرى

حل بأرضهم ظلم شديد
في ذمة البندى المعيد
المظالم من يكيد
سيقرا إلى المنفى البعيد
كأنهم لهـو الجنود
نفوسهم حبّ الحصيد
زل باسم جبّارٍ عنيد
ليضاعفوا الفقـر المبيد

* * *

إخوانكم لقـذائف الأعداء
فمن السـجين إلى الطـريد
والانتـداب كأنـه
يسـمى ليـمـث ملك
والله قـدر أنه

قد باتوا الوقـود
إلى الشـهيد إلى الشـريد
من بغيه في يـوم عـيد
إسرائيل من ذاك الهـمـود
لا يـستعاد ولا يـسـود

(١) من قصيدة عنوانها (وعد بلفور والجهاد المقدس) الفتح - العام الثالث عشر - العدد ٦٢٢ .

تمجيد بطولة فلسطين

وتصوير جهادها ومشاطرتها المحنة

النص الأول للشاعر أحمد محرم (١)

بِكِ يا فلسطين البلادُ تَعَلَّمَتْ ° أَدَبَ الجِهَادِ وكان مَعْنَى مُبْهَمًا
هَذَا كِتَابُكَ لَيْسَ يَبْلُغُ شَأْوَهُ من نَمَقَ الكِتَابَ الحِسانَ ونَمَنَمًا
نِعْمَ الكِتَابُ لِمَنْ يَحِبُّ بِلَادَهُ ولَمَنْ يَضُنُّ بِحَقِّهِ أَنْ يَهْضُمَا
حُرَّ الصَّحَائِفِ من بدائعِ حِرَّةِ حَمَلَتْ جَلالَ البَقْرِيةِ مَيْسَمًا
بَدَأَتْهُ بِالدِّهَمِ وَالْحَدِيدِ وَإِنَّهُ بِسِوَاهِمَا لَنْ يَسْتَنَمَّ وَيُخْتَمَا



إِيهِ شُعُوبَ المُسْلِمِينَ تَنْبَهُوا
وتَدَارَكُوا أَسْبَابَكُمْ أَنْ تَجْرُ—ذَمَا
اللهُ فِي إِنْخِ—وانكُمْ وبِ—لادكم
أَفَمَا ترونَ الخُطْبَ كَيْفَ تَجْهَمُما ؟
حَفَظُوا التُّرَاثَ لَكُمْ وِصَانُوا عِرْضَكُمْ °
أَفَتُكْرَهُونَ لِعِرْضِكُمْ أَنْ يَسْ—لَمَا ؟
أَتَبَيْتُ أَوْلِيَّ القِبْلَتَيْنِ حَزِينَةً °
وَأَبَيْتُ وَسْ—نانَ الجَنُونِ مَنَعَمًا ؟

النص الثاني للشاعر نفسه (٢)

فِي فَوَادِي جُرْحِكَ الدِّعَامِي وَفِي كَبِدِي ما فِيهِ من حُزْنٍ وَهَمٍ
كَمْ صَـرِيعٍ لَكَ فِي أَشْ—لائه مِصرَعِ القُرْبَى وَأَشْـلاءِ الرِّحِمِ

(١) من قصيدته السابقة (ذكرى وعد بلفور) .

(٢) من قصيدته السابقة (نكبة فلسطين) .

فَجَعَلُونِي فِيهِ بِابْنٍ صَالِحٍ وَأَخٍ حُرًّا السَّجَايَا وَابْنَ عَمٍّ
شُهَدَاءَ الْحَقِّ مَاتُوا دُونَهُ وَهُوَ حَيٌّ الْعِزِّ مَوْفُورِ الثَّمَمِ
وَاشْتَرَوْهُ بِبِنْفُوسِ حُرَّةٍ يَذُلُّهَا مِنْ سَخَاءٍ وَكِرَامِ

* * *

مِصْرُ نَاجِي مِنْ فِلَسْطِينَ الرَّشِيَا وَابْعَثِي صَوْتِكَ مِنْ أَعْلَى الْمَهْرَمِ
وَإِذَا أَعَزَّوَزَهُمْ أَوْ أَسَى فَاسْتَمِدِّي الِهْمَّ مِنْ هَذَا الْقَلَمِ
وَخَذِي مَعْنَى الْأَسَى مِنْهُ فَمَا لَكَ مِنْ مَعْنَاهُ إِلَّا مَا نَظَمِ
نَبِيِّهَا أَنْتَنَا مِنْ وَجْدِهَا نَجِدُ الْعَلَقَمَ فِي الْعَذَبِ الشَّبِيمِ

النص الثالث للشاعر نفسه (١)

لِبَيْتِكَ يَا وَطَنَ الْجِهَادِ وَمَرْحَبَا لِبَيْتِكَ إِذْ بَلَغَ الْبِئْسَاءُ وَإِذْ أَبِي
مَنْ ذَا يَرَى دَمَهُ أَعَزَّ مَكَانَةً مِنْ أَنْ يَخْضَبَ فِي فِلَسْطِينَ الرَّشِيَا ؟
كَبَّرْتَ حِينَ عَفَا الْوَفَاءُ وَمَا عَفَا فِي أَرْضِهَا أَثَرَ الْبُرَاقِ وَلَا خَبَا
إِنِّي أَرَى الْمَعْرَاجَ عِنْدَ جَلَالِهِ وَأَرَى « النَّبِيَّ » وَصَحْبَهُ وَالْمَرْكَبَا

* * *

وَطَنِ يُعَذِّبُ فِي الْجَحِيمِ وَأُمَّةٍ أَعَزَّوْ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ وَتُنْكَبَا
بِقُلُوبِنَا الْحَرِيِّ وَفِي أَحْسَانِنَا مَا شَبَّ مِنْ أَثْثَانِهَا وَتَكْهَبَا
وَبِنَا مِنَ الْأَلَمِ الْمَبْرِّحِ مَا بِيهَا وَأَرَى الَّذِي نَلْقَى أَشَدَّ وَأَصْعَبَا

(١) من قصيدة عنوانها (من أجل فلسطين) الفتح - العام الثالث

نتجرّع البلوى ، وندرع الأسي
جعلوا الكفاح عن العروبة حرّتهم
يسقون ما زرعوا دماً في مخصب
البيت يطرب من أنين جريحهم
نرعى لإخوتنا الذّمّام الأقربا
وتعهّدوه فكان حرّاً طيبا
لولا الدم الجارى لأصبح مجدبا
أرأيت في الدنيا أنيناً مطربا ؟

النص الرابع للشاعر محمد عبد الغنى حسن (١)

يا فلسطين كلّ صعب يهون
ثورة دمّدت وطال عليها
لان قلب الزّمان منها ولكن
عرب في الحفاظ والصبر أنتم
والليالى لهنّ فينا شئون
أمد الدهر فهي فينا شجون
عزم أبطالكم بها لا يلين
فأرونا كيف الحفاظ يكون

* * *

إنّ بالشّرق يا فلسطين جرحاً
لا تراعى ففى العرين أسود
نحن فى الهمّ إخوة جمعتنا
كلّ جرح عليك دام ثخين
وعزّيز على الأسود العرين
فكرة حرّة ، وقربى ، ودين

* * *

أيها القادمون فى مصر أهلاً
أنصروا أمّة شهيدة حق
ذنبها فى الحياة أن لديها
يومكم ضاحك المنى ميمون
طال منها على الجهاد الأئين
أنفساً فى الحياة لا تستكين

(١) من قصيدة عنوانها (فلسطين الصابرة) أخذناها عن مصدرين :

أ — الأهرام — ١٠/٢٧ / ١٩٣٨ .

ب — ديوان من نبع الحياة ص ١٠٠ .

النص الخامس لشاعر محمد رجب البيومي (١)

يا جارة الحيّ ما يبكيك بيكينا
مثل التي أصبحت تعلو نواحيننا
لقد تعلّمت من أطيار واديننا
في دارة الأنجم العليّا مضيئنا
حيناً وفرت سريعاً من أياديننا
يا مهبط الوحي يا مثنوى النبيينا
فكيف يسطو عليه قسوم صهيونا
شراذماً تستلذ الضيّم والهونا

ما زلت والهمة تكلّي تنوحينا
علت نواحيك آهات مروّعة
وناح طيرك مرتاعاً فقلت له
إيه فلسطين يا مهّد الألي سطمعوا
يا كنز مجد تملكنا فرائده
يا مبعث النور يجلو كلّ حالكة
مجد تسامى على الجزاء قمته
عهدي بهم في طباق الأرض قاطبة

(١) من قصيدة عنوانها (فلسطين الباكية) الاخوان المسلمون — العدد

تخليد الشهداء

النص الأول للشاعر محمد صادق عرنوس (١)

من شفاء فليأخذ^١ عن القَسَمِ
وليتخذ^٢ه إذا أراد تخلصاً
ترك^٣ الكلام ورصفه لهـواته
ما كنت^٤ أعرفه ولم أسمع^٥ به
لم يلته عرض الحياة وإن حلا
ما زال يعمل سائراً مجهوداً
حتى بدأ في عصبية بدرية
قل للشهيد وصحبه أدبتم^٦

أنمرذج^٧ الجندي في الإسلام
من ذلك^٨ الموروث خير^٩ إمام
وبضاعة الضعفاء محض كلام
حتى تضيوع^{١٠} طبيبه في الشام (٢)
كلا ولم يثغف^{١١} بنيلاً ورسام
كالبدر مستتراً وراء غمام
فتكشفت^{١٢} عن مؤثرين كرام
حق^{١٣} الرسالة فاذهبوا بسلام

النص الثاني للشاعر أحمد محرم (٣)

نظم المجتهد لأبطال الحمى ونظمت^١ الشُّعر ناراً ودماً

- (١) من قصيدة عنوانها « الشهيد عز الدين القسام » الفتح - العام العاشر - العدد ٤٧٤ .
- (٢) كانت الشام قبل الحرب الأولى تطلق على سورية ولبنان وفلسطين والأردن أي أنها كانت أسماً جامعاً للبلاد السورية قبل أن تميزها السياسة إلى دويلات فلا غرو أن يذكرها الشاعر ويريد بها فلسطين دار شهادة الشهيد عز الدين القسام .
- (٣) من قصيدته عنوانها « القائد الشهيد سعيد العاص » الفتح - العام الحادي عشر العدد ٣٥٩ .
- وهناك قصائد أخرى للشعراء الذين تخيرنا لهم نصوصاً نشير إليها وإلى مصادرها .
- ١ - للشاعر أحمد محرم قصيدة عنوانها (فلسطين بعد مائة يوم من اضرابها) سنة ١٩٣٦ ومصدرها الفتح - العام الحادي عشر - العدد ٥١٢ .
- ٢ - للشاعر أبي الوفا محمود رمزي نظم قصائد مصادرها أولاً الفتح - وثانياً ديوان الرمزيات .
- ٣ - للشاعر محمد عبد الغني حسن قصيدتان عنوان الأولى « نسمة من فلسطين » ومصدرها ديوان من نبع الحياة ص ٩٦ .
- وعنوان الثانية « فلسطين المجاهدة » المصدر السابق ص ٩٨ .

بطل أَبْصَرْتَ مَجْرَى دَمِّهِ
يا لسه من عَبَقْرِيَّ مَلْهُم
ردِّدِي صَوْتِي يا بِيضَ الظَّبِي
إِنَّمَا أَرعى لِقَوْمِي ذِمَّةً
رفع السَّيْفِ على هامِ السَّيْفِ
في جَبِينِ الشَّرِّقِ لما وَجَمَّما
هاج مِنِّي عِبْقَرِيَّاً مَلْهُمَما
إِنَّمَا أَرثِي الكَمِيَّ المَعْلَمَما
في كَرِيمِ كان يَرعى الذَّمَمَما
أفلا أَرَفَعَ فيهِ العِلْمَما ؟

* * *

إِيهِ يا ابنِ العاصِ أَشْبَهْتَ الأُلى
يا لهما من شِـيْمِ بَدْرِيةِ
ما الجِهادُ الحَقُّ إلا لَمَحَمَةِ
ليس بِالْحَىِّ وإن طال المَدَى
زَلْزَلُوا الدنْيا وهَزُوا الأُمَمَما
ما ارْتَضَى اللهُ سِـواها شِـيْمَما
من سَنَها حينَ يَجْلُو الظلَمَما
من° يَخافُ المَوتَ فيمَما اعْتَرَمَما

في سوريّة

النص الأول للشاعر خير الدين الزركلي (١)

فيمَ الوُنَى وديار الشام تُفْتَسِمُ
أين العهودُ التي لم تُرْعَ والحُرْمُ ؟
هَلْ صَحَّ ما قيل من عَهْدٍ ومن عِدَّةٍ
وقد رأيت حقوق العرب تُهْتَضَمُ ؟
ما بال « بَعْدَاد » لم تنبشْ بها شِفةً
وما لـ « بيروت » لم يخفِقْ بها عَلمُ ؟
ويَلمُّها نكبات كلها ظُلمُ
وقد تُنير صِراط السالك الظالمُ
نسامُ خسفاً ؛ ونقصى عن محجبتنا
ويوشق الفم حتى تخفتَ الكلمُ
نسجو على الخميم ، والأطماع جائعة
ونكظم الغيظَ والأكباد تضطرمُ
و«عود» ولسن « كم أضللت من فئدة
أأنت أَسْأَمُ ما سيستُ به الأممُ
خدعتنا فانخدعنا فاستخف بنا
شُمس عن الحق في آذانهم صمم
* * *
لئن تزلتوا رعيناً حسنَ ودِّهم
وصين منا ومنهم في العروق دمُ
وإن تأبَّرتا فإن السَّيفَ يُنصفنا
والسَّيفُ يبلغ ما لا يبلغ القلمُ

(١) من قصيدة عنوانها « قيم الونى » نظمت في دمشق بتاريخ ١٩١٩/١٠/٢١ على أثر ظهور أطماع الحلفاء في تقسيم الشام - ديوان الزركلي ص ١٥ .

يا نابضاً فيه عرق من بنى مضر
أسرج جريادك ولتطلق لها اللجثم
واشحذ غرارك لا يعلق به صدأ
فإن يجر حكم فالصّارم الحكم
كفكف دموع فلسطين وجارتها
بيروت واكفف يداً في بسطها النقم

النص الثاني للشاعر عبد الوهاب أدهم (١)

البَلَدُ المقدّسُ الطاهرُ
ومهبط الوحي غدا بلقعا
والجنة المتناف قد صرّحت
نمن لها قد أجديت أرضها
عاث به ذو حنق غادر
يجبول في أرّجائه الكافر
لم يتشدّ فيها البلبل الساخر
ولم يّعنتها العارض الماطر؟

* * *

هذي فلسطين على شجّوها
أعداؤها قد استباحوا الحمى
كم قتلوا من نسوة زانها
كم صرّعوا من فتية ذنبها
ليس لها من أهلها ناصر
لله ذيبك الحمى الطاهر
عفاؤها وذيائها الطاهر
إيمانها ودينها الغائر
وغادرها جفنها قاطر
كم روّعوا الأطنال في مهدها

* * *

(١) من قصيدة عنونها « نكبة فلسطين » الرسالة - العدد ١٧١ -

العرب في أوطانهم عصبية
يقذفها الغربي في مهمه
الله يا غافل عن دهره
والحق لا يناله ضارع
فكن جسوراً فاتماً قادراً
هذي فلسطين اشتكت ضيمها
فمن لها قد أجدبت أرضها
يغمزها العاجم والكاسر
فمن لها ؟ لقد طغى الماكر
دهرك لا يغلبه السادر
كفتاه لم يصحبها الباتر
ما فاز إلا الفاتك القادر
وسمّكم عن صوتها واقر
ولم يغتها العارض الماطر ؟

النص الثالث للشاعر بدوى الجبل (١)

يقول لنا الإفرنج والقول كاذب
نريد لكم أن تستقل بلادكم
فما وعدوا والله إلا ليخلفوا
نريد لكم خيراً وهل يرفض الخير؟
وما دأبنا إلا المعونة والبره
وما وعدهم إلا ليعدهم ستر

النص الرابع للشاعر عمر يحيى (٢)

يا طير في القدس لنا إخوة
والمسجد الأقصى له رنة الثكلي
كم طفلة في ظلّه غصّة
ووالد يبكي على وئده
وكم بناء شامخ هدّمت
معاهد كانت مراد الصبا
أضحى حماهم نهبة للذئاب
تنادى للعذاب المذاب
أشلاؤها أنحت عليها الكلاب
وذي أسى لا يستطيع الجواب
معاول الظلم ذراه الرحاب
ومنزل للمجد رحب الجناب

(١) عمر الدسوقي - دراسات أدبية ج ١ ص ١٢٣ .

(٢) من قصيدة عنوانها « يا طير » يذكر فيها فلسطين قبل وقوع

الكارثة - المصدر السابق ص ١٢٤ .

(م ١٦ - الشعر العربي الحديث)

أسود خِفْتَانِ حَمَوَا حَوْضَهَا بِهَمَّةٍ وَثَابَةِ وَاحْتِسَابِ
بَاعُوا دِمَاهِمَ فِي سَبِيلِ الْعِتْلَا فَأَصْبَحَتْ فِي عَيْنِهِمْ كَالْخَضَابِ

تمجيد بطولة فلسطين وتصوير جهادها ومشاطرتها الحنة

النص الأول للشاعر عمر أبي ريشة (١)

يَا رَوَابِي الْقَدُوسِ يَا مَجَالِي السَّنَا يَا رَمَى عَيْسَى عَلَى جَفْنِ النَّبِيِّ
دُونَ عُلْيَاكَ فِي الرَّحْبِ الْمَدَى صَهْلَةَ الْخَيْلِ وَوَهْجَ الْقَضْبِ
لَمَمْتَ الْآلَامُ مَنَا شَلْنَا وَنَمْتُ مَا بَيْنَنَا مِنْ نَسَبِ
فَإِذَا مَصْرُ أَعَانِي جَلَّقِ وَإِذَا بَعْدَادُ نَجْوَى يَثْرِبِ
ذَهَبَتْ أَعْلَامُهَا خَافِقَةً وَالتَّقَى مَشْرِقُهَا بِالْمَغْرِبِ
بُورِكَ الْخَطْبِ فَكَمْ لَفَّ عَلَى سَكَمِهِ أَثْنَاتٌ شَعَبٌ مُغْضَبِ

النص الثاني للشاعر نفسه (٢)

وَسَكَلُوا الْقَدُوسَ كَهْلَ غَفَا الشَّرْقِ عَنْهَا أَوْ طَوَى دُونَهَا شَبَا مَثْرَانِهِ
أَهْتَفَ خَلْفَ الْبِحَارِ بِصَهْيِهِ نَ وَحَدَّبَ عَلَى بِنَاءِ كِيَانِهِ ؟
وَمِنَ الْمَهَاتِفِ الْمَلْحُ ؟ أَحْرَ ؟ أَيْنَ صِدْقِ الْأَحْرَارِ مِنْ بُهْتَانِهِ ؟
أَيْنَ مِيثَاقِهِ ؟ أَتَنْحَسِرُ الرَّحْمَةَ فِي دَفْتِيهِ عَنْ عُدْوَانِهِ ؟

* * *

أَيُّ فِلَسْطِينِ يَا ابْتِسَامَةَ عَيْسَى لِجِرَاحِ الْأَذَى عَلَى جُئْمَانِهِ
يَا تَنَنِي الْبُرَاقِ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْوَحْيِ مُمَسِّكَ بِعِنَانِهِ

(١) من قصيدة عنوانها « عرس المجد » ديوان أبي ريشة طبع دار
مجلة الأديب ص ١٤٥ .
(٢) من قصيدة عنوانها « هذه أمتي » المصدر السابق ص ١٥٤ وللشاعر
قصائد أخرى عديدة في المحنة تضمنها ديوانه .

لا تناهى خَضِيَّة الحلم خوفاً
من غريب الحمى ومن أَعْوَانِه
إن للظُّلم جولةً فدعيه
ربَّ حاوٍ رَدَاه في ثعبانِه

النص الثالث للشاعر محمد الشريقي (١)

قُمْ للجهاد فإن الحقَّ منتصرٌ
معالم القِبلة الأولى بأعيننا
البحر والبرِّ والآفاق شاخِصة
ويح الذين تعلموا عن مشاعلها
أغنى من الخلد أرض قدِّست مثلاً
أروت فلسطين من تاريخها ديم
دم الشَّهادة في آفاقها شَفَق
أمدَّ منه صلاح الدين شعلتها
ما حقَّها هَجعة الوانين تؤيسها
والحقُّ ما شهدت أو شيدت مَضْرُ
وما فلسطين إلا السَّمع والبصر
إلى التُّراث الذي أوفى به عُمر
والنَّجم من دونها والشمس والقمر
لها السَّماء دليل والهدى أثر
بل أدمع من عيون الوحي تنهمر
يعنوله الفجر والأمساء والبكر
فزانته الدَّهر من أضوائها غررٌ
بل حقها الأمل الوثاب والسيهر

النص الرابع للشاعر أمجد الطرابلسي (٢)

يا عرَب هِيَّا فانصروا موطناً
هناك شَعب عربيُّ المهوى
يسومه الخسْف وأَغلاله
للعرب هاج القدَّه أفرادَه
يُحاول الغاصِب إنفادَه
ويدعَى بالنَّار إرشادَه

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين والوحدة العربية » والشاعر سوري الأصل قضى الشطر الأكبر من حياته مع الأمير عبد الله ثم مع أحفاده في الأردن وقد نفضل نقدم لنا هذه القصيدة حين كان سفيراً للأردن في القاهرة . وتمشياً مع منهجنا في نسبة الشعراء الى أوطانهم الأصلية أوردنا شعره مع شعراء سورية .

(٢) من قصيدة عنوانها « جهاد فلسطين » الرسالة العدد ١٦٠ .

شارَ على ظلامه مكرماً
مجاهد أقسم لا يئننى
شعب فلسطين يناديكم
تدمر النيران أبيات
أخاكم يا قوم لا تهملوا
رقشوا لبلواه وثوروا له
فذلكه تكسون أبراده

تراثه الأسمى وأجداده
أو تعشق الأطواق أجياده
مستبلاً يصرع جلاله
وتحصد الأسد ياف أجساده
إرفاده اليوم وإمداده
حتى يبيد الحق أضداده
ونصره تجنون أوراده

النص الخامس للشاعر جورج سلسنى (١)

أى فلسطين قطعة من سماء
تملأ العين ساحرات مغانيك
فالجمال المتناف ما شع إلا
يطفح السهل منك بالرونق الضحايا
وترف الأمجاد فرقك يا
وجلال الماضى المضمخ
كم تهاديت فوق هام التواريخ
كم تجليت فى الوجود سماء
تنفخ الناس بالعدالة والسلم

كنت قبلاً وجنة من رواء
وتسبى الفؤاد منك المرائى
تحت أجوائك الحسان الوضاء
ن والسفح بالسنا والسنا
أرض النبوات رفة الأضواء
بالسؤدد والعز والعلا والإباء
دنيا سحرية الأنحاء
رصعتها كواكب الأنبياء
وبالحلم والتقى والإخاء



أى فلسطين مهبط الوحي والإلهام
جنة كنت فاستحلّت جحيما

والدين والهدى والحياء
بوجود اليهود والأوصياء

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين » الرسالة — العدد ١٦٧ —

كنت بالأمس هلء ساحاتك السلم
وتبارى بأهلك العُرب تمثيلاً
فاستحلُّوا قتل البريء فما
وأديم مخضَّب وصعيد

فأصبحتِ ساحات الهيجاء
وفتكا جند الوصي المرائي
يُبصِّر إلا مضمـرج بالدماء
قد علته نثارة الأثسلاء



إن تحت الدم المرقق أفواهاً
والميامين لانتام على الضميم
ودماء الأحرار مَهْر المعالي
إصعدى إصعدى فإن الضحايا

وطى الأثسلاء رجع نداء
ولا تستكين للأعداء
وصداق الحررية الحمراء
يا فلسطين سلِّم العلياء

في لبنان

وعد بلفور

نص للشاعر محمد علي الحوماني (١)

جَدِّدِي عَهْدَكَ جَدِّدْنَا الشَّبَابَا وَرَصَدْنَاكَ شَبَاباً وَهَضَابَا
يَا فِلَسْطِينَ تَمَنِّيْ تَجِدِي مَا تَمَنِّيْتِ بِنَا حَتَّى الرَّقَابَا
كُلُّ حُرِّ لَكَ فِي أَحْشَاءِهِ خَافِقٌ لِحِقِّ إِنْ تَدْعِي أَجَابَا
أَنْتِ يَا أَنْشُودَةَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ مَبْعُوثٍ نَتَزَلَّتْ كِتَابَا

* * *

بِاسْمِ عَيْسَى هَتَكُوا حَرْمَتَهَا وَبِمُوسَى جَاوَزَ الْهَيْكَ النَّصَابَا
لَمْ تَلِدِ مَرْيَمٌ بِلْفُورٍ وَلَا أَنْبَتَتْ نِيُورِكُ (٢) سَعْدَا وَالْحَبَابَا
نَحْنُ غَرَسْنَا اللَّهَ فِي تَرْبَتَهَا وَعَلَيْنَا مَجْدُهَا شَبَابٌ وَشَابَا
يَا فِلَسْطِينَ أَقْلَى جَزَعَا جَلَّتْ أَلْسُنُ الْفُتَى عَنِ الْأَفْئِقِ الضَّبَابَا
وَقَرَأْنَا السَّفْرَ مِنْ عُنْوَانِهِ ثَمَّ مَيَّزْنَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابَا
فَإِذَا الْقِسْوَةَ لَيْثًا حَفَلْتِ عِزَّةَ الْعَرَبِ بِهِ ظَفْرًا وَنَابَا
وَإِذَا الْمَجْدَ الَّذِي نَشُدُّهُ وَحَدَّةَ تَلْصُقُ بِالرَّأْسِ الذُّشَابَا

(١) من قصيدة عنوانها « يا فلسطين » الفتح - العام الثامن عشر -
العدد ٨٥٧ .

وله قصيدة أخرى عنوانها « بلفور في دمشق » ومطلعها :

ان تدع لنصرتك العرابيا فالشاميون هم العراب

ومصدرها ديوان الحوماني ج ١ ص ١٨ .

(٢) يقصد الشاعر نيويورك المدينة الأمريكية المعروفة .

الاستعمار

نص للشاعر وديع البستاني (١)

أرى حرباً ولست أرى حرباً
وقد ندمت على الماضي المَواضى
وقد قلبوا المجنّ لنا وباتوا
وأنكرنا وصايتهم علينا
ولم نندبهم للأمر فينا
وحسبهم من السنوات خمس
وحبل السلم يضطرب اضطراباً
وودّ السيف لولثم القرابا
وقد غلظوا فأغلظنا الجوابا
وقد جعلوا بوادرها اغتصابا
وقد حكّموا وسمّوه انتدابا
سألخناها بصحبته صعبا

تمجيد بطولة فلسطين وتصوير جهادها ومشاطرتها المحنة

النص الأول للشاعر بشارة الخورى (الأخطل الصغير) (٢)

سائلِ العلياءَ عنّا والزّمانا
هل حَفَرْنَا ذِمّةَ مِذِّ عَرَفَانَا ؟
المروءاتُ التي عاشت بنا
لم تزلْ تجري سَعيراً في دِمَانَا

(١) من قصيدة عنوانها « لا وصاية ولا انتداب » الفلسطينية -

ص ١٥٣ .

والفلسطينيات ديوان شعر استوتحت قصائده أحداث فلسطين منذ الانتداب البريطانى الى سنة ١٩٣٩ وكان الشاعر يعيش في فلسطين واستلهم كل جانب سياسى من جوانب المحنة . واسم الديوان يوحى بذلك .

(٢) من قصيدة عنوانها « يا جهادا صفق المجدله » قدم لها الشاعر بهذه الكلمات « كان لثورة فلسطين سنة ١٩٣٦ » أثرها الدامى في نفوس العرب فهبوا يساعدون الثوار بالمال والسلاح وقد أعدت هذه القصيدة لتلقى في الحفلة التى قررت مدينة ابن الوليد اقامتها ولكن الحكومة منعت الحفلة فنشرتها مجلة المعرض على حدة وقدمت ما جمعت من ثمنها للجنة مساعدة للثوار .

ديوان الهوى والشباب ص ١٦٥ وللشاعر قصيدة ثانية عنوانها

« تحية فلسطين » ألقيت من محطة الاذاعة الفلسطينية في القدس سنة ١٩٤٢ ومطلعها :

فلسطين أفديك من دَمعة تهاوت على بسمة حائره

المصدر السابق ص ١٦٣ .

قلْ « لجونبول » إذا عاتبته
قد شكينا غائة في صدره
يرم نادانا فلبينا النسا
ضحك المجد لنا لما رأنا
عرس الأحرار أن نسقى العدا
نركب الموت إلى العهد الذي
أمن المدل لديهم أننا
ذنبنا والدهر في صرعه

* * *

يا جهاداً صفق المجد له
شرف باهت فلسطين به
إن جرحاً سال من جبتهما
وأنيماً باحت النجوى به

* * *

يا فلسطين التي كدنا لها
نحن يا أخت على العهد الذي
يشرب والقدس منذ احتلما
شرف للموت أن نطعمه
انتشروا الهول وصبوا ناركم
غذت الأحداث منا أنفساً

* * *

قمم إلى الأبطال نلمس جرحهم
قم نجع يوماً من العمر لهم
إنما الحق الذي ماتوا له
لمسة تسبح بالطيب يدانا
هبه صوم الفصح، هبه رمضاننا
حقنا، نمشي إليه حيث كانا

النص الثاني للشاعر شبلى الملاط (١)

أى الذنوب أنت فلسطين التي
أجريمة أن تستقل بدارها
أجنية أن تأنف الضيم الذي
الإجل حق طالبت بقضائه
وتظله هجرتهم على استمرارها
وتغيب أرض المسجد الأقصى دماً
طال البلاء بأرضها وتمادي؟
وتهب تدفع من يكيد وكادا؟
جعلوه في أعناقها أصفادا؟
يهتاج صدر خصومها أحقادا؟
خطراً يقض على البلاد مهادا؟
وتخر دور الناصري رماذا؟



برزت فلسطين لهم واستبسلت
واستعذبت ورد الحثوف وقدمت
ثبتت على جـم المكاره فتية
وتدرعت إيمانها وتبطنت
لاترتضى أرواحها إن لم تقز
واستأسدت قوادحها وتنمّرت
تخذت معاقلها الجبال وخيّمتم
وتطير من نصر إلى نصر ولا
وكانها في صبرها وجهادها
وأبت عليهم أن تكين قيادا
من مات لاستقلالها استشهدا
رأت الحياة بأن تموت جهادا
في حربها الأغوار والأنجادا
بمرادها أن تصحب الأجسادا
لاترهب الإبراق والإرعدا
عقبان جو تنزل الأطوادا
تشكو كلالاً أو تملّ جهادا
إبن الوليد وطارق بن زيادا

(١) من قصيدة في تأبين الملك غازي نشرتها الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ١٧/٥/١٩٣٩ ثم نشرت بعد ذلك في ديوان الشاعر تحت عنوان لبنان في العراق . ديوان شبلى الملاط ص ١٢٦ .

لابل أشدّ على الطّراد بمأزق
والجو يُمطرها المهالك والثّرى
حيناً تبيت على الدّفاع ومرّةً
حتى سقى أبطالها بدمائهم
وعر المجال على المرید طرادا
يزجى الحديد ويقذف الأجنادا
ترد الهجوم وتصدّر استطرادا
أرضَ النبوّة قِمةً ووَهادا

النص الثالث للشاعر أمين ناصر الدين (١)

سَلْ فِلِسْطِينَ أَمَا مَكَّتْ صِدَامَا؟
أَتَرَى النَّارَ الَّتِي ضَرَمَهَا
سَلْ بَنِيهَا وَالظُّبَى رَاعِفَةَ
كَلَّمَا خَفَّ إِلَيْهِمْ جَحْفَلُ
وَإِذَا مَا خَفَقَتْ طَائِرَةٌ
قَالَ إِذْهَمَّ الْوَعَى قَاتِلَهُمْ
أَيُّهَا الْبَاغُونَ إِنَّا إِنْ تَضَمُّ
كَلَّمَا اسْتَشْهَدَ مِنَّا بَطَلُ
لَا يَزَالُ الدَّهْرُ يَزْهَى كَلَّمَا
لَمْ يَفُوقُوا وَفِينَا دَمَهُمْ
سَأَلُوا حِطَّيْنَ تَخْبِرُكُمْ بِمَا
أَتَعَدُّ الْكُرَّ وَالْفِرَّ حَجَامَا؟
مَدْفَعُ الْغَاصِبِ بَرْدًا وَسَلَامَا؟
أَيَخَالُونَ الدِّمَّ الْقَانِي مَدَامَا؟
مَلَّئُوا الْأَرْضَ أَشْلاءً وَهَامَا
بِجَنَاحِيهَا أَعَادُوهَا حُطَامَا
أَيُّهَا الْغَاصِبُ أَخْفَرْتَ الذَّمَامَا
أَنْجَمُ الْأَفْقِ لِنَابِي أَنْ نَضَامَا
زَادَنَا الْإِيمَانَ صَبْرًا وَاقْتِحَامَا
عَدَّ مِنْ أَجْدَادِنَا الصَّيِّدِ الْعِظَامَا
فِي الْوَعَى بَطْشًا وَبِالْعَلِيَا هَيَامَا
فَعَلُوا وَاسْتَنْطِقُوا تِلْكَ الْأَكَامَا



أَتَبِيدُونَ حِمَانَا لِلألى
أَمِنَ الْحِكْمَةَ أَنْ تَسْتَبَدَلُوا
مَنْحُوكُمْ غَيْدَهُمْ وَاتَّخَذُوا
أَفْعَمُوا الدُّنْيَا فِسَادًا وَأَثَامَا؟
بِالسَّرَّاءِ الْغُرَّ أَجْلَافًا طَغَامَا؟
لَكُمْ مِنْ كُلِّ دِينَسَارٍ وَسَامَا

(١) من قصيدة عنوانها « يا فلسطيني سلاما » الفتح — العام الثالث

فإذا أنتم لـدى هـيكلهم
ما عهدنا دولة من أجل أن
كذب" ماشاع عن عدلکم
خنتم مستأمنیکم بعدما
هكذا يجزى الذين استأمنوا
قد تعبدتكم قعوداً وقياماً
تسكن الطاريء تنقصى من أقاما
أیكون العدل بغياً واجتراما ؟
نصروکم وأنالوكم مراما
من أباحوا لليهودى احتكاما



ما فلسطين سوى مأسدة
جبنت أجنادکم عن حربنا
وتدك الدثور إذ سكانها
أفتسمى لثعالیکم مقاما ؟
فانثنت تهلك من صلی وصاما
حاملات وشيوخ وأیامی

النص الرابع للشاعر خليل مطران (١)

دين هذا الجميل كيف يؤدى
يا كراما أدوا حقوق عظام
يا بلادى إليك يهفو وفؤادى
كلما اشتدت الصروف بأهلك
كيف لا توهب الحياة فدى شعب
وطنى الباکی الحزين الذى نشرب
إن تجزأ من وحدة لم يكن حدك
كيف يبنى ذك المفرق حسنا
من ذرى « كرمل » إلى « حلب »
وطنى لو ببعدنا عنك يوما

هل يلقى من مقصر أن يودا ؟
لا حقوقى ، حمدا لكم ثم حمدا
كل آن شوقاً ، ويلتاع وجداً
نما ذلك الهوى واشتدداً
كهذا الشعب العزيز المفدى
فيه أسى ونشرق سهدا
فى القلب غير ماكان حادا
فى بنى الأم بين روحين سدا
ألفيت قرباً ما كان يحسب بعدا
بيع خلد النعيم لم نبغ خلدا

(١) من قصيدة عنوانها مدينة حيفا — ديوان الخليل ج ٣ ص ٢٣٩ وهى احدى قصائد الشاعر فى فلسطين حيث زارها سنة ١٩٤٢ ونظم عددا من القصائد امتدح فيها تقليدية وطولكرم والقدس وحيفا وجريا على منهجنا فى نسبة كل شاعر الى موطنه الاصلى على اعتبار أن الوطن العربى وطن واحد ينتقل فيه الشعراء من قطر الى آخر كما تنتقل البلابل بين الرياض . اعتبرناه لبنانيا حيث ولد فى مدينة بعلبك بلبنان وقضى الجزء الأكبر من حياته فى مصر .

منك حيفا وإن حيفا الأعلى درة في الثغور ينظمن عقدا
وبنوها وجدت من كرم الأخلاق فيهم مالست أحصيه عدا

النص الخامس للشاعر نفسه (١)

فُجِعَ القريظ وقد ثوى حسان وخلا ببيت المقدس الميدان
جَزَعَتِ فلسطين وقبل ركاه لم يجزع لرزء قومها الشجعان
إن كان شاعرهم فعرش فعالهم شعر ، وما الأبحر والأوزان
أبطال صدق ما بهم من لوثة يوم الحفاظ وما لهم أقران
من لا يحييهم ويرفع ذكرهم ممن عليه تكرم الأوطان
أمم العروبة شاطرتهم حزنهم أو ما بنوها كلشهم إخوان
وأشد ما ربطت أو اصبر رحمة في الأهل أن تتقاسم الأحزان

تخليد الشهداء

النص الأول للشاعر وديع البستاني (٢)

حلالى مرّ هذا الموت صكباً وبت من الحديد أشدّ قلباً
بيرد مهجتي دمع العذارى وتنتثر عبرتى شارقاً وغرباً

(١) من قصيدة عنوانها « رثاء الشيخ سليم أبى الاقبال اليعقوبى حسان فلسطين » المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦٤ .

(٢) من قصيدة عنوانها « فؤاد حجازى وأخواه » قدم له الشاعر بما يأتى « أعدم الثلاثة شنقا فى ضحى يوم واحد وكانوا القافلة الأولى ، وقدمت بالقناطر الدموع السائلة فى المنازل والشوارع والأسواق فى ذلك الصباح ، وكانوا ممن حوكم على أثر ثورة البراق ، وأدراج الرياح ذهبت شفاعات الملوك والأمراء ، كان يوماً شديداً » . ونشرت جريدة اليرموك فى الصفحة الأولى من العدد ٤١٠ الصادر فى ١٨ يونيو سنة ١٩٣٠ ضمن إطار أسود وبحروف بارزة ما يلى :

« اعدام فؤاد حجازى وعطا الزير ومحمد جمجوم مظهر من مظاهر سياسة تصريح بلفور فليس دم هؤلاء الشهداء من أبناء فلسطين البررة الا أصول شجرة الاستقلال العربى - احيوا ذكرى يومهم هذا فى كل عام » ديوان الفلسطينيين ص ١٩١ ..

أنا القَلْبُ الفؤاد لكلَّ صَدْرٍ
ولم تسفِكِ دماءَ الناسِ كَفِّي
وعدتُ الموتَ حبًّا حَيَاةَ قَوْمِي
غضبتُ لأمتي ومضتُ حَيَاتِي
سلاماً زائري حَيَّتِكَ رُوحِي
يَكْفِيضُ وَيَلْتَنِي شَرَفاً وَحُبًّا
وكانت ثورة وأردت حرباً
إلى أعدائهم والنفسِ غَضْبِي
فداها وهي عند الله قُرْبِي
وحَيَّتِي العَرَبِ حَيًّا اللهُ عَرْباً

النص الثاني للشاعر الشيخ فؤاد الخطيب (١)

عليك وإلا ما أنحنى الشَّرْقُ أكمدًا
وفيك وإلا ما انثنى العام أجردًا
فإن غبت (يا موسى الحسيني) إننا
على العهدِ تَرَعَى حُرْمَةَ العهدِ سَرَمَدًا
ومن يحى بالذِّكرِ الجميل فلم يمتْ
وما المرء إلا الذِّكرُ غيبًا ومثْهدًا
فيا أيها النَّاعِي اخفض الصَّوتَ إنه
أقام من الذِّعرِ البلادَ وأقعدًا

* * *

ألا فاذكروا يأيها العُربُ شِيخكم
فقد كان رُكنًا في فلسطين أَيْدًا
وكان لكم موسى الذي تَعهدونه
يشقِّ بكم بحُرِّ الحوادثِ مُزْبدا

(١) من قصيدة عنوانها « الرزء الفادح » في رثاء موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية — ديوان الخطيب « ج ٢ ص ٤٠٠ » وقد تفضل الأستاذ رياض الخطيب نجل الشاعر فأطلعنا على الديوان مخطوطا .
والشاعر من أصل لبناني عاش فترة في الأردن عندما تأسست به إمارة عقب الحرب العالمية الأولى وعاش بقية حياته في المملكة السعودية : ويلقب بشاعر النهضة العربية .

وَأَنْقَذَ مَنْ تَبِيَهُ الْخِصُومَةَ جَمْعَكُمْ وَكَانَ لَكُمْ فِي وَحْشَةِ النَّيِّهِ مُرْشِدَا
وَشَدَّ عَلَى فِرْعَوْنَ لَمْ يَخْشَ بَطْشَهُ وَإِنْ كَانَ حَتَّى مِنْ عَصَاهُ مُجْرَدَا

* * *

عَزَاءً بَنِي قَوْمِي وَإِنْ جَلَّ خَطْبُكُمْ
فَقَدْ مَرَّ يَوْمَ الرِّزْوِ أَشْأَمَ أَنْكَدَا
وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا عِبْرَةُ الدَّهْرِ إِنَّهَا
لَأَجْدَرُ بِالْأَحْيَاءِ مَرْمَى وَمَقْصَدَا
فَقَدْ نَمَّ مِنَ الْأَبْطَالِ فَارِسَ حَلْبَةَ
وَأَثَلَكُمْ رَيْبُ الْمَنِيَةِ سُوَيْدَا
وَجَدْتُمْ لَكُمْ أَرْضًا بِهَا تَدْفِنُونَهُ
فَهَلْ عِنْدَكُمْ أَرْضٌ لِأَمْوَاتِكُمْ غَدَا ؟

النص الثالث للشاعر نفسه (١)

حَرَّمَ عَلَى أَطْرَافٍ « يَعْجَبُ د » قَائِمٌ
فِي الطَّرْمِ بَارِكَ حَوْلَهُ الرَّحْمَنُ
هَبِطَتْهُ أَطْهَرُ عَصْبَةٍ لَوْ أَنَّهَا
سَبَقَتْ لَرَبَّكَ مَدَحَهَا الْقُرْآنُ
إِنْ الزَّعَامَةُ وَالطَّرِيقُ مَخْوْفَةٌ
غَيْرِ الزَّعَامَةِ وَالطَّرِيقِ أَمَانُ

* * *

(١) من قصيدة عنوانها « مصرع البطل » الشيخ عز الدين القسام
المصدر السابق ص ٤٠٧ .
وهناك شاعران لبنانيان استوحيا المحنة بقصيدتين نكتفي بالإشارة
اليهما وإلى مصدر بهما :
١ — للشاعر صلاح لبكي قصيدة عنوانها « فيصل » ومصدرها ديوانه
غرباء ص ١٧ .
٢ — للشاعر حلیم دموس قصيدة عنوانها « فلسطين » ومصدرها —
الفتح — العام الثاني عشر العدد ٥٨٣ .

أولت° عمامتك العمائم كلَّها
شرفاً تقصّر عندها التيجان
وجعلت لاسم الشيخ أرفع رتبة
نبذت° قديم عهدها الأوطان
واليوم حين رأتك قد ذكرت° بها
زرى° الملوك وما ارتدى الفُرسان
ما كنتُ أحسب قبل شخصك أمة
في بُردنيه يضمها إنسان

* * *

يا رهط عز الدين حسبك نعمة
في الخلد لا عنت ولا أحزان
شهداء بدر والبقيع تهلكت
فرحاً وهشاً مَرحباً رضوان

في العراق

مشاركة فلسطين محنتها ودعوة إلى القوة

النص الأول للشاعر محمد مهدي الجواهري (١)

لو استطعت نشرت الحزن والألماً
على فلسطين مَسْوداً لها عكماً
ساعتٍ نَهاري يقظاناً فجائعها
وسئناً ليلي إذ صورن لي حُلماً
رمت السكوت حِداداً يوم مَصْرعها
فلو تركت وشأني ما فتحت فما
أكلتُما عَصفتُ بالشعب عاصفةً
هوجاء نستصرخ القريظاس والقلمما ؟
هل أنقذ الشام كتّابٌ بما كتبوا
أو شاعرٍ صان بَعْداداً بما نظما ؟
حَسب العواطف تعبيراً ومنقصة
أن ليس تَضْمَن لا بُرءاً ولا سَقما
ما سرنى ومضياء السَّيف يُعوزني
أني ملكتُ لِسَاناً نافثاً ضَرماً

* * *

دَم يَفور على الأعصاب فائره
حقارة أرتضى كفوواً له الكلمما
فناضتُ جُروح فلسطين مذكرة
جُرحاً باندلس لأن ما التأمما

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين الدامية » الفلسطينية - ص ١ .

وما يقصّر عن حزن به جـدة
حُزن تجدّده الذكري إذا قدما
يا أمة غرّها الإقبال ناسية
أن الزمان طوى من قبلها أمما
كانت كحـالة حتى إذا انتبهت
عضت نواجذها من حُرقة ندما
سيلحقون فلسطيناً بأندلس
ويعطفون عليها البيت والحـرما
ويسلبونك بغداداً وجلقية
ويتركونك لا لحمأ ولا وضمما
بالدفع استشهدى إن كنت ناطقة
أورمت أن تسمعى من يشتكى الدمما
وبالمظالم رُدّى عنك مظلـمة
أولا فأحقر ما فى الكون من ظلـما
لا تطلبى من يد الجبار مرحة
ضعى على هامة جبارة قـدما

النص الثانى للشاعر محمود الجبوى (١)

يا صرّخة ملؤنا من أجلها ألم
مجد العروبة ما شادته محبرة
فتلك أسطره الحمراء ترسمها
البيض أضمن للأمال من كلم
فكل حق حماه السيف محترم

لبئيك بالسيف إن لم ينفع القلم
ولا يراع ولكن مرفه ودم
فى مصحف الزمن الهنديّة الخدم
بها يصر يراع أو يفوه فم
وكل حق عداه السيف مهتضم

* * *

(١) المصدر السابق — ص ٧ .

(م ١٧ — الشعر العربى الحديث)

لبشروا نداء فلسطين فقد بعثت°
وأيقظوا يا شباب العرب نخوتكم
صوت استغاثتها دون الوري لكم°
وليلتهب° عز°مكم ولتشحذ الهمم
أمدت° برغم أنوف العرب تفتتسم
هذي فلسطينكم هل تهدءون إذا

النص الثالث للشاعر صالح الجعفرى (١)

أجمعت° إلا انتصارا
واستماتت في هــوى أوطنانها
بذلت° فيها النئيبين دمأ°
أذكت الحرب على أعدائها
لا تلوموها إذا ما جنّدت
فهي لا ترضى على إسـلامها
ليت شعري ما الذى أقعدنا
أفليسوا في الهـدى إخواننا
أمة لم تقبل الضيم شـعارا
تحسب النوم عن الأوطان عارا
ظاهراً حـراً ذكياً ونضاراً
واصطلت فيها كـباراً وصـغاراً
للوغى الأطفال والغيد العذارى
باليهودى لها خـلاً وجارا
عن فلسطين فلم نشحذ° غرارا؟
أنسينا حقهم الجـوارا؟

النص الرابع للشاعر عبد المنعم الفرطوسى (٢)

بالسيف أقسم لا بالطرس والقلم
أن الأمانى بحـد الصـارم الخدم
والحق يـشهد أن السيف صاحبه
وصاحب السيف قـدمأ صاحب الهمم
وليس تنهض بالأمر الخطير يد
وما لـديها سـوى القرطاس والقلم

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين » المصدر السابق ص ١٤ .

(٢) من قصيدة عنوانها « فلسطين الدامية » المصدر نفسه ص ٢٥ .

يانخوة العُرب ثورى ياحميّتها
توقّدى بسـعير منك مضطّرم
هبتى فنك فلسطين بها سفكت°
دماء يعرب حتى سال كالديم
عدت° عليها يد جبارة حكمت°
على فلسطين بالإرهاق والعدم

* * *

يا أمة جنحت° للظلم خائنة
إن غرّك الزهـو والإعظام فاتعظي
أولا فلا تتناسى° فيك ما فعلت°
ومارعت° لذمام العُرب من حرّم
بما انطوى قدماً من سالف الأمم
أسيافنا حينما استسلمت لـلسام

تمجيد بطولة فلسطين

نص للشاعر محمد مهدي الجواهري (١)

خذى مسعك متخنة الجراح
ومدّى بالممات إلى حياة
وقرّى فوق جمرك أو تردى
وقولى قد صبرت على اغتباق
فكونى فى سماحك بالضحايا
فإن الحق يقطّر جانباه
وتاريخ الششوعوب إذا تبنى
ونامى فوق دامية الصّباح
تسرّ، وبالعناء إلى ارتياح
من العقبى إلى أمر صراح
فماذا لو صبرت على اصطبّاح؟
كعهذك فى سماحك بالأضاحى
دماً، صينو المروءة والسّمّاح
دم الأحرار لايمحوه ماح

* * *

(١) من قصيدة عنوانها — « ذكرى وعد بلفور » ديوان الجواهري ج ١ ص ١٢٨ وللشاعر فى محنة فلسطين قبل النكبة قصائد تضمنها الديوان وقصيدة عنوانها « يوم فلسطين » مصدرها الفلسطيينيات ص ١٥ .

فلسطين سـلام الله يـسرى
أممّ القدس والتاريخ دام
ومهدك وهو مهبط كل وحى
فلا تتخبّطى فاللـيل داج
ولا تعننى بنا إنا بكاة
ولا تعنى بنا فالفعل جـو
ولن تجدى كإيانا نصيراً
ولا قوماً يردّون الدّواهى

على تلك المشارف والبطاح
ويرومك مثل أمسك فى الكفاح
كنعشك وهو مشتجر الرّماح
وإن لم يبق بدّ من صباح
ثمـدك بالعـويل وبالصّياح
مُغيم عندنا والقول صاح
يدقّ من الأسى راحاً براح
وقد خرست بالأسنة فصاح

* * *

أعيذك من مـصير نحن فيه
وتصريح يطمّطه قـوى
وأصدقك الحديث فكم حلول
(نطوّف ما نطوف ثم ناوى
يخرّج ألف وجهه من حديث

لقد عوّذت من أجل متـاح
كلّوح الطين إذ يدحـوه داح
حرام لحن فى زىّ مباح
إلى بيت) أقيم على اقتراح
ويخلّق ألف معنى لاصطلاح

نص للشاعر معروف الرصافى (١)

خطاب يهودا قد دعانا إلى الفكر
وذكرنا ما نحن منه على ذكر
ومجّد ما للعرب فى الغرب من يد
وما لبني العباس فى الشرق من فخر

(١) من قصيدة عنوانها « الى هربر صموئيل » جاء فى مقدمتها ما يأتى :
« ألقى يهودا محاضرة تاريخية ذكر فيها مدينة العرب فى الغرب والشرق
ولما أتمها قام هربر صموئيل المندوب السامى من قبل انجلترا فى فلسطين
=

.. .. .

وألقى على القوم خطابا موفقا وعدهم فيه مواعيد سياسية سربها الحاضرون الذين قد حضروا بدعوة من السيد راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس فقال الرصافي القصيدة مسجلا ما قاله المندوب وشاكرا له على ذلك « ديوان الرصافي — الطبعة الخامسة ص ٤٣١ — ٤٣٢ .

وقد ألفت هذه القصيدة سنة ١٩٢٠ وكان شاعر العراق يومئذ يعيش في فلسطين بعد نزوحه من العراق واعتزاه البقاء بعيدا عنه .

وقد أثارت هذه القصيدة غضب عرب فلسطين على شاعر العراق وضاعف من غضبهم أن المندوب السامي أمر بنشرها في كل الصحف التي كانت تصدر في فلسطين يومئذ لأنه وجد فيها خير دعاية للانتداب البريطاني في مستهل عهده .

فأخذ شباب فلسطين يهجون الرصافي على صفحات الصحف مما اضطره لمغادرة فلسطين ونورد أبياتا للشاعر اللبناني وديع البستاني الذي كان يعيش في فلسطين يومئذ من ديوانه الفلستينيات ص ١٠٤ بتساويخ ١٩٢٠/١٢/٢٩ من قصيدة عنوانها الرد على الرصافي .

وقد أثبت الشاعر كتاب حكومة فلسطين لمحرر جريدة الكرمل في حيفا لنشر قصيدة الرصافي التي نشرها الأستاذ نجيب نصار صاحب الكرمل مع رد الشاعر وديع البستاني وهذا نص الكتاب :

دار الحكومة — القدس في ٢٦ كانون الأول سنة ١٩٢٠ .

حضرة الفاضل محرر جريدة الكرمل في حيفا .

لقد عهد الى أن أرسل لكم نسخة من الشعر الذي نظمه الشاعر المطبوع السيد معروف الرصافي لفقامة المندوب السامي بمناسبة الخطاب الذي ألقاه الأستاذ « يهودا » وقد تلطفت حضرة الشاعر فوافق على نشر هذا الشعر في الجرائد المحلية ، لذلك نرجوكم أن تنشروه في جريدتكم الغراء .
وتفضلوا بقبول احترامي ،،،

التوقيع

ماكس نورك

عن السكرتير المدني

=

.. .. .

وقصيدة الرد على الرصافي متفقتة في الوزن والقافية مع قصيدة الرصافي :

خطاب يهودا أم عجاب من السحر
تريضك من در الكلام فرائد
ولكن هذا البحر بحر سياسة
عهدناك عباسا بوجه أعزة
وياحضرة المندوب يا سامى النهى
وما أنت بالراضى بافظ منق
لقد كنت خصمى فى البلاد وحاكمى
ومعروف معروف بمأسدة الثرى
وقد جئت قبل اليوم مستفتيا لهم
أنؤمن فى بلفور بعد محمد

وقول الرصافي أم كذاب من الشعر ؟
وأنت ببحر الشعر أعلم بالدر
إذا مدفيه الحق آذن بالجزر
فكيف لقيت الذل بالعز والبشر ؟
رويدك فى نهى رويدك فى أمر
ولا أنت بالمدح الجزاف بمفتر
فقدرك معروف وتعرف لى قدرى
ولكن فرخ الوكر أعرف بالوكر
وايك أستفتى ومثلك من يدرى
وعيسى وموسى والوزير من الوزر

وقد حبب للرصافي القدوم الى فلسطين والعيش فيها صحبته لأعلام
الفكر فيها اسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وغيرها ولطالما امتدحهما
فى العديد من قصائده وحسبنا أن نسوق هذه الأبيات من قصيدته
« بعد النزوح » ص ٤٢٨ .

خابت ببغداد آمال أوامها
فليت سورية الوظفاء مزنتها
قد كان فى الشام للأيام مذ زمن
اذ كان فيها النشاشيبي يسعفى
ان كان فى القدس لى صحب غطارفة

فهل تخيب اذا استذرت بصنين ؟
عن العراق وعن واديه تغينى
ذنب محته الليالى فى فلسطين
وكنت فيها « خيلا للسكاكيني »
فكم ببيروت من غر ميامين

وقد أوحى فلسطين للرصافي بطائفة كبيرة من القصائد التى تضمنها
ديوانه منها « دار الأيتام » ص ٩٤ وهى دار أنشأها المخلصون من أبناء
فلسطين لتعليم الأيتام ورعايتهم و « فى ايلياء » ص ١٤٠ و « الحمد للعلم »
ص ١٤٦ التى أشاد فيها بشخصية نخلة زريق بعد موته اذ يرجع اليه الفضل
فى تفتيح عيون شباب فلسطين على روائع الشعر العربى ، وعلى يديه تخرج
الأستاذ خليل السكاكيني .

لدَى مَحْفَل في القُدس بالقوم حافل
تبوَّأه (هرب صموئيل) في الصـدر
دعاهم رئيس القدس ذو الفضل راغب
إليه فلبَّوا دعوة من فتى حر
ولما تنهَى من يهوداً خطابه
وقد سرَّنا من حيث ندرى ولا ندرى
تصدَّى له (هرب صموئيل) ناطقاً
بسحر مقال جل عن وصمة السحر
فصدَّق ما للعرب من تالد العلا
وما لهم في العلم من خالد الذكر
وزاد بأن أوما إلى ما لصنعهم
على صخرة البيت المقدس من إثر
وقال : وقد أصغى له القوم إننا
سنرأب ما أناته منكم يد الدهر
وننهضكم في منهج العلم نهضة
مقوَّمة ما اعوجَّ فيكم من الأمر

=

وهناك عدد من شعراء العراق استوحى المحنة بسيل من القصائد نكتفى
بالإشارة إليها وإلى مصادرها .

١ — للكاظمي قصيدتان عنوان الأولى « فأسطين ان القصد لا يتحول »
لقاها الشاعر في حفل تكريم الوفد الفلسطيني الذي مر بمصر سنة ١٩٢١
ومصدرها ديوان الكاظمي — المجموعة الثانية ص ٢٣٣ .

وعنوان الثانية « أنتم خير الأمم » ومصدرها ديوان الكاظمي ص ٢٥٦ .

٢ — هناك قصائد للشعراء محمد علي اليعقوبي وصالح الجعفري
وعبد الرزاق محيي الدين ومحمد مهدي الجواهري ومحمود الحبوبى وصاحب
الدجيلبي وأحمد رضا الهندي ومحمد الخليلى ومرضى فرج الله وعلى الهاشمي
ومصدرها الفلسطينية .

هذا عدا عن قصائد الرصافي التي أشرنا إليها وقصائد الجواهري
ومصدرها ديوانا الشعارين .

فكانت لهذا القول في القوم هزة
سُرورية من دونها هزة السكر
وإسنا كما قال الألي يتهموننا
نعادي بنى إسرائيل في السر والجهر
وكيف وهم أعمامنا وإيهم
يمت بإسماعيل قديمًا بنو فهر
وإني أرى العربي للعرب ينتمي
قريبًا من العبري يئتمى إلى العبر
هما من ذوى القربى وفي لغتيهما
دليل على صدق القرابة في النجر
ولكننا نخشى الجلاء ونتقى
سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
وهل تثبت الأيام أركان دولة
إذا لم تكن بالعدل مشدودة الأزر
وها أنا قبل القوم جئتك معلناً
لك الشكر حتى أملأ الأرض بالشكر

فِي الْيَمَنِ

عاطفة نحو فلسطين ودعوة لموازتها

نص للشاعر اليمنى يحيى بن على بن أحمد الذارى (١)

أيهنا المسلمون مالى أراكم
هل مغيث الأخوة الدين
هل مثبّ لصارخ إذ ينادى
يا لتأر الاسلام والملة البيضاء
أيها المسلمون هبوا وثوروا
هل علمتم ما أسعرتة يهود
وتنادوا للمسجد الأقدس الأقصى
في غفول عن أعظم الأخطار
إذ ضامهم أهل ذكّة وصغار ؟
من فلسطين بالأخذ الثار ؟
ذات البهاء والأنبوار
من جميع الأنحاء والأقطار
من نيار للحرب ذات أوار
مناخ الإسرا رفيع المنار

* * *

إنفروا أيها الكرام خفافاً
يا ملوك الاسلام فى كل قطر
هذه صرخة تعم وأنتم
وثقالاً لنصر دين البارى
وولاية الايراد والإصدار
من صداها أحق بالايثار

(١) من قصيدة عنوانها « واصباحاه » الفتح — العام الثالث عشر —

في الكويت

نص للشاعر الكويتي صقر الضير (١)

بنى يَعْرَب من كل ذى نَجْدَة حُر
فلسطين مسْتَهَا يد العَسْف والجَوْر
أيجمع شُدَّاذ اليهود نفوسهم
وما ملكوا من وافر البيض والصفير
لأخْذ فلسطين العزيزة ضَلَّةً
ورمى أهاليها بقاصمة الظهير
وقد جاهدت شبانهم وكهولهم
جهاد بهاليل غطارفة غرر
نسور "وأساد" مشى كل ظالم
لإخراجها رَغماً من الغاب والوكر
فغزَّ عليهم أن يكونوا فرائساً
يمزقها الطغيان بالنَّار والظفر
فهبَّشوا كما تقضى العلا عن حماهم
يخدودون ذَوْد الليث أخرج والنسر
فإن تنجدوهم يا بنى العرب تنقذوا
نفوسكم لأغيرها من يد الشر

(١) من قصيدة عنوانها « نجدة فلسطين » الفتح - العام الحادي عشر - العدد ٥١٨ .

بنى حضرموت

ثورة على المتعاسين عن نصره فلسطين وتمجيد لبطولتها

نص للشاعر على أحمد باكثير (١)

بنى يعربٍ ماذا دَهاكم أجييوني أَلَمْ تشهدوا أشلاءكم بفلسطين ؟
تُراق على الأَرْض الحرام دِماؤكم لإرضاء مَنبوذ الخلائق مَأفون
كرامتكم فيها تُداس وشَعَبكم يُسام الرِّزايا باضطهادِ أفانين

* * *

ألا ليت شِعري كيف تَصبر يعرب
على حالة فيها المنية تعذب ؟
وكيف بلادُ الضاد تغفو جفونها
وجفن فلسطين دماً يتصبَّب ؟
وكيف يسوغ العُربُ برد شرابهم
ومليون نفس منهم ثمَّ تنكب ؟
أيرضى بنو الاسلام مَسرى رسولهم
لأهون من فوق البسيطة يوهب ؟

* * *

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين المجاهدة » الفتح — العام الحادى عشر — العدد ٥٠٥ وله قصائد أخرى استوحت فلسطين فى مجلة الفتح .
وهناك قصيدة للشاعر صالح بن على الحامد العلوى الحضرمى عنوانها « فلسطين » ومصدرها ديوان ليالى المصيف ص ١٧ .

بنى العُرب والاسلام أين غيائكم
لإخوانكم في الجنس والضَّاد والدين ؟

لَعَارٌ بكم أن تَسْتَطِيعُوا غِيائَهَا
فلا تَهَبُوا أَرْوَاحَكُمْ لِفِلَسْطِينِ

فما ظنكم بالمسال لا تبذلونه
لِعِوْثِ حُمَاةِ المَكْرَمَاتِ المِيَامِينِ

فلسطين برهبان لكم في جهادكم
أليسَ لديكم قيمة للبراهين ؟

ولو لم يكن في موتها موت أمركم
الأودت ولم تفتتح فمأ بأغيثوني



وأنت فلسطين اثبتى وتجلدى
فما الصبر إلا عندما الصدمة الأولى

وأدرى الورى أن العروبة لم تمت°
وأن لها في المكرّمات اليد الطولى

وأنا الألى لانرهب الموت كالحأ
ولا النار شوًبواً ولا السيف مسؤلوا

وأننا أردنا أن نعيش ومن يرده°
حياة يجد طعم المنية معسولا

في المغرب العربي

تونس — الجزائر — مراكش

ثورة على الاستعمار

النص الأول لشاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة (١)

قل لابن صهيون اغتررت فلا تجر
إن ابن يعرب ناهض للشار
أعرضت عن خطط السلام مولياً
فوقعت منها في خطوط النار
لاتحسبن بأن صبحك طالع
فالبدر — ويحك — خادع للشاري
سكترى أمانيك التي شيدتها
منهارة مع ركنك المنهار
القدس لابن القدس لا متشرد
متصهين ومهاجرين غدار
يا لجنة التقسيم حدت عن الهدى
وسخرت منه فبؤت بالإنكار
القبلة الأولى التي استصغرتها
هي للعروبة قبلة الأنظار

(١) من قصيدة استوحى فيها فلسطين أثناء ثورتها الكبرى من سنة

١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩ .

النص الثاني للشاعر نفسه (١)

يا قسمة القدس أنتِ ضيزى
القدس للعُرب من زمان
يا (لندرا) لو دَرى بنونا
إخال شعب اليهود سرِّاً
قد دلَّ طغيان إنجلترا
لم يعبدل القاسمون فيكِ
لن يقبلوا فيه من شريكِ
لم يأمنوا الغادر من بنيكِ
سأباك بالعسجد المسبكِ
على فناء لها وشيكِ

(١) من قصيدة عنوانها « تقسيم فلسطين » وقد أخذنا القصيدتين من ديوان الشاعر وهو مخطوط .

الفصل الثالث

محنة فلسطين في شعر الشعراء العرب

في المهاجر الأمريكية

وعد بلفور والانتداب

النص الأول للشاعر القروي رشيد سليم الخوري (١)

الحقُّ منك ومن وعودك أكبرُ
فاحسب حساب الحق يا متجبرُ (٢)
تعيد الوعود وتقتضى إنجازها
مُهج العباد خستت يا مستعمر
لو كنت من أهلِ المكارم لم تكن
من جيب غيرك محسناً يا (بلفور)
عدّ من تشاء بما يشاء فإنما
دعواه خاسرةٌ ووعدك أخسرُ
فلقد نفوزُ ونحن أضعف أمة
وتثوب مغلوباً وأنت الأقدر
يا مصدر الكذب الذي ما بعده
كذب تعالى الحقّ عما تنشر
تجنّى على وطن المسيح مُدمراً
وتذيع أنك في البلاد مُعمّرُ
ياربّة الدماء (٣) مهما تكثري
عَدَد السفين فعند ربك أكثر

(١) من قصيدة عنوانها « وعد بلفور » ديوان القروي ص ٢٨٦ .

(٢) الخطاب موجه الى بلفور مبرم الوعد .

(٣) الدماء ، البحر وربة الدماء كناية عن بريطانيا وقوة أسطولها

قَد بَعَثَ مَجْدَ الْإِنْجِيلِ لِتَرْبِيهِ
مَالَ الْيَهُودِ نَعْمَ هَذَا الْمُتَجَرِّبُ
لَا يَخْدَعُنَّ بَنِيكَ أَنْتَا أُمَّةٌ
صَبْرَتْ فَلَيسَ بِمِيتٍ مَنْ يَصْبِرُ

النص الثاني للشاعر قيصر سليم الخوري (١)

سَقِينَاكَ يَا غَرْبُ مَاءَ الْحَيَاةِ
تَعَلَّمْتَ رَعَى النَّشْجُومِ وَفَاتِكَ
سَنَنْتِ النَّشِيُوبَ كَأَنَّ فِلَسْطِينَ
وَإِنَّ فِلَسْطِينَ لِلْعَرَبِ
فَكَانَ وَفَاؤُكَ نَفَثَ الْحَمَمِ
أَنْ تَتَعَلَّمْ رَعَى الذَّمِّ
مَرَعَى تَسْمُنَ فِيهَا الْغَنَمِ
رُوحًا وَجِلْدًا وَلِحْمًا وَدَمِ

تمجيد بطولة فلسطين ومشاطرتها المحنة

النص الأول للشاعر ايليا أبي ماضي (٢)

دِيَارُ السَّلَامِ وَأَرْضُ الْمَهْنَا
فَخَطَبَ فِلَسْطِينَ خَطْبَ الْعَلَا
بَسْهَرْنَا لَهُ فَكَانَ السَّيُوفُ
وَكَيفَ يَزُورُ الْكَرَى أَعِينًا
يُثْرِدُ الْيَهُودُ بِأَنْ يَكْصَلِبُوهَا
وَتَأْبَى الْمَرْوَةَ فِي أَهْلِهَا
يَشْتَقُ عَلَى الْكَلِّ أَنْ تَحْمِزْنَا
وَمَا كَانَ رُمُوزُ الْعَلَا هِينَا
تَحْمِزُ بِأَكْبَادِنَا هَاهُنَا
تَرَى حَوْلَهَا لِلرَّدى أَعِينَا
وَتَأْبَى فِلَسْطِينَ أَنْ تَذْعَنَا
وَتَأْبَى السَّيُوفُ وَتَأْبَى الْقَنَا

(١) جورج صيدح - أدبنا وأدباؤنا في المهجر الأمريكية - مطبوعات
معهد الدراسات العربية - ص ١٠٣ .

(٢) من قصيدة عنوانها « فلسطين » ديوان الخمائل ص ٩٢ .
وله قصيدة ثانية في رثاء المغفور له موسى كاظم الحسيني عنوانها
« مجاهد » ص ٧٣ المصدر السابق .

أَرْضَ الْخَيْيَالِ وَآيَاتِهِ وَذَاتَ الْجَلالِ وَذَاتَ السَّنَا
تَصِيرَ لِعَوْنِهِمْ مَسْرَحاً وَتَعْدُو لَشَذَّاذِهِمْ مَكْمَناً



فقلْ لليهود وأتباعهم لقد خدَعْتَكُمْ بِرُوقِ الْمَنَى
ألا ليتَ (بلفور) أعطاكمُ بلاداً له لأبـلاداً لنا
(فلندن) أرْحَبُ من (قدسنا) وأنتم أحبُّ إلى (لندننا)
ومناكمُ ووطناً في النشْجومِ فلا عَرَبِيٌّ بتلك الدثنا
فليستْ فلسطين أرضاً مشاعاً فتعطى لمن شاء أن يسكنا
فإن تطلبوها بسمر القنا نردكمُ بِطـوالِ القننا
وإن تهجروها فذلك أولى فإن فلسطين ملكٌ لنا
وكانتْ لأجدادنا قبلنا وتبقى لأحفادنا بعـدنا
فلا تحسبوها لكم موطناً فلم تك يوماً لكم موطناً
نصحاكمُ فارعـووا وانبذوا (بليفور) ذيلك الأرعنا
وإما أبيتمُ فأوصيكمُ بأن تحمـلوا معكم الأكنفا
فإننا سنجعلُ من أرضها لنا وطناً ولكمُ مدفننا

النص الثانی للشاعر نصر سمعان (١)

يا فلسطين قدسك الضحايا وكسك الخلود أسنى بروده
أنت في معزف الحياة نشيد لاتملئ الحياة من ترديده
أنت من قمم العُلا في مكان عين صهيون أخت عين حسوده
يدعى الحق في ترابك شعب تأنف الأرض من تراب جدوده

(١) جورج صيدح — أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية — مطبوعات
معهد الدراسات العربية — ص ١٠٣ .
(م ١٨ — الشعر العربي الحديث)

النص الثالث لشاعر جورج صيدح (٢)

منازل الخلد بين القبر والحرم
نزلت يا أمة هانت على الأمم
سلى سماء شعوب الأرض هل بلغت
ماني ثراك من الأمجاد والعظم
طلعت فجراً على التاريخ فاض سننا
وما جُزيت بغير الظلم والظلم
أرض تحج لها الدنيا مبايعة
بيعت بفلس مراب غير مُحْتشم
واها فلسطين كم غازٍ قهرت وكم
جيش رددت عن الأسوار منتهزم
حنّالة القوم من شتى الديار أتت
بالعجل تبنى له عرشاً من الجهم

* * *

بنى فلسطين سيئ الغاصبين طما
كونوا له السد لا يعنو لمقتحم
لا الفقر لا الأسر لا التعذيب أقعدكم
وفي مطاياكم وثابة الهمم
كم في المهاجر من عين تراقبكم
وكم فؤاد بنار الوجد مضطرم
وكم يد بالندی تسخو لنجدتكم
وكم لسان لكم يدعو وكم قلم

(١) من قصيدة عنوانها « بنى فلسطين » حكاية مغترب ص ٣٢٣ .

الشعر القصصي

النص الأول للشاعر إبراهيم طوقان (١)

الساعات الثلاث

الساعة الأولى

أنا ساعة النفس الأبيّـه الفضل لي بالأسـبقيّه
أنا بكرّ ساعاتٍ ثلاث كلها رَمَز الحميّـه
أودعت في مَهج الشبّيبية نَعْمَة الروح الأبيّـه
لا بدّ من يوم لهم يَسقى العِدا كَأْسِ المنية
قسماً بروح (فؤاد) (٢) تصعد من جوانحه زكيه
ما نالَ مرتبة الخلود بغير تضحية رضيه
عاشت نفوسٌ في سبيل بلادها ذهبت ضحيّة



الساعة الثانية

أنا ساعة الرّجل العتيـد أنا ساعة البأس الشّـديد

(١) من ملحمة عنوانها « الثلاثاء الحمراء » ديوان إبراهيم طوقان ص ٣٨ أوحى بها اعدام شهداء ثورة البراق الثلاثة في صباح يوم الثلاثاء ١٧ يونية سنة ١٩٣٠ مما حدا بالشاعر أن يجعل عنوانها الثلاثاء الحمراء وقد نفذ حكم الاعدام في الشهداء الثلاثة في ساعات ثلاث متوالية فكان أولهم فؤاد حجازي وثانيهم محمد جمجوم وثالثهم عطا الزير وكان من المقرر رسمياً أن يكون عطا الزير ثانيهم ولكن جمجوم حطم قيده وزاحم زميله وسبقه الى الموت .
(٢) الشهيد الأول فؤاد حجازي .

أنا ساعة الموت المشرّف
بطلى يحطّم قيده
زاحمت من قبلى
وقدحت في مهبج الشباب
هيات يخذع بالوعود
قسماً بروح (محمد (١)
قسماً بأمك عند موتك
وترى العزاء عن ابنها
ما نال من خدام البلاد

كلّ ذى فعّل مجيد
رمزاً لتحطيم القيود
لأسبقها إلى شرف الخلود
شرارة العزم الوطيد
وأن يخذر بالعهد
تلقى الردى حلو الورود
وهي تهتف بالنشيد
في صيته الحسن البعيد
أجل من أجر الشهيد



الساعة الثالثة

أنا ساعة القلب الكبير
رمز الثبات إلى النهاية
بطلى أشد على لقا
جذلان يرتقب الردى
يلقى الإله مخضب التفتين
صبر الشباب على المصاب
أنذرت أعداء البلاد
قسماً بروحك (يا عطاء (٢)

أنا ساعة القلب الكبير
في الخطير من الأمور
الموت من صم الصخور
فاعجب لموت في سرور
في يوم النشور
وديعتى يوم النشور
بشر يوم مستطير
وجنة الملك القدير

(١) الشهيد الثاني محمد مجموع .
(٢) الشهيد الثالث عطا الزير وقد خضب كفيه بالحناء تعبيراً عن فرحته بلقاء الموت .

وصير غارك الأثـنـبـال تبكى اللئـيـث بالدـمـع الغـزير
ما أنقذ الوطن المـفـدى غير صـبـار جـسـور

* * *

أجسادهم في تـرـبـة الأوطان أرـواحيهم في جنـة الرضوان
وهناك لا شكوى من الطـغـيان وهناك فيض العفو والغفران
لا ترج عفواً من سـواه هو الاله
وهو الذى ملكته يداه كل جـاه
جبروته فوق الذين يغرهم جبروتهم في برهم والأبحر

النص الثانى للشاعر عبد الكريم الكرمى (١) (أبى سلمى)

أنشـر على لهب القـصـيد شكوى العبيد إلى العبيد
شكوى يرددها الزما ن غداً إلى أبد الأبيد
قالوا الملوك وإنهم لا يملكون سوى الهيـد
دكت عروش زينوها بالسـلـاسـل والقـيـود
سحقنا لمن لا يعرفون سوى التعل بالوعود
وأذلهم وعد اليهود ولا أذل من اليهود

* * *

إيه ملوك العـرـب لا كنتم مـلوكاً فى الوجود
قوموا اسمعوا من كل ناحية يصيح دم الشهيد

قوموا انظروا « القَسَامِ »
يُشْرِقُ نوره فوق الصرود
يُوحى إلى الدنيا ومن
قوموا انظروا فرحان
يَمْشَى إلى حَبْلِ الشَّهَادَةِ
صَائِماً مَشَى الأَسْوَدِ
سَبْعُونَ عاماً في سَبِيلِ الله
والحَرِيقِ التَّالِيهِ
خَجَلِ الشَّابَابِ مِنَ المَشْيِبِ
بل السنون من العَقْوَدِ

الشعر المسرحي

نص للشاعر برهان الدين العبوشي

الفصل الرابع

المنظر الثالث

سعيد العاص • عبد القادر الحسيني • عبد الحليم الجولاني • أبو قدوم
وسعود

سعيد :

يا جبال الخليل حيّك ربّي
لم تنزل فوقك الكرامة تبدو
قد وقفنا لك النفوس رِخاصاً
يا ابن موسى وأنت خير صديق
كيف ترضى البقا بظلم وغبن
أنت لِأَسَدٍ مَعْقِلٍ ومهادٍ
فعسى مجدك القديم يُعادٍ
ودعانا لك الهوى والجهاد
قد دعانا الجدود فيها ونادوا
وعداة البلاد عاثوا وسادوا

عبد القادر الحسيني (أبو موسى)

يا سعيدَ الجهاد لبنيك إننا
سنبئد العدى وننخن فيهم
قد توالى على البلاد رزايا
فاندب الشيب والشباب ليحموا
قد عرانا لأجل ذاك شهادٍ
يوم يرمى بهم إلينا الطراد
حالكات وعاث فيها الجرّاد
أمة قد سبى حماها العباد

أثر الشعر في كفاح عرب فلسطين

أتيح لعرب فلسطين أن يطلعوا على الشعر الذي استوحى محنة بلادهم قبل المأساة من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى ٢٩ منه سنة ١٩٤٧ • أتيح لهم الاطلاع على شعر شعرائهم : إبراهيم طوقان وإبراهيم المدباغ وأبى سلمى وعبد الرحيم محمود وبرهان الدين العبوشى وغيرهم لأن هذا الشعر كان ينشر في صحف فلسطين اليومية التي تصدر في يافا والقدس وحيفا وغيرها من المدن •

وأتيح لهم أن يطلعوا على شعر شعراء الأقطار العربية وأبناء العروبة في المهاجر الأمريكية لأنه كان ينشر في صحف ومجلات تصل إليهم كالأهرام والجهاد والبلاغ والمقطم ومجلة الفتح التي أصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٩٢٦ ومجلة الرسالة التي أصدرها الأستاذ أحمد حسن الزيات سنة ١٩٣٣ ومجلة الثقافة التي أصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ هذا في مصر • ومجلة الطليعة ومجلة الحديث ومجلة العرفان ومجلة الأديب في سورية ولبنان وفي الدواوين الشعرية التي نشرت لشعراء الأقطار العربية : هكذا أغنى للشاعر محمود حسن اسماعيل ، ومن نبغ الحياة للشاعر محمد عبد الغنى حسن وشرق وغرب للشاعر على محمود طه ، وديوان عمر أبى ريثة ، ودواوين الرصافي والزهاوى والكاظمى والجواهرى وللشعراء العرب في المهاجر الأمريكية : القروى وصيدح وأبى ماضى •

أتيح لعرب فلسطين الاطلاع على هذا الشعر ، والاصاخة إليه وهو يغمر الصحف والمجلات ، وينشد في المحافل ، ويتردد على موجات الأثير فهزهم الطرب ، وغمرهم البشر وثارت في عروقهم دماء العزة والفخار ، وتوهجت في صدورهم معانى البذل والفسداء • أصغوا إلى قصائده ، وشنفوا آذانهم وقلوبهم بأهازيجه فاعتزوا به كل الاعتزاز واهتموا به أعظم الاهتمام وأولوه ما يستحق من عناية وتقدير • حفظوا روائعه ،

واستظهروا فرائده وتغنوا به في مجالسهم ومحافلهم وحلقات سمرهم ،
وأعيادهم القومية والدينية وتمثل خطابؤهم وكتابهم بأبياته وحبوه
لأبنائهم وأحفادهم واختاروا منه نصوصا تحفظ وتدرس في مراحل
التعليم المختلفة ، وأغانى وأناشيد تلحن وتغنى •

لقد درس إبراهيم طوقان شعره في المحنة لطلبته في مدرسة النجاح
الوطنية بمدينة نابلس عقب تخرجه في الجامعة الأمريكية في بيروت خلال
العام الدراسي ١٩٢٩ — ١٩٣٠ وهو العام الوحيد الذي زاول فيه
التعليم في هذه المدرسة وحذا حذوه عبد الرحيم محمود الذي خلفه
في تدريس الأدب العربي لطلبة المدرسة • ولا يوجد بين الفلسطينيين
الذين تعلموا في مدارس فلسطين بعد ثورة ١٩٣٦ من لا يحفظ لإبراهيم
طوقان قصيدتيه الفدائى والشهيد ولعبد الرحيم محمود قصيدتيه الشهيد
والشعب الباسل • ولأبى سلمى داليتها التي ثار فيها على ملوك العرب
ولبشارة الخورى قصيدته يا جهادا صفق المجد له ، ويصدق هذا على
الطلبة والطالبات •

كان لهذا الشعر أثر عظيم في نفوس عرب فلسطين وفي كفاحهم
وجدوا فيه أكبر عون وأعظم نصير لأنه صور لهم ما يكابده إخوتهم في
العروبة من أسى لأجلهم ، وما يشعرون به من حسرة وألم لما يصيبهم
ولأنه عبر عن مشاطرة العرب والمسلمين لهم في المحنة ، واستعدادهم
لافتداء فلسطين بالأرواح •

كان ذلك الشعر مرآة انعكس عليها شعور العرب في الوطن العربي
الكبير • في كل نص أسى لمصاب عرب فلسطين ، وفي كل بيت أنين لجراحهم
وفي كل قصيدة عاطفة جياشة بحب فلسطين ، وتمنى الجهاد في أرضها
الطاهرة واعتبار محنتها محنة العرب ، وأسأها أساهم في ذلها ذلهم ،
وفي عزها عزهم •

وكان الشعر الفلسطيني سلاحاً من أسلحة المعركة التي خاضها عرب فلسطين ضد الانتداب والصهيونية سلاحاً فتاكاً ولطالماً أرقت قصيدة واحدة منه أجفان جنود بريطانيا ، وأقتضت مضاجعهم ، وعكرت صفو أمن البلاد وأثارت القلاقل والاضطرابات . كما حدث حين ألقى إبراهيم طوقان قصيدته الثلاثة الحمراء في السابع عشر من يونية (حزيران) سنة ١٩٣٠ على أثر إعدام شهداء ثورة البراق الثلاثة فؤاد حجازي وزميليه .

كان الشعر سلاحاً ماضياً حاولت حكومة الانتداب إخماد صوته وكنتم أنفاسه فلم تستطع . ولم يكن الشعر وحده سلاحاً في المعركة بل وقف معه النثر ، من خطبة ومقالة والفكر والثقافة . لقد اضطهدت حكومة الانتداب الشعراء والكتاب والخطباء والمفكرين والمثقفين . وعندما اشتعلت الثورة الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦ سنت الحكومة قانوناً جعلت فيه التحريض على الثورة باللسان أو بالقلم جريمة عقابها السجن لمدة سنوات ، وكانت بلاغاتها الحربية تصف أولئك الأحرار بالمرضين على الاضطرابات والمثيرين للقلاقل وثورة سنة ١٩٣٦ هي الثورة التي غذّاهم المثقفون ، وقادتها الصفوة المختارة من الكتاب والشعراء والمفكرين الذين نظموا مسيرتها ونسقوا خططها ومناهجها .

قد زجت حكومة الانتداب بعدد كبير من الشعراء والكتاب في غيابات السجون ، وزجت بعدد آخر في معتقلات أنشأتها بعد أن ضاقت سجونها بمن فيها ومن أكبر هذه المعتقلات التي أنشئت إبان الثورة معتقل صرْفند بالقرب من مدينة الرملة .

اضطهدت حكومة الانتداب الشعراء والكتاب والخطباء والمفكرين ورجال الدين والمثقفين وطاردتهم ، وحاربتهم في أرزاقهم وصبت عليهم نقمتهما فاضطروا إلى أن يهاجروا من فلسطين إلى الأقطار العربية المجاورة ، فراراً من الظلم ، وسعيّاً وراء حرية الفكر .

ولكن إخماد الشعور ، وإخراس الألسنة لم يكن في مقدور الحكومة وحتى إذا زجت بالشعراء والكتاب في غياهب السجون والمعتقلات فإنها لن تستطيع أن تحول بينهم وبين نشر كتاباتهم وآرائهم وقصائدهم في صحف الأقطار العربية إذا منعت نشرها في صحف فلسطين وهما أحفظ حرمة الانتداب على هؤلاء الشعراء والخطباء والكتاب والمفكرين أن عدداً كبيراً منهم خاض غمار الحرب ضدها واشترك في المعارك التي نشبت بين جنودها وبين المجاهدين وأن هؤلاء الشعراء والكتاب والخطباء لم يكتفوا بتغذيتهم المعركة بسلاح الشعر والفكر والقرل وإنما ضموا إلى سلاح الفكر البندقية والمدفع وكانوا من الشعراء الفرسان الذين جمعوا بين السيف والقلم وشجاعة اللسان والقلب ، ولا نريد أن نسردهم الأسماء ، ونحدد الوقائع ولكننا على سبيل المثال نوجز قصة الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود في السطور التالية :

كان هذا الشاعر طالباً في مدرسة النجاح الوطنية بمدينة نابلس وتعلم للشاعر إبراهيم طوقان حين كان معلماً للأدب العربي بها • ولما تخرج عبد الرحيم في المدرسة عينته معلماً للأدب العربي بها وعندما اشتعلت الثورة الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦ رأى أن واجبه الوطني يحتم عليه الجهاد فاستقال من وظيفته التي لم يكن له مورد رزق سواها ، وانضم إلى المجاهدين في جبل النار تحت لواء القائد عبد الرحيم الحاج محمد وأخذ يقتحم الهول ويتقدم الصفوف مؤملاً أن يفوز بالاستشهاد ولكنه لم يستشهد في تلك السنة ولما توقفت الثورة طاردهته حكومة فلسطين فهاجر إلى العراق وعاد إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ وانضم للمجاهدين وظفر بالشهادة في تلك السنة في معركة الشجرة قرب مدينة الناصرة •

ولم يقف اضطهاد حكومة فلسطين للشعراء والكتاب عند عبد الرحيم محمود وحده بل اضطهدت إلى جانبه عدداً آخر منهم الشاعر برهان الدين العبوشي ومن قبله الشاعر إبراهيم طوقان •

والشعر الفلسطيني هو الذي أيقظ الغافلين ونبه النيام ، واستنهض الهمم ، وقاوم الاستعمار وفضح أساليب ختله وخداعه ، وكشف القناع عن دسائس الصهيونية ، وأزاح الستار عن مناهج الإبادة والافناء التي رسمتها حكومة الأنتداب مع الصهيونية • وهو الذي نشر الوعي ، وبصر بالحقائق ، وتنبأ بالكارثة وتوقع المأساة واستلهم العبرة من الأندلس ، وحذر عرب فلسطين النكبة ، ودعا إلى تجنب حدوثها ، وإعداد أهل البلاد للمعركة الرهيبة قبل نشوبها •

وهو الذي حض على الثورة ومهد لاشتعالها سنة ١٩٣٦ بما استثار من حمية ، وألهب من مشاعر ، وأصرم من أفئدة ، وهو الذي مجد البذل ، وقدس التضحية ، وأطرى البطولة وترنم بالفداء ، وخلد الشهداء ، وصورهم بكواكب الهدى تلوح في ظلام الخطوب فترسل النور للعيون •



أما الشعر في الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية فكان حرباً على بلفور ووعدده ، وثورة على بريطانيا وأساليب بطشها ووسائل عنفها مع عرب فلسطين وكان نقمة على الصهيونية ، وعلى ما طبع عليه اليهود من جبن وخسة ولؤم •

على أن هناك ظاهرة عامة في هذا الشعر تلاحظ لأول وهلة هي تمجيد بطولات فلسطين ، وتصوير جهادها في أزهى الصور ، والإشادة بشجاعة أبنائها في كفاحهم واعتبارهم المثل الأعلى للشعوب المكافحة تتلقى عنهم دروس التضحية ، وضروب البذل والفداء • وكان لهذه الظاهرة تأثير السحر في عرب فلسطين فاستماتوا في الجهاد واستهانوا بالتضحيات ، وتدافعوا نحو الموت إذ غدت بلادهم أنشودة خالدة في

سفر الجهاد ، وغدا أبنائؤها مضرب الأمثال للشعوب والأمم ، وغدت
سطور جهادها قصصاً تتناقلها صحف العالم وإذاعته ، وقصائد تتردد
على لسان الدهر • يقول أحمد محرم :

بك يا فلسطين البلاد تعلمت	معنى الجهاد وكان معنى مبهما
هذا كتابك ليس يبلغ شأوه	من نمق الكتب الحسان ونمنا
نعم الكتاب لمن يحب بلاده	ولن يظن بحقها أن يهزما

ويقول محمد صادق عرنوس :

من شاء فليأخذ عن القسام	أنمـوذج الجندي في الاسلام
وليتخذـه إذا أراد تخلصاً	من ذلـه الموروث خير إمام

الفصل الرابع

متنزه الشعر العربي في محنة فلسطين قبل النكبة في موكب الشعر العربي

دراسة ونقد

منهجاً في النقد

عرضنا في الفصول الثلاثة السابقة سبعة وتسعين نصاً شعرياً لسبعة وأربعين شاعراً يمثلون أولاً فلسطين ، وثانياً الأقطار العربية ، وثالثاً الشعراء العرب في المهجر الأمريكية ، وأضفنا إليها أربعة أناشيد لشعراء فلسطين ومع حرصنا على اختصار هذه النصوص بإيرادنا أصل عدد من أبياتها في الكثير الغالب ، وبإشارتنا إلى نصوص أخرى وإلى مصادرها ، بلغ عدد أبياتها تسعمائة وثلاثة وأربعين بيتاً عدا الأناشيد الأربعة التي بلغت أبياتها ثلاثة وأربعين بيتاً • ومن هذه النصوص ستة وأربعون نصاً لشعراء فلسطين من بينها نص واحد لشاعر من الأردن ، وثلاثة وأربعون نصاً لشعراء الأقطار العربية ، وخمسة نصوص للشعراء العرب في المهجر الأمريكية •

ولقد قدمنا أربعة وتسعين نصاً من الشعر الغنائي أما الشعر القصصي فقد قدمنا منه نصين وأما الشعر المسرحي فقد قدمنا منه نصاً واحداً •

وقد قسمنا الشعر الفلسطيني حسب موضوعاته الآتية :

- ١ - وعد بلفور ٢ - الاستعمار ٣ - الهجرة اليهودية
- ٤ - المحافظة على الأرض ٥ - التضامن والإخاء

- ٦ — الوعي القومي •
- ٧ — الحض على الثورة •
- ٨ — تمجيد البذل والفداء •
- ٩ — تخليد الشهداء •
- ١٠ — الأغاني والأناشيد •

وأضفنا إليها موضوعين هما الشماتة بالإنجليز ، والابتهاج بمولد الجامة العربية وقسمنا أيضا شعر أبناء الأقطار العربية والشعراء العرب في المهاجر الأمريكية حسب الموضوعات السابقة التي قسمنا الشعر الفلسطيني عليها • على الرغم من الصعاب التي اعترضتنا في هذا التقسيم وأهمها أن هؤلاء الشعراء تناولوا محنة فلسطين بوجه عام — في معظم النصوص — ولم تقف قصائدهم عند موضوع بذاته • ونظرا لأن هذا الشعر لم يطرق كل الموضوعات التي طرقتها الشعر الفلسطيني وقفنا به عند الموضوعات التي تناولها وأضافنا إليها أربعة موضوعات جديدة تجلت في هذا الشعر بصورة رائعة وهي :

- ١ — تمجيد بطولة فلسطين •
- ٢ — تصوير جهادها •
- ٣ — مشاطرتها المحنة •
- ٤ — الدعوة إلى مؤازرتها •

وأدى بنا تقسيم شعر أبناء فلسطين والأقطار العربية والشعراء العرب في المهاجر الأمريكية إلى تفتيت قصائد قليلة تناولت أكثر من موضوع ، وتوزيع أبياتها على الموضوعات المختلفة وظهر ذلك في بعض قصائد الشعراء إبراهيم طوقان ، وبرهان الدين العبشي ، وأحمد محرم •



أما منهجنا في هذه الدراسة فهو المنهج الفني الذي يتخذ من النص موضوعا للدراسة يحدد خصائصه ، ويوضح قيمه ، ويضئ جوانبه ، وهو منهج ذاتي وموضوعي يعتمد على تأثر الناقد الذاتي وخبرته اللغوية والفنية أولا ، وعلى الخصائص الموضوعية والأصول الفنية للنص ثانيا •

وقد تناولت دراستنا لهذا الشعر الذى استوحى محنة فلسطين قبل المأساة موضوعات هذا الشعر ، وأفكاره وأخيلته ممثلة فى العواطف والصور والأفاظه وأساليبه •

وبما أن أدب كل أمة تعبير صادق عن حياتها ، وأن فهمه وتفسيره يتوقفان على معرفة أحداثها كان لزاما علينا أن نعرض للأحداث محنة فلسطين من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى ٢٩ منه سنة ١٩٤٧ مما يلقي الأضواء على هذه النصوص •

وتوخينا فى هذا العرض الايجاز تحقيقا للهدف من البحث وهو أثر المحنة فى الشعر وتصويره لها وتعبيره عنها لا المحنة نفسها ولا تاريخها ومن أجل هذا الهدف أرسلنا القول فى حادثة وثيننا عنانه فى أخرى ، ووقفنا عند ظاهرة ومررنا مروراً عابراً بأخرى •

إن عرضنا التاريخى للأحداث كان ضروريا لفهم النصوص وتفسيرها لأننا لم نعرضها لذاتها وإنما لمستجلى موقف الشعر منها •

الموضوعات

تناول الشعر الذي استوحى محنة فلسطين قبل المأساة من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى ٢٩ منه سنة ١٩٤٧ موضوعات قديمة وأخرى جديدة خلقتها المحنة وأوجدتها ظروفها فتناول :

١ — **غدر بريطانيا وحلفائها بالعرب** في أثناء الحرب العالمية الأولى :
والغدر بمعنى نقض العهود وإخلاف الوعود موضوع أفاض فيه الشعراء منذ العصر الجاهلي فلطالما امتدحوا الصدق والوفاء ورعاية العهد وحفظ الود وعابوا الغدر والخيانة ولا يزال السموعل ابن عدياء مضرب المثل في الوفاء ولا نزال نردد مع الأعشى أبياته لشريح ابن السموعل التي يقول فيها :

كن كالسموءء كل إذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرّار
إذ سامه خطكتي خسف فقال له قل ما تشاء فإنني سامع حار

ويحكي الشاعر القصة إلى أن يقول على لسان السموعل :

فشكّ غير قليل ثم قال له أقتل أسيرك إني مانع جار

مؤثرا أن يقتل ولده أمامه على أن يخون عهده ويخفر ذمته •

٢ — التضامن والإخاء :

والدعوة إلى اتفاق الزعماء وتضامن الرؤساء ووحدة الأمة وتكتلها أمام العدو الخارجي ونبذ العصبية القبلية والطائفية والحزبية والدعوة للوحدة والتضامن موضوع تناوله الشعر منذ أقدم العصور ولا نزال نستعيد أبيات لقيط بن يعمر الشاعر الجاهلي وهو يدعو قبيلته لنبذ خصوماتها وتناسي أحقادها أمام الخطر • وفيها يقول :

(م ١٩ — الشعر العربي الحديث)

أبلغ إيّاداً وخذل في سرائهم
إني أرى الرأى إن لم أعف قد نصعا

يا لهف نفسى إذا كانت أمورك
شتى وأحكّم أمر الناس فاجتمعا

لا تلهكم إبل ليست لكم إبل
إن العدوّ بعظم منكم قرعا

لا تتّمروا المال للأعداء إنهم
إن يظهرو يحتووكم والتلاد معا

٣ - **الوعى القومى** : بمعنى إيقاظ العرب وفتح بصائرهم على ما يحاكّ ضدّهم من دسائس وتبصيرهم بالأخطار التى جلبها الاستعمار .
وقد تناول الشعر هذا الموضوع فى أواخر القرن الثامن عشر عندما ثار العرب على الأتراك للمطالبة بحريتهم واستقلالهم .

٤ - **مقاومة الاستعمار** : ومناضلة الاحتلال باللسان والقلم والثورات والقتال وهو موضوع تناوله الشعر منذ منتصف القرن التاسع عشر حين نكبت بعض الأقطار العربية فى أفريقيا وآسيا بالاستعمار الفرنسى والانجليزى .

٥ - **تمجيد البذل والفداء** : بمعنى امتداح الموت فى سبيل الوطن ، وتقديس التضحية والبطولة زياداً عن حماه وهذا موضوع قديم فلطالما تغنى الشعر ببطولة الأبطال الذين بذلوا أرواحهم دفاعاً عن بلادهم .

٦ - **تخليد الشهداء** : وهم الذين سقطوا فى ميادين الشرف دفاعاً عن أوطانهم والذين أعدمهم المستعمر لمواقفهم الوطنية وقد تناول الشعر هذا الموضوع فى عصور ماضية .

٧ - **حاجة الحق إلى القوة** .

- ٨ — فساد الحكم ، واخل الأجهزة في الدول العربية •
 - ٩ — مقاومة الاستبداد والطغيان •
 - ١٠ — الوحدة العربية وروابط القومية •
 - ١١ — ضعف الحكومات العربية وسيطرة المستعمر عليها •
 - ١٢ — مكانة فلسطين الدينية والتاريخية •
 - ١٣ — أمجاد العرب وبطولاتهم التاريخية •
 - ١٤ — لؤم اليهود وخستهم •
- وهي موضوعات سبق للشعر أن تناولها •

وتناول الشعر أيضا موضوعات جديدة أوجدتها المحنة فتناول :

١ — وعد بلفور : ولم يتناول الشعر الحديث وعدا سياسيا فيثور عليه وعلى مبرمه وعلى الدوافع التي أدت إلى إبرامه كما تناول هذا الوعد •

٢ — الانتداب : وهو اللفظ المعسول الذي اختارته عصابة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى لما في لفظي الاحتلال والاستعمار من استئثار السخط والنقمة •

٣ — الهجرة اليهودية : والهجرة بمعنى أن ينزح الإنسان من بلده أو وطنه إلى بلد آخر أو وطن آخر تحت تأثير ظروف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية موضوع قديم ولا اعتراض عليه • أما الهجرة اليهودية إلى فلسطين فموضوع جديد لأن هدف هذه الهجرة أن يصبح اليهود أكثرية فتتم لهم الغلبة والسيطرة ويتسنى لهم إنشاء دولة في فلسطين بعد إبادة أهلها أو إجلائهم عن ربوعها ، وكان الأجدد بها أن تسمى الغزوة الصهيونية •

٤ — المحافظة على الأرض : بمعنى صيانتها من التسرب لليهود

والمحافظة على الأرض تعنى المحافظة على الوطن إذ الأرض هي المظهر
المادى للوطن فمن لا أرض له لا وطن له •

أما المحافظة على الأرض كعقار غير منقول فليس موضوعا شعريا
لأن مالك الأرض في أى بلد من العالم حر في أرضه وفي التصرف فيها
بكل الوسائل بشرط ألا يؤدي ذلك إلى الإضرار بمصلحة الأمة
أو الوطن •

وفي فلسطين تبدو أهمية الأرض البالغة وأهمية استيلاء اليهود عليها
بعد تسربها إليهم من أيدي العرب بالنسبة لإنشاء الوطن القومى اليهودى
الذى يعتمد في قيامه أولا على الأرض •

وكل هذه الموضوعات من الشعر القومى فغدر الحلفاء والانتداب
ووعد بلفور يندرج تحت موضوع مقاومة الاستعمار ومناضلة الاحتلال
والهجرة اليهودية والمحافظة على الأرض ، ولؤم اليهود وخستهم يندرج
تحت محاربة الصهيونية •

والموعى القومى ، والمحض على الثورة ، وتمجيد البذل والفداء ،
وتخليد الشهداء ، ومقاومة الاستبداد وفساد الحكم ، والوحدة العربية ،
وحاجة الحق للقوة • كلها موضوعات قومية وهكذا نستطيع أن نقول إن
الشعراء عالجوا محنة فلسطين على أنها محنة عربية قومية عامة ، وأن الشعر
الذى استلهمها كان شعرا قوميا في موضوعاته واتجاهاته وأفكاره •

المعاني والأفكار

لاجدال في أن للفكرة في الأدب قيمة عظيمة إذ تجعله غذاء للعقل والشعور ولهذا دارت زعامة الشعر قديما حول شعراء المعاني أمثال المتنبي وأبي تمام وأبي العلاء • وقد تضمنت النصوص الشعرية السابقة أفكارا جديدة منها المؤلف الذي تناوله الشعراء في عصور سابقة ومنها الطريف الجديد وسنعرض لطائفة من هذه الأفكار في الموضوعات المختفة •

١ — وعد بلفور :

ناقش الشاعر أمين ناصر الدين الإنجليز في قصيدته « يا فلسطين سلما » (١) لأنهم حققوا لليهود وعد بلفور ، ونقضوا عهودهم السابقة واللاحقة للعرب فساق الأفكار التالية :

ليس من الحكمة وسداد الرأي أن تستبدلوا بالعرب السراة الغر اليهود الأجلاف الطغام • ما رأينا قبلكم دولة تطرد من قطر أهله الأصليين لتحل محلهم الدخلاء الطارئين • ما أقبح أن تخونوا حلفاءكم العرب بعد أن حققوا لكم النصر •

وهذه الأفكار صحيحة وجيدة وهي تصم الإنجليز بالعدو والخيانة والتنكر للمبادئ والقيم والأخلاق •

وفي الموضوع نفسه ينحو الشاعران المهجريان القروي وأبو ماضي

هذا المنحى الأول في قصيدته « وعد بلفور »^(١) والثانى في قصيدته « فلسطين »^(٢) حيث يخاطب القروى بلفور قائلاً :

إنك تعد الوعود التى يتطلب إنجازها سفك الدماء ولو كنت من
أهل المكارم لما جدت من مال غيرك •

ولقد تطلب إنجاز وعد بلفور سفك الدماء لأنه قام على الظلم حقاً
ولقد منح بلفور فلسطين لليهود فى وقت لم يكن للإنجليز سلطان شرعى
عليها والفكرتان صادقتان وجيدتان •

أما إيليا أبو ماضى فقد ناقش اليهود مناقشة عقلية معتمدة على المنطق
والحجة واثق مع القروى فى أن بلفور أعطى اليهود بلادا لا يملكها وكان
فى وسعه أن يهبهم بلادا له وفى الجزر البريطانية متسع لأن مساحتها أكبر
من فلسطين ولأن اليهود أحب للإنجليز من العرب ويمكن أن يعيشوا
معهم فى وئام وسلام وتمضى المناقشة الفكرية فى طريقها فيقرر الشاعر :
أن فلسطين مملوكة لأهلها العرب وليست أرضاً خالية من السكان تعطى
لمن يريدونها فإن حاولتم أيها اليهود غزوها بالقوة رددناكم عنها بالقوة •
وهى ملك لنا نحن العرب اليوم وكانت ملكاً لأجدادنا فى الماضى وهى
لأحفادنا بعدنا فى المستقبل ولم تكن وطننا لكم فى يوم من الأيام • هذه
نصيحتنا لكم فتدبروها وانبذوا كلام بلفور الأرعن الأحمق وإلا فاحملوا
معكم إليها أكفانكم لأننا سنجعل من أرضها مقبرة لكم •

والأفكار صادقة يؤيدها الواقع والتاريخ وقد نجح الشاعر فى
إثبات حق العرب فى فلسطين ودحض مزاعم اليهود فى صلتهم بها بما
أورد من حجج وقدم من أدلة وبراهين •

(١) ص ٢٧٢ •

(٢) ص ٢٧٣ •

٢ - المحافظة على الأرض :

دعا إبراهيم طوقان عرب فلسطين للمحافظة على أرضهم ، وتناول في هذه الدعوة معنى جديدا هو تفكير بائع الأرض في مساحة يدفن بها بعد موته لأنه لن يدفن إذا لم يترك من أرضه مكانا لدفنه وهذا المعنى الجديد لم نجد شاعرا قبله تناوله في موضوع جديد أوجده المحنة وقد عبر عنها في قصيدته إلى بائعي الأرض إذ يخاطب بائع أرضه قائلا له (١) :

فكر بموتك في أرض ولدت بها واترك لقبرك أرضا طولها باع

وفي قصيدته اشترى الأرض حيث يقول (٢) :

ليصم° عن مبيعه الأرض يحفظ° بقعة تستريح فيها عظامه

وتناول الشيخ فؤاد الخطيب المعنى نفسه في قصيدته الرزء الفادح (٣)
بعد أن نقلها من الفرد للشعب ومن الماضي للمستقبل حيث خاطب عرب فلسطين بعد وفاة المرحوم موسى كاظم الحسيني قائلا :

وجدتم لكم أرضا بها تدفنونه فهل عندكم أرض لأمواتكم غدا ؟

٣ - التضامن والإخاء :

تناول إبراهيم طوقان في هذا الموضوع حقيقة وطنية هامة هي أنه لا نجاح الأمة تتاحر زعمائها وتطاحن رؤسائها وسادتها الفوضى .

والله لا يرّجى الخلاص وأمركم فوضى وشمل العاملين ممزق

(١) ص ١٩٦ .

(٢) ص ١٩٧ .

(٣) ص ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

وحقيقة ثانية هي أن الزعامة الحققة وليدة البذل والتضحية والفداء :

أما الزعامة فالحوادث أمها تعطى على قدر الفداء وترزق

وأكد الشيخ فؤاد الخطيب هذه الحقيقة في قوله :

إن الزعامة والطريق مخوفة غير الزعامة والطريق أمان

٤ - الوعى القومى :

دعا إبراهيم طوقان عرب فلسطين إلى أن يأخذوا عن اليهود أعدائهم
النافع المفيد من وسائل التقدم والنهضة وفكرة أخذ العدو عن عدوه الخير
والنفع فكرة جيدة لأنها لا تجعل العداوة عقبة في سبيل التقدم :

أذهبوا في البلاد طولا وعرضا وانظروا ما لخصمكم من جهود
والمسوا باليدين صرحا منيعا شاد أركانه بعزم وطيد

٥ - حاجة الحق للقوة :

تناول الشعر فكرة استناد الحق إلى القوة ، وأكد أن الحق وحده
عاجز عن فرض نفسه لمجرد أنه حق ، وأنه يهدر ويضيع إذا لم يستند
إلى قوة تحميه وتفرضه وأقوى برهان على ذلك حق العرب في فلسطين ،
وياطل الصهيونية فيها ومن المعانى التى ساقها الشعر خطأ جنوح الضعيف
المظلوم لمنطق الحجة والدليل لإقناع خصمه القوى الظالم حيث لا جدوى
من المنطق :

لا تلجان إذا ظلمت لمنطق فهناك أضيع ما يكون المنطق

ومنها تراجع القوى أمام أنداده الأقوياء بعد تصلبه مع الضعفاء :

لا يلين القوى حتى يلاقى مثله عزة وبطشا ونجاها

ومنها استجابة الدول الاستعمارية للغة القوة مع الأمم المستعبدة :

بالمدفع استشهدى إن كنت ناطقة أورت أن تسمعى من يشتكى الصمما

ولئن احتاج الحق للقوة فى العصور الماضية فإنه أشد احتياجا إليها فى عصرنا الحديث الذى طغت فيه المادية وكادت تحطم المبادئ الروحية بل إن القوة فى القرن العشرين هى السياج الواقى من تعرض البلاد لخطر الاستعمار ، والسبيل الوحيدة لتحقيق الأهداف الوطنية والقومية •

٦ - مشاطرة فلسطين المحنة :

ساق الشعر فى هذا الموضوع روابط القومية العربية التى تربط بين العرب وتجعل أبناء الأقطار العربية إخوة أشقاء لعرب فلسطين من وحدة الأصل واللغة والتاريخ والماضى المشترك ، وعد أهل فلسطين مدافعين عن التراث العربى ، والأمجاد العربية التاريخية :

جعلوا الكفاح عن العروبة حرثهم وتعهدوه فكان حرثا طيبا

واعتبر محنة فلسطين محنة قومية عامة لا يقف فيها عرب فلسطين وحدهم فى حربهم ضد الانتداب والصهيونية بل يقف معهم العرب فى الوطن العربى فى هذه الحرب ضد العدو المشترك :

أخاكم يا قوم لا تهملوا إرفاده اليوم وإمداده
فذلكه تكسون أبراده ونصره تجنون أوراده

كما عد فلسطين بقعة مقدسة وأرضاً مباركة ومحنتها محنة المسلمين الذين يربط الدين بينهم وبين أهلها • والذين يدافعون عن المقدسات الإسلامية والمسجد الأقصى ومسرى الرسول ﷺ :

إيه شعوب المسلمين تنبهوا وتداركوا أسبابكم أن تجزما

الله في إخوانكم وبلادكم أفما ترون الخطب كيف تجهما ؟
حفظوا التراث لكم وصانوا عرضكم أفتكرهون لعرضكم أن يسلم ؟

وتناول الشعر المعنى السائد وهو أن الخطوب توحد الكلمة ، والآلام
تجمع الشمل وجعل محنة فلسطين خطبا فادحا جمع كلمة العرب ووجد
بينهم :

لمت الآلام منا شملنا ونمت ما بيننا من نسب
فإذا مصر أغانى جلق وإذا بغداد نجوى يثرب

العواطف

العواطف في الأدب إما حسية وإما معنوية ، والثانية أسمى من الأولى لأنها تتناول الحق والفضيلة والأعمال المجيدة التي توثق صلتنا بالحياة • والأدب الذي يبعث فينا حماسة للنهوض بالواجبات الفردية والاجتماعية أسمى من الذي يترك شعورنا سلبيا أو يخذله ويضعفه عن احتمال أعباء الحياة • والأدب المثالي هو الأدب الذي يتصل بأنبال العواطف الحيوية (١) •

وعواطف الشعراء في الشعر الذي عرضناه معنوية مجدت الحق والعدل والحرية ، وثارَت على الباطل والظلم والاستعباد وأشعلت في عرب فلسطين الحماسة للدفاع عن وطنهم • وقد توافر فيها الصدق الشعوري أو صدق العاطفة فهي عواطف صادقة لأن الدافع إليها قومي ، والحافز وطني لا نفع خاص ولا غرض ذاتي • ويصدق هذا على شعر أبناء فلسطين كما يصدق على شعر أبناء الأقطار العربية والشعراء العرب في المهاجر الأمريكية وهي أيضاً تعبير عن شعور الأمة ووجدان الجماعة إلى جانب أنها تعبير عن شعور الشعراء ووجدانهم فكل شاعر من الشعراء الذين عرضنا نصوصاً لهم يشعر بأنه جزء من الأمة تنبثق عواطفه من عواطفها ، وتتفاعل أحاسيسه مع أحاسيسها فيصور آلامها وآمالها من خلال ذاته • وما كان هؤلاء الشعراء إلا اللسان الصادق المعبر عما يضطرم في صدور الأمة العربية من أحاسيس والترجمان الأمين لما يختلج في نفوسها من نزعات •

وإلى جانب أنها صادقة ، وأنها تعبير عن وجدان الشعراء والأمة

(١) أحمد الشايب — أصول النقد الأدبي — ص ٢٠٤ .

فإنها قوية مع تفاوت في درجات القوة ، واختلاف في حدة الانفعال عند شاعر وشاعر وعند الشاعر الواحد إذا استلهم مظهرين أو جانبين من جوانب المحنة .

وقد تفجرت هذه العواطف من أحداث المحنة ، وانبثقت من جوانبها ، وانتسقت مع سيرها فهي تارة عواطف قلق واضطراب ، وأخرى عواطف هدوء واستقرار وهي عواطف متعددة ومتنوعة منها الأسى والأسف والحزن والبهجة والبشر والسرور ، ومنها الإعجاب بالبطولة والشجاعة واحتقار الجبن والخيانة والخونة ، ومنها الحب والبغض حب الوطن والأرض والتضحية والحق والعدل والحرية وبغض الاستعمار والصهيونية والباطل والظلم والاستعباد ومنها الغضب والحقن والغضب على الانتداب وظلمه وجوره ومنها الحنان والإشفاق ، والفخر والحماسة ، والاعتزاز بالماضى المشرق والتاريخ المجيد . ومنها التفاؤل والتشاؤم ، والرجاء واليأس ، والإيمان والشك ، والرضا والسخط .



وكانت هذه العواطف في شعر أبناء المحنة أقوى العواطف وأشدها تضرماً وتعليل ذلك واضح فهم الذين احترقوا بنارها ، وتقلبوا على جمرها ، وتجرعوا السم الزعاف من الانتداب والصهيونية واضطهدوا وأوذوا فلا غرو أن تتفجر عواطفهم سخطاً وغضباً وثورة على بلقور ووعدده والانتداب وبطشه ، والصهيونية ومؤامراتها ، والحلفاء ونقضهم العهود والمواثيق وتكرهم للعرب . نلاحظ هذا في شعر إبراهيم طوقان وإبراهيم الدباغ وعبد الرحيم محمود . وحبا في الأرض والمحافظة عليها وثورة على بائعيها ومسهي بيعة ، ويبدو هذا بصورة واضحة عند إبراهيم طوقان ، وثورة على تطاحن الرؤساء وتناحر الزعماء ، وتصارع الأحزاب ويتحقق ذلك عند إبراهيم طوقان أيضاً على أن عاطفة حب الوطن كانت هي العاطفة السائدة في شعر أبناء فلسطين الذين كان شعرهم شاعر الوطنية الصادقة والإخلاص لفلسطين والعروبة وللملأمة العربية .

وبلغت العاطفة في الشعر الفلسطيني أعلى درجات الحدة في إشعال الحماسة ، والحض على الثورة المسلحة ضد الانتداب والصهيونية أولاً وتمجيد البطولة والفداء وتخليد الشهداء ثانياً ويقف إبراهيم طوقان في هاتين الناحيتين في مقدمة شعراء فلسطين في ملحمة الثلاثاء الحمراء وقصيدتيه الفدائي والشهيد ، وينفرد في إيقاظه الوعي القومي ، وكشفه عن مناهج الانتداب والصهيونية ، وتبصيره بنى وطنه بما يجن لهم الغيب من أحداث وما يحمله المستقبل من مؤامرات .

وتظهر الناحيتان أيضاً في شعر كل من أبي سلمي في قصيدته جبل النار وفلسطين ، وعبد الرحيم محمود في قصيدته الشهيد والشعب الباسل ، ومطلق عبد الخالق في قصيدته : إلى الزعماء ويوم الهوان .



أما العواطف في شعر أبناء الأقطار العربية والشعراء العرب في المهاجر الأمريكية فكانت متفتحة مع عواطف أبناء فلسطين في السخط على بلفور ووعدده ، والغرب وأطماعه والانتداب وبطشه ، واليهود ودسائسهم وخستهم ولؤمهم ، وفي الأسى والأسف لغدر الحلفاء وتنكرهم للعرب وفي حب العرب والعروبة وفلسطين وحب الحق والعدل والحرية وبغض انباطل والظلم والاستعباد وفي الحماسة والفخر والاعتزاز بالماضي .

وقد بلغت هذه العواطف أعلى درجات القوة في الأسى والألم لما أصاب فلسطين ، ومشاطرتها المحنة ، ومشاركتها ما تلقى من بطش وظلم واعتبار محنتها محنة العرب ومصابها مصابهم ، في عزها عزهم وفي ذلها ذلهم أولاً : وفي الإعجاب ببطولتها ، وشجاعة أبنائها ، وثباتهم في المعركة التي نشبت بينهم وبين الانتداب والصهيونية طوال ثلاثين سنة ثانياً .

واصطبغت هذه العواطف بالصبغة الدينية عند كثير من الشعراء أمثال أحمد محرم وأبي الوفاء محمود رمزي ونظيم ومحمود حسن

إسماعيل ومحمد عبد الغنى حسن ومحمد رجب البيومى فى مصر وعمر أبى ريشة وعبد الوهاب أدهم ومحمد الشريقى وجورج سلسنى فى سورية والحومانى فى لبنان والجواهرى والجعفرى والحبوبى فى العراق وعلى أحمد باكثير فى حضرموت فأحيطت فلسطين بهالة من القداسة والمجد لأنها مسرى الرسول ومهد المسيح وأرض الأنبياء • منها ترف أمجاد الماضى المضمخ بالعز ، وتترأى أمام الأعين الانتصارات الباهرة فى اليرموك وحطين وعين جالوت •

وفى شعر الشعراء العرب فى المهاجر الأمريكية تجلت قوة العاطفة فى الأسى لما أصاب فلسطين ممثلة فى روابط القومية من وحدة اللغة والتاريخ والكفاح والآلام •

ولكننا سنقف وقفتين عند الشعر العراقى الأولى عند نص معروف الرصافى الذى أبدى فيه إعجابه بمحاضرة الأستاذ اليهودى لأنه مجد فضل العرب على الغرب وحضارتهم فى الشرق أولاً وامتدح فيه هرب صهوثيل أول مندوب سام انجليزى فى فلسطين لأنه أيد المحاضر اليهودى فيما ذكره عن مجد العرب وآثارهم على العلم والحضارة ، ولأنه وعد شهود الحفل من عرب فلسطين ثانياً بالنهوض بالبلاد فى اليادين المختلفة وإصلاح ما فسد من أمورنا نقف عند هذا النص لنقرر أنه كان سقطة من سقطات الرصافى ألبت عليه أبناء فلسطين وأثارت سخطهم ، وجعلتهم ينظمون القصائد فى هجائه وينشرون المقالات طعناً فيه ، وضاعف من سخطهم أن الرصافى فى هذا النص نفى عن العرب تهمة عداوتهم لبنى إسرائيل ، متعجباً من هذه التهمة ، ومثبناً أن بنى إسرائيل أعمام العرب ، وأنهم يمتون إليهم بصلة القرابة عن طريق اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ومؤكداً هذه الصلة بين العربى والعبرى والعربية والعبرية •

وقد اثبتنا رد الشاعر اللبنانى وديع البستانى الذى كان يعيش

يومئذ في فلسطين عليه وفي هذا الرد ثورة جارفة على الرصافي فقول
الرصافي كذاب من الشعر وقريضه من بحر الكلام در أما بحر السياسة
فأعمق من أن يخوض فيه ، وهو لا يعبر عن رأى عرب فلسطين لأنهم
أدرى بأمورهم وفرخ الوكر أعرف بالوكر •

الوقفه الثانية عند نص الجواهرى « فلسطين الدامية » (١) الذى
استهان فيه بالعواطف وسخر منها لاذع السخرية ، واحتقرها • فهى
لا تضمن براءً ولا سقما وحسبها ذلك نقصا وتعبيرا ، والكتاب لم ينقدوا
الشام بما كتبوا ، والشعراء لم يصونوا بغداد بما نظموا وأنه لم
يسره — وقد أعوزه مضاء السيف — أنه يملك لسانا نافثا ضرها ، وأن
من الحقارة أن يرتضى الكلام كفوا للدم الذى تقور به أعصابه •

نقف لنقرر أن سخرية الشاعر من العواطف كانت ثورة نفس
واحتراق قلب فى لحظة من لحظات الألم الغامر والأسى الممض على
ضعف العرب المادى وحاجتهم للقوة التى تحفظ الأوطان وتصون
الحقوق •

فمما لا شك فيه أن للعواطف أعظم الأهمية فى الحياة وأن من المحال
أن ينقصها إنسان قدرها ، أو يهون من أثارها إلا فى غمرة من غمرات
اليأس •

الصُّور

من أبرز سمات الشعر التي تميزه عن فنون الأدب الصور والخيال هو ينبوع الصور في الشعر وقد تناول مؤرخو الأدب ونقاده في القديم والحديث أهمية الخيال في الأدب وأثره في تقدير الشعراء ، ومعرفته منزلتهم الأدبية •

يقول الأستاذ عمر الدسوقي : « من الأمور التي يجب النظر إليها عند تقدير الشعراء ، ومعرفة منزلتهم الأدبية بالنسبة لمعاصريهم ولشعراء لغتهم في القديم والحديث ، ولشعراء العالم أجمع ، مقدار ما وصل إليه خيالهم الشعري » ويعرف الكاتب الخيال بأنه : [موهبة تنفذ بروح الأديب إلى أسرار الوجود واكتناه الحقائق المستكنة وراء مظاهر الأشياء ، وتجعله يخلق طليقا في أجواء وعوالم جديدة مليئة بالرؤى الجذابة ، والصور الخلابة والموسيقى الساحرة • وهذه الموهبة تتباين قوة وضعفا وضيقا واتساعا وغنى وفقرا لدى الأدباء] ويقسم الكاتب الخيال بعد ذلك إلى نوعين ابتكارى وتصويرى ويقسم الأول إلى نافذ وخالق •

ويرى ظهور الابتكارى في تأليف مجموعة من العناصر المختزنة في الذهن في صورة مبتكرة يتحقق معها كيان خاص لها ، وظهور التصويرى في تصوير الأشياء على أساس إضافتها إلى أشياء أخرى تقويها وتظهرها ويستعين الأديب عليه بفنون البديع والبيان وينتهى الأستاذ عمر الدسوقي إلى تعريف الخيال النافذ بأنه الذى يعين صاحبه على استحضار أطياف الماضى وتصوير حوادثها ، والخالق بأنه الذى يجسم الإحساسات ويخلق الشخصيات (١) •

(١) عمر الدسوقي - في الأدب الحديث ج ٢ ص ٢٩١ •

والصور الشعرية إما جزئية تتحقق في كلمة ، وإما كلية تتألف من مجموعة صور متناسقة ترسم مشهداً عاماً ، وهى فى الأصل تعبير خيالى ولكنها ربما وجدت فى تعبير حقيقى كقول الحارث بن حلزة من معلقته •

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بَلِيلٍ فَلَمَّا
أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْءٌ
مِنْ مَنَادٍ ، وَمِنْ مَجِيبٍ وَمَنْ
تَصْهَالِ خَيْلٍ ، خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءِ

وقد حفل الشعر الذى استوحى محنة فلسطين قبل المأساة بالصور وهذه الصور إما قديمة قلد فيها الشعراء سابقهم ، وإما جديدة ابتكرها خيالهم •

ودقت بلغت هذه الصور حداً من الجمال والروعة الفنية واستمدت من واقع المحنة ومظاهرها وأحداثها ، وها نحن أولاء نقدم طائفة منها فى الموضوعات المختلفة دون أن نفرق بين أبناء فلسطين وأبناء الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية •

١ - وعد بلفور

صور فى عدة صور منها : أنه إيعاد ووعيد ، وأنه وعد مشؤوم ، ويومه يوم مشؤوم وأن بلفور مصدر الكذب الذى ما بعده كذب ، وأنه أحقق أرعن وأن الإحسان بعيد عنه إذ لو كان محسناً حقاً لجاد لليهود بما يملك • وأنه نسج أيدي الكيد والدمار ، وسلم الأمل المخيب •

ومن أجمل الصور ما تضمنته قصيدة الشاعر على محمود طه فى يوم فلسطين (١) فهو وعد خطه الظلم ، وحلم ختال من عالم الوهم

(١) ص ٢٣٠ •

حمته القوة ، وأخرجته من عالم الوهم إلى دنيا الحقيقة فكان مثار
خطوب ، ومبعث أهوال •

٢ — الانتداب

وقد صور في صورة احتلال واستعمار ، وفي أنه مصدر الشقاء
والفقر والجور لعرب فلسطين فمنذ احتلت البلاد وثؤم العيش
يرهقهم ويفضل الانتداب طغى طوفان الهجرة اليهودية وتحول وعد
بلفور إلى إبعاد وتحولت فلسطين إلى دنيا الأعاجيب •

ومن الصور الجميلة لختل سياسة الإنتداب ، وزيف تصريحاته قول
الجواهرى •

وتصريح يمططه قسوى كلوح الطين إذ يدحسوه داح

فلطالما فسرت تصريحات حكومة الانتداب بما يتفق ووجهة نظرها
ولطالما خرجت على عدة وجوه ، وحملت النصوص مالا تحتل من
المعاني وفي مقدمة هذه التصريحات تصريح بلفور •

٣ — الهجرة اليهودية

وقد صورت في صورة الطوفان الذى يطغى فيغرق الدنيا ، وصور
رقم الألف — وهو وحدتها — فى أنه الضربة التى لم تعرف فلسطين أشد
وأنكى منها ، وأنه فاتى فى شؤمه العدد ١٣ ومن أجمل الصور قول
إبراهيم طوقان :

وفى البحر آلاف كأن عبابه وأمواجه مشحونة فى المراكب

حيث صورت الآلاف المؤلفة من المهاجرين اليهود القادمين إلى
فلسطين فى البحر بالعباب والأمواج المشحونة فى السفن إلى فلسطين •

٤ — المحافظة على الأرض

من الصور الطريفة الجميلة لأهمية الأرض في فلسطين ، وتهويل جريمة بيعها لليهود تصوير بائع الأرض في صورة الجانى على أحفاده لأنه حكم عليهم بسبب هذا البيع أن يكونوا عبيداً وخداماً وهى صورة رهيبة مخيفة يقول ابراهيم طوقان لبائع الأرض من قصيدته إلى بائعى الأرض (١) :

لقد جنيت على الأحفاد والهفى وهم عبيد وخدام وأتباع
وفى صورة صندوق المال وقوامه ، وأنها تشتري من يشتريها من الضيم ، ومن المستقبل المظلم يقول من قصيدته اشترى الأرض (٢) :

أزروهم بالمال ، فالأرض صندوق لـالكم بل قوامه
اشترى الأرض تشتريكم من الضيم وآت مسودة أيامه

وصور إغراء عصابة السماسرة للسذج ، وقوة تأثيرها في صورة حرب بين العصابة وإيليس في الإغراء أعلن إيليس إفلاسه فيها صاغراً بعد أن تحقق من أن وسائل إغرائها أشد وأقوى من وسائله في قوله من قصيدته السماسرة :

إيليس أعلن صاغراً إفلاسه لما تحقق عنده إغراؤها

وهذه الحال التى تقدمت المفعول ضاعفت من جمال الصورة وروعيتها ومن الصور الطريفة الجميلة ما تضمنته قصيدة إبراهيم طوقان إلى ثقل فهو في زهوه وكبريائه كالاحتلال وفي تيهه وعجبه كالانتداب ، وفي فرض

(١) ص ١٩٦ .

(٢) ص ١٩٧ .

نفسه على غيره كالهجرة التي فرضت على عرب فلسطين ولا حيلة لهم في دفعها ، ووجهه في الصفاقة كوجه السمسار •

٥ - بطش الانتداب وظلمه

صور بطش حكومة الانتداب وظلمها لعرب فلسطين ، وقسوتها عليهم في صور رائعة جميلة معبرة جزئية وكلمية حقيقية وخيالية ومن هذه الصور أن إبراهيم طوقان صور حكومة الانتداب في صورة من ينفذ مناهج إبادة وإفناء لعرب فلسطين تارة بالسياسة وتارة بالرصاص • ومنها أن أحمد محرم صور حكومة الانتداب في صورة ذئب واليهود في صورة ذئب آخر وقد باع الذئب الأول للثاني فلسطين فهي نهب مقسم للذئبين تنزع الأرزاق من أبنائها ، وتسلب منهم الأرض لفرط نهم الذئبين وجشعهما ويرهقون فإذا غضبوا وثاروا حصدت المدافع أرواحهم (١) •

ومن الصور هذه الصورة الكلية الحقيقية للشاعر أبي الوفاء محمود رمزي نظيم التي ترسم مشهداً عاماً للظلم الذي حل بعرب فلسطين وتمثل فيما راعه من نسف منازلهم والكيد لأحرارهم ، واستيلاق الذادة من ساداتهم إلى المنفى ، واصطياد المئات منهم بالرصاص كأنهم لهو الجنود ، وضرب الحصار على منازلهم وفرض الغرامة على قراهم ، فهم بين سجين وطريد وشهيد وشريد والانتداب من بغيه وظلمه في يوم من أيام أعياده (٢) •

وهذه صورة أخرى للشاعر عمر يحيى ترسم منظراً عاماً لظلم حكومة الانتداب يناجى الشاعر الطير قائلاً له : يا طير لنا إخوة في القدس أصبح حماهم نهباً للذئاب • فالمسجد الأقصى له أنة الثكلي ، وأطفال

كثرت تناثرات أشجارهم ، آباء كثير يبكون أبناءهم ، ومحزونون هدهم الحزن ؛ وأبنية شامخة هدمت معاول الظلم ذراها .

٦ - تمجيد البذل والفداء

لم تبلغ الصور الفنية من الإبداع والروعة والطرافة ما بلغته في هذا الموضوع لقد صور إبراهيم طوقان الشهيد في قصيدته « الشهيد » في أزهى الصور وأطرفها فالشهادي يتسم إذا عبس الخطب ، ويقتحم إذا طغى الهول ونفسه طوع همته وهي همة وجمت الهمم دونها ، وهذه النفس تلتقى في مزاجها بالأعاصير والحمم . وقد استنقت من عنصر الفداء ومن جوهر الكرم وهي جذوة من الحق حرر لفحها الأهم . والشهيد سار في طريق العلا يطرق أبواب الخلد ولا يبالي كيف يناله مكبلا بالقيود أو مجدلا فوق الثرى .

ربما اغتاله الردى وهو يقاسى آلام السجن فلم يجد من يشيعه بدمعة أو بزفرة من أهل أو صديق ، وربما وسد الثرى بغير كفن وربما جهل الناس مثواه أفى البطاح أم في القنن ولئن جهلوا مكان جسمه : فاسمه في فم الزمن هو كوكب الهدى لاح في ظلام الخطوب أرسل النور في العيون فما تعرف الغفلة ، ورمى النار في القلوب فما تعرف الحقد . وهذه الصور مبتكرة رسمها خيال الشاعر المطلق .

ويصور الفدائي في صور جديدة كما صور الشهيد فروجه فوق راحتته ، وهمومه بدلته كفناً من وصادته ، وقلبه يتلظى بغايته . من هذا القلب أضرمت فحمة الدجى ، ولقد حملته جهنم جزءاً من رسالته ، هو واقف بالباب والموت خائف منه فاهدئى يا عواصف خجلا من جرأته ، وهو صامت فإذا تكلم فألفاظه نيران ودماء . وليعلم الذين يعيرون صمته أن الحزم خلق أبكم وهاتان القصيدتان في نظرنا من أروع ما قيل في الشعر الحديث في تمجيد البذل والفداء جودة موضوع . وتضرم عاطفة ،

وابتكار صور ، وتحليق خيال ، وسمو أداء وعذوبة موسيقى • وهما
لوحتان رائعتان من الصور الكلية •

ولم نجد شاعراً قبل طوقان تناول موضوع الشهيد والفدائي بمثل
هذا التناول الذي ارتفع به من النطاق الخاص إلى النطاق العام فشمّل
كل شهيد وكل فدائي • ورسم جوا بطوليا سما عن الزمان والمكان •
ولم يذكر شخصاً معيناً ، ولم يربط الموضوع بحادث معين ، ولم يبيّن
الشهيد ، ولم يثر أحزاننا عليه • وإنما أشعل حماسنا واستثار إعجابنا
بهذه الصور المكمّلة التي صورت فيها بطولة الشهيد والفدائي •

٧ — تخليد الشهداء

هناك صلة وثيقة بين تمجيد البذل والفداء وبين تخليد الشهداء
فالشهداء أبطال افتدوا أوطانهم بدمائهم واختاروا الخلود وقد خلدهم
الشعر وأطرى بطولتهم ومجد تضحياتهم ، خلد أسماءهم ووقائعهم
والأماكن التي استشهدوا فيها • والشهداء جماعات فمنهم من سقط في
ساح الوغى ومن أعدمه المستعمرون شتقاً ، ومن لبي نداء ربه في السجن
أو النفى ويلحق بالشهداء الزعماء والقادة المخلصون الذين قادوا بلادهم
في طريق الكفاح ، وتقدموا صفوف الجهاد • خلد الشعر هذه الجماعات
واحتفل بها في ذكرى استشهادها وأتى بالصور الرائعة ومن هذه
الصور •

أولاً — ما تضمنته ملحمة الثلاثاء الحمراء لإبراهيم طوقان عن
شهداء ثورة البراق وسنعرض لها عند دراستنا للشعر القصصي •

ثانياً — ما تضمنته قصيدة محمد صادق عرنوس عن الشهيد
الشيخ عز الدين القسام • فهو أنموذج الجندي المسلم الذي لم يلهه
عرض الحياة ، ولم تشغفه الأوسمة ، وصحبه بدريون في إيثارهم الموت
على الحياة ، وما تضمنته قصيدة فؤاد الخطيب عن الشهيد نفسه حيث

أولت عمامته العمائم شرفا جعل تيجان الملوك تتضائل أمامها ، وجعل
لاسم الشيخ أرفع رتبة نبذت الأوطان قديم عهودها ، وذكرت حين رأته
زى الملوك ورداء الفرسان •

ثالثاً - ما تضمنته قصيدة أحمد محرم عن القائد الشهيد سعيد
الغاص الذي نظم المجد الأبطال الحمى ، والذي أبصر الشاعر مجرى
دمه في جبين الشرق لما وجم والذي رفع السيف على هام العلاء ،
وأشبهه أجداده الذين زلزلوا الدنيا وهزوا الأمم •

رابعاً - ما تضمنته قصيدة إبراهيم طوقان عن الزعيم موسى كاظم
الحسيني الذي أشرق وجه قضية فلسطين من جهاده والذي على جهاده
رونق من وقاره والذي ترك قلبه في الكهولة الشبان يطرقون حياءً لأنه
قلب متقد الصبا وراء الشيب كالجمر الذي يتحرق تحت رماده •

٨ - الأغاني والأناشيد

صور حب فلسطين وجمالها وطهرها في أروع الصور فالجلال
والجمال والسناء والبهاء في رباها والحياة والنجاة والهناء والرجاء في
هواها ، وهم شبابها أن تستقل أو يفنون • وهي كل المنى لهم فان سلمت
سلموا ومجدها وحيد في الكون وحسنها فريد سهولها وروابيها جنة من
ربا الخاد •

٩ - تمجيد بطولة فلسطين

صورت بطولة فلسطين وشجاعة أبنائها واستماتتهم في الدفاع عنها
في أزهى الصور وأروعها فأبو سلمى في قصيدة جبل النار يصور هذا
الجبل في صور متعددة فهو أعز الجبال ومعقد الأمال وهو ينبت المجد
فوق سفحه ويسقيه من دم أبطاله • وصخره يفصح عن شمائل أبنائه
في القتال • والثائرون فيه زينة الأبطال وحماة فلسطين ورسالتهم تمر

على الأيام حمرا مضيئة في الليالي ، وتصرع طائرات العدو فتهدى على الأرض كما تهوى طيور الجو ، والحق يسطع من بنادقهم والعدل من خلف سيوفهم ، والتاريخ يلتفت إليهم • وهذه صورة كلية مكتملة تمثل لوحة فنية متناسقة • وأحمد محرم في قصيدته ذكرى وعد بلفور يصور فلسطين وهي تعلم البلاد أدب الجهاد الذي كان معنى مبهما ، وكتاب كفاحها فريد لا يبلغ شأوه من نمق الكتب وزخرفها ، وصحائف هذا الكتاب حرة من بدائع حرة حملت جلال العبقرية ، وقد بدأت فلسطين كتاب كفاحها بالدم والحديد وبهما ستنهيه وتختمه •

وبشارة الخورى يصور جهاد فلسطين في قصيدته يا جهادا صفق المجد له فهو جهاد صفق المجد له ولبس الغار عليه الأرجوان ، وهو شرف عظيم لفلسطين باهت به الدنيا وصرح شامخ من المعالي لا يدانى وإنه لشرف للموت أن يقدم له أبناء فلسطين نفوسهم الأبية •

وشبلى الملاط في قصيدته يصور فلسطين في صورة كلية تمثل لوحة فنية رائعة إذ يصورها وقد برزت أعدائها واستبسلت في قتالهم وأبت أن تلين لهم مستعذبة ورد الحتوف ، ومقدسة الذين استشهدوا من أجلها ، ويصور فتيانها في أنهم غرمامين رأوا حياتهم في موتهم استشهادهما وأبت أرواحهم أن تصحب أجسادهم إذا لم تفز تلك الأرواح بمرادها •

وأمين ناصر الدين يصور بطولة فلسطين في لوحة فنية رائعة متناسقة الجوانب مكتملة الخطوط فهي لا تمل الصدام وتعد الحرب دواء لأمرضها ، وترى النار التي يضرمها أعداؤها برداً وسلاماً ويرى أبناؤها الدم القانى خمرا كلما خف لحربهم جيش ملأوا الأرض بهام جنوده وأشلأهم وإذا خفقت فوقهم طائرة لتقذفهم بقنابلها أعادوها حطاماً إلى الأرض • إنهم أباة إذا ضيمت نجوم الأفق لن يقبلوا الضيم •

وقصيدتا الملاط وأمين ناصر الدين تمثلان في نظرنا أقوى القصائد وأجود النصوص التي صورت بطولة فلسطين ومجدت شجاعة أبنائها بما

تضمنتاه من أداء شاعرى وبخاصة فى قصيدة أمين ناصر الدين تمثل فى الجمل الانشائية التى توقظ المشاعر وفى الاستفهامية منها التى خرج فيها الاستفهام إلى معنى التعجب •

وما اشتملتا عليه من صور كلية مكتملة تمثل المشهد العام فى اللوحة المرسومة ، وهذه العاطفة المضطربة التى تنبئ عن صدق الشعور •

١٠ - مشاطرة فلسطين الحنة

صور إحساس العرب والمسلمين القوي بمحنة فلسطين ، ومشاطرة أبنائها ما يلقون من عذاب فى أقوى الصور فأحمد محرم يصور القدس وهو يفزع ومكة تضج ويثرب تبكى وجرح فلسطين الدامى جرح فؤاده ، وفى كبده ما فى فلسطين من حزن وهم وصرعى فلسطين صرعاة وفجيئته فيهم فجيعة الأب بالابن والأخ بأخيه •

وهذه العاطفة مضطربة فى كل نصوص أحمد محرم وتتلون عاطفته باللون الدينى فتضفى على نصوصه قوة التأثير ودقة الصور وبشارة الخورى يصور الجرح الذى سال من جبهة فلسطين وقد لثمته بخشوع شفاه العرب والأنين الذى باحت به النجوى وقد رشفته مقلهم ، ولقد كاد العرب ينسون أساهم لما تكابد فلسطين من أسى •

وعلى أحمد باكثير يصب نقمته على المتقاعسين عن عون فلسطين من العرب والمسلمين فيسأل العرب عما دهاهم وهم يشهدون أشلاءهم تنتاثر بفلسطين ودماءهم تراق بها على الأرض الحرام ، وكرامتهم فيها تداس ، وشعبهم يسام الرزايا ، وكيف تغفو جفونهم وجفن فلسطين يتصبب دما ، وكيف يسوغون طعامهم وشرابهم ومليون نفس منهم ينكبون فى فلسطين ، وكيف يرضى المسلمون أن يوهب مسرى رسولهم لأحقر من فى الأرض •

الأساليب الشعر القصصى

عرضنا منه قصيدتين الأولى الثلاثاء الحمراء للشاعر إبراهيم طوقان والثانية ثورة على الملوك للشاعر أبى سلمى وتجاوزنا فى إطلاقنا على كل قصيدة منهما ملحمة واعتبارهما من الشعر القصصى • فالملحمة فى الأدب العربى تبلغ آلاف الأبيات ، وتتخذ موضوعها البطولى من الأساطير وتختفى فيها عاطفة الشاعر لتبرز عواطف الآخرين وهذا ما لم يتحقق منه شىء فى القصيدتين • ولقد بررنا اعتبارهما من الملاحم لأن أبيات كل قصيدة تجاوزت السبعين (١) ولأن أسلوبها قصصى ولأن موضوع الثلاثاء الحمراء بطولى •

وليس من أهدافنا فى هذا البحث أن نناقش وجود الملاحم فى أدبنا العربى أو عدم وجودها وما إذا كان خلوه منها يضيره أو لا يضره • وموضوع الثلاثاء الحمراء تمجيد بطولة شهداء ثورة البراق الثلاثة الذين نفذت حكومة فلسطين فيهم حكم الإعدام شنقاً فى ثلاث ساعات متوالية من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من يونيه « حزيران » سنة ١٩٣٠ والملحمة مقسمة إلى ثلاثة أقسام تناول الشاعر فى القسم الأول يوم تنفيذ الحكم فصوره فى صورة أثناسم يوم فى تاريخ الإنسانية لم تعرف له مثيلاً فى الجور والظلم ، وأجرى حواراً بينه وبين الأيام المشؤومة السود أيام محاكم التفتيش وبيع الرقيق فى القرون الوسطى

(١) بلغ عدد أبيات الثلاثاء الحمراء خمسة وسبعين بيتاً ، وعدد أبيات دالية أبى سلمى يقارب المائة •

وأيام استبداد الترك بالعرب في عهد جمال السفاح في أوائل هذا القرن وانتهى من هذا الحوار إلى أن يوم تنفيذ الإعدام يوم تنكره الليالي الغابرة وتظل ترمقه بعين حائرة •

وفي القسم الثاني ينطق الساعات الثلاث التي نفذ فيها الحكم ويجعل كل ساعة منها تتحدث عن بطلها وتفخر بشجاعته وتصور بشره بلقاء الموت ، وفرحته باستقباله من أجل وطنه وأمته ويزخر هذا القسم بالصور الفنية الرائعة التي رسمها خيال الشاعر • ومع أن الشاعر لجأ للرمز فإن رمزه جلي واضح لم يلفه الغموض • فالساعة الأولى تقول عن نفسها إنها ساعة اتنفس الأبية وإنها بكر ساعات ثلاث كلها رمز الحمية وإنها أودعت في مهج الشباب نقمة الروح الأبية وتقول الثانية ان بطلها حطم قيده رمزا لتحطيم قيود أمته وزاحم زميله ليسبقه الى شرف الخلود وتقول الثالثة ان بطلها أشد قلبا على لقاء الموت من الصخور الصم • وانه يرقب الموت جذلان ، ويلقى ربه مخضب اليدين بشرا وسورا •

وفي القسم الثالث والأخير ينهى الشاعر الملحمة بتقرير أن أرواح الشهداء في الجنة حيث لا شكوى من ظلم ولا طغيان ، وانذار الطغاة من الله بسوء المصير •



أما ملحمة أبي سلمى فهي قصة خيبة أمل عرب فلسطين في ملوك العرب الذين وسطتهم بريطانيا لإيقاف ثورة سنة ١٩٣٦ بعد أن عجزت عن قمعها •

وتبدأ الملحمة بنشر الشاعر على لهب قصيده شكوى العبيد إلى العبيد شكوى الشعوب المستعبدة إلى الملوك وهي شكوى يرددها الزمان إلى الأبد •

ويصور أبو سلمى ضعف الملوك وهوانهم في صور من الخزي والعار
فهم لا يملكون شيئاً وعروشهم مزدانة بالسلاسل والقيود وليت هذه
العروش تدك وأنهم لا يعرفون سوى التعلل بالوعود التي تبذل لهم •

ثم أخذ الشاعر يمجّد الشهيد الشيخ عز الدين القسام الذي يشرق
نوره فوق الربا والبطاح فيوحي الى الدنيا بأسرار الخلود •

والشهير البطل الشيخ فرحان السعدى الذى أعدمته قوى الظلم
والعدوان وهو يمشى نحو جبل الشهادة مشى الأسود أثر السجود فوق
جبينه وسنه سبعون عاماً ، وقد اقتيد الى جبل المشنقة فى رمضان وهو
صائم •

الشعر المسرحي

قدمنا منه نصاً واحداً من مسرحية وطن الشهيد للشاعر الفلسطيني يزهان الدين العبوشى وهى المسرحية الشعرية الوحيدة التى وقعت بين أيدينا وتقع فى ثلاث وثمانين صفحة من القطع المتوسط وقد طبعتها المطبعة الاقتصادية فى القدس سنة ١٩٤٧ • وتحتوى على أربعة فصول يضم الأول أربعة مشاهد ويضم كل من الثانى والثالث والخامس ثلاثة مشاهد ويضم الرابع ستة مشاهد •

وقد أهدها المؤلف للشهيد وصدرها بمقدمة وضح فيها هدفه من تأليفها فقال : [إن كتابى هذا هو الأول من نوعه حسب اعتقادى الأول من نوعه عن فلسطين إذ صورت فيه بالشعر المتواضع نوايا العدو وتخيل ما يضمه مستعينا بالمطالعة والجرائد والأخبار اليومية والحوادث الدامية والتحليل والبيانات المختلفة والعقل والعاطفة وتجارب الذين خدموا القضية على تصوير مدى استعداد العدو وخداعه وبذله وتنظيمه وحيله لانتزاع فلسطين وما جاورها من العرب لعل فى هذا التصوير وهذا التخيل والاجتهاد - مبالغاً فيه أو غير مبالغ - حافظاً للأمة العربية لمتدارك الأمر وتستعد وتحرس على الباقي وتنظم شملها وتنسى أحقادها ثم إننى أعلم أن مواضع النقد الشعرى فى كتابى هذا موجودة ، ولكن ليعلم إخوانى الأدباء أننى أردت الشعب الذى هو موضع العناية والعرق النابض وأن ضميرى لجد قانع بأننى قمت بواجب للشهيد والمجاهد والعاملين] •

ويصور الفصل الأول من المسرحية سخط العرب على الأتراك فى خلال الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة العربية فى الحجاز ضد الأتراك بقيادة شريف مكة وامتدادها من الحجاز الى الأقطار العربية الخاضعة للترك ويصور الفصل الثانى فرحة اليهود الغامرة بنجاح مساعيهم فى

الحصول على وعد بلفور وطيف الأمل الذى داعب خيالهم بإنشاء دولة
فى فلسطين •

ويصور الفصل الثالث سعادة اليهود بهجرتهم الى فلسطين واكتمال
هناهم بمراى أورشليم ويصور الفصل الرابع كفاح عرب فلسطين الرائع
وبطولة أبنائهم فى الدفاع عن فلسطين وصد الصهيونية عنها وتدفق إخوانهم
من الأقطار العربية على البلاد ووقوفهم الى جوار أبنائها فى ميادين القتال
وجريان الدم العربى المتحد على بطاها ورباها فى أثناء الثورة الكبرى سنة
١٩٣٦ والمعارك التى وقعت بين المجاهدين وبين الجيش البريطانى وما كان
يدور من حوار بين قادة هذه المعارك كالحوار الذى صوره المنظر الثالث
الذى تخيرنا أبياته بين القائد سعيد العاص والقائد عبد القادر الحسينى فى
جبال الخليل •

ويصور الفصل الخامس إعجاب الدول العربية ببطولة عرب فلسطين ،
واحساسها بالحنه وتضامنها للوقوف الى جوار أبنائها ، والعمل على إنقاذ
فلسطين بالقتال لا بتأليف اللجان وإصدار البيانات •

وقد بذل المؤلف جهدا مشكورا فى تحرى الحقائق التاريخية والوقائع
الحربية وتسلسل الأحداث ومواقف الأبطال والمجاهدين ووفق فى تصوير
البطولة فى أزهى الصور وفى تصوير الشهداء فى الصور المشرقة وساعده على
ذلك سهولة النظم وبساطة الأداء واستطاع أن يصور نوايا الأعداء ، ويتخيل
شما يضمرونه كما استطاع أن ينبه الأمة العربية ويوقظ مشاعرها •

ولكن الناحية الفنية فى المسرحية لم تنل حظها من العناية فالمسرحية
تفتقر الى وحدة الموضوع وكل فصل من فصولها تناول موضوعا ، وتفتقر
الى الترابط بين الفصول أولا وبين مشاهد كل فصل ثانيا وتفتقر الى ما نسميه
التخطيط المسرحى القائم على الحركة وتدرج الأحداث •

ومع أن المسرحية تاريخية وسياسية فقد كثر عدد أشخاصها حتى أربوا
على المائة بين حقيقى وموضوع وقائد ومجاهد وشاعر وزعيم وبين أشخاص
من العرب وأشخاص من اليهود •

الشعر الغنائي

وهو كل النصوص التي عرضناها باستثناء الملحميين والمسرحية ويتمثل في القصائد والمقطعات والموشحات والأغاني والأناشيد •

ونريد بالأسلوب في الشعر ما يشمل المادة والصورة أو الشكل والمضمون أي الفكرة والعاطفة واللفظ والخيال • وعندما تناولنا الأفكار والعواطف والصور كلا على حدة لم يكن هذا تناول يعنى انفصالها عن الأسلوب وإنما قصدنا إبراز أجود الأفكار وأروع الصور وأقوى العواطف •

والشعر لغة العاطفة والوجدان ، ولا يرجع جماله وتأثيره في النفس الى الفكرة وحدها أو العاطفة والخيال أو اللفظ بل الى كل ذلك •

وصفات الأسلوب الجيد هي الوضوح والقوة والجمال فالوضوح للعقل والقوة للشعور والجمال للذوق ^(١) ولن تتحقق هذه الصفات إلا اذا اختار الشاعر أكثر الكلمات قدرة على تصوير إحساسه واستطاع الملاءمة بين الأفكار والألفاظ •

ولغة الشعر هي اللغة العالية التي تؤثر بما في ألفاظها من دلالات نفسية وشعرية وبما فيها من موسيقى الوزن والقافية وبما وهب الشاعر من قدرات على تطويع اللغة •••

وتتضمن دراستنا لأساليب هذا الشعر الجوانب الآتية :

١ - اختلاف درجات الأداء •

(١) أحمد الشايب - أصول النقد الأدبي ص ٢٥٥ •

٢ — بنية القصيدة •

٣ — الأوزان والقوافي •

تفاوتت درجات الأداء الفنى فى أساليب هذا الشعر من شاعر الى آخر وتنوعت الأساليب فى صياغة الجمل وبناء العبارات فهناك الأسلوب التقليدى المحافظ الذى تأثر فيه الشعراء بالأقدمين أفكارا وصورا وصياغة •

وهناك الأسلوب العصرى الحديث الذى جدد فيه الشعراء فى المعانى والصور والصياغة •

وهناك الأسلوب الذى اقتبس من القرآن الكريم واستخدم ألفاظه •

وهناك الأسلوب الذى وشى بالزخارف ورضع بالمحسنات •

فمن الأساليب التى تأثرت بالقرآن الكريم وظهرت فيها ألفاظه قول عبد الرحيم محمود :

وإذا عتاق العرب تورى فى الدجى قدما وتصل تحت كل غضنفر

وقول إبراهيم طوقان :

إنفروا أيها النيام فهذا يوم لا ينفع العيون كراها

وقول أبى الوفاء محمود رمزى تنظيم :

نسف المنازل راعنى فى ذمة المبدى العيد

وقول الشيخ فؤاد الخطيب :

وكان لكم موسى الذى تعرفونه وأنقذ من تيهه الخصومة جمعكم
وشد على فرعون لم يخش بطشه
يشق بكم بحر الحوادث مزبدا
وكان لكم فى وحشة التيه مرشدا
وإن كان حتى من عصاه مجردا

وقول يحيى على الذارى :

إنفروا أيها الكرام خفافا وثقالا لنصر دين البسارى

ومن تقليد الأقدمين قول عبد الرحيم محمود :

واستنصر العرب الكرام وإنهم غوث الطريد ونصرة المستنصر

الذى يذكرنا بقول المتنبى :

وبهم فخر كل من نطق الصاد وعوذ الجانى وغوث الطريد

وقوله أيضا :

وأحمى حياضى بحد الحسام فيعلم قومي بأنى الفتى

الذى يعيد الى أذهاننا قول طرفة بن العبد :

إذا القوم قالوا من فتى خللت أننى
عنت فلم أكسل ولم أتباكر

وقول عبد الرحمن الكيالى :

يا قوم هل من غضبة مضرية أو صيحة فوق الزئير المرعد

الذى يذكرنا بقول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دما

وقول الزركلى :-

وإن تابوا فإن السيف ينصفنا والسيف يبلغ ما لا يبلغ القلم

المأخوذ من قول أبي تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
فِي حَدِّهِ الْحَدِيثُ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

وقول الجواهري :

[نطوف ما نطوف ثم نأوى إلى بيت] أقميم على اقتراح

المتضمن بيت الحطيئة :

أَطَوْفَ مَا أَطَوْفَ ثُمَّ آوَى إِلَى بَيْتٍ قَعِيْدَتَهُ لَكَاعِ
وتقليد الأقدمين والأخذ عنهم لا يثقف أثره عند صياغة العبارات
واستقاء المعانى بل يمتد الى الصور من تشبيهات واستعارات وكتابات
استمدت من مظاهر الحياة العربية في الصحراء • والى الأمثال العربية
القديمة •

ومن هذه الصور شاب الغراب — أسود خفان — أروت فلسطين من
تاريخها ديم — وتدرعت إيمانها — وتبطنت الأغوار والأنجاد — واستأسدت
قوادها وتتمرت — وخيمت عقبان جو — الطبي الراعفة — فارس الحلبة
— لا لحمأ ولا وضما — الهندية الخدم — أسرج جياذك واشحد غرارك •

ومن الأمثال القديمة قول إبراهيم طوقان :

تجد قويا وفي وعد الدخيل ولم يكن لنا منه إلا وعد عرقوب

وقول وهيب البيطار :

ما يفل الحديد إلا حديد بيد الحق أحمره أن يمدا

والأول مأخوذ من مواعيد عرقوب والثانى من المثل « لا يفل الحديد

إلا الحديد » •

وقول وديع البستاني :

وقد قلبوا المجن لنا وباتوا وقد غلظوا فأغلظنا الجوابا

أما الكلمات فحسبنا أن نذكر منها الصيد العظاما — مر يوم الرزء أشأم
أنكدا — أنكلكم ريب النية سييدا — اغتباق واصطباح — مشتجر
الرماح •

ونعل هذا التقليد بتوثق الصلة بين الشاعر الحديث والشاعر القديم ،
وأصالة الثقافة العربية وعمق جذورها واتجاه الشعراء في العصر الحديث
نحوها يعبون منها وينهلون من نبعها لأنها في نظرهم المثل الأعلى الذي
يحتذونه والمورد الصافي الذي يصدر عن عنه •

ومن المحسنات البديعية التي وشيت بها الأساليب الجناس والطباق
والمقابلة وحسن التقسيم ، فمن الجناس الناقص قول ابراهيم طوقان :

ماذا يرد الظلم عنك أحسرة أم زفرة أم عبرة تترقق

وقول العبوشى :

قد شردوا العربى عن أوطانه قد جردوا العربى من أثوابه

وقول أبى الوفاء محمود رمزى نظيم :

فمن السجين إلى الطريد إلى الشهيد إلى الشريد

ومن الطباق قول ابراهيم طوقان :

بفضلكم قد طفى طوقان هجرتهم وكان وعدا تلقيناه إيعادا

وقول بشارة الخورى :

ذنبنا والدهر فى صرعته أن وفينا لأخى الغدر وخانا

وقول الجواهرى :

وقولى قد صبرت على **اغْتَبَاق** فماذا لو صبرت على **اصطباح**

ومن المقابلة قول عبد الرحيم محمود :

فإِما حياة **تسر الصديق** وإما **مئات يغيظ العدى**

وقول الجواهرى :

ولا تعنى بنا **فالفعل جو** **مفيم** عندنا **والقول صاح**

ومن حسن التقسيم قول عبد الرحيم محمود الذى تقدم :

فإِما حياة **تسر الصديق** وإما **مئات يغيظ العدى**

وقول الجبوى :

فكل حق **حماء السيف محترم** وكل **حق** **عداه السيف مهتضم**

وقول الجواهرى :

خذى **مسعك** **مثخنة الجراح** ونامى **فوق** **دامية الصفاح**

والأسلوب التقليدى المحافظ هو الأسلوب الغالب على الشعر إذ نجده واضحا فيما تخيرناه للشعراء عبد الرحيم محمود وإبراهيم الدباغ وإبراهيم طوقان فى قليل من قصائده وبرهان الدين العبوشى وعبد الرحمن الكيالى ومحمد العدنانى ووهيب رشيد البيطار وأبى الإقبال سليم اليعقوبى فى فلسطين والشيخ إبراهيم ياسين القطان فى الأردن وأحمد محرم وأبى الوفاء محمود رمزى نظيم ومحمد عبد الغنى حسن ومحمد رجب البيومى ومحمد صادق عرنوس فى مصر وخير الدين الزركلى وبدوى الجبل وعمر يحيى ومحمد الشريقى وأمجد الطرابلسى فى سورية ومحمد على الحومانى وفؤاد الخطيب ووديع البستانى وبشارة الخورى فى لبنان

والجواهرى والحبوبى والجعفرى والفرطوسى والرصافى فى العراق •
والذارى فى اليمن وصقر الضرير فى الكويت ومحمد العيد آل خليفة فى
الجزائر أما الأسلوب العصرى الحديث فنلاحظه عند الشعراء إبراهيم
طوقان فى معظم قصائده وأبى سلمى فى فلسطين ومحمود حسن إسماعيل
وعلى محمود طه فى مصر وعمر أبى ريشة وعبد الوهاب أدهم وجورج
سلستى فى سورية وخليلى مطران وشبلى الملائق وأمين ناصر الدين فى
لبنان وإيليا أبى ماضى والشاعر القروى وجورج صيدح فى المهاجر
الأمريكية •

وتبدو على هذا الأسلوب آثار الثقافة الغربية المترجمة بالثقافة
العربية كما تظهر فيه روح العصر • ويتضح ذلك فى تجديد صياغة العبارة ،
واستعمال الألفاظ وابتكار الصور •

ويجنىح هذا الأسلوب الى اختيار الكلمات السهلة المألوفة وتجنب
الألفاظ الصعبة والغريبة واستعمال الصيغ الإنشائية من أمر واستفهام
وتعجب ونداء وأخذ الصور من الواقع •



وتفاوت البناء الفنى فى القصائد والنصوص فهناك قصائد متماسكة
البناء محكمة النسيج مرتبة الأجزاء تتمثل فيها الوحدة العضوية
والموضوعية فإذا تأخر بيت عن موضعه أو تقدم أو سقط تداعى البناء
واختل المعنى ومن هذه القصائد الفدائى والشهيد لإبراهيم طوقان وقصيدتا
شبلى الملائق وأمين ناصر الدين وقصيدة إيليا أبى ماضى •

وقصائد أخرى تمثلت فيها وحدة الموضوع ولكن إذا تقدم بيت
أو تأخر أو سقط لا يختل بناء القصيدة ولا تهبط مكانتها وهذه القصائد
تمثل أغاب النصوص التى تخيرناها وقد انتقينا منها أبياتاً تفى بالغرض •
ولم نثبت كل أبياتها ومع ذلك لم يختل البناء ولم تفقد القصيدة قيمتها •

وقصائد تنقل فيها الشاعر من موضوع الى آخر وقد مثلنا لذلك فيما
أوردنا من نصوص •

ويدل هذا على أن سلطان القديم قوى الأثر في نفوس شعراء العصر
الحديث حيث كان الشاعر القديم يرى أن البيت هو وحدة القصيدة وأنه
ينبغي أن يكون مستقلا عما قبله وعما بعده •

كما كان يوصف بأنه أغزل بيت قالته العرب أو أمدح أو أهجى بيت ،
وكانت القصيدة تستهر ببيت واحد منها يقال عنه إنه بيت القصيد •



وقد صب هذا الشعر في قوالب متعددة من البحور والأوزان نجملها
فيما يلي :

الأول : القالب الإبتاعى ونعنى به ما سار فيه الشاعر الحديث
على طريقة الشاعر القديم فالترزم في كل أبيات القصيدة وحدة الوزن
والقافية • وفي هذا القالب صب معظم النصوص •

الثانى : القالب الإبداعى ونعنى به تنوع القافية مع التزام الوزن
الواحد حيث تقسم القصيدة الى مقاطع ينفرد كل مقطع بدفقة عاطفية
تختار لها القافية الملائمة • وفي هذا القالب صب مقدار قليل من النصوص •

الثالث : الموشحات وبحسبنا أن نقدم من أمثلتها قصيدتا الفدائى
والشهيد للشاعر إبراهيم طوقان وقصيدة الشيخ سليم اليعقوبى •

الرابع : المربعات والخمسات التى صبت فيها الأغانى والأناشيد •
وشملت الأوزان البحور الشعرية المعروفة التى ابتكرها الخليل

بن أحمد تامة ومجزوءة ومن هذه البحور الطويل والبسيط والوافر
والكامل والمديد والهزج والرمل •

على أن حظ البحور الطويلة كان أكبر من حظ البحور القصيرة لأن
هذه البحور تناسب الحماسة والفخر وإشعال الصدور وإلهاب النفوس •
ولا حاجة بنا للتمثيل •

وتصرف الشعراء في هذه الأوزان بتنويع أنغامها وتلوين موسيقاها •
ويتضح هذا في الأغاني والأناشيد •

تصوير الشعر لمحنة فلسطين وتعبيرها عنها

بعد هذه الدراسة التي تناولنا فيها النصوص الشعرية يمكننا أن نصدر حكمتنا على الشعر العربي الحديث ونقرر ما اذا كان قد صور المحنة وعبر عنها أو قصر في ذلك •

وحكمتنا على هذا الشعر من خلال النصوص التي عرضناها يشمل شعر أبناء فلسطين والأقطار العربية والمهاجر الأمريكية بأنواعه الثلاثة الغنائي والقصصي والمسرحي •

وقبل أن نصدر هذا الحكم نلقى نظرة سريعة على مظاهر المحنة وموقف الشعر منها •

تتلخص مظاهر المحنة في أن الإنجليز وعدوا اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، ومن أجل هذا الوعد احتلوا فلسطين في الحرب العالمية الأولى وحكموا أهلها بالحديد والنار ، ووجهوا كل جهودهم لانجاز هذا الوعد في أقصر مدة من الزمن ولكن جهاد عرب فلسطين الرائع وكفاحهم الدامي أخر تحقيق هذا الوعد •

وخلال هذه الفترة أغرق الإنجليز فلسطين بسيل المهاجرين اليهود وملكوهم أرض العرب ، وأمدوهم بأسباب انقوة ، وأذاقوا العرب أهل البلاد ضروب الأذى وأنواع العذاب بعد أن أبعدهم عن تولى شؤون بلادهم وحرموهم المناصب الرئيسية فكمهوا الأفواه وأخرسوا الألسنة وانتزعوا الأرزاق وحصدوا الأرواح بالدافع وأعدموا رميا بالرصاص وملئوا السجون والمعتقلات بالآلاف وشردوا ونفوا وأبعدوا ودمروا المباني ونسفوا القرى وفرضوا الغرامات وسنوا أقصى التشريعات وفرضوا أشد العقوبات وعلى الرغم من كل هذا قاتل عرب فلسطين وخاضوا المعركة ضد الإنجليز واليهود وقدموا آلاف الضحايا والشهداء وخطوا في سجل الكفاح

الصفحات المشرقة من البطولة • ولفت جهادهم أنظار العالم وبهر كفاحهم الدنيا فوثقت الشعوب والأمم تتعلم منهم معنى الجهاد ، وتتلقى عنهم دروس البطولة والتضحية فماذا كان موقف الشعر ؟ استجاب للأحداث وانفعل بها وكان يؤثر فيها ويتأثر بها وكان فاعلا ومنفعلا وكان له دور بارز هام في المحنة •

لم يقف عند تسجيل أحداث المحنة وعرض مظاهرها ولو وقف عند هذا لقلنا إنه لم يصور المحنة ولم يعبر عنها وإنما عرض أسباب العواطف ودواعيها من حزن وفرح وحب وبغض وإعجاب واحتقار وحماسة وفخر ورسم طريق الخلاص وحدد الأهداف والوسائل للوصول الى تلك الأهداف •

وكان له دور بارز في الكفاح تحدثنا عنه عندما قلنا إن الشعر الفلسطيني كان سلاحا من أسلحة المعركة نبه النيام واستنهض الهمم وفضح أساليب الاستعمار وكشف عن دسائس الصهيونية ونشر الوعي وتوقع المأساة وتنبأ بالكارثة ودعا الى تجنب حدوثها واستلهم العبرة مما حدث في الأندلس وإن هذا الشعر صور في الحرب الثانية خوف الإنجليز واهلهم من غارات الألمان عليهم وصور الثماتة بهم عندما أخذ اليهود في خلال تلك الحرب يقتلون جنودهم ويغتالون ضباطهم وينسفون دور الحكومة على من بها من موظفين انجليز كما حدث عندما نسفوا فندق الملك داود في القدس •

أما الشعر في الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية فانه اتفق مع الشعر الفلسطيني في التصوير والتعبير عن السخط على بلفور ووعده والانتداب وضروب بطشه وظلمه والصهيونية ودسائسها ومؤامراتها وصور هذا الشعر أروع تصوير مشاطرة العرب لفلسطين محنتها ، وأسفهم العميق لما لقيت من أهوال والوقوف الى جوارها والدعوة الحارة القوية لإنجادها ونصرتها •

وكما صور الشعر في الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية مشاطرة العرب لفلسطين المحنة صور جهادها في أجمل الصور ومجد بطولتها وأطرى بذلها وتضحياتها وخذل شهداءها وجعلها معلمة الدنيا وقدوة الشعوب •

وانفرد الشعر الفلسطيني بتصوير دقائق المحنة فلمس مناهج الإبادة ووسائل الضغط وأرقام الهجرة اليهودية وطرقها وأنواعها والمحافظة على الأرض ودعوة الزعماء للتضامن وحض على الثورة ، وأشعل الحماسة وألهب الشعور •

وانفرد الشعر في الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية بتصوير عواطف الشعراء نحو فلسطين ومشاطرة العرب والمسلمين أهلها ما يلقون واتفق الشعر في الأقطار العربية مع الشعر الفلسطيني في التصوير والتعبير عن الثورة على وعد بلفور والانتداب والصهيونية وفي تقديس فلسطين والتقويه بمكانتها الدينية والتاريخية وفي تمجيد بطولة فلسطين وتصوير جهادها وشجاعة أبنائها وبخاصة في ثورتهم الكبرى سنة ١٩٣٦ وتخليد شهدائها وأبطالها •

لذلك نقرر ونحن مطمئنون أن الشعر العربي الحديث قد صور محنة فلسطين وعبر عنها وأنه تناول جوانبها وأحداثها وأن هذا التصوير كان أدق وأوفى جوانب وأقوى عواطف في شعر أبناء فلسطين وبخاصة إبراهيم طوقان • ويصدق هذا الحكم على الشعر الغنائي وحده أما الشعر القصصي والشعر المسرحي فلم يصورا المحنة ولم يعبرا عنها •

أثر محنة فلسطين في الشعر الحديث

كانت محنة فلسطين مصدر وحي وجد فيها الشعر مجالا رحبا فاستوحى كل مظهر من مظاهرها ولم تكن مصدر وحي للشعراء من أبناء فلسطين وحدهم بل للشعر العربي الحديث بعامة ولشعراء أبناء الأقطار العربية الذين وجدوا فيها المعين الذي لا ينضب .

لقد استلهم الشعر العربي الموضوعات الجديدة التي أوجدتها المحنة مثل وعد بلفور ولا تنتهم بالمبالغة اذا زعمنا أن جميع الشعراء في الأقطار العربية أعلنوا سخطهم عليه وعلى مبرمه وعلى الدولة التي ينتمي اليها . وما يقال عن وعد بلفور يقال عن هجرة اليهود الى فلسطين واستيلائهم على أرض العرب وعبثهم الفساد في البلاد ولم يحظ جانب من جوانب المحنة من الشعر بمثل ما حظى جهاد عرب فلسطين وثباتهم في المعركة أمام الغزو الاستعماري الصهيوني وما كتبوه بدمائهم في سجل الكفاح .

لقد ظهر أثر محنة فلسطين في الشعر الحديث واضحا فيما أوجدت من موضوعات وما أوحى به من أفكار وما استدعت من صور استمدت من مظاهرها وأحداثها وفي انفعال الشعراء بها وتفاعلهم معها الذي اتضح في شعر أبناء المحنة وهم أبناء فلسطين والأردن وفي شعر أبناء الأقطار العربية في مصر والعراق وسورية ولبنان واليمن وحضرموت والكويت والجزائر وفي شعر الشعراء العرب في المهاجر الأمريكية .

ظهر أثر المحنة في شعر أعلام الشعراء العرب البارزين والكواكب المشرقة في سماء الشعر أحمد محرم وعلى محمود طه ومحمود حسن إسماعيل في مصر والجواهري والرصافي والزهاوي والكاظمي والجبوبي في العراق والزركلي والشريقي وبدوى الجبل وعمر يحيى وعمر أبي ريثة وأمجد الطرابلسي في سورية وفؤاد الخطيب والحوماني وخليق مطران

وبشارة الخورى وشبلى الملاط وأمين ناصر الدين فى لبنان • وعلى أحمد
باكثير فى حزموت وتمثلت آثار المحنة فى الشعر فى المظاهر الآتية :

أولاً - ففما ظهر من دواوين شعرية تحمل اسم فلسطين وبحسبنا أن
نذكر منها ديوان الفلسطينيين للشاعر اللبناني وديع البستاني وجميع
قصائد هذا الديوان مستوحاة من محنة فلسطين •

ثانياً - ففما ظهر من مجموعات شعرية لطائفة من الشعراء تحمل اسم
فلسطين أيضاً مثل مجموعة الفلسطينيين التى أصدرتها الرابطة العلمية
الأدبية فى النجف الأشرف بالعراق وبها إحدى وثلاثون قصيدة لستة عشر
شاعراً وكلها مستوحاة من محنة فلسطين •

ثالثاً - ففما أفرد لفلسطين من أبواب وفصول مستقلة فى الدواوين
الشعرية حيث أفرد الشيخ فؤاد الخطيب • الباب الثالث من الجزء الثانى
من ديوانه لفلسطين وجعل عنوانه (فى سبيل فلسطين) ويشتمل الباب
على سبعة قصائد طوال استوحت فلسطين قبل المأساة وبعدها •

وخص خليل مطران فلسطين بثلاث قصائد فى الجزء الثالث من ديوانه
تحت عنوان الرحلة الى سورية ولبنان وفلسطين •

رابعاً - ففما ظهر من ملاحم وقد قدمنا منها ملحمة الثلاثاء الحمراء
للشاعر إبراهيم طوقان التى خلدت ذكرى استشهاد شهداء ثورة البراق
الثلاثة وثورة أبى سلمى على الملوك التى قص فيها أحداث ثورة
سنة ١٩٣٦ •

خامساً - ففما ظهر من مسرحيات مثلنا لها بمسرحية (وطن الشهيد)
للشاعر الفلسطينى برهان الدين العبوشى •

سادساً - فى ذكر أسماء المدن والبلاد والأماكن التى دارت فيها
المعارك بين المجاهدين والجنود الانجليز مثل الطرم • وقرية يعبد التى
هبطها الشيخ عز الدين القسام ورفاقه وجبل النار وجبال الخليل •

سابعاً — في ذكر أسماء الشهداء الذين سقطوا في ميادين الشرف والذين أعدمتهم حكومة الانتداب ، وإحياء ذكرى استشهادهم والإشادة بشجاعتهم مثل سعيد العاص وعبد الرحيم الحاج محمد والشيخ عز الدين القسام وشهداء ثورة البراق •

ثامناً — في رثاء زعماء فلسطين الأحرار الذين كرسوا حياتهم لخدمة بلادهم والنهوض بشعوبهم مثل المغفور له موسى كاظم الحسيني •

تاسعاً — في ترديد أسماء الزعماء ورؤساء الأحزاب كالسيد أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي ، والسيد راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس ، والسيد أحمد حلمي عبد الباقي والسيد عوني عبد الهادي •

عاشراً — في ترديد الكلمات السياسية مثل اجتماع واحتجاج وبيان وانتداب واحتلال واستعمار ووصاية وهجرة وجواز سفر وجلاء ومحقق وإزالة وفوضى وشقاق وترهات •

حادى عشر — في ترديد أسماء المعارك الحربية التي انتصر فيها العرب في فلسطين على أعدائهم والقنويه بقيادة هذه المعارك كاليرموك وحطين وخالد بن الوليد وطارق بن زياد ، وصلاح الدين الأيوبي •

ثانى عشر — في ترديد أسماء الكثير من مدن فلسطين والعواصم العربية والغربية والكنائيات عن بريطانيا وفرنسا وألمانيا • مثل القدس وحيفا وبغداد وجلق ودمشق وحلب وبيروت ومكة ويثرب ، ولندن ونيويورك والمائش والسين والريخ •

ثالث عشر — في ترديد أسماء بعض الحكام الانجليز والأمريكيين وتصحيح بعض الأسماء مثل هربر صموئيل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين ، ومثل وعود ولسون ، وتصحيح اسم بلفور الى بلفر وتصغيره على بليفيير •

رابع عشر — في تزييد الأماكن المقدسة والآثار الإسلامية المنتشرة في فلسطين واستعادة الأمجاد الغابرة مثل أولى القبليتين ومبعث النور ومهبط الوحي والبلد المقدس الطاهر والمسجد الأقصى وروابي القدس ورؤى عيسى على جفن محمد صلى الله عليه وسلم وتثنى البراق في ليلة الإسراء والوحي ممسك بعنانه والتراث الذي أوفى به عمر ، وأرض النبوات •

انتهى القسم الأول من البحث

القسم الثاني

الباب الأول

مأساة فلسطين

من ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الى ٣١ ديسمبر ١٩٥٥

الفصل الأول

قضية فلسطين في المحافل الدولية

قضية فلسطين في هيئة الأمم - إقرار مشروع التقسيم

الثورة على قرار التقسيم في فلسطين - قضية فلسطين في الجامعة العربية

جلاء الانجليز عن فلسطين

الدور السادس

من ١٩٤٧ — ١٩٤٩

قضية فلسطين في هيئة الأمم

وقفنا بالعرض التاريخي في القسم الأول من البحث عند إخفاق مؤتمر لندن وإلقاء المستر بيفن خطابه في مجلس العموم البريطاني في ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٦ الذي أعلن فيه أن بريطانيا لا تستطيع أن تفرض على فلسطين حلاً بالقوة لأنها منتدبة وأن من واجبها أن ترفع الأمر إلى هيئة الأمم لتقرر الحل الذي تراه واستئنافاً لهذا العرض نضيف أن بريطانيا أرسلت في أول أبريل سنة ١٩٤٧ مذكرة للأمين العام لهيئة الأمم المتحدة طلبت فيها عرض القضية الفلسطينية في دورة خاصة وقد عقدت هذه الدورة في الثامن والعشرين من أبريل سنة ١٩٤٧ وشهدتها مندوبو الدول العربية الأعضاء في المنظمة الدولية ومندوبو الهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية وتقرر فيها تأليف لجنة تحقيق تتولى بحث المشكلة قبل عرضها على الهيئة الدولية • وقد أعلن العرب معارضتهم للسلطات التي تمنح للجنة ونتائج بحثها إذا تعارضت مع حقوقهم وأمانهم وتألقت اللجنة على الرغم من معارضة مندوبى الدول العربية من ممثلين للدول الآتية : الهند — إيران — السويد — كندا — استراليا — يوغسلافيا — تشكوسلوفاكيا — هولاندا — بيرو — جواتيمالا — أورجواى •

وقررت الهيئة العليا مقاطعة اللجنة لأن مهمتها لا تتضمن إعلان استقلال فلسطين في حين رأت الدول العربية الاتصال بها وتقديم مذكرة واحدة تبين وجهة النظر العربية •

وقد أُضربت فلسطين يوم وصول اللجنة إلى القدس في ١٧ يونية سنة ١٩٤٧ وقضت في البلاد أيما استمعت فيها إلى الهيئات والشخصيات اليهودية وزارت البلاد العربية واطلعت على المذكرة التي قدمت لها من الدول العربية • وفي سبتمبر سنة ١٩٤٧ قدمت تقريرها لهيئة الأمم •

وتضمن التقرير التوصية بإنهاء الانتداب على فلسطين ومنحها الاستقلال مسبقا بفترة انتقال قصيرة تستمر خلالها مسئولية السلطة أمام الأمم المتحدة • وانقسمت اللجنة إلى أكثرية قدمت مشروعا لحل المشكلة وأقلية قدمت مشروعا آخر •

ويقضى مشروع الأكثرية بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية على أن تتألف الدولة العربية من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من أسدود في الجنوب إلى الحدود المصرية وتدخل فيها منطقة الخليل وجبل القدس وغور الأردن • وتتألف الدولة اليهودية من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع التي تضم النقب •

وتصبح الدولتان مستقلتين بعد مرحلة انتقال تمتد سنتين ابتداء من أول سبتمبر سنة ١٩٤٧ ويجب عليهما الموافقة على دستور كل منهما •

والتقسيم على هذه الصورة كسب لليهود وخسارة للعرب حيث منح اليهود أخصب الأراضي وأجودها والسهل الساحلي من فلسطين وهو أخصب بقاعها • وأعطى العرب المناطق الجبلية والأراضي الوعرة التي لا تصلح للزراعة • وأدهى من ذلك وأمر أن مساحة الدولة العربية تبلغ ١٢ر٠٠٠ كيلو متر مربع وليس بها إلا ١١ر٠٠٠ يهودي ولا يملك اليهود فيها إلا نحو ١٠٠ر٠٠٠ دونم ، وبها ٦٥٠ر٠٠٠ عربي • ومساحة الدولة اليهودية تبلغ ١٤ر٢٠٠ كيلو متر مربع ويبلغ عدد العرب بها (م ٢٢ — الشعر العربي الحديث)

٤٦٠٠٠٠ عربى وعدد اليهود ٥٣٠٠٠٠ يهودى ويملك العرب ثلثى أراضيها (١) .

ويقترح مشروع الأقلية أن تقوم في فلسطين حكومتان مستقلتان استقلالا ذاتيا يجمعهما اتحاد مركزى ورئاسة دولة واحدة ودستور واحد على أن تتناول سلطة الاتحاد قضايا الدفاع والشئون الخارجية والمصالح الاقتصادية (٢) .

وما كاد تقرير اللجنة يذاع ويطلع العرب عليه حتى تميزوا من الغيظ وغلت مراجلهم ووجن جنونهم وأذاعت الهيئة العربية العليا بيانا ملتهبا أعلنت فيه رفضها مضمون التقرير ، والإنذار بالحرب في حالة تنفيذه ، وقامت المظاهرات في فلسطين والبلاد العربية احتجاجا عليه واستنكارا له ، وتدفق سيل البرقيات والاحتجاجات على وزراء خارجية الدول العربية والجامعة العربية والصحف والهيئة العليا وارتفعت الأصوات بالدعوة إلى المقاومة والتسلح والجهاد والتطوع لإنقاذ فلسطين بالسلاح .

(١) أكرم زعيتر — القضية الفلسطينية ص ١٩١ .

(٢) محمد عزت دووزه — حول الحركة العربية ج ٤ ص ٩٦ — ٩٧ .

إقرار مشروع التقسيم

في الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٤٧ أخذت هيئة الأمم تنظر في قضية فلسطين حيث قررت الجمعية العامة تأليف لجنة خاصة تمثل فيها جميع الدول للنظر في القضية وقد شرح مندوب الهيئة العليا جوانب القضية أمام هذه اللجنة شرحا وافيا وفند مزاعم اليهود وأسقط حججهم وأعلن أن العرب يرفضون تقرير اللجنة المقدم من الأكثرية والأقلية وأنهم سيقاومون أى مشروع للتقسيم إلى آخر نقطة من دمائهم • وأعقبه مندوب الوكالة اليهودية موضحا وجهة النظر اليهودية ومعلنا قبول التقسيم •

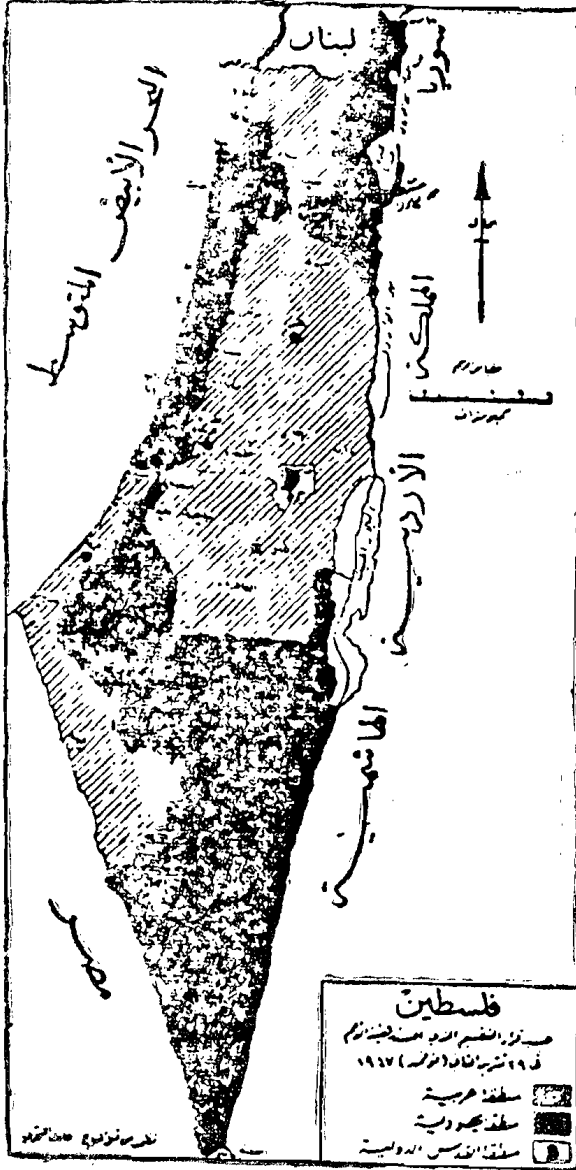
وتتابع بعد ذلك ممثلو الدول الأعضاء في الهيئة الدولية فأعرب ممثل كل حكومة عن وجهة نظر حكومته من تقرير اللجنة وكانت أكثرية الأصوات إلى جانب التقسيم • وقد بذل ممثلو الحكومات العربية جهودا جبارة في أثناء نظر القضية تأييدا لحق عرب فلسطين وتفنييدا لباطل اليهود ولكن اللجنة الخاصة عجزت عن إيجاد حل للقضية وعندئذ انتقلت مرة ثانية إلى الهيئة العامة للبت فيها •

ومر عرض القضية على هيئة الأمم المتحددة بعد ذلك في مراحل لا نرى داعيا للإسهاب فيها وقد انتهت هذه المراحل بإقرار مشروع التقسيم في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بأغلبية ٣٢ صوتا ضد ١٣ صوتا وامتناع ١٠ أعضاء وكان لأمريكا أثر واضح في حصول القرار على الغالبية المطلوبة بتأثيرها على كثير من الدول لتأييده •

والغريب العجيب في أمر التقسيم أن أمريكا وروسيا وافقتنا عليه •

وكان إقرار التقسيم من الهيئة الدولية بالصورة التي تم بها تجافيا عن الحق ، ومخالفة لروح العدل • وانتصارا للأهواء والمطامع وهزيمة للمبادئ والقيم • وكان قراراً ظالماً تنكبت فيه الهيئة جانب الصواب ، ونأت عن العدالة وتحيزت للباطل ولذلك شن الشعب هجومه عليها ودعا الدول العربية للانسحاب منها وكان القرار أيضاً نذيراً بثورة عاتية عليه في فلسطين يريق فيها أبناؤها آخر نقطة من دمائهم •

وتبين الخريطة رقم ٣ المساحة المخصصة لكل من العرب واليهود كما أقرتها المنظمة الدولية •



الخريطة رقم (٣) التي توضح ما خصص للعرب واليهود في مشروع التقسيم الذي أقرته هيئة الأمم

الثورة على التقسيم في فلسطين

كانت موافقة الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ نقطة تحول خطير في المشكلة الفلسطينية جعلت عرب فلسطين الذين حاربوا بريطانيا وحدها بصفتها الدولة المنتدبة يقفون أمام المنظمة الدولية أقوى هيئة عالمية للحيلولة دون تنفيذ قرار التقسيم .

وكانت الدول العربية تثقف إلى جوار عرب فلسطين وهم يقاومون بريطانيا ، ويعادون أمريكا لعطفها على الصهيونية . أما بعد موافقة الهيئة الدولية على هذا القرار الجائر فإن الأمر مختلف ويتطلب من عرب فلسطين والدول العربية جهوداً وتضحيات جديدة .

كان إقرار التقسيم بداية كفاح دام مرير وقف فيه عرب فلسطين أمام هيئة الأمم وقرارها وجها لوجه فاشتعلت الثورة في فلسطين عقب صدور القرار وخاض الفلسطينيون المعارك بما لديهم من أسلحة ، وانضم إليهم عدد من المتطوعين من الأقطار العربية ومن أوفدتهم الجامعة العربية .

وعند صدور القرار كان القسم الأكبر من المجاهدين الفلسطينيين يعيش خارج البلاد إما في مصر وإما في العراق وإما في سورية وإما في بقية الأقطار الشقيقة ، وكان هؤلاء هم قادة الفرق والكتائب في الثورات السابقة وهم الذين نالوا أكبر قسط من التدريب والخبرة والمعرفة بالفنون العسكرية والشئون الحربية ومنهم عبد القادر الحسيني الذي كان في القاهرة والشيخ حسن سلامة الذي كان في دمشق وغيرهما من القادة وقد اجتازوا جميعاً حدود فلسطين . على الرغم من قرار حكومة الانتداب الخاص بمنعهم من دخولها .

وأنشأت الهيئة العربية العليا قوات من الفلسطينيين أطلقت عليها اسم قوات « الجهاد المقدس » بقيادة عبد القادر الحسيني وقسمت فلسطين إلى أربع مناطق عسكرية رئيسية وعين لكل منطقة قائد وربطت القيادات الأربعة بالقيادة العامة وأعيد تنظيم اللجان القومية التي ألفت في خلال ثورة سنة ١٩٣٦ ونظمت القيادة العامة أسس العمل ومبادئ التعاون بين المجاهدين واللجان القومية .

وألقت القيادة العامة بالقوة الكبرى وبفرق الجهاد المقدس إلى ميادين القتال في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ أي بعد أسبوعين من صدور القرار ، وخاض المجاهدون أعنف المعارك وأشدها خطرا مع القوات البريطانية واليهودية وانتقلوا من نصر إلى نصر مع قلة عددهم وضعف أسلحتهم وصعوبة حصولهم على المال والعتاد وظلت الثورة مشتتة في فلسطين منذ صدور قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ إلى دخول الجيوش العربية فلسطين في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ .

وينتمي المجاهدون إلى ثلاث منظمات هي :

- ١ - قوات الجهاد المقدس .
 - ٢ - قوات جيش الانقاذ الذي قررت الجامعة العربية تأليفه وتدريبه (١) .
 - ٣ - قوات المتطوعين الذين لا ينتمون إلى المنظمتين السابقتين .
- وكان التعاون تاما بين هذه المنظمات الثلاثة وقياداتها .

وخلال الأشهر الأربعة التي تلت إقرار التقسيم كان زمام المبادرة العسكرية في يد العرب فانتصروا في جميع المعارك التي خاضوها ضد

(١) سنتحدث عن هذا الجيش عندما نعرض لموقف الجامعة العربية من قضية فلسطين .

اليهود والقوات البريطانية ودمروا مباني وممتلكات يهودية هامة منها شارع بن يهوذا ، ومبنى الوكالة اليهودية في القدس ، والمطاحن اليهودية في حيفا ، والمراكز والحصون الدفاعية في منطقة اللد والرملة ويافا . وبلغ عنف المقاومة العربية حدا حمل الوكالة اليهودية على رفع الشكوى ضد الحكومات العربية إلى مجلس الأمن بتهمة التآمر ضد التقسيم ودعم القتال الناشب في فلسطين وكان المجاهدون من أبناء فلسطين ومن أفراد جيش الإنقاذ ومن المتطوعين من أبناء الأقطار العربية يقاتلون بشجاعة وبطولة تحت ألوية قاداتهم الأبطال الميامين عبد القادر الحسيني وحسن سلامة وفوزي القاوقجي وأحمد عبد العزيز قذفت الرعب في قلوب اليهود ، وأحدثت الفزع في صفوفهم وأكدت انتصار العرب في هذه المعركة ولكن حدثين هامين حدثا في شهر إبريل سنة ١٩٤٨ ترتبت عليهما نتائج خطيرة بالنسبة للمعركة **الحدث الأول** استشهاد البطل عبد القادر الحسيني **والحدث الثاني** مجزرة دير ياسين .

أما عن استشهاد القائد فقد كان في السابع من إبريل في معركة القسطل (١) التي احتلها اليهود في الثالث منه وشن العرب هجوما مضادا عليها في اليوم الرابع وغدت الحرب بين الفريقين سجالا عليها يحتلها العرب فيخرجهم اليهود منها ويحتلها اليهود فيجليهم العرب عنها . وبينما كان القائد البطل عبد القادر الحسيني يزور دمشق ليطلب تزويده بالأسلحة ترامت إليه أنباء سقوط القسطل في أيدي اليهود فغادر دمشق على جناح السرعة مصمما على استعادتها مهما يكلفه ذلك من ثمن وقد فاز المجاهدون بالنصر على اليهود واستعادوا القسطل ولكنهم خسروا قائدهم

(١) قرية عربية صغيرة تقع على بعد خمسة أميال من القدس الى جهة الغرب وهي من القرى المرتفعة والمشرفة على عدد كبير من القرى والمستعمرات المنتشرة على طريق القدس — تل أبيب . وكان الرومان يسمونها Castellurn . وكانت على عهد الصليبيين محصنة للغاية ويرى المرء في يومنا هذا بقايا الحصن الصليبي فيها .

الشجاع بطل القسطل التي خلدها الشعر وخلد قائدها ومجد بطولته
وشجاعته وتضحيته •

وبفقده فقدت قوات الجهاد المقدس قائدها المحبوب وفقد العرب
قائدا شجاعا حالفه النصر في كل المعارك التي خاضها وفقدت فلسطين
ابنها البار الذي سطر في سجل الكفاح الوطني صفحات مشرقة من البذل
والتضحية والفداء وكان لاستشهاده رنة حزن وأسى في فلسطين والعالم
العربي • ظهر أثرها في الشعر الحديث في فلسطين والأقطار العربية وقد
استعاد اليهود القسطل بعد ذلك في التاسع من أبريل •

أما الحادث الثانى فهو مجزرة دير ياسين (١) التي وقعت في العاشر
من أبريل سنة ١٩٤٨ وفي هذه القرية اقتترف اليهود أبشع جريمة وحشية
ستظل مدى الدهر وصمة عار في تاريخهم ، ودليلا ناطقا على تجردهم
من الإنسانية وانحطاطهم إلى أسفل درجات المهجية والوحشية • لقد
قتلوا من أهل القرية مائة وعشرة أشخاص وهم كل الذين وجدوهم بها
بعد أن غادرها كل من تمكن من الخروج • ومن هذا العدد مائة وثلاثة
قتلوا في منازلهم من بينهم خمس وعشرون من النساء الحوامل رمين
بالرصاص • وامرأة نيفت سنها على التسعين ، وطفلة • ومن بينهم
الشيوخ الذين جاوزوا الستين ومكفوفو البصر والمقعدون ومدرسة
تدعى حياة البلاسة قتلت وهي تقوم بإسعاف الجرحى وتحمل شارة
الصليب الأحمر (٢) •

ولقد أحدثت هذه الجريمة ذعرا عاما في نفوس السكان العرب

(١) قرية عربية من قرى قضاء القدس تقع الى جهة الغرب من القدس
على بضع مئات من الأمتار يسكنها حوالى ٧٧٥ نسمة من العرب يعيشون في
مستوى اجتماعى مرتفع ، وبها مسجدان ومدرستان ابتدائيتان احدهما للبنين
والأخرى للبنات وناد رياضى •

(٢) المصدر السابق - ج ١ ص ١٦٥ - ١٧٣ •

فأخذوا يرحلون عن منازلهم ويجلون عن قراهم مخلفين وراءهم كل شيء ،
ورمى اليهود من وراء هذه الجريمة تقديم صورة صادقة عن أخلاقهم
وتصرفاتهم ولعلهم قصدوا أيضا إجلاء العرب عن ديارهم •

وضاعف من هول الجريمة أنها ارتكبت على مرأى ومسمع من قوات
حكومة الانتداب التي لم تحرك ساكنا ولم تحافظ على حياة السكان
وأرواحهم وعلى أثرها ثار الرأى العربى العام وأخذ يطالب الحكومات
العربية بالتدخل العسكرى لإنقاذ فلسطين بعد الذى اتضح من وفرة
الأسلحة عند اليهود وقتلتها لدى العرب ولكن حكومة الانتداب أعلنت
أن أى تدخل عسكرى قبل ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ يعتبر عدوانا عليها ستقابله
بالقوة •

قضية فلسطين في الجامعة العربية

عندما أصدرت لجنة التحقيق الدولية قرارها الخاص بتقسيم فلسطين ، وأعلن العرب ثورتهم عليه ، وارتفعت الأصوات منادية بانقاذ فلسطين بالسلاح ، واشتعلت القلوب حماسة ، عقدت اللجنة السياسية للجامعة العربية اجتماعا خطيرا في صوفر في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٧ اتخذت فيه عدة قرارات هامة منها مقاومة تنفيذ مقترحات اللجنة بكل الوسائل العملية ، وإعلان وقوف الحكومات العربية الى جوار فلسطين في كفاحها المسلح وإمدادها بالمال والرجال والعتاد ، وإعلان أن الحكومات العربية لن تستطيع كبت شعور شعوبها الثائرة • ومنها أن اللجنة السياسية ترى من واجبها أن تكشف الشعوب العربية بحقيقة المخاطر التي تحيط بقضية فلسطين ودعوة كل عربي لتقدير خطورة هذه المخاطر وتقديمه لفلسطين كل ما في وسعه من معونة • وإنذار بريطانيا وأمريكا بأن أى قرار لا ينص على استقلال فلسطين يهدد بإثارة اضطرابات في الشرق الأوسط من شأنها تهديد السلام العالمى • ومنها إعلان عزم الدول العربية على تأييد عرب فلسطين في سبيل الدفاع عن وطنهم •

وعندما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها الخاص بتقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، عقدت اللجنة السياسية عدة اجتماعات في القاهرة في ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧ شهدها رؤساء وزارات الدول العربية وتقرر في هذه الاجتماعات العمل على إحباط مشروع التقسيم والحيلولة دون قيام دولة يهودية في فلسطين • وفي ١٧ ديسمبر أذاع رؤساء الحكومات العربية بيانا انتقدوا فيه بشدة قرار هيئة الأمم الخاص بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية بها لما فيه من إهدار حق الشعب في تقرير مصيره ، والإخلال بمبادئ الحق والعدل ، ووضع نصف مليون من العرب

— من مسلمين ونصارى — تحت رحمة الصهيونيين ومضى البيان يقول :
إن حكومات دول الجامعة العربية تقف صفا واحدا في جانب شعوبها في
نضالها لتدفع الظلم عن إخوانهم العرب وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم ،
ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها ، وإنهم قرروا عملا بإرادة شعوبهم
أن يتخذوا من التدابير ما هو كفيلا — بعون الله — بإجباط مشروع
التقسيم الظالم ونصرة حق العرب • واختتم الرؤساء بيانهم قائلين : أما
وقد تغلبت الشهوات والأغراض حتى في ساحة الأمم المتحدة ، وأغلقت
أبواب الحق والعدل في وجوه العرب فانهم قد وطدوا العزم على خوض
المعركة التي حملوا عليها وعلى السير بها حتى نهايتها الظاهرة بإذن الله
فتستقر مبادئ الأمم المتحدة في نصابها السليم ، وتسدود في الأراضي
المقدسة مبادئ العدالة والمساواة بين الناس أجمعين (١) •

وكان مجلس الجامعة العربية قد توصل الى معرفة أن لدى اليهود
في فلسطين منظمات عسكرية تضم حوالي ٦٠ ألف مقاتل وأن لديهم أسلحة
جديدة وعتادا وافرا ومصانع للذخيرة وترميم الأسلحة هذا الى جانب
ما لديهم من المدربين الذين اشتركوا في حروب سابقة وعلى ضوء هذه
الحقائق وتمكيناً لعرب فلسطين من الدفاع عن أنفسهم قررت اللجنة
السياسية توزيع الأسلحة فوراً على أهل فلسطين واعتماد الأموال اللازمة
للانفاق على المتطوعين الذين تطوعوا للجهاد في فلسطين من مصر وسورية
والعراق ولبنان والأردن الى جانب عرب فلسطين • وتكوين جيش منظم
منهم يسمى « جيش الانتقاذ » ويقدر عدده بثلاثة آلاف متطوع بقيادة
البطل المعروف فوزى القاوقجي •

وقد درب الجيش في معسكر قطنا في سورية ودخل فلسطين على ثلاثة
أفواج : الفوج الأول في يناير والثاني والثالث في فبراير ومارس سنة ١٩٤٨
وعسكر كل فوج في منطقة من مناطق فلسطين • وقد ذكرنا أن هذا الجيش

تعاون تعاوناً تاماً مع قوات الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني وقوات المتطوعين بقيادة أحمد عبد العزيز في القتال الذي نشب في فلسطين على أثر صدور قرار التقسيم •

وعندما اقتترف اليهود جريمتهم المروعة في دير ياسين ، وطفقوا يظهرون وحشيتهم تجاه المسالمين من العرب ، وعندما أخذ سيل اللاجئين يتدفق على الأقطار العربية المجاورة ويتركون كل ما يملكون على أمل العودة السريعة للديار ، أخذت اللجنة السياسية للجامعة العربية توالى اجتماعاتها في الحواضر العربية وفي اجتماع لها في دمشق في الثاني عشر من أبريل سنة ١٩٤٨ أي بعد مجزرة دير ياسين بيومين قررت تلبية نداء الرأي العربي العام والزحف على فلسطين ودخولها في ١٥ مايو وهو الموعد الذي حددته بريطانيا لجلاتها عن فلسطين •

وقررت اللجنة في ذلك الاجتماع إعلان الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف ومعالجة قضية اللاجئين وتموينهم وعلى أثر ذلك الاجتماع أخذت كتائب وفصائل ومقارز من جيوش مصر والعراق وسورية ولبنان تتجه نحو حدود فلسطين ومن بينها قوات من السعودية والسودان والمغرب ورابطت هذه القوات على حدود فلسطين انتظارا ليوم الزحف وهو اليوم الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ •

جلاء الإنجليز عن فلسطين

عندما أصدرت لجنة التحقيق الدولية قرارها بتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية وإنهاء الانتداب الانجليزي عليها وقف وزير المستعمرات البريطاني يعلن باسم حكومته موافقته على إنهاء الانتداب على فلسطين ، وتهيئة أسباب خروج بريطانيا منها في أسرع وقت ممكن •

وعندما ألفت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة خاصة للنظر في قضية فلسطين أعلن وزير المستعمرات البريطاني — وكان يومئذ ممثلا لحكومته في اللجنة — تأكيد عزم حكومته على الجلاء عن فلسطين وعدم استعدادها لتنفيذ حل لا يرضى به العرب واليهود •

وعندما تم التصويت على قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ورد في نص القرار « أن الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة أخذت علما بتصريحات الدولة المنتدبة التي أعلنت فيها أنها تتوى الجلاء عن فلسطين في أول أغسطس سنة ١٩٤٨ • ولكن بريطانيا نقضت عهدها وأنهت انتدابها على فلسطين في ١٥ مايو قبل الموعد المحدد بشهرين ونصف وحقق هذا التبكير في الجلاء مصالح عسكرية وسياسية لليهود • وعاد على العرب بأوخم العواقب •

لقد أخذت تجلى جنودها عن فلسطين وفق خطة مرسومة تتيح لليهود تثبيت أقدامهم في البلاد وإدارة شؤونها وسيطرتهم على المناطق المخصصة لهم في مشروع التقسيم • فانسحبت أولا من مدينة تل أبيب والمناطق اليهودية ليتولى اليهود إدارة الحكم فيها وانسحبت ثانيا من الأحياء العربية في المدن الكبرى ليتمكن اليهود من احتلالها ولتمنع وصول الإمدادات والمساعدات إليها • وجلت عن المواقع الهامة فمكنت اليهود من الاستيلاء

على المطارات والحصون العسكرية على حين أنها لم تنسحب من المناطق العربية ولم تسمح للعرب بإدارة شئونها بل قست عليهم ، ووقفت في طريق تسلحهم ومنعت المجاهدين العرب الذين تدفقوا على فلسطين من الأقطار العربية بعد صدور التقسيم من دخول البلاد •

ولجأت الى أساليب الخديعة والمكر ضد العرب لتسلم المدن لليهود وتضع العرب تحت أقصى الظروف وأشدّها • كما حدث في جلائها عن مدينة حيفا • حيث أكد القائد الانجليزي للجنة القومية محافظة الجيش البريطاني على الأمن والنظام في منطقة حيفا حتى أول أغسطس سنة ١٩٤٨ ومنع أي قوات عربية من دخول حيفا أو الأحياء اليهودية منها حتى لا تصطدم بالجيش ولم يكن هذا التأكيد إلا خديعة إذ قرر الحاكم نفسه فجأة سحب القوات الانجليزية من المدينة واحتلها اليهود وشنوا هجومهم على العرب الذين فوجئوا بالنيران تصوب إليهم فغادروا المدينة فوراً والفرع يسيطر عليهم ولم تكن حيفا هي المدينة الكبرى الوحيدة التي غرر الانجليز بأهلها العرب ، ووضعوهم في أقصى الظروف بل هناك مدن أخرى كمدينة يافا نفذت فيها خطة مدينة حيفا •

وكان الانجليز قبل جلائهم ينقذون اليهود كلما وقعوا في مأزق ، أو ضرب عليهم حصار • ويمدونهم بكل ما يحتاجون اليه من أسلحة ، ولقد تأكد للعرب أن بريطانيا باعت مخلفاتها الحربية في فلسطين للوكالة اليهودية بما فيها من مدافع ثقيلة ومصفحات وطائرات تدريب • ونشرت جريدة مشمار اليهودية أن الوكالة اليهودية اشترت مخلفات حربية من السلطات البريطانية في الشرق الأوسط بخمسة ملايين جنيه منها ٢٤ طائرة تدريب وسيارات وأسلأك أجهزة رصد وغيرها (١) •

وفي الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ غادر المندوب السامي فلسطين

(١) محمد عزت دروزه — حول الحركة العربية ج ٣ ص ١٠ •

معلنا جلاء آخر جندي بريطاني عنها وإنهاء الانتداب البريطاني عليها بعد مضي ثلاثين سنة أرسيت فيها بريطانيا دعائم الوطن القومي ، ومكنت اليهود من إقامة دولتهم ، وهيأت لهم كل السبل لتحقيق هدفهم المنشود في قيام دولة إسرائيل •

ومن العجيب أن الانجليز في انتدابهم على فلسطين لم يقدموا أى بادرة تدل على قبولهم مبدأ إنهاء الانتداب أو التخلي عن فلسطين مما دفع إبراهيم طوقان أن يقول عن الانتداب بعد سبعة عشر عاما :

ومر سبع وعشر في البلاد له وحكمه مزج ترهيب وتجريب
قد تنتهى هذه الدنيا وفي يده مصيرنا رهن تدريب وتجريب (١)

وبانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وجلاء الانجليز عن أرضها طوى سجل من الظلم والعدوان زحرت صفحاته السود بسطور القسوة والبطش والاضطهاد ووجد الشعر في إنهاء الانتداب على فلسطين مجالا رحبا فثييع الانجليز باللعنات ، وأظهر سخطه على عهدهم المظلم وأيامهم السود وما جلبوه على فلسطين من أهوال •

(١) انظر ص ٢٠٦ من الكتاب .

الفصل الثاني أدوار الحرب الفلسطينية

الحرب في فلسطين - الهدنة الأولى - استئناف القتال
الهدنة الثانية - المأساة

الفصل الثاني

الحرب في فلسطين

في اليوم الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ اجتازت الجيوش العربية المرابطة على حدود فلسطين تلك الحدود ، ودخلت فلسطين من الشرق والشمال والجنوب لترد عنها العدوان اليهودي وتحفظ الأمن والنظام وتصون عروبيتها • وتسلمها لأهلها • ويعجز بياني عن تصوير البهجة التي غمرت نفوس العرب جميعا في هذا اليوم بهذه الخطوة التي تعنى مولد الأمة العربية وبعثها من جديد وتوحيد نضالها إذ لم يحدث في تاريخها من قبل أن تضامنت دول سبع وخاضت غمار حرب مقدسة لا تبغى منها مغنما •

وتجلت البهجة فيما أبدعه الشعراء من قصائد تصور فرحة العرب بهذا البعث الجديد ، وتشعل حماسة الجنود ، وتثير حميتهم ونخوتهم ، وتنفخ فيهم روح العزة والإباء ، وتستوحى أمجادنا الخالدة في عصور التاريخ حين تضامنا واتحدنا فقهرنا الفرس في القادسية ، وهزمت الروم في اليرموك ، ودحرنا التتار في عين جالوت ، والصلبيين في حطين •

طرب الشعر ، وهزت قصائده أعطافها ، وتبسمت أبياته وصاغ الشعراء في يوم الزحف الأغاني والأناشيد القومية ، والقصائد الحماسية الثائرة المضطربة •

وكانت هذه البهجة أعظم وأقوى في نفوس أبناء فلسطين الآن الأحداث التي سبقت هذا الزحف أدمت قلوبهم وخلفت بها جراحا لن تتدمل • ومن تلك الأحداث مجزرة دير ياسين وتكرارها في قرية

ناصر الدين (١) ، ووحشية اليهود تجاه المسلمين من العرب ، وتدفق عشرات الألوف من اللاجئين الى الأقطار العربية لقد كان يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ عيداً عربياً قومياً رفت فيه الأمانى على الشفاه وتبسمت آمال الشعوب العربية وتخيلوه مقدمة سارة لنتيجة سارة ، وبداية طيبة لنهاية طيبة ، وثمره جنية لكفاح طويل ولكن — والأسى يدمى القلوب — جرت الرياح بما لا تشتهي السفن ، وغدا ذلك اليوم مقدمة للمأساة وبداية لأهوالها وفجائعها وتذكرت قول الشاعر :

يا راقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُوراً بأوَّلِهِ

إن الحوادث قدَّ يطرُقَنَّ أسْحاراً

لقد احتفت حاضرة كل قطر عربى بأفراد القوات الذين اختيروا للقتال فى فلسطين عند سفرهم ومرت هذه القوات من شوارع العواصم الرئيسية وقوبلت من جماهير الشعب بمظاهر البشر والحماسة •

ولن نذكر عدد فرق كل جيش من الجيوش ولا ما زودت به كل فرقة من أسلحة مختلفة خفيفة وثقيلة لأن الكتب التى تناولت تاريخ المأساة أسهبت فى ذلك وسنكتفى بتسجيل الأحداث حسب تسلسلها الزمنى وتقديم صورة موجزة عن الموقف •

اختارت الدول العربية الملك عبد الله ملك الأردن قائداً عاماً للجيوش العربية الزاحفة الى فلسطين وأذاعت قبل الزحف بياناً مسهباً أوضحت فيه أسباب الزحف وأهدافه واستعرضت أدوار القضية الفلسطينية منذ صدور وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ الى موافقة الأمم المتحدة على التقسيم فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وأكدت أن الغرض الأساسى من الزحف إعادة النظام الذى اختل فى فلسطين ، وإقرار الأمن الذى اضطرب فيها بعد زوال الانتداب وتركها بدون سلطة دستورية شرعية ، وتحرير فلسطين ،

(١) قرية واقعة بالقرب من مدينة طبرية فى القسم الشمالى من فلسطين .

وتسليمها الى أهلها ليقرروا مصيرهم بأنفسهم وبعثت الدول العربية صوراً من بيانها الى الدول الأجنبية والى الأمين العام للأمم المتحدة •

تقدمت القوات المصرية فدخلت غزة وبئر السبع وسارت فى خطين يتجه أحدهما الى الخليل والثانى الى يافا واستطاعت هذه القوات أن تعزل مستعمرات النقب وتلك حصونها وتحتل عدداً منها وتحمى القسم الجنوبى من فلسطين حتى لا يقع تحت قبضة الاحتلال الصهيونى •

ودخلت القوات الأردنية مدينة أريحا واتجهت الى القدس لتتابع زحفها الى يافا وتلتقى بالقوات المصرية •

وزحفت القوات العراقية الى مستعمرة الجسر على اليرموك واتجهت فى خطين سار أحدهما فى اتجاه نابلس فطولكرم فقلقيلية ، والثانى فى اتجاه مرج بنى عامر •

• ودخلت القوات السورية سمخ واتجهت نحو طبرية •

ودخلت القوات اللبنانية الناقورة وأخذت تسيطر على طرق مواصلات الجليل الغربى •

وكان للمناضلين من أبناء فلسطين فى الجبهات المختلفة مواقف عظيمة وبطولات فذة • وأخذت الطائرات المصرية تقصف بمدافعها تل أبيب والمستعمرات المجاورة لها كما أخذت الطائرات العراقية والسورية تصب الحمم على المستعمرات •

لقد سار القتال فى خلال الخمسة والعشرين يوماً التى نشب فيها من الخامس عشر من مايو الى العاشر من يونيه فى صالح العرب ، واتجه بأقصى سرعة الى سحق المقاومة اليهودية والقضاء عليها ، وفى خلال هذه المدة القصيرة أصلت القوات العربية العصابات اليهودية بنيران مدافعها ، ودكت حصونها ، واجتلبت مستعمراتها ، وعزلت كثيراً من مناطقها ، وأصبحت

تل أبيب تحت مرمى مدافع العرب ، وسيطرت القوات العربية على المساحة
المخصصة للعرب في التقسيم وعلى جزء مما خصص لليهود وظهر تفوق
القوات العربية في الأسلحة والمعدات •

وبدت تباشير النصر تلوح في الأفق ولو أن الأمور سارت على طبيعتها
واستمر القتال لتم القضاء على المقاومة اليهودية وحقق العرب النصر والفوز
ولكن القتال توقف في الحادى عشر من يونيه وفرضت على العرب الهدنة
الأولى •

الهدنة الأولى

أحس اليهود إحساسا قويا بالهزيمة التي تنتظرهم لو استمر القتال وسارت الأمور على طبيعتها فتضرعوا الى أمريكا لنتقدهم من هزيمة محققة واستجابت أمريكا فطلبت عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن قرر فيها الهدنة الأولى ووقف القتال لمدة أربعة أسابيع ، وتوقف القتال في صباح اليوم الحادي عشر من يونيه سنة ١٩٤٨ بعد مضي خمسة وعشرين يوما على نشووبه •

ووكلت الأمم المتحدة الى وسيطها الكونت برنادوت ومعاونيه مهمة مراقبة تنفيذ قرار مجلس الأمن الذي نص على وقف إطلاق النار وعلى ألا يؤثر وقف القتال في مركز العرب واليهود وحقوقهم ومطالبهم ، وألا يترتب عليه أى امتياز عسكري لأحد الفريقين في أثناء الهدنة أو نتيجة لتنفيذها ومنع دخول الرجال الصالحين للخدمة العسكرية الى فلسطين اذا كان ذلك يحقق لأحد الفريقين تفوقا عسكريا ، وكلف مجلس الأمن الوسيط الدولي ومعاونيه بمراقبة حدود فلسطين من البر والبحر •

وحدث قبل إقرار الهدنة توجيه نداء للعرب واليهود بوقف القتال في منتصف ليلة ٢٢ مايو بعد أسبوع واحد من الزحف بناء على اقتراح من بريطانيا ولكن اللجنة السياسية للجامعة العربية والقادة العسكريين لم يوافقوا على الهدنة • وعند ذلك أرسلت الدول العربية ردها برفض وقف القتال وإذ ذاك بدأت الدول الغربية ضغطها على العرب فهددت بريطانيا بقطع المعونة المالية عن الأردن وإيقاف إرسال الأسلحة اليه والى كل من مصر والعراق •

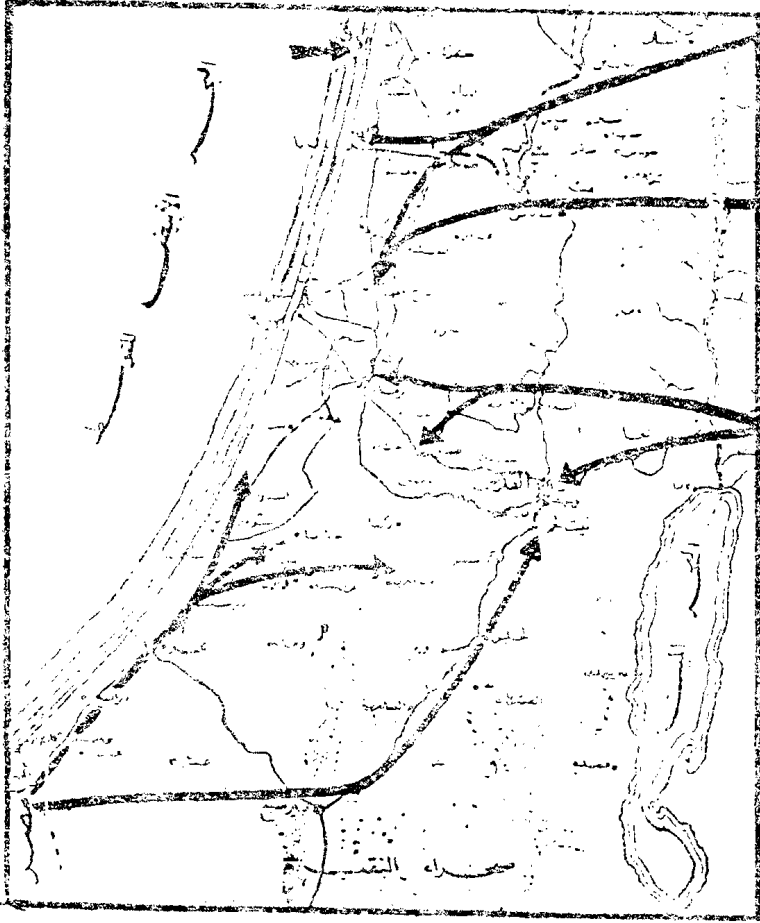
وتحت هذا الضغط تراجعت الدول العربية عن موقفها وقبلت الهدنة

بعد رفضها وكان قبول الهدنة مثار دهشة الرأي العام العربي وسخطه على الجامعة العربية واللجنة السياسية ، وباعثا على خيبة أمل الشعوب العربية في حكوماتها وقادتها وزعمائها •

وقد كانت هذه الهدنة نعمة على اليهود ونقمة على العرب إذ استطاع اليهود في الأسابيع الأربعة التي توفقت فيها القتال أن يجلبوا الى فلسطين كميات كبيرة من الأسلحة المختلفة ويهربوا اليها الآلاف من المحاربين ويعيدوا تنظيم طرق مواصلاتهم التي قطعها العرب ، ويحتلوا مناطق لم يكونوا يحتلونها ، ويتعبر أدق استغلوا كل ساعة من ساعات الهدنة لصالحهم ولم يرتفع صوت واحد في مجلس الأمن أو في هيئة الأمم أو من الوسيط الدولي لإعادة ما اغتصبوا ، وإرجاعهم الى ما كانوا عليه قبل الهدنة ، وفرض العقوبات عليهم اذا لم يذعنوا •

وأثبتت الوقائع التي تلت عقد الهدنة أن العرب خسروا حرب فلسطين يوم قبلوا الهدنة الأولى ، وأنها غيرت مجرى القتال وجعلته يتجه لصالح اليهود بعد أن كان يتجه لصالح العرب وتبين الخريطة رقم (٤) سير الزحف العربي ومراكزه حين قبل العرب الهدنة الأولى •

وقد ثار الشعور ثورة عنيفة على الهدنة وعلى الذين فرضوها واشتدت ثورته على الذين قبلوها وأذعنوا لها ودعا الى خرقها والانسحاب من هيئة الأمم ومنظماتها •



الخريطة رقم (٤) التي توضح سير الزحف العربي ومراكزه حين قبل العرب
الهدنة الأولى في ١١ يونية سنة ١٩٤٨

وجهة نظرنا

كان قبول الدول العربية للهدنة الأولى وإيقافها القتال بعد خمسة وعشرين يوماً من نشوبه خطأ لا يغتفر أمله روح الضعف والخسوع ، والخوف من أن تنفذ بريطانيا تهديداتها •

ونرى أن هذا الموقف لم يكن له ما يبرره فما كان في وسع مجلس الأمن أن يتخذ أى إجراء ضد الدول العربية ، ولم تكن بريطانيا جادة في تهديدها لأن مصالحها مع الدول العربية تقرض عليها إمدادها بما تريد •

ولو أن الدول العربية تضامنت واتحدت واستعدت للبذل والتضحية وهددت بريطانيا بأخذ الأسلحة من دول أخرى لتغير الموقف •

كان قبول الهدنة خطأ سياسياً وخطأ عسكرياً عارض فيه العسكريون الذين كانوا في المعركة ولكن الموقف السياسى تغلب على الموقف العسكرى •

وكانت الهدنة الأولى بداية فشل حرب فلسطين ونقطة تحول في الموقف العسكرى الذى انتهى بوقوع المأساة أثارت نقمة الشعوب على حكوماتها وسخط الأمة العربية على قادتها وزعمائها •

اسْتِئْذَانُ الْقِتَالِ

في التاسع من يولية سنة ١٩٤٨ استؤذف القتال بحماسة في جميع الجبهات واستطاع العرب في خلال الأيام الأربعة التي أعقبت استئذاف القتال أن يجلوا اليهود عن مواقع كثيرة اغتصبوها في أثناء الهدنة ويكبدوهم خسائر فادحة ، ويتقدموا في الجبهات على الرغم مما ظهر عند اليهود من أسلحة لم تكن عندهم من قبل ، ومن ازدياد عدد المقاتلين •

وفي خلال ذلك استولى اليهود على مدينتي اللد والرملة نتيجة لانسحاب الجيش الأردني من المدينتين وقد تم ذلك في اليوم الثاني عشر من يولية سنة ١٩٤٨ بعد أربعة أيام من استئذاف القتال •

وننقل عن المجاهد العربي عبد الله التل قائد معركة القدس نتائج وقوع المدينتين في أيدي اليهود •

١ — « قضى تسليم منطقة اللد والرملة لليهود على ذلك النتوء العربي الخطر الذي كان يهدد تل أبيب أكبر مدينة يهودية •

٢ — استولى اليهود على مطار اللد العالمي الثمين من غير أن يصيبه أى تلف أو تخريب ، وعلى محطة اللد للسكك الحديدية وهي ملتقى الخطوط وأكبر محطة للسكك الحديدية في فلسطين •

٣ — استولى اليهود على مدينتين من أكبر مدن فلسطين العربية ، وعلى أكثر من عشرين قرية كبيرة وخمسين قرية صغيرة ذهبت بما فيها من خيرات وثروات منقولة قدرت بما لا يقل عن عشرة ملايين من الجنيهات هدية لإسرائيل •

٤ — تم لليهود الاستيلاء على أكثر من ٧٥٠ ألف دونم من أخصب أراضي فلسطين وهذه الصفقة من الأراضي لا تقدر بثمن •

٥ — زال من طريق تل أبيب — القدس — العقبة الرئيسية في تحقيق المر الذي كان اليهود يطالبون به •

٦ — تيسر لليهود الاتصال بالجنوب بعد أن انكشفت ميمنة الجيش المصرى •

٧ — ارتفع عدد اللاجئين الفلسطينيين الى ٤٥٠ ألف حتى ذلك الحين بسبب هذه المأساة •

٨ — ازداد الضغط على القدس بعد أن تحررت قوات اليهود في منطقة اللد والرملة وعززت بها قوات القدس ، كما ازداد على القوات المصرية في الجنوب •

٩ — أصيب العرب عامة وخاصة عرب فلسطين بنكسة شديدة نتيجة لهذه الصدمة ، فعم اليأس والحقد وضعفت المعنويات الى درجة خطيرة •

١٠ — أصيبت الجيوش العربية بأول صدمة عنيفة ظن العالم بأنها نتجت عن قوة اليهود وضعف العرب ، وما درى العالم بأنها مؤامرة دنيئة بعيدة كل البعد عن كل ما له صلة بالحرب وفنونها •

١١ — ربح اليهود سياسيا ، فقد كانت المأساة أول سلاح استعمله اليهود لايهام الأمم المتحدة بقوتهم في الميدان ، والمفتاح الأول لسياسة الأمر الواقع التي يتبعها اليهود الآن وترضى عنها أمم الغرب « (١) •

(١) عبد الله النل قائد معركة القدس — كارثة فلسطين ص ٢٥٨ —

وكما انسحب الجيش الأردني من اللد والرملة انسحب الجيش العراقي من رأس العين وبعض المناطق التي كان يحتلها ، وانسحب جيش الانتقاذ من أنحاء الجليل الغربي الشمالية والوسطى •

وتواترت الأنباء عن منع الجنرال جلوب الانجليزي قائد الجيش الأردني القوات الأردنية من الدخول في معارك مع اليهود ، وعن اتصال الملك عبد الله باليهود ومفاوضات معهم ، وعن موقف ولي عهد العراق وعدم سماحه بإصدار أوامر للجيش العراقي بالتقدم وخوض غمرات القتال •

وفقدت الجيوش العربية وحدة القيادة ، وحدث التصدع في الجبهة العربية وتداعى ما بين الدول العربية المشتركة في القتال من تضامن واتحاد • واستبان أن الجيش الأردني لا ينفذ تعليمات القيادة العامة وإنما ينفذ أوامر جلوب الذي كان بدوره ينفذ تعليمات بريطانيا وخطتها •

وكان الوسيط الدولي الكونت برنادوت قد حاول تجديد فترة الهدنة الأولى ، وأبان أن لديه مقترحات لتسوية قضية فلسطين وتقديم فعلا بمشروع يقوم على تقسيم فلسطين الى دولتين عربية تضم شرق الأردن وبعض أجزاء من فلسطين ويهودية تضم الأجزاء الباقية من فلسطين ، واقترح أن تضم منطقة النقب الى العرب ومنطقة الجليل الغربي الى اليهود كما تضم للعرب أيضا مدينة القدس بعد منح سكانها اليهود استقلالاً ذاتياً ، ويبحث وضع مدينة يافا •

ورفض العرب واليهود مشروع الوسيط ثم اغتيل في السابع من سبتمبر سنة ١٩٤٨ مع معاونه الفرنسي على أيدي أفراد من عصابة ثنتين اليهودية •

هذه الأحداث التي برزت في ميادين القتال جعلت الموقف الحربي بالنسبة للعرب يسوء يوما بعد يوم وجعلت الشعوب العربية تدرك أن حرب فلسطين قد رسمت لها خطة ، وأن حرص مجلس الأمن الذي تتحكم فيه أمريكا وبريطانيا على تجديد الهدنة لحماية إسرائيل وتثبيت أقدامها ، وضغط الدول الغربية على الحكومات العربية كل أولئك سيحدد نهاية حرب فلسطين كما تريد بريطانيا وأمريكا لا كما يريد العرب •

الهدنة الثانية

واصل مجلس الأمن ضغطه على العرب لانتهاء القتال بعد فشل الوسيط الدولي في تجديد الهدنة الأولى ، وواصلت الدول الكبرى - من أجل حماية إسرائيل - تهديدها للعرب .

وأخذت بريطانيا تثبت الدسائس والمؤامرات بين صفوف العرب ، ونتيجة لذلك ، وللأحداث التي برزت في الموقف العسكى لم يستمر القتال بعد استئنافه إلا عشرة أيام حيث استؤنف في التاسع من يولية وفرضت الهدنة الثانية في التاسع عشر منه سنة ١٩٤٨ وبفرضها توقف إطلاق النار ، ووقف كل جيش من الجيوش العربية في مكانه .

وكما خرق اليهود الهدنة الأولى خرقوا الهدنة الثانية واغتصبوا مدنا وبلادا ومساحات دون أن يرتفع في مجلس الأمن صوت واحد ضدهم . واطمأنوا الى تصدع الجبهة العربية وانقسام الملوك والحكام العرب على أنفسهم فشنوا هجوما عنيفا على الجيش المصرى في منطقة النقب في الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٩٤٨ وأجلوه عن بعض المدن والمواقع التي كان يحتلها وأدى ذلك الى استيلائهم على منطقة النقب التي لم يبق منها مع الجيش المصرى إلا مدينتا غزة وخان يونس وبعض القرى الواقعة بين المدينتين ، وفصلوا القوات المرابطة في الفالوجة عن المواقع المصرية . ومن المؤسف أنه لم يتقدم أى جيش عربى لمساعدة الجيش المصرى وتخفيف الهجوم عنه مع أنه طلب هذه المساعدة رسميا من الأردن . ولكن جلوب وقف دون ذلك ونقف قليلا عند القوات المصرية لنقول إنه حينما صدر الأمر للجيش المصرى بدخول فلسطين لم يكن على الحدود سوى الكتائب الثلاثة الآتية :

- أولا — الكتيبة السادسة : ورئيس أركانها جمال عبد الناصر
- ثانيا — الكتيبة التاسعة : ورئيس أركانها عبد الحكيم عامر
- ثالثا — الكتيبة الأولى : ورئيس أركانها زكريا محيي الدين (١)

• أما كمال الدين حسين فقد كان مع أحمد عبد العزيز في منطقة القدس

وقد أبدت القوات المحاصرة في الفالوجة آيات من البطولة والشجاعة في صد هجمات اليهود ، ومقاومة الحصار جعلت الشعر الحديث يترنم ببطولتها ويطرى شجاعتها ، ويخلد الفالوجة ويمجد حمايتها وأبطالها

هذه الوقائع والأحداث والظروف التي اكتنفت الموقف الحربى دفعت كل دولة من الدول العربية المشتركة في القتال لأن تتصرف حسب مصلحتها الخاصة ، وتتعقد مع اليهود هدنة وعرف ذلك باتفاقية رودس

وقد عقدت الهدنة مع مصر في فبراير ، ومع لبنان في مارس ، ومع الأردن في أبريل ، ومع سورية في يولية من سنة ١٩٤٩

وعينت لجان للهدنة من قبل الأمم المتحدة ، ورسمت خطوط ، وأقيمت حدود ، ووضعت أسلاك شائكة بين الأراضي التي اغتصبها إسرائيل وأراضي الدول العربية الملاصقة لفلسطين وهي مصر وسورية ولبنان والأردن ، ولا تزال هذه الخطوط موجودة الى اليوم

المأساة

على هذه الصورة المفجعة انتهت حرب فلسطين ، وتمت فصول مسرحيتها التي مثلت فصولها يومئذ .

وتوقف القتال في فلسطين بين العرب واليهود وأخفقت هذه الحرب إذ ربح اليهود الجولة ، وخسرها العرب ، ووقعت المأساة العربية الفادحة فاقتطعت فلسطين العزيزة من جسم العروبة ، وفصلت عن العالم العربى ، واغتصبها اليهود ، ورفعوا العلم الصهيونى على ربوعها ، وشردوا شعبها عن دياره ، وجعلوه يهيم على وجهه فى الأرض يطارده البؤس ويلاحقه الشقاء ، ويتخطفه الردى .

وكانت المأساة صدمة عنيفة للأمة العربية جميعاً أفقدتها ثقتها بالملوك والرؤساء ، والحكام والزعماء ، وزعزت ثقتها بنفسها وعصفت بإيمانها بحاضرها وكادت تعصف بإيمانها بوجودها . كما نزعزت ثقة الشعوب من حكوماتها وجعلتها تتلملم وتحاول التمرد على هذه الحكومات والتخلص منها .

وكانت مأساة فلسطين مأساة العرب القومية الفادحة فى العصر الحديث ونكبتهم الكبرى ، وكارثتهم العظمى التى جرحت إياهم وخدشت عزتهم وكبرياءهم ، ولقنتهم الدرس القاسى الذى لن ينسوه مدى الدهر أيقظتهم فاجعاتها ، ونبهتهم أهوالها فأخذوا يتساءلون فى دهشة كيف حدثت ؟ وكيف سارت بها الأحداث إلى هذه النهاية التى لم تخطر فى ذهن عربى ولم تدر فى خلد إنسان ؟

وقعت الكارثة فكشفت للأمة العربية عن الخطر الصهيونى الذى اتخذ من فلسطين نقطة ارتكاز يثب منها إلى الأقطار العربية المجاورة

ليحقق أمله في استعادة حلم إسرائيل القديم في دولة متسعة تمتد من النيل إلى الفرات .
وكشفت المأساة أيضاً عن التقاء أهداف الصهيونية مع أهداف الاستعمار البريطاني في نسج هذه المؤامرة .

وكشفت عن الصورة الحقيقية للدول العربية ، وعن فساد أجهزتها وأوضاعها ونظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وكانت المأساة بالنسبة للعرب جميعاً ولعرب فلسطين خاصة أفدح مأساة ، وأضخم كارثة وأعظم نكبة في القرن العشرين أهدرت فيها الحقوق وبيعت الضمائر ، وجونبت العدالة . وشجع الظلم والعدوان بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ الحديث .

وبحسبنا أن ننقل عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر ذكرياته في أثناء هذه الحرب وهو محاصر في الفالوجة وهي تعطينا صورة صادقة لما كانت عليه الأحوال في الدول العربية يومئذ قال : « كنا نحارب في فلسطين ولكن أحلامنا كلها كانت في مصر . كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا في خنادقه ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذي تركناه للذئاب ترعاه . وفي فلسطين كانت خلايا الضباط الأحرار تدرس وتبحث وتجتمع في الخنادق والمراكز . في فلسطين جاعنى صلاح سالم وزكريا محبى الدين واخترقا الحصار إلى الفالوجة وجلسنا في الحصار لا نعرف له نتيجة ولا نهاية وكان حديثنا الشاغل ووطننا الذي يتعين علينا أن نحاول إنقاذه . وفي فلسطين جلس بجوارى مرة كمال الدين حسين وقال لى وهو ساهم الفكر شاردا النظرات : هل تعلم ماذا قال لى أحمد عبد العزيز قبل أن يموت ؟ قلت : ماذا قال ؟ وقال كمال الدين حسين وفي صورته نبيرة عميقة وفي عينيه نظرة أعمق : لقد قال لى : اسمع يا كمال ، إن ميدان الجهاد الأكبر هو في مصر .

ولم ألتق في فلسطين بالأصدقاء الذين شاركوني في العمل من أجل مصر وإنما التقيت أيضاً بالأفكار التي أنارت أمامي السبيل ، وأنا أذكر أيام كنت في الخنادق وأسرح بذهني إلى مشاكلنا كانت الفالوجة محاصرة وكان تركيز العدو عليها بالمدافع والطيران تركيزاً هائلاً مروعا وكثيرا ما قلت لنفسى ها نحن هنا في هذه الجحور محاصرين ، لقد غرر بنا ، دفعنا إلى معركة لم نعد لها ، لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات وتركتنا هنا تحت النيران بغير سلاح » (١) •

وما صوره السيد الرئيس جمال عبد الناصر من التغيرير بالجيش وعبث المطامع والشهوات بأقدارها ، وترك القوات بغير سلاح يصدق على الجيوش العربية كلها لا على الجيش المصرى وحده •

وتجلت فداحة المأساة في أثارها المادية والمعنوية والنفسية أما الآثار المادية فتمثلت في الهزيمة العسكرية والخسائر التي تكبدها العرب في الأرواح والأموال وفي قيام إسرائيل ، وضياع فلسطين وتدفق اللاجئين على الأقطار العربية •

وأما الآثار النفسية والمعنوية فتمثلت فيما أصاب الكرامة العربية من جراح وفي ترززع الثقة بالنفس والثورة على الحكام والرؤساء •
وستتحدث عن هذه الآثار في الفصل الثالث •

الفصل الثالث فداحة المأساة

قيام إسرائيل - ضياع فلسطين - تدفق اللاجئين
موقف عرب فلسطين - موقف اليهود
موقف هيئة الأمم موقف الشعوب العربية
موقف الحكومات العربية - أسباب المأساة

سبيل المحل

الفصل الثالث

الدور السابع

من سنة ١٩٤٩ إلى سنة ١٩٥٥

قيام إسرائيل

كان قيام إسرائيل أول أثر مادي من آثار المساة ففي اليوم الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ وهو نفس اليوم الذي زحفت فيه الجيوش العربية إلى فلسطين أعلن اليهود مولد دولتهم إسرائيل ، وحققوا حلما من أحلامهم كان يبدو منذ قرنين من الزمن ضربا من الخيال ، ووصلوا إلى الهدف الذي بذلوا في سبيله أعظم الجهود •

وكان حصولهم على وعد بلفور مقدمة لهذه الغاية التي ناضل من أجلها رجال الحركة الصهيونية لضم ثقات يهود العالم وإحياء القومية الصهيونية المندثرة في فلسطين ، وإعادة الصلة التي انقطعت بين اليهود وفلسطين منذ قرون •

وقد بدأ اليهود يستعدون لإعلان قيام دولتهم في أبريل قبل ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وأخذت حكومة الانتداب تهيب لهم الظروف الملائمة لقيامها بتخليها لهم عن المناطق والمدن والبلاد ، وتمكينهم من تولى السلطة فيها وإدارة شئونها •

ولم يكد المندوب السامي يعلن إنهاء الانتداب ، وجلاء الانجليز عن

فلسطين حتى سارع اليهود في نفس اليوم بإعلان قيام دولتهم ، وبعد إعلان قيامها بدقائق اعترفت بها أمريكا قبل أن تستكمل مقومات الدولة الأساسية وقبل أن تعرف لها حدود .

ومنذ نشوب القتال في فلسطين إلى الهدنة الثانية ومركزها الدولي يقوى ويزداد يوماً بعد آخر حتى بلغ عدد الدول التي اعترفت بها عشرين دولة وهي دولة جمهورية انتخب الدكتور حاييم وايزمان أول رئيس لها اعترافاً بخدماته للصهيونية منذ فجر القرن العشرين .

وقد قامت على أساس ديني لا نظير له في العصر الحديث ، وعلى التمييز العنصري بين رعاياها .

وقيام إسرائيل يعني بلغة الواقع السياسي أن خنجراً مسموماً وجه إلى قلب الأمة العربية ، وأن دولة غريبة في العادات والتقاليد واللغة والثقافة والفكر قد اصطنعت بين مائة مليون من العرب وفصلت بين عرب آسيا وعرب أفريقيا ، ووقفت سداً يمنع الاتصال البري بين الدول العربية في القارتين ؛ وأن الاستعمار قد أقامها ليجعل منها أداة لتحقيق أطماعه .

وقيام إسرائيل خطر على العرب في السياسة والاقتصاد والاجتماع خطر على وجودهم وحياتهم وأمنهم . وخطر على تجارتهم وصناعاتهم وموارد ثروتهم ، وخطر على أخلاقهم ومبادئهم ومثلهم .

ففي المجال السياسي لا تقف أطماع إسرائيل عند حد لأنها تعلم أن فلسطين لن تتسع لحشد يهود العالم بها ، وأنه ينبغي لها أن تتوسع وتستولي على أقطار عربية جديدة وتشردها أهلها كما شردها أهل فلسطين . وإسرائيل لا تخفى هذه الحقيقة بل تذيعها وتجاهر بها . فالبرلمان اليهودي جعل شعاره العبارة التالية « حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل » وبن غوريون يقول في إحدى خطبه في أمريكا : « إن خمسة

ملايين سيقطنون في إسرائيل خلال عشر سنوات » ويقول في خطبة أخرى في حفل لتخريج الضباط اليهود في المدرسة العسكرية في مايو سنة ١٩٤٩ : « إننا لم نصل بعد إلى غايتنا أى إلى النصر النهائي فنحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا تحريرا كاملا غير قسم واحد منها فقط • أما الأقسام الباقية فسيكون مصيرها مصير القسم الذى تسيطر عليه قواتنا الباسلة الآن •

وسنجعل الحرب حرفة يهودية حتى يتم تحرير بلادنا بأجمعها ؛ أجل سنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل وسيعود الشعب اليهودى بأسره إلى استيطان أراضى الآباء والأجداد الممتدة من الفرات غربا حتى النيل شرقا » •

والمؤتمر الصهيونى الأول المنعقد فى سنة ١٨٩٧ نص فى البند الثانى من قراراته على أن تكون مساحة البلاد العربية كافية لحاجات خمسة عشر مليوناً من اليهود المشتتين فى أنحاء العالم (١) •

وفى مجال الاقتصاد تنفق الصهيونية العالمية وراء إسرائيل تساندها وتعاونها وتنفق الدول الرأسمالية إلى جوارها وتمدها بما تحتاج من مواد خام لإنشاء المصانع ، وتطور الزراعة ؛ ونمو الموارد !

وتحاول إسرائيل جاهدة استغلال الشعوب العربية المحيطة بها ماديا وأدبيا والقضاء على ثرواتها ومواردها •

وفى مجال الأخلاق والمبادئ فإن إسرائيل طبعت على التنكر للقيم والمبادئ الخلقية والاجتماعية ؛ وانتهاك الحرمات ؛ والاستهانة بالمقدسات واستباحة مالا يباح فى سبيل الوصول إلى الأهداف ؛ وإفساد الناشئة

(١) أكرم زعيتر - القضية الفلسطينية ص ٢٨٨ - ٢٨٩ •

وإغرائهم بالرديلة • إنها ألد الأعداء للعرب والعروبة وأشدهم عداوة
للمسلمين والإسلام قال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا
اليهود) (١) •

وقد أعلن الشعر سخطه وثورته على قيام إسرائيل وتنبأ بموتها
وصور مآتي اليهود من لؤم وخسة وعبادة للمال وصب نغمته على هيئة
الأمم لاعترافها بإسرائيل ودعا إلى القضاء عليها قبل أن يشتد ساعدها •

ضِيَاعِ فِلَسْطِينِ

وضاعت فلسطين ، واقتطعت من جسم العروبة ، وفصلت عن العالم العربي ؛ ومحيت من خرائطه ومصوراته الجغرافية .

• وضياع فلسطين هو الأثر الثانى من آثار المأساة .

أجل ضاعت فلسطين وهودت بعد عروبته إذ سميت البلاد والقرى والمناطق العربية بأسماء يهودية بعد أن أزيلت عنها الصبغة العربية وقضى على مظاهر العروبة والإسلام فى البلاد بعد أن ظلت هذه المظاهر أربعة عشر قرناً من الزمان .

تساقطت مدن فلسطين فى أيدي اليهود مدينة إثر مدينة وتهاوت ثغورها أمامهم فاستولوا على يافا وحيفا وعكا بالإضافة إلى اللد والرملة والناصره وطبرية .

وضياع فلسطين من العرب خسارة فادحة لهم ؛ ومصاب جمل ففى فلسطين الأمجاد العربية التاريخية التى نعتز بها فى فلسطين « اليرموك » و « عين جالوت » و « حطين » المواقع الحربية الحاسمة التى سطر لنا التاريخ فيها صفحات البطولة والقوة . وفى فلسطين قبور الأنبياء ؛ وأضرحة الصحابة .

وفلسطين الطريق البرى الوحيد بين القاهرة ودمشق والقاهرة والقدس والقاهرة وعمان والقاهرة وبيروت وبعداد ، إنها المعبر العربى الوحيد بين آسيا وأفريقيا فضياعها خطب جسيم لا لأهميتها الدينية والتاريخية فحسب بل لأهميتها الجغرافية والسياسية أيضاً .

واغتصاب فلسطين والاستيلاء عليها تحد سافر لوجود العرب وقوتهم وعزتهم وكرامتهم وحاضرهم ومستقبلهم واستهانته بهم ؛ واستخفاف بشأنهم ومكانتهم السياسية والعسكرية لا يمكن أن يسكتوا عليه أو يقروه أو يعترفوا به كأمر واقع •

ولهذا سيقاومونه بكل ما أوتوا من قوة وسيظلون في حالة حرب مع إسرائيل حتى يستردوا فلسطين الوطن المغتصب ؛ ويعيدوها إلى العروبة ويزيلوا عنها كل أثر من آثار العدوان الصهيوني البغيض •

تدفق اللاجئين

ومن آثار المأساة تدفق اللاجئين من عرب فلسطين على الدول العربية المجاورة واللاجئون هم الجانب المأساوي الحي من المأساة وحين وقعت المأساة اضطر عرب فلسطين إلى مغادرة مدنهم وبلادهم واللجوء إلى مكان أمين وهذا المكان الأمين كان يتمثل يومئذ إما في القسم الباقي من فلسطين بأيدي العرب • وإما في الأقطار العربية المجاورة لفلسطين وهي مصر وسورية ولبنان والأردن • والقسم الباقي مع العرب من فلسطين ينحصر أولاً في الضفة الغربية من نهر الأردن الذي تشرف عليه الحكومة الأردنية ، وثانياً في قطاع غزة الذي تشرف عليه الحكومة المصرية •

وقد لجأ للأردن بعد ضم الضفة الغربية إليه حوالي نصف مليون لاجيء وإلى سورية حوالي مائة ألف • وإلى لبنان مائة وعشرة آلاف • وإلى قطاع غزة مائتان وعشرف آلاف • وإلى مصر خمسة آلاف • وللعراق خمسة آلاف أيضا • وقد سجل معظم هؤلاء اللاجئين لدى وكالة الإغاثة التي أنشئت بعد المأساة •

وبقى من عرب فلسطين تحت الحكم اليهودي مائة وثمانون ألفا • وقد خلف اللاجئين وراءهم مدناً كاملة وسبعمئة قرية وتركوا دورهم زاخرة بالأثاث والرياش والغذاء ومنتجاتهم مزدحمة بالسلع والمواد التجارية تركوا الحقول بسنابلها قبل الحصاد والكروم بعناقيدها وبساتين البرتقال وأشجارها مثقلات بالثمار تركوا ثروات تقدر بألفى مليون من الجنيهات أصبحت بين عشية وضحاها غنيمة لليهود •

وقد أخذ اليهود بعد المأساة يتصرفون في أملاك العرب بالبيع والشراء مهدرين بذلك العدالة الإنسانية أولاً وقرارات هيئة الأمم في حق اللاجئين في ممتلكاتهم ثانياً •

وقد قدرت الحكومات العربية مشكلة اللاجئين حق قدرها وأولتهم عظيم اهتمامها فأوت الذين نزحوا إليها خير إيواء هيأت لهم المسكن المصالح ، وقررت الغذاء الصحى ، واستقبلتهم استقبال الأخ للأخ يواسيه ويشاطره محنته ، وأشعرتهم بأنهم ليسو بغرباء أو نزاح بل أبناء وطن يعيشون بين أهليهم وذويهم فى الوطن العربى •

وبقرار من مجلس الجامعة العربية تكون مجلس عال لأغاثة اللاجئين فى الأقطار التى نزحوا إليها والبلاد التى استقروا فيها • وبذلت محاولات من هيئة الأمم لحل مشكلة اللاجئين أو بتعبير أوضح لتصفية مشكلتهم تمهيدا لتصفية قضية فلسطين وذلك عن طريق توطينهم إما فى الأقطار العربية التى نزحوا إليها وإما فى أماكن أخرى حددتها لهم ولكن اللاجئين رفضوا رفضا باتا التوطن والإسكان وتمسكوا بحق عودتهم إلى فلسطين لإصرار على هذه العودة مؤثرين ألوان البؤس والشقاء التى يقاسونها على التوطن والإسكان •

وعندما استبان للهيئة الدولية تعذر حل مشكلة اللاجئين كقضية منفصلة عن الحل السياسى لمشكلة فلسطين واتضح لها استحالة قبول اللاجئين بديلا عن عودتهم قررت هيئة الأمم فى ٨/١٢/١٩٤٩ تأليف وكالة لإغاثة اللاجئين وتخصيص أربعة وخمسين مليوناً من الدولارات للإغاثة والعمل حتى منتصف سنة ١٩٥١ وقررت الجامعة العربية التعاون مع الوكالة دون أن يكون لذلك تأثير فى مصير اللاجئين وحققهم فى العودة وما تزال وكالة الاغاثة تؤدى أعمالها إلى اليوم وتقرر هيئة الأمم تجديد مدتها وإمدادها بما تحتاج إليه من الأموال •

وما تقدمه الوكالة للفرد من غذاء يعادل نصف ما يحتاج إليه ليقيم أوده • أما المساكن فهى جحور وأكواخ لا تقى حرا ولاقرا وهناك مدارس ابتدائية وإعدادية فتحتها الوكالة للاجئين واستوعبت عددا من أبنائهم وبناتهم ولكن الحكومات العربية فتحت مدارسها وجامعاتها أمام الشباب الذين يدرسون فى المرحلة الثانوية والذين يرغبون فى إتمام ثقافتهم عن طريق التعليم العالى فى الجامعات •

موقف هيئة الأمم

في ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ اتخذت هيئة الأمم المتحدة قرارات هامة خاصة بتنفيذ مشروع التقسيم وتأليف لجنة للتوفيق بين العرب واليهود وتأكيد حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم ، ولأهمية هذه القرارات نوردها بالنص : « إن الجمعية العامة للأمم المتحدة اتخذت في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قرار التقسيم ، واتخذت في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ قرارا يخول الوسيط الدولي بذل مساعيه في تنمية العلاقات الودية بين العرب واليهود ، وبغد أن اطلعت على تقرير الوسيط المتضمن اقتراحاته تقرر ما يلي :

أولا - تؤلف لجنة توفيق من ثلاثة أعضاء يختارهم الأعضاء الدائمون تقوم بالأعمال التي كانت قد أنيطت بالوسيط أو بأى أعمال أخرى قد يطلب مجلس الأمن أو هيئة الأمم منها القيام بها وتتمى العلاقات الحسنة بين إسرائيل وعرب فلسطين والدول العربية وعليها أن تتخذ التدابير اللازمة لوضع الأماكن المقدسة تحت حماية هيئة الأمم المتحدة وإشرافها على أن تخضع منطقة القدس لنظام دولى دائم .

ثانيا - تحدد القدس حسب قرار التقسيم وتوضع تحت إشراف هيئة الأمم .

ثالثا - يسمح لمن يرغب من اللاجئين بالعودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم . أما الذين لا يرغبون في العودة فتدفع لهم التعويضات بمقتضى القانون الدولي ويدفع كذلك تعويض إلى من أصابهم الضرر في ممتلكاتهم . وعلى لجنة التوفيق تسهيل إعادة السكان واستقرار اللاجئين . ودعت لجنة التوفيق العرب واليهود إلى مؤتمر عقد في لوزان في ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٩ وعقدت عدة جلسات مع الفريقين وفي هذا المؤتمر أكد اليهود

احترامهم لقرارات هيئة الأمم وقبولها كأساس للمحادثات ووقعوا مع اللجنة ميثاقا دعى (بروتوكول) لوازن ويتضمن أن يكون التقسيم وحدوده مع بعض تعديلات تقتضيها اعتبارات فنية وتدويل القدس ، وعودة اللاجئين وحققهم في التصرف في أموالهم وأملاكهم ، وحق تعويض الذين لا يرغبون منهم في العودة أسسا للمحادثات ، ووقع العرب مع اللجنة ميثاقا مماثلا وكان توقيع الميثاق مع العرب واليهود في ١٢ مايو سنة ١٩٤٩ وهذه القرارات هي نفسها قرارات هيئة الأمم في ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ التي أوردنا نصوصها •

وفي أثناء محادثات لجنة التوفيق مع كل من العرب واليهود بحثت الجمعية العامة لهيئة الأمم موضوع الطلب السذي تقدمت به إسرائيل لتصبح عضوا في الجمعية وعارض مندوبو العرب عضويتها واتهموها بعدم احترام قرارات هيئة الأمم التي طلبت من ممثلي اليهود إقرارا بالاستعداد لتنفيذ قرارات الهيئة الخاصة بالتقسيم وعودة اللاجئين فبادروا فوراً إلى تقديم هذا الإقرار وحصلت إسرائيل على موافقة أكثر أعضاء الجمعية بقبولها عضوا في المنظمة الدولية في ١٢ مايو سنة ١٩٤٩ ثم تنكرت لمبادئ الهيئة بعد أن أصبحت عضوا فيها كما سنوضح ذلك عندما نتناول موقف اليهود •

ومن المؤسف حقا أن هيئة الأمم لم تتشدد مع اليهود الذين اغتالوا وسيطها برنادوت ولم تطالب بإجراء التحقيق اللازم ودفح التعويض الواجب كما أنها لم تفرض على اليهود أية عقوبات لعدم تنفيذهم مقرراتها وعدم إذعانهم لتعليماتها وهكذا شجعت الهيئة الدولية اليهود على المضي في جريمة اغتصاب فلسطين والتنكر لحقوق اللاجئين ونقض العهود والمواثيق ، والعدوان المستمر على الدول العربية المجاورة •

ولو أن الهيئة اتخذت مع اليهود موقف الحزم مرة واحدة ، وأرغمتهم على أن يردوا ما اغتصبوا ، ويرجعوا إلى الحدود التي كانوا واقفين عندها

ويعيدوا البلاد والمساحات التي استولوا عليها ظلما لتغير الموقف ولما
تمادت إسرائيل في عدوانها •

وجهة نظرنا

لقد ثبت للعالم أجمع أن هيئة الأمم تساهلت مع إسرائيل ، وأن
تساهلها معها قد شجع إسرائيل كل التشجيع على التناكر أولا لقرارات
الهيئة ، وثانيا على استغلال الهدنة حيث كان العرب يحترمون الهدنة
فلا يردون على عدوان إسرائيل وهي تغتصب قرى ومدنا ومساحات
جديدة لا حق لها فيها •

وكانت وجهة نظر العرب في ذلك احترام قرارات هيئة الأمم ونظرتهم
إليها كقوة رادعة تفرض الحق ، وتمنع الظلم ، وتقاوم العدوان وتؤكد
وجودها واحترامها ، وتحترم قراراتها • وتعاقب من يتمرّد عليها •

ومن المؤسف أن موقف الهيئة من إسرائيل بالذات كان موقفا شادا
فريدا في نوعه ولقد فسره الناس جميعا على أنه موقف ممالئ لإسرائيل
ومتحيز لها •

ولقد دفع هذا الموقف الشعر إلى الثورة على هيئة الأمم ووسيطها
ومجلس أمنها ولجانها التي نحرت العدل وأودت الحق وشجعت الظلم ،
ووقفت إلى جوار العدوان •

ولو أن الدول العربية هي التي اعتدت على إسرائيل واحتلت مدنا
وبلادا منها وأعدت إلى العرب أرضهم لوقفت الهيئة منهم موقفا آخر
يختلف تمام الاختلاف عن موقفها من إسرائيل •

موقف عرب فلسطين

وقف عرب فلسطين بعد المأساة أصعب موقف وقفه شعب رأى وطنه يغتصب ، ودياره تنتهب ومساكنه تهود ، وتمحى آثار عروبته وإسلامها ووجد نفسه يتطاير كالشرر ، ويتبعثر كالحب ، ويتناثر كالفتات ، ويهيم على وجهه تحت كل كوكب ، وبيته في العراء ، ويتشرد في الآفاق . رأى هذا فهاله ما رأى ، وكأنما كان في حلم أفاق منه فأدمت الجراح قلوب أبنائه . وأفقدتهم عقولهم ، وعصفت بإيمانهم بالمثل والقيم وتساءلوا في دهشة أفي الدنيا عدل وحق ؟ أفيها ضمير حي ؟ وجاء الجواب سريعاً بأن الضمير العالمي قد طال رقاده ، وأن العدل قد عز وجوده ، وأن هناك شيئاً جديداً في قاموس السياسة يسمى « الأمر الواقع » أمات الضمير ، وقتل العدالة . وأدمت المأساة قلب كل فلسطيني وأفقدته لبه ، ونزعت ثقته بالهيئة الدولية والمنظمات المنبثقة عنها ومن الحق والعدل ومن الدول والحكومات والملوك والحكام والرؤساء والزعماء وكادت تنتزع منه ثقته بنفسه وتؤدي به إلى الكفر بالقيم والتنكر للمبادئ والتمرد على الحياة .

يا للهول . شعب يجلى عن دياره ، ويهيم على وجهه ، الجوع يطارده ، والضياع يهدده والشقاء يلاحقه ، والموت يتخطف أفراده ، ويزيد من شقائه ، ويضاعف من مأساته أن يتهمه — في بعض الأقطار الشقيقة — أخوة أعزاء له بأنه فر من بلاده ، وهرب من المعركة ولاذ بالنجاة . وأنه فرط في وطنه ، وقصر في حقه ولو كان شعباً شجاعاً لظل في بلاده ومقاتل فيما انتصر وإما فنى ففتضاعف جراحه ، ويتزايد نزيغها لأن هؤلاء الأشقاء الأعزاء نسوا ماضيه الزاخر بصفحات البطولة في خلال ثلاثين سنة حارب فيها الفلسطينيون اليهود والانجليز وقدموا أجل الضحايا والتضحيات قبل المأساة ، وفي أثنائها ، وبعد وقوعها أجل لقد

قدمت فلسطين في ثوراتها المتتالية ضد الانجليز والصهيونية مائة ألف شهيد رطبوا بدمائهم الزكية الأرض المقدسة التي باركها الله .

لقد اتهم أبناء فلسطين بعد المأساة كما اتهموا قبل المأساة . اتهموا قبل المأساة بأنهم باعوا أرضهم لليهود تحت إغراء المال . وقد دحضنا هذه التهمة عنهم بما أوردناه من أرقام ناطقة ، وإحصائيات دقيقة عن مقدار ما حصل عليه اليهود من أرض فلسطين ، والطرق التي حصلوا بها على هذا المقدار واتهموا بعد المأساة بأنهم فروا من بلادهم وهاجروا منها ، وتركوها لليهود نجاة بأنفسهم ، وهربا من الجهاد .

وهذه تهمة باطلة من أساسها لا ظل لها من الحقيقة ذلك أن عرب فلسطين ثاروا على قرار التقسيم الصادر في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وخاضوا عدة معارك مع اليهود في الفترة الواقعة بين قرار التقسيم ودخول الجيوش العربية إلى فلسطين في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وهي فترة تمتد ستة أشهر تقريبا وقد انتصروا في معظم هذه المعارك وكبدوا اليهود خسائر فادحة وحين دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين أقصت أهلها عن المعركة ، وأبعدتهم عن القتال وتولت هي منازل اليهود بجيوشها المدربة ، وأسلحتها الحديثة .

ولقد ارتكبت الدول العربية يومئذ خطأ كبيرا باقصائها أبناء فلسطين عن المعركة ، وعدم الاستفادة من خبراتهم السابقة . وسنذكر عند تناولنا لأسباب المأساة أن من أسبابها إبعاد أهل فلسطين عن المعركة واقصاؤهم عن القتال الناشب في فلسطين وهم الذين يعرفون شعابها ووهابها ، وطبيعة أرضها .

ونقرر هذا مرة أخرى دفاعا عن الحق لوجه الحق ، ودحضا لفرية ظالمة روج لها المستعمر لبيذر العداوة بين أبناء الأمة العربية الواحدة . يريدون أن يفرقوا بين الأخوة ويأبى الله إلا أن يجمع بين قلوبهم ولو كره الحاقدون .

وجلا الانجليز عن فلسطين دون أن يؤلفوا فيها حكومة عربية وطنية تحفظ الأمن ، وتوطد النظام ، ودخلت الجيوش العربية السبعة حدود فلسطين دون أن تتلافى الخطأ ، وتصلح الفاسد وتؤلف هيئة أو حكومة فلسطينية تقر النظام ، وتدبر الأمور وتقدم العون والمساعدة للجيوش العربية والحكومات •

ولقد كان من سوء حظ شعب فلسطين أن المأساة حدثت والخلاف حاد بين الدول العربية والانقسام يمزق وحدة العرب ، والخلاف بين الرؤساء والزعماء ينخر العظام والجامعة العربية — تبعا لانقسام أعضائها — مهيضة الجناح فاقدة القوة •

حكومة عموم فلسطين

وعلى الرغم من حالة الجامعة فإن لجنتها السياسية كانت قد قررت إقامة إدارة فلسطينية في المناطق المحتلة من قبل الجيوش العربية لتكون بمثابة حكومة عربية ، ولتكون أيضا رداً على ما فعله اليهود الذين أعلنوا قيام دولتهم في الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ وكان ذلك في أثناء الهدنة الأولى • ولكن حكومة الأردن أعلنت رفضها قرار اللجنة السياسية وعادت اللجنة السياسية وبحثت القرار مرة ثانية في سبتمبر سنة ١٩٤٨ ووافقت جميع الحكومات العربية — ما عدا حكومة الأردن — على إقامة حكومة فلسطينية • وتفاديا لاستحكام الخلاف والشقاق بين دول الجامعة ، ورغبة في رأب الصدع توقفت الجامعة عن إنشاء الحكومة واكتفت بإقرار مشروعية تأليفها ، وبأنها حق طبيعي لأهل فلسطين فإذا كونوها اعترفت بها الحكومات وساعدتها ماديا وأديبا واغتنم أهل فلسطين هذه الفرصة وكونوا فعلا حكومة فلسطينية في غزة في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ وسموها حكومة عموم فلسطين •

وتألفت من السادة أحمد حلمي رئيساً وجمال الحسيني وعوني عبد الهادي وأكرم زعيتر والدكتور حسين الخالدي وعلى حسنة وميشيل

ابكاربوس ويوسف صهيون وأمين عقل أعضاء ولإضفاء الصفة الشرعية الدستورية على هذه الحكومة دعى مجلس وطنى مكون من مائة وخمسين عضواً يمثلون مناطق فلسطين وانعقد المجلس برياسة السيد محمد أمين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا وأذاع فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ قراراً تاريخياً أعلن فيه استقلال فلسطين بحدودها التى عرفت أيام الانتداب استقلالاً تاماً وإقامة دولة حرة ديمقراطية ذات سيادة وأبلغ رئيس هذه الحكومة نبأ تأليفها إلى الحكومات العربية وإلى الأمين العام للجامعة .

ضم الضفة الغربية من فلسطين للأردن

ولم تكده حكومة الأردن تعلم نبأ قيام هذه الحكومة حتى ثارت عليها ثورة عارمة ، وتضاعف سخط ملك الأردن يومئذ — الملك عبد الله — وعقد فى عمان مؤتمر برياسة الشيخ سليمان التاجى قرر بطلان شرعية العمل الذى تم فى غزة وكان عقد هذا المؤتمر فى نفس اليوم الذى عقد فيه المجلس الوطنى بغزة وأعلن إقامة حكومة فلسطينية وهو أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤٨ عقد مؤتمر ثان فى مدينة أريحا برياسة الشيخ محمد على الجعبرى رئيس بلدية الخليل أعلن وحدة الأراضي الفلسطينية والأردنية ، وقرر مبايعة الملك عبد الله ملكاً على فلسطين ورفعت القرارات لجلالته فنقبلها شاكرأً مغتبطاً وأبلغها إلى الحكومات العربية وإلى أمانة الجامعة .

وفى ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٠ قرر الملك عبد الله ضم القسم العربى من فلسطين إلى الأردن ، وأعلن توحيد الضفتين الشرقية « الأردن » والغربية « الجزء الباقى من فلسطين » وتمثيلهما على قدم المساواة فى مجلس الأمة الأردنى .

وفي ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٠ أعلنت بريطانيا اعترافها بضم الضفة الغربية للأردن •

وقد أثار هذا الضم في نفوس أبناء فلسطين الذين يعيشون في قطاع غزة والأقطار العربية موجة من الاستياء والغضب لأن ملك الأردن استغل هذه الظروف القاسية ، واتخذ من إعلان حكومة فلسطينية في غزة ذريعة لتحقيق حلم قديم من أحلامه وهو ضم فلسطين إلى مملكته لتتسع رقعتها ، وتنتسح جوانبها ، ويتضاعف عدد أفراد رعاياه • وتتوحد دعائم ملكه •

كما أثار موجة غضب وسخط في الحكومات العربية وفي الجامعة العربية وأثار أعنف موجة سخط في أبناء الشعوب العربية الذين أعلنوا سخطهم على ملك الأردن وحكومته •

وشارت ثورة الشعر على ملك الأردن وعلى مؤتمر أريحا وعلى الأطماع والأهواء التي تتحين الفرص ، وتستغل الظروف •

قطاع غزة

وبعد ضم الضفة الغربية للأردن لم يبق بأيدي العرب من فلسطين إلا قطاع غزة ذلك الجزء الذي يحمل اسم فلسطين وتشرف عليه الحكومة المصرية • وقد احتفظت له بحقوقه السياسية ولسكانه بجنسيتهم الفلسطينية • وهي تبذل كل ما في وسعها ليسترد أبناء فلسطين وطنهم المنتصب وفي سبيل تحقيق هذه الغاية اهتمت بنشر التعليم في القطاع على اختلاف أنواعه ومراحله ونشر الخدمات الصحية والاجتماعية بين سكانه وإمداده بكل ما يحتاج وتحسين أحواله الاقتصادية والتجارية • وقد فتحت أبواب جامعاتها وكلياتها العملية والنظرية أمام أبنائه • وقدمت لهم كل التسهيلات اللازمة •

كفاح أبناء فلسطين بعد المأساة

وعلى الرغم من تشرّد أبناء فلسطين تحت كل كوكب ، وبِعشرتهم في كل قطر ، وقسوة الحياة عليهم فقد صبروا صبر الكرام على لغوب العيش وخطوب الزمن وشداد المحن • صبروا على الجوع وتحملوا كل الآلام دون أن يتسرب إليهم اليأس وما فتئوا يواصلون كفاحهم بكل الوسائل من أجل استعادة وطنهم •

شرحوا قضية بلادهم للعالم بما ألفوا من كتب ، وألقوا من خطب ، وأذاعوا من أحاديث ونشروا من مقالات وكلمات وأبحاث وبما اشتركوا فيه من مؤتمرات كمؤتمر الأطباء والمحامين والأدباء ، وبتدققهم على مناهل العلم والمعرفة في المعاهد والجامعات في الأقطار العربية والدول الغربية ، وبحصول الكثير منهم على أعلى الدرجات العلمية كالمجستير والدكتوراه وباختيارهم جوانب مأساة بلادهم موضوعات لرسائلهم العلمية • وإن أبناء فلسطين ليتحرقون شوقاً إلى اليوم الذي يريقون فيه دماءهم من أجل استعادة وطنهم ويعتبرونه أجمل أيامهم •

موقف اليهود

وقف اليهود في خلال حرب فلسطين وفي أثناء وقوع المأساة وبعد وقوعها موقف اللؤم والغدر والخيانة والعدوان ففى خلال حرب فلسطين وفي أثناء الهدنة ، واعتمادا منهم على تحيز هيئة الأمم لهم • نقضوا الهدنة ، واغتصبوا بلادا ومساحات وسفكوا الدماء ، وقتلوا الأبرياء • ولم تفرض عليهم عقوبة ولم يصدر ضدهم قرار •

تحذوا هيئة الأمم ، وتمردوا على قراراتها ، واغتالوا وسيطها برنادوت فلم تحرك ساكنا ، ولم تقف منهم موقفا حازما وعجب الناس من هيئة يقتل وسيطها ويذهب دمه هدرًا فلا تكترث ولا تهتم لأنه اغتيل بأيدي يهودية واغتيل مساعده أيضا وضاع دم الاثني رخيصة على أيدي العصابات اليهودية •

ولم يترك اليهود فرصة تسنح لهم دون أن يستولوا على مساحات جديدة من أرض فلسطين لم تكن لهم بموجب مشروع التقسيم • ودون أن يزيدوا من مساحة دولتهم ومن أرضها ولقد اغتصبوا كل فلسطين بعد ضم الضفة الغربية ما عدا قطاع غزة •

والخريطة رقم (٥) تبين كيف اغتصب اليهود كل فلسطين بما في تلك منطقة النقب المتاخمة لصحراء سيناء •

وقد ألعنا إلى أن اليهود سخروا من هيئة الأمم حين تقدموا بطلب عضويتها فطلبت منهم إقرارا باحترام توصياتها وقدموا لها هذا الإقرار ثم تنكروا له في نفس اليوم بعد أن أصبحت دولتهم عضوا في المنظمة الدولية •

إذ أنهم بعد أن وافقوا على مباحثات لجنة التوفيق في لوازن الخاصة

ومنذ وقوع المأساة سنة ١٩٤٨ إلى نهاية سنة ١٩٥٥ وهى السنة التى وقفنا عندها فى بحثنا هذا قام اليهود بسلسلة من الاعتداءات المتكررة على العرب ناقضين بذلك العهد والمواثيق ومنتكرين لمبادئ هيئة الأمم .

فقد حاولوا تجفيف بحيرة الحولة فى المنطقة المجردة من السلاح وأنذروا سكانها العرب بمغادرة منازلهم فيها ولما رفض السكان إنذارهم هدموا المنازل واعتقلوهم واحتلوا المنطقة واشتبكوا مع القوات السورية فى معركة تقدمت سورية على أثرها بشكوى إلى مجلس الأمن حيث أمر بإيقاف عملية تجفيف البحيرة ، وإعادة السكان وكان ذلك فى أبريل ومايو سنة ١٩٥١ .

وفى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٣ فاجأت كتيبة من الجيش الإسرائيلى أهل قرية (قبية) العربية بالقرب من مدينة (رام الله) بهجوم غادر وأهل القرية نائمون ، وأمطرتهم بنيران مدافعها ، ونسفت منازلهم وأسفر هذا الهجوم الغادر عن استشهاد ٧٠ عربيا من أهل القرية وأثار هذا العدوان الوحشى ثائرة الرأى العام العربى ، فاجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية فى عمان ، وزار أعضاؤها القرية مواسين وحققت لجنة الهدنة الحادث ، وأخطرت به مجلس الأمن فأصدر قرارا بتوجيه اللوم إلى إسرائيل . دون أن يفرض عليها التعويض الواجب عن الخسائر فى الأرواح والأموال .

وفى فبراير سنة ١٩٥٥ شن اليهود هجوما غادرا على مدينة غزة نتج عنه استشهاد ٤٠ عربيا ، وحققت لجنة الهدنة الحادث وعرضت نتائج تحقيقها على مجلس الأمن فأصدر قرارا بتوجيه اللوم إلى إسرائيل للمرة الثانية دون أن يلزمها بتعويضات عن الضحايا والممتلكات وعلى أثر ذلك صدرت الأوامر للجيش المصرى برد كل عدوان يهودى دون انتظار تحقيق لجان الهدنة أو قرار مجلس الأمن .

موقف الحكومات العربية

قلنا إن حرب فلسطين كانت مهزلة حيث خدعت الحكومات العربية القائمة يومئذ شعوبها فحجبت عنها حقائق الحرب وأخفت عنها واقع الأمر وأذاعت البلاغات الحربية الكاذبة والبيانات السياسية المزيفة لتضلل الشعوب وغررت هذه الحكومات بالجيوش فلم تمدها بالأسلحة الكافية ولم تقدر المعركة التقدير الحربى الصحيح ، وكان وزراء الحربية يديرون حرب فلسطين ويصدرون الأوامر وهم فى عواصم بلادهم دون أن يشاهدوا سير القتال على الطبيعة •

وقد خضعت هذه الحكومات لتهديد بريطانيا ودول الغرب الضالعة مع إسرائيل فقبلت الهدنة الأولى التى كان قبولها خطأ لا يغتفر أملتة روح الضعف والخنوع والخوف الذى لا مبرر له •

واعتمدت الحكومات على هيئة الأمم وأجهزتها ولجانها المختلفة فاكتفت بتقديم الشكاوى لها كلما خرق اليهود الهدنة ، وقاموا بعدوان جديد واغتصبوا مساحات جديدة من أرض فلسطين دون أن ترد على العدوان بمثله بعد اتضاح موقف هيئة الأمم ومجلس أمنها من هذه الشكاوى موقف التحيز لباطل اليهود وخذلان حق العرب •

ولو أن الحكومات العربية ردت على العدوان اليهودى بالقوة المسلحة ولم تنتظر رأى مجلس الأمن أو هيئة الأمم لوقفت إسرائيل عند حدها ، ولما اعتدت على غيرها ، ولكنها استمرأت العدوان حين رأت أن الحكومات العربية ترد عليه برفع الشكاوى إلى المنظمة الدولية وأجهزتها •

ولقد سادت روح الفرقة والانقسام هذه الحكومات بعد الهدنة الأولى فتصدعت وحدتها ، وتداعى تضامنها ، وتعددت قياداتها •

وكانت بعض هذه الحكومات خاضعة للاستعمار لتنفيذ رغباته وتحقيق أطماعه ، وتسير حسب أهوائه لأنها تستمد قوتها منه ، وترتبط به ، وتعتمد في أوضاعها عليه وقد أشرنا من قبل إلى مواقف هذه الحكومات •

وقد خذلت هذه الحكومات الجيش المصرى فى معركة النقب خذلانا واضحا ، وتخلت عن مساعدته ، ووقفت من المعركة الدائرة بينه وبين اليهود موقفا مشينا كما وقفت الموقف نفسه من القوات المصرية التى حوصرت فى الفالوجة على الرغم من طول أمد الحصار •

وبالإجمال كان موقف الحكومات العربية موقفاً مزريراً ضعيفاً ذليلاً مخيباً لآمال الشعوب ، ومناقضاً لما أذاعته من بيانات تؤكد وقوفها إلى جوار هذه الشعوب • كان موقف الحكومات قوياً فى البيانات والتصريحات واتخاذ القرارات والأساليب المشرقة والأقوال المنمقة ضعيفاً فى المجال العسكرى والعمل الجدى فى ميادين القتال •

وعلى الرغم من موقف الحكومات العربية الضعيف فإن موقف الجيوش العربية التى خاضت غمار الحرب فى فلسطين موقف رائع مجيد فقد أبدى الضباط والجنود فى هذه الجيوش ضروب البطولة ، وأذاقوا اليهود مر الهزائم ، وقدموا آلاف الشهداء • وانتصروا فى كثير من المعارك • وحتى الجيوش التى كانت تتلقى أوامرها من الحكومات الموالية للاستعمار كانت تتحرق شوقاً للقتال وتتمنى أن تتاح لها الفرصة للاستيلاء مع اليهود فى معارك مسلحة •

على أن العدل يملئ علينا أن ننوه بما أبداه الجيش المصرى فى معارك دير سنيد والدنقور وعراق المنشية والفالوجة والنقب عامة وقد كتب ذلك الجيش بدماء شهدائه ، وشجاعة أبنائه سطوراً من البطولة والتضحية •

موقفُ الشعوبِ العربيَّةِ

اختلف موقف الشعوب عن موقف الحكومات ومن الانصاف والعدالة أن نعترف بفضل الشعوب العربيَّة وأثرها البارز في حرب فلسطين فهي التي دفعت حكوماتها للتدخل العسكري أنقازا لفلسطين بعد الأحداث الدامية التي حدثت فيها على أثر قرار التقسيم .

فقد جاء في قرار اللجنة السياسية للجامعة العربية في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٧ : « أن الحكومات العربية لن تستطيع كبت شعور شعوبها الثائرة المطالبة بإنقاذ فلسطين بالسلاح » .

كما أن قرار اللجنة نفسها في ١١ أبريل سنة ١٩٤٨ : « جعل زحف الجيوش العربية إلى فلسطين تلبية من الحكومات العربية للرأى العام العربي » .

وفي اجتماع اللجنة في القاهرة في ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ الذي شهد رؤساء وزارات الدول العربية أذاع الرؤساء بياناً جاء فيه : « أن حكومات دول الجامعة العربية تقف صفا واحدا في جانب شعوبها في نضالها لتدفع الظلم عن إخوانهم عرب فلسطين ، وأن هؤلاء الرؤساء قرروا عملاً بإرادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير ما هو كفيلاً — بعبون الله — باحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب » .

الشعوب هي التي دفعت الحكومات للتدخل العسكري . والشعوب هي التي تطوعت قبل دخول الجيوش العربية للحرب في فلسطين وتتراحم أبناءها على مراكز التطوع في الحواضر العربية وكل فرد يتمنى أن يقاتل ويجاهد في فلسطين .

والشعوب هي التي كانت تشعل في الجنود المسافرين للقتال في فلسطين الحماسة والقوة ، بما تودعهم به من هتافات •

وهي التي كان يغمرها الفرح كلما أنقذت الجيوش مدينة عربية أو دكت مستعمرة يهودية ، أو تقدمت نحو تل أبيب ، ويعتصرها الأسي كلما تقهقر جيش ، أو انسحب من موقع •

ولطالما تحلق أبناء الشعب في خلال حرب فلسطين حول المذيع ، وأصعوا باهتمام الى البلاغات الحربية التي كانت تذيعها الحكومات يومئذ معلنة فيها تقدم هذه الجيوش ، واستيلاءها على مستعمرات العدو ودك حصونه •

كان موقف الشعوب موقف الظهير القوي للحكومات إن أقدمت ووقفت المواقف المشرفة ، وموقف الساخط الناقم عليها إن جبت وتقاعدت •

كان موقف الشعوب قوياً مشرفاً يريد من الحكومات والدول الثبات في المعركة ، والنصر على الأعداء • وكانت الشعوب مستعدة في سبيل ذلك أن تريق دماءها وتقدم أرواحها •

ولطالما هتفت الشعوب بحكوماتها ، وتظاهر أبنائها ، وطالبوا الحكومات بالمضي في القتال ورفض الهدنة الأولى • ولكن هذه الهتافات ضاعت سدى •

لو أن الشعوب هي التي أدارت حرب فلسطين لتغيرت النتائج ، ولو نفذت الحكومات العربية مطالب شعوبها يومئذ لما وقعت المأساة •

دور المرأة الفلسطينية في الكفاح

بعد المأساة

نوهنا في القسم الأول من البحث بموقف المرأة الفلسطينية من محنة بلادها قبل المأساة • وقد ظل هذا موقفها بعد المأساة • احتملت مع الرجل قسوة الحياة وذل الضياع والتشرد ، وألم الجوع والحرمان ، وصبرت على الأهوال والفواجع في الخيام السود والكهوف والأودية •

واحتملت فقد القرين وفلذة الكبد والأشقاء والأحباب الذين قدموا أرواحهم لفلسطين •

ولقد كافحت المرأة الفلسطينية بعد المأساة جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل فلم تقنع بإثارة حماسة المجاهدين وتزويدهم بالطعام ، ونقل المصابين في المعارك وإسعاف الجرحى ، وتضميد جراحهم بل حملت السلاح وشهدت المعارك ، وسقطت في ساحة الشرف والبطولة • لقد استشهدت من سيدات فلسطين المئات وبحسبي أن أشير إلى اللائي رمين بالرصاص في مجزرة دير ياسين من نساء القرية الحوامل والمرضعات ومدرسة المدرسة حياة بلاسه واللائي استشهدن في مجزرة ناصر الدين وقبيصة وغيرها •

وأقبلت فتيات فلسطين اللاجئات بعد المأساة على منابع العلم والمعرفة يخرفن منها وأصبح منهن الطبييات والمهندسات والمحاميات والمدرسات واشتركن في المؤتمرات النسائية التي عقدت في الرطن العربي والعواصم الأجنبية ، وأنشأن الجمعيات والاتحادات والروابط السياسية والاجتماعية والثقافية ودافعن عن بلادهن ، وشرحن قضيتها ، وأطلعن العالم على عدالتها • وغدت اللاجئات في نفوس أبنائهن الحقد على من اغتصبوا فلسطين وأضرمن الثأر في قلوبهم ليثأروا للآباء والأجداد الذين سقطوا

على شرى فلسطين وتألقت في سماء الفكر والأدب نجمات لامعات من نساء فلسطين في ميادين الشعر والقصة والمقالة والبحث وبحسبى أن أثنسبير الى فدوى طوقان ودعد الكياللى وسلمى الخضراء الجبوسى وسميرة أبى غزالة وسميرة عزام وفايرة عبد المجيد •

وقد استوحت شواعر فلسطين وكاتباتها مأساة بلادهن بأقسوى قصائد الشعر وأبلغ مقالات النثر بالإضافة الى الشواعر الملائى فجرت فيهن المأساة الشعر وأنطقتهن بالقصيد •

وتتحرق فتيات المأساة كفتيانها شوقا الى يوم العودة المشرق الذى يقدمن فيه لفلسطين دماءهن ، ويعتبرنه أسعد الأيام •

أَسْبَابُ الْمَآسَاءِ

لماذا سارت بنا الأحداث الى هذه النهاية المفجعة ؟ ولماذا خسرنا حرب فلسطين ؟ وما الأسباب التي أدت الى وقوع المأساة ؟ نجيب عن هذه الأسئلة بايجاز يتفق مع منهجنا في هذا البحث لأن مجال القول فيها رحب من جهة ، ولأن الكتب التي ألفت في تاريخ فلسطين أسهبت فيها من جهة أخرى (١) .

ونتناول أهم هذه الأسباب في نظرنا ونقسمها الى طائفتين **خارجية** لانحمل — نحن العرب — تبعاتها ، و**داخلية** تقع تبعاتها على كواهلنا فمن الأسباب الخارجية .

أولاً : اتفاق أهداف الاستعمار البريطاني وأطماعه مع الأطماع الصهيونية في فلسطين ، واتخاذها من إقامة إسرائيل نقطة ارتكاز له في المنطقة العربية .

ثانياً : وقوف بريطانيا وأمريكا الى جانب اليهود منذ الحرب العالمية الأولى وعظفهما على أمانهم ، وتقديم كل المساعدات إليهم قبل المأساة وبعدها وقد بينا في ثنايا عرضنا التاريخي موقف الدولتين المتحيز الى جانب اليهود وعملهما على تحقيق فكرة الوطن القومي منذ فجر القرن العشرين .

وقد بلغت المساعدات المالية التي قدمتها أمريكا لليهود من هبات وتبرعات وقروض في المدة الواقعة بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٢ ألفى مليون دولار (٢) . وقدمت بريطانيا لهم في خلال حرب فلسطين أسلحة وذخائر

(١) أثبتنا هذه الكتب في فهرس مصادر البحث .
(٢) أعلن ذلك المستر اندرسن وكيل وزارة التجارة في حكومة الرئيس ايزنهاور في ١٥ مارس سنة ١٩٥٢ .

ومواد حربية قيمتها خمسة ملايين من الجنيهات بحجة أنها مخلفات حربية •

وصرح مندوب الوكالة اليهودية في جريدة Palestine - Post التي تصدر في القدس بالانجليزية « بأن نواة الطيران اليهودى كانت ٥٠ طياراً تدربوا في فرقة سلاح الجو الملكى البريطانى » •

ثالثاً : الحالة الدولية العامة أو التيارات السياسية التى هبت في اتجاه مضاد للعرب ، وظهر هذا في هيئة الأمم ومجلس الأمن واللجان التى أوفدتها المنظمة الدولية للتحقيق في المشكلة ، وبحسبنا أن نشير الى مثل واحد وهو اتفاق الكتلة الشيوعية مع الكتلة الرأسمالية على مشروع التقسيم • ومن الأسباب الداخلية :

أولاً : عدم الاستعداد الكامل لهذه الحرب فمنذ سنة ١٩٤٥ والأفق السياسى ملبد بالغيوم ، والجو يندثر بهبوب العاصفة ونشوب المعركة بين العرب واليهود وكان في وسع الدول العربية أن تستعد للحرب قبل عامين من نشوبها ولكنها لم تفعل شيئاً •

ثانياً : عدم التعبئة العامة لقوى الأمة العربية في النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية ، والاكتفاء بالتعبئة الجزئية حيث لم تستخدم الدول العربية إلا جانباً ضئيلاً من مواردها وإمكاناتها ، ولم ترسل الى ميادين القتال إلا عدداً يسيراً من قواتها المسلحة ولم تأخذ الحرب مأخذ الجد حيث لم تختلف طبيعة الحياة في الدول العربية في خلال الحرب عما كانت عليه قبلها ولم تشعر الشعوب العربية أنها تعيش في ظروف حربية غير عادية •

ثالثاً : عدم توحيد قيادة الجيوش العربية فلقد كان للجيش المصرى قائد خاص وللجيش العراقى قائد ثان وهكذا في بقية الجيوش •

رابعاً : عدم تقدير ظروف البلاد العربية المرتبطة مع بريطانيا بمعاهدات والتي يتولى البريطانيون فيها مقاليد الأمور وعجيب جداً

أن تسند قيادة الجيوش للملك عبد الله ملك الأردن وفي إسنادها إليه يومئذ تجاهل تام لحقيقة واضحة هي أن الجنرال جلوب الانجليزي هو القائد الفعلى للجيش الأردنى وأن من المحال على جلوب أن يواجه الحرب الى الأهداف العربية لأنه إنجليزي ينفذ رغبة حكومته •

خامساً : إقصاء أبناء فلسطين عن الحرب ، وإبعادهم عمداً عن الاشتراك فيها إرضاء لبريطانيا مع أن مجلس الجامعة العربية المنعقد في لبنان في أكتوبر سنة ١٩٤٧ كان قد وافق يومئذ على تقرير للخبراء العسكريين يحتم أن يكون عرب فلسطين في وضع عسكري مماثل لليهود من حيث تسليحهم وتدريبهم ، وتحصين مدنهم وقراهم ، وأن يكونوا هم الأساس في الدفاع عن بلادهم لأنهم أعرف بمواقعها وطرقها ومسالكها ، ولأنهم أشد تصميمياً واستماتة في الذود عن أهلهم وديارهم وأموالهم • ولكن بريطانيا اعترضت على تسليح عرب فلسطين وتدريبهم ، وقدمت مذكرة للدول العربية وصفت فيها تسليح الفلسطينيين بأنه Unfriendly - Act أى عمل غير ودى •

سادساً : عدم تكوين حكومة تمثل فلسطين قبل دخول الجيوش العربية ، وتنظيم أبناء فلسطين وتدير شؤون البلاد وتحفظ الأمن والنظام وتقدم للجيوش العربية العون والنصح •

ومن المؤسف أن فلسطين ظلت بعد سبعة أعوام من وقوع المأساة بلا حكومة تضطلع بشؤون أبنائها بعد تشردهم وضياعهم ، وترعى مصالحهم وتدفع عنهم عاديات الزمن ، واكتفت الجامعة العربية بأن يمثل السيد أحمد حلمى فلسطين في مجلس الجامعة بصفته رئيساً لحكومة عموم فلسطين التي لم يكن لها في الواقع أى سلطة •

سابعاً : ضعف بنية الأمة العربية بسبب ما أصابها من ضعف في إيمانها وأخلاقها ، وما سيطر عليها من عصبية إقليمية وطاقافية وقبلية

وأسرية ، وفقدانها السيادة القومية مدة طويلة ، والتجزئة التي جعلت منها دولا عديدة ، وسيطرة الرجعية والارتجالية على أنظمتها وأساليب الحكم فيها (١) .

ثامناً : تصدع وحدة الدول العربية ، وسيطرة الاستعمار على بعض حكامها .

تاسعاً : الهدنة الأولى وقد أفضنا في الحديث عنها .

عاشراً : خلل الأجهزة في الدول العربية وفساد نظمها وأوضاعها السياسية والاقتصادية والفكرية .

(١) اكرم زعبيتر — القضية الفلسطينية ص ٢٨٤ .

سبيل الحل

بعد هذه الأسباب التي أوردناها والتي نرى أنها أهم أسباب المأساة نتجه للحل ونتلمس السبل المؤدية لاستعادتنا فلسطين واستردادنا حقنا .

إن الدرس الذي تعلمناه من المأساة كان قاسيا ، وإنما في الحقيقة خدعنا وغرر بنا وكنا ضحايا الأطماع والأهواء . وقد كشفت لنا المأساة عن أخطائنا ومن الخطأ يتعلم الإنسان الصواب وفي وسعنا أن نتلافى الأخطاء ونتجنب مواطن الزلل .

إن الحرب بيننا وبين إسرائيل لم تنته ، وإنما لن نعقد معها صلحا ولن نعترف باغتصابها هذه البقعة العزيزة من الوطن العربي ، ولا تزال الحرب الاقتصادية بيننا وبينها قائمة وقد أدى الحصار الاقتصادي العربي على إسرائيل الى نتائج طيبة .

لن نعقد صلحا مع إسرائيل . ولن ينتهي عنها الحصار الاقتصادي ، ولن نقر اغتصابها فلسطين ، ولا بد لنا من جولة ثانية معها نسترد ما اغتصبت ونعيد ما سلبت ونثار لشهدائنا ، ونستعيد فلسطيننا وإن أسباب النصر في الجولة الثانية متوافرة لدينا .

فنحن على حق اذ أخذت منا فلسطين ظلما وعدوانا نحن على حق ندافع عنه ، ونموت في سبيله ، وأعداؤنا على باطل لأنهم اغتصبوا وطننا ، وطرردوا شعبا ، ولن يثبت الباطل أمام الحق .

ونحن متفوقون على أعدائنا في كل وسائل القوة نحن مائة مليون عربي نحيط بإسرائيل من كل جانب ، ونكون في وطننا الكبير وحدة اقتصادية الى جانب وحدتنا القومية وأرضنا خصبة ، وغنية بثرواتها

الزراعية والمعدنية وبما يتفجر فيها من بترول • وتجمع بيننا أقوى الروابط والصلات من اللغة والتاريخ ووحدة الكفاح ووحدة المصير ووحدة الهدف ولذلك ينبغي أن نحقق وحدتنا الشاملة وإلى أن نحقق هذه الوحدة تقوم فوراً بين الدول العربية وحدة فكرية عن طريق توحيد المناهج في مراحل الدراسة ، ووحدة عسكرية عن طريق توحيد الأسلحة والتدريب عليها والمناهج الحربية ، ووحدة اقتصادية عن طريق تنظيم الاقتصاد العربى ، ووحدة فى الشؤون الخارجية مع دول العالم لتكون سياسة الدول العربية الخارجية سياسة موحدة • وينبغى لنا أن نعبىء قوى الأمة العربية كلها ونعد أذهانها للمعركة الفاصلة بيننا وبين أعدائنا ومن يساندون أعدائنا من الدول الاستعمارية وأن ننشر الوعي ، ونشدد الهمم ونبنى حياتنا بناء جديداً بالقضاء على رواسب العصبية • عصبية الأسرة والبلد والمدينة ، والعصبية الطائفية والعنصرية والحزبية والإقليمية • وأن نطور اقتصادنا بما يتفق ومصالحنا ونطور نظمنا وقوانيننا التى وضعها المستعمر ولم تعد صالحة لحياتنا • ونضع التشريعات والقوانين التى تلائم ظروفنا ونطور برامج ومناهج التربية والتعليم ومواد الدراسة فى المعاهد والجامعات ونضع كل متخصص فى فرع من فروع المعرفة فى المكان الملائم ونقدر الكفاءات ، ونستفيد منها ، ونعرف لها حقها •

ونعنى بتعليم المرأة وتزويدها بالثقافة لتؤدى دورها على أكمل الوجوه وندرس تاريخ فلسطين قبل المأساة وبعدها ، وأخطار إسرائيل وأطماعها التوسعية ونشأة الصهيونية العالمية وأهدافها فى المرحلة الثانوية والجامعية وندرس نصوصاً من الأدب الذى خلقته فلسطين قبل النكبة وبعدها فى كليات الآداب بالجامعات العربية وأن ننظم أبناء فلسطين ونعدهم للمعركة المقبلة فهم الذين يغلى فى قلوبهم الحقد ، ويتلظى النار وهم الذين يتحرقون شوقاً لليوم الذى يثارون فيه ممن غضبوا وطنهم ، وشردهم فى الكهوف والأودية • وتنظيم أبناء فلسطين يحتم على الدول

العربية أن تكون فوراً من أبناء فلسطين جهازاً أو هيئة أو حكومة تمثلهم وترعى شؤونهم وتنظم صفوفهم ، وتتحدث باسمهم في المحافل الدولية وتبرز طاقات الشعب الفلسطيني وملاحح الشخصية الفلسطينية أمام إسرائيل وأمام دول العالم على أن تقدم الدول العربية لهذا الجهاز كل ما يحتاج إليه من عون مادي وأدبي على أن ينبثق من هذا الجهاز أربع لجان •

(أ) **لجنة للشؤون السياسية** : تتولى تمثيل فلسطين في المحافل الدولية والمؤتمرات السياسية ، وإنشاء المكاتب التي تدعو الحاجة لإنشائها في بعض العواصم •

(ب) **لجنة للشؤون الحربية** : تتولى مهمة إعداد أبناء فلسطين عسكرياً ليكونوا طليعة الكفاح العربي المسلح في استرداد بلادهم ، واستعادة وطنهم ولتكوين جيش منهم مزود بكل ما تزود به الجيوش من أسلحة ومعدات •

(ج) **لجنة للشؤون المالية** : تتولى جمع الأموال وتنظيم صرفها في النواحي السياسية والحربية والمجالات المختلفة •

(د) **لجنة للشؤون الثقافية** : تتولى الإشراف على وسائل الاعلام ، وأجهزته وتوجيهه ، وبرامج التعليم ومناهجه وخطه ، وتوصي هذه اللجنة بأن يدرس أبناء فلسطين في مدارسهم جغرافية فلسطين بحدودها في عهد الانتداب الانجليزي ونبدأ عن المدن والبلاد والمواقع ، ويدرسوا أيضاً تاريخ فلسطين قبل المأساة وبعدها والأدب الفلسطيني وأعلامه البارزين من الكتاب والشعراء ، ونصوصاً جيدة من الشعر الذي فجرته المأساة في نفوس أبناء فلسطين بخاصة وأبناء العروبة بعامه •

انتهى العرض التاريخي من البحث

تطورات وأحداث في العالم العربي

وقفنا بالعرض التاريخي لقضية فلسطين قبل المأساة وبعدها في القسمين الأول والثاني من هذا البحث عند ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٥ •

وقدمنا البحث للطبع في أول مايو سنة ١٩٦٣ • وفي خلال هذه السنوات الثمانية حدثت تطورات سياسية في العالم العربي كان لها أثر واضح في تقريب يوم عودة الشعب الفلسطيني الى أرضه ، واستعادة وطنه ، ونظرا لأهمية هذه الأحداث نوجزها فيما يلي :

١ — في أول يناير سنة ١٩٥٦ أعلن استقلال السودان وأصبح جمهورية •

٢ — في ٢ مارس سنة ١٩٥٦ اعترفت فرنسا باستقلال المغرب بعد عودة السلطان محمد الخامس من منفاه في مدغشقر •

وفي ٢٠ مارس سنة ١٩٥٦ اعترفت أيضا باستقلال تونس وإلغاء الحماية المفروضة عليها وانتخب الرئيس الحبيب بورقيبة أول رئيس لجمهورية تونس المستقلة •

وفي مارس سنة ١٩٦٢ اعترفت مرة ثالثة باستقلال الجزائر بعد سبع سنوات سطر فيها أبناء الجزائر في سجل الكفاح أعظم آيات البطولة والتضحية ، ورطبوا جبال الجزائر وأوديتها بدماء مليون من الشهداء ، منذ أعلنوا ثورتهم المسلحة في أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ وانتخب الرئيس أحمد بن بيلا أول رئيس لجمهورية الجزائر المستقلة وبذلك نالت دول شمال أفريقيا الثلاثة استقلالها الكامل •

٣ — وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٦ تعرضت مصر لعدوان مثلث غادر شنته عليها إسرائيل وبريطانيا وفرنسا على أثر تأميم مصر قناتها ووقفت مصر العربية تزد العدوان وأبدت بطولة فذة لفتت أنظار العالم ،

وخربت المدينة الباسلة بور سعيد أروع الأمثال في الثبات والمقاومة والتضحية ، ووقفت الأمة العربية كلها حكومات وشعوبا الى جوار مصر كما وقفت الدول المحبة للعدل والسلام الى جوارها ، وانتصرت مصر في هذه المعركة وردت الغزاة على أعقابهم بفضل قيادة البطل العربي الملمم الرئيس جمال عبد الناصر وموقفه البطولى الفذ من العدوان ، وتصميمه على القتال ، وانضواء الجيش والشعب تحت لوائه • وفى خلال هذه المعركة احتلت إسرائيل مدينتى غزة وخان يونس وقد قاومت المدينتان الاحتلال الاسرائيلى وقدمتا مئات الشهداء • وبعد استيلاء إسرائيل على قطاع غزة أرغمت على الجلاء عنه وعادت اليه الإدارة المصرية فى ٧ مارس سنة ١٩٥٧ •

وقد أثبت اليهود فى خلال احتلالهم لقطاع غزة لؤمهم ودناءتهم وتعطشهم للدماء ، وسفكهم دماء الأبرياء •

٤ — وفى أول فبراير سنة ١٩٥٨ أعلنت فى القاهرة اتفاقية الوحدة بين مصر وسورية حيث توحدت الدولتان فى دولة واحدة سميت الجمهورية العربية المتحدة ، وأقر الشعبان المصرى والسورى هذه الوحدة فى استفتاء تم فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٨ وانتخب الشعبان السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة وكانت خطوة عظيمة فى سبيل الوحدة الشاملة •

وفى أواخر سنة ١٩٦٢ حدث الانفصال وانفصلت سورية عن مصر وعادت كما كانت قبل الوحدة دولة عربية •

٥ — وفى سنة ١٩٥٨ حدث انقلاب فى العراق أطاح بالوصى على العرش وأعوانه وفى مقدمتهم نورى السعيد ، وأعلنت على أثره قيام الجمهورية العراقية •

٦ — وفى سنة ١٩٦١ اعترفت بريطانيا باستقلال دولة الكويت وأصبح الأمير عبد الله السالم الصباح أول رئيس لدولة الكويت المستقلة •

٧ — وفي أواخر سنة ١٩٦٢ حدث انقلاب في اليمن أطاح بالإمام
البدوي وبأعرانه وقضى على عهد الإمامة وقامت أول جمهورية يمنية برياسة
السيد عبد الله السلال •

وازدباد عدد الدول المستقلة من سبعة في ١٩٤٨ الى ثلاثة عشر في
سنة ١٩٦٣ ، وتحررها من سيطرة الأجنبي الغاصب ، وتدعيم استقلالها ،
وإصلاح الفساد من أوضاعها وتطوير نظمها الفكرية والسياسية
والاقتصادية والاجتماعية ، ومضاعفة عدد أفراد جيوشها ، واعتمادها على
نفسها في إمداد هذه الجيوش بكل ما تحتاج اليه من أسلحة في البر والبحر
والجـو ، وتدريب هذه الجيوش على أحدث النظم الحربية وبخاصة في
الجمهورية العربية المتحدة التي أصبح جيشها فخرا للعرب والعروبة بما
وصل اليه من قوة في البر والبحر والجـو ، كل أولئك من الأسباب والعوامل
التي تضمن للأمة العربية النصر على أعدائها في معركتها ضد الصهيونية
والاستعمار لاستعادة فلسطين وإبرازها للوجود دولة عربية مستقلة
تتضم الى شقيقاتها ، وتسهم معها في حمل رسالتها الإنسانية السامية في
خدمة الحضارة والحق والسلام •

الباب الثاني

موقف الشعر الحداثي من مأساة فلسطين

من ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٥

الفصل الأول

مأساة فلسطين في شعر أبنائها

الشعر الغنائي

الموضوعات الشعرية

قرار التقسيم - هيئة الأمم - مولد إسرائيل - حرب فلسطين

حضر على البذل وإشادة بالضحية والاستشهاد - المأساة

تصوير اللاجئين - أثر البعد عن الديار - الأمل في المستقبل

الأغاني والأناشيد

قرار النقسيم

نص للشاعر محمود الحوت (١)

قُلْ لِلأَلَى اتَّقُوا عَلَى تَمَزِيْقَهُمْ وَطَنَ الْجُدُودِ
إِن الْقَارَارَ سِيَمِّحِي بِدَمِ الشَّهِيدَةِ وَالشَّهِيدِ
وَلِيَشْهَدَ الْكَوْنُ السُّوْبِيَّ بِكُمْ عَلَى وَهَجِ النُّشُودِ
إِنَّا هُنَا حَتَّى يَقُولَ اللهُ لِلْغَابِرَاءِ مِيْدِي

(١) من قصيدة عنوانها « نحن هنا » جريدة الصريح الفلسطينية -

هَيْئَةُ الْأُمَمِ

النص الأول للشاعر محمد العدناني (١)

لحى الله مندوبَ الخنساء والجرانم
دَهانا بشرٍ راعفِ الحدِّ حاجم

فما « برنادوت » غيرُ عِلجِ ضَميرِهُ
يُبَاعُ ويشرى مثل باقى الأعاجم

بِزَاوَعٍ بِمِثْلِ الثَّعْلِبَانِ مفاوضاً
وتبَدُو حَوَاشِيَهُ كَجِلْدِ الأراقم

أرى مِنْ بنى عِزْرِيلِ فِيهِ نَمُودِجاً
مِن المَكْرِ مَصْفَرِّ اللُّوَا والمَعَالِمِ

(١) من قصيدة عنوانها « انقضوا الهدنة » قدم لها الشاعر بقوله :
« عقدت هدنة بين العرب واليهود مدتها أربعة أسابيع ابتداء من صباح
١٩٤٨/٦/١١ بعد أن ضغط أعضاء هيئة الأمم على العرب وأرغموهم على
القبول بها وساعدهم في ذلك زبانيتهم زعماء العرب آنذاك وكان رئيس لجنة
الهدنة والمشرف على تنفيذ قراراتها هو الكونت فولك برنادوت أحد أفراد
الأسرة المالكة السويدية وقد أثبت الواقع أنه كان العوبة بأيدي اليهود ،
ومنفذا لرغباتهم وكان يفض النظر عما قاموا به من أعمال فظيعة خرقوا بها
الهدنة الشوهاء فقلت نادبا ضمير مندوب هيئة الامم هذه القصيدة « ديوان
اللهيب ص ٩٧ .

النص الثاني للشاعر نفسه (١)

يا رعايدٍ يا غتَمَ
غادروا هيئة الأمم
كيف تخشون ويحكم
زُمرةً باعت الذمم
وغدا الحق عندها
باطلا جد مهتضم
إن من أضرم الوغى
نازل الموت واقتحم
ورأى المجند والعللا
في ظلال الردى الأسم

(١) من قصيدة عنوانها « غادروا هيئة الأمم » قدم لها بما يأتي « فرض مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم على العرب أن يوقفوا حربهم الطاحنة مع اليهود فاذعن زعمائنا وأوقفوا الحرب للمرة الثانية في ١٨/٨/١٩٤٨ وذلك رغما عن ارادة شعوبهم ورغما عن تصريحهم بأنهم لن يقبلوا الهدنة التي يخسرون بها كل شيء ويربح اليهود كل شيء فثارت نفسى وقلت هذه القصيدة » .

مولد إسرائيل

النص الأول للشاعر محمد العدناني (١)

أَجْهَضَتْ هَيْئَةَ الْأُمَمِ عِنْدَمَا بَاعَتِ الذَّمَمِ
جَهْضُهَا دَوْلَةَ الرَّبِّ وَالْمَوَاحِشِ وَالنَّقَمِ
جَيْشُهَا الْمَكْرُ وَالنِّسَا تَبْذُلُ الْعَرْضَ فِي الظُّلَمِ
تَحْسِبُ الْمَالَ أَنَّهُ يَخْلُقُ الْعِزَّ وَالشَّمَمِ
وَتَرَى فِيهِ فَخْرَهَا وَذُرَا مَجْدِهَا الْأَشْمَمِ
وَتَرَى الْخُلُقَ أَنَّهُ لَا يَسَاوِي سِوَى الْعَدَمِ
بِئْسَ وَاللَّهِ دَوْلَةَ لِلخَنَا تَرْفَعُ الْعَمَلَمِ
وَلِدَتْ أُمسَ مَيْتَةَ دَوْلَةَ الشَّرِّ وَالقَرَمِ
فَاشْهَدِي دَفْنَهَا غَدًا وَيَا هَيْئَةَ الْأُمَمِ

(١) من قصيدة عنوانها « الدولة اليهودية » قدم لها الشاعر بما يلي :
(تأخرت هيئة الأمم على العرب فأقرت في ٢٩/١١/١٩٤٧ . تقسيم فلسطين
العربية الى دولتين عربية صغيرة ويهودية كبيرة وقد ثبت للعرب أن عددا
كبيرا من ممثلي الدول الذين وافقوا على التقسيم قد رشاهم اليهود بمبالغ
طائلة) .

حَرْبُ فِلِسْطِينَ

نص للشاعر محمد العدناني (١)

فِيْءُذْنَتَهُ كَانَتْ عَلَى الْعُرْبِ نِقْمَةٌ
أَضَاعُوا بِهَا مَا شَيَّعُوا بِالْجَمَاجِمِ
وَنَالَ الْيَهُودُ الْجَائِعُونَ مِثْلَهُمْ
وَبَاتُوا كَأَن لَمْ يُخْذَلُوا فِي الْمَلْحَمِ
لَقَدْ نَكثُوا عَهْدًا فَنَازُوا وَأَيْسَرُوا
وَصَارُوا بِفَضْلِ الْخَيْلِ مِثْلَ الضَّرَاغِمِ
وَبَوَّأْنَا بِحِفْظِ الْعَهْدِ بِالشُّؤْمِ وَالْأَذَى
وَعَدْنَا جَمِيعًا خَيْرَ قُوْتٍ لِطَاعِمِ
فَمَا عَصَرْنَا عَصْرَ الشَّهَامَةِ وَالْوَفَا
وَلَا هُوَ عَصْرَ الْمَاجِدِينَ الْأَكَارِمِ
وَلَكِنَّهُ عَصْرَ الْخِيَانَةِ مَحْضَةً
وَكُلٌّ لِّئِيمٍ وَاهِنِ الْخُلُقِ غَاشِمِ

* * *

أَلَا يَا بُيُوتَ الْعُرْبِ نَقِضُوا لِهَدْنَةٍ
كَنَقِضُ عَصَابَاتِ الْيَهُودِ الْجَوَارِمِ

(١) من قصيدته السابقة « انقضوا الهدنة » والضمير يعود على برنادوت المشرف على تنفيذ الهدنة يومئذ . وترتيب البيت الخامس في القصيدة *

ولا تَنكأوا ما لمَّ من جُرْحِ قَلْبِنَا
لِكِيْ تَجْبُرُوا من بعد فعل المراهم

فإن جِرَاحَ القَلْبِ ليسَ يَلْمُهَا
سوى مَرهم يُدعى رصاص الدَّمَادم

نَبِيْدٌ به جُرْثومة الشَّرِّ في الوَرَى
فِيَقْنِي بنو صَهِيون سُلَّ العَسْوالم

ونجرح للسلام الحبيبة بعدها
لنَبْنِي المَعَالِي بالنَّدى والمكارم

خَضُّ عَلَى الْبَذْلِ وَإِثَادَةٌ بِالنُّضْحَةِ وَالْإِسْتِشْهَارِ

النص الأول للشاعر محمود الحوت (١)

لُغَةُ النَّارِ يَا حُمَاةَ الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَا يَنْطِقُونَ أَوْ يَفْهَمُونَ
فَابْعَثُوهَا جَهَنَّمَا فِي ضِرَاحِي قَلْعَةٍ لَنْ تَكُونَ يَوْمًا سَجِينَهُ
كَلِمَا اسْتَدَّتْ الضَّرُوسَ اسْتِعَارًا أَخْلَدُوا فِي مَذَاكَةِ الْمَسْكِينِهِ
مِثْلَمَا يَخْنَسُ الضَّرَّوَارِي إِذَا مَا جَاوَزَ اللَّيْثُ فِي الدَّوَاجِي عَرِيْنَهُ
تَلْكَ يَا فَا وَهَلْ تَبِيْتَنَّ إِلَّا خَلْفَ سُرٍّ مِنَ الشَّبَابِ أَمِينِهِ
لُغَةُ النَّارِ وَالْحَدِيدِ لِسَانٌ مَا دَرَى الْقَوْمَ أَنْكُمْ تَتَّقُنُونَهُ
عَلَّمَهُمْ دَرُوسَهُ فِي ثَبَاتٍ وَأَرَوْهُمْ ضُرُوبَهُ وَفَنُونَهُ
يَا شَبَابًا تَمَلَّكُوا هَامَةَ الْمَوْتِ وَرَاضُوا عَلَى الصَّعَابِ مَتُونَهُ

النص الثاني للشاعر أبي سلمى (٢)

سَيَرُوا عَلَى وَضَحِ النَّهَارِ فَالْحَقُّ مِنْ نَوْرِ وَنَارِ
تَأْتِي الْبَطُولَةَ أَنْ تَرَى أَبْنَاءَهَا خَلْفَ السُّبُورِ
الْحَاسِرُونَ رَعُوسَهُمْ يَوْمَ الْكَرْيَةِ وَالنَّفَارِ
الْحَاطِمُونَ قِيُودَهُمْ الثَّائِرُونَ عَلَى الْإِسَارِ

(١) من قصيدة عنوانها « تلك يافا » جريدة الدفاع الفلسطينية -

١٩٤٨/٢/١٥ .

(٢) من قصيدة عنوانها « نور ونار » ديوان المشرّد ص ٦٤ .

النَّاشِرُونَ قُلُوبَهُمْ
الراكونَ على رُبَا
قد وَحَّدتَهُمْ فِكْرَةٌ
إِيهِ فِلِسْطِينِ الجَرِيحِ
لا تَسْأَلِي المَسْتَعْمِرِينَ
يَأْيُهَا الشَّعْبُ النَبِيْلُ
أَنْتِ الذِي تَهْدِي السَّبِيْلُ
قَرَّرْ مَصْرِيكَ أَنْتِ
فوق الأَسِنَّةِ والشِّفَارِ
التَّارِيخِ أَعْلَامَ الفُخَارِ
مُثَلَى على بُعْدِ المَزَارِ
قَفِي على طَهْرِ الإِزَارِ
بَلْ أَسْأَلِي أَهْلَ الدِّيَارِ
أَمِنْتَ مِنْ شَرِّ العِثَارِ
مَنْ الِيمِينِ الِى المِيسَارِ
لا مَنْ يَبِصُّمُونِ على القَرَارِ

النص الثالث للشاعر محمود الحوت (١)

أَتَصَدَّحُ النَّارُ وَلَا نَصَدَّحُ
ويَلْعَبُ المَوْتُ وَلَا نَمْرَحُ
ويَهْتَفُ المَجْدُ وَيُرَوِّى الزَّمَنُ
ويَمْلَأُ الدُّنْيَا نَدَاءَ الوَطَنِ
وَنَحْنُ لَا نَرْمِي صُدُورَ المَحْنِ
وَلَا يِرَانَا فِي الوَرَى المَسْرَحِ

* * *

إِذَنْ مِنْ القَوْمِ الأَلَى أَطْبَقُوا ؟
مَنْ الأَلَى دَانَتْ رِقَابَ الوَرَى
لَهُمْ وَلَمْ تَنْدَكْ شَمَّ الذَّرَى ؟
أَيُّ بِلَادِ اللهِ لَمْ يَفْتَحُوا ؟

* * *

(١) من موشح عنوانه « روح الجهاد » - مجلة الميزان حيفا -

لنا فلسطين ولو مزقوا جوانب الأقصى ، فهل حققوا ؟
فقل لمن جاروا ومن أجمعوا
على ضلالٍ نحن لا نخضع
وكم وكم طاب لنا المرعُ وشاقنا صدرُ الوغى الأفيحُ

* * *

وهل ينامُ الجبلُ المثلهمُ ؟ والسَّهلُ يغفو والرُّشبا تحلمُ ؟
وفي حمى الدَّارِ غريبُ الدِّيارِ
كأنه يَطْلُبُ في الحى ثارِ
والعُربُ أبطالُ وغى وانتصارِ لم يقهروا يوماً ولم يكبحوا ؟

النص الرابع للشاعر محمد العدناني

زَعَرْدَى اليَوْمَ يَا جِنَانِ الْخُلُودِ
واهْتَفَى بِالنَّشِيدِ تِلْوَ النَّشِيدِ
واجْعَلِ النِّيرَاتِ فِي الْأَفْقِ يَوْقَعْنَ
لَحْنِ التَّرْحِيبِ بَابِنِ الصَّيِّدِ
جاء سَبِطُ الرِّسُولِ طَلَّقَ الْأَسَارِيرِ
مُحَاطاً بِهَيْئَةِ التَّمْجِيدِ
أرْحَصَ الرُّشُوحَ ذَائِداً عَنْ حَمَاهُ
بِحِصَالِ أَطَارِ لُبِّ الْيَهُودِ
شَقَّ لِلْقَسْطِ الْمُنِيعَةِ دَرَباً
عَبَّدَتْهُ عَزِيمَةُ الصَّنْدِيدِ
كان بَيْنَ الْعُدَاةِ لَيْثاً وَحِيداً
ورأوه في البطشِ غَيْرَ وَحِيدِ
(م ٢٧ — الشعر العربي الحديث)

فهو في جحفلٍ من العزم والإقدام
والبأس والجبلاد شديد

قد تلاشى الأبطالُ بين يديه
كتلاشى الأحلام بعد الهجود

وتهاووا كأنهم ورققات
فصَّ عنها الخريفُ ختم الهمود

وقضى النحْبُ مثخنا بجراح
بعد أن دكَّ كلَّ خصمٍ مرید

* * *

أيها القائدُ الذي لم يرعه
منجلُ الموت في حصّاد الجنود

جئتَ والشَّمْلُ في البلاد شتيت
والأمانى في شاكيم القيوود

والأسي جاثمٌ على كلِّ صادر
ورحى اليأس أتخمت بالكبود

فبعثتَ الأمالَ فينا لضرب
يفلقُ الهامَ من خصيم عنيد

ونظمت المنثور من عقد قومي
في لهيب الوغى وكدكَّ النجود

فرأينا المجاهدين قصيداً
كنتَ فيه والله بيئتَ القصيد

* * *

كَيْفَ نَنْسَى مَجِيداً لَنَا رَقْمَتَهُ
أَمْسَ يُمْنَاكَ فِي سَجَلِ الْخُلُودِ

(بن يهودا) و (البُست) و (المنتفوري)

(١) شاهِدَاتٌ عَلَى الْفَعَالِ الْحَمِيدِ

وَبِنَاءِ الْوَكَالَةِ الْمَتَسَامِي

(٢) مِثْلَ بَرْجٍ مِنَ الصَّخُورِ مَشِيدِ

قَدْ تَدَاعَى بِنَسْفَةٍ لَا تَجَارِي

زَكَرْتِ نَهْيَةَ الْعَدُوِّ الْكَلْدُودِ

* * *

لَسْتُ أَدْرِي بِفَقْدِهِ مِنْ أَعَزِّي

(٣) أَمِيناً رَمَزَ النُّضَالِ الْمَبِيدِ ؟

أَمْ أَعَزِّي الزَّوْجَ الَّتِي لَا تَجَارِي

(٤) فِي وِفَاءٍ بَيْنَ الْأَنْعَامِ فَرِيدِ ؟

أَمْ أَعَزِّي نَفْسِي وَقَدِّ طَائِشِ لُبِّي

(٥) مِثْلَ « سَامِي » أَخِي وَمِثْلَ « فَرِيدِ »

نَحْنُ فِي رُزْنِنَا الْجَسِيمِ سَوَاءٌ

(٦) فَعِزَاءِ يَا أُمَّتِي بِالْمَشِيدِ

-
- (١) من قصيدة عنوانها (القائد الشهيد عبد القادر الحسيني قائد
الجهاد المقدس) ديوان اللهب ص ٨٢ .
(٢) شارع بن يهودا ، وعمارات جريدة البالسنين بوست اليهودية ،
وحى المنتفوري التي نسفت في القدس بقيادة البطل الشهيد *
(٣) الوكالة اليهودية في القدس .
(٤) يقصد الشاعر سماحة مفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني .
(٥) يريد الشاعر قرينة البطل التي ضحت في سبيل فلسطين بكل
مرتخص وغال .
(٦) السيدان سامي وفريد هما شقيقا البطل الشهيد .

النص الخامس للشاعر فتح الله عواد السلواوى (١)

عَلِمَ الْجِهَادِ الْحَرَّ عَبْدَ الْقَادِرِ
ذِكْرًا بِالْإِكْبَارِ تَمَلُّاً خَاطِرِي

الْقَسَطِ الْحَمْرَاءُ تَذَكَّرُ هِمَّةً
شَقَّتْ لِنَيْلِ الْمَجْدِ حُجْبَ مَخَاطِرِ

وَحَدِيثُ بَأْسِكَ عِزَّةٌ وَكَرَامَةٌ
رَفَعَتْ لِدَى التَّذْكَارِ هَامَةً فَخْرِ

آثَرَتْ مَوْتَ الْأَكْرَمِينَ فَلَمْ تَمْتِ
أَنْتِ الْمُخَلَّدُ ، أَنْتِ صَرْحُ مَآثِرِ

مَا مَاتَ مَنْ دَفَعَ الْهَوَانَ بِرُوحِهِ
وَمَضَى بِعِزَّةٍ أُرْيَحَى طَاهِرِ

لَكِنْ مَنْ يَرْضَى الْحَيَاةَ ذَلِيلَةً
مَيَّتْ وَإِنْ لَمْ يَتَّوْبْ بَيْنَ مَقَابِرِ

* * *

يَا بَنَ الْبَطُولَةِ نَمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي
خُضْرِ الْجِنَانِ عَلَى النَّعِيمِ الْوَافِرِ

بَيْنَ الدِّيَارِ شَبِيهَةَ جَبَّارَةٍ
سَتَعُودُ لِلْأَوْطَانِ صَوْلَةَ قَاهِرِ

ذِكْرًا لَا تَفْنَى فَكَلَّ فَتَى بِنَا
يَكْفَى بِهِ الْأَعْدَاءُ عَبْدَ الْقَادِرِ

(١) من قصيدة عنوانها « ذكرى استشهاد عبد القادر الحسينى »
البيان السنة الخامسة والأربعون - العدد ٦٢٠٧ - ١٩٥٥/٤/٢٣ وهى
جريدة أسبوعية تصدر فى نيويورك أنشأها المرحوم الشيخ سليمان بدور
سنة ١٩١٠ ويتولى الأستاذ راجى ظاهر إصدارها وتحريرها .

هي غَيْمَةٌ رَبْدَاءٌ حَلَّ قَتَامَهَا
بِخَدِيعَةٍ تَمَّتْ بِأَمْسِ الدَابِرِ
سَتَزِيلُهَا رِيحُ البَطُولَةِ فِي غَدِ
وَيَعُودُ لِلْفِرْدَوْسِ كُلُّ مُغَادِرِ

النص السادس للشاعر كمال ناصر (١)

أَيْهَهَا المَوْتُ تَهْ عَلَيْنَا وفاخِرْ
لَمْ يَطِشْ سَهْمُكَ اللِّئِيمُ الغَادِرْ
أَنْتَ لَمْ تَطْـوِرْ جَبَانًا وَلَكِنْ
قَدْ تَهَادَى إِلَيْكَ نَشْوَانُ ظَافِرْ
كَمْ تَحَاشَيْتَ أَنْ تَرَاهُ فَاَلْوَى
يَتَحَدَّكَ رَابِطُ الجَاشِ نَائِرْ
كَمْ سَعَى فِي مَجَالِكَ الخَصْبِ حَتَّى
بِتَّ تَلْقَاهُ خَاشِعَ الطَّرْفِ حَاسِرْ
أَيْهَا المَوْتُ لَا تَسَلْ أَنْتِ أَدْرَى
كَيْفَ يَرُدِّي إِلَى حِمَاكَ المَغِيَامِرِ
دُونَكَ النَّعْشَ هَلْ تَرَى مَنْ عَلَيْهِ ؟
تلكَ أَنشودةُ الجِهَادِ الطَاهِرِ
رَدِّدِي صَوْتَهَا الشَّجِيَّ وَضِجِّي
يَا لَيْيَالِي ، وَزَغَرِدِي يَا مَقْبَلِ
زَارِكِ اليَوْمِ فَارِسَ "عَرَبِي"
عَانَقِيهِ فِذَاكَ (عَبْدُ القَادِرِ)

(١) من قصيدة عنوانها (مصرع البطل) القيت في الحفلة التأسيسية التي أقامتها كلية بئر زيت للبطل الفقيد عبد القادر الحسيني .

يا فلسطين لا تبالى فإني
قد رَوينا والخصم ظمآنٌ صاعِرٌ
ما اغتصبنا الجِدَّ الأثيْلَ ولكن
قد ورثناه كاه كاهٍ عن كاهٍ

* * *

يا فلسطين لا تنامى ففينى
همةٌ تصفعُ الزمانَ القاهرَ
كل شبرٍ على أديمك دُنِيًّا
سوف يفديه شعبك المتصافرُ
كل فردٍ مُعذَّبٌ بأمانيه
على أمانيك يقظانٌ ساهرُ
مزقنى حالِكِ الظلامِ وسيرى
بالميامينَ عبْرَ هذى المآزرِ
فحرامٌ عليك أن يطلعَ الفجرُ
وفى ربوعك الخضر كافرُ

* * *

يا فقيد الشباب حسْبُ المنايا
لو عةً أن تقُول مات القادرُ
سمتتْ زُمرة العدا واستطارتْ
لحمها ترفٌ فيك البشائرُ
نمٌ على سِدرة الخلود فهذا
خالدٌ قد أعبدٌ فيها الشعائرُ
لك ذِكْرٌ كالزهرِ يَبقى جنِيًّا
في جبين الخلود رِيانَ عاطرِ

* * *

النص السابع للشاعر هارون هاشم رشيد (١)

أَنْتَسَى الشَّهِيدَ شَهِيدَ الْكِفَاحِ
شَهِيدَ فِلَسْطِينَ فِي الْقَسْطِ
أَنْتَسَاهُ وَهُوَ يَمُدُّ يَدَيْهِ
إِلَى النَّارِ لَهْفَةً مُسْتَقْتَلِ
وَعَيْنَاهُ بِالنَّارِ تَرْمِي الشَّرَارَ
تَنْفُثُ مِنْ صَدْرِهِ الْمُشْعَلِ
فِلَسْطِينَ هَيْهَاتَ إِنَّا لَهَا
لِمَعْرَكَةِ النَّارِ فَاسْتَبْتَسَلِي
سِنَانِيكَ رَغْمَ الْأَسَى وَالِدُشْمُوعِ
سِنَانِيكَ بِالْأَمَلِ الْأَجْمَلِ
غَدًا سَنَعُودُ إِلَى مَجْدِنَا
إِلَى الْحَقْلِ ، لِلكَرَمِ ، لِلْمَنْزَلِ
سَنزُرُ عُنُودَ أَشْجَارِنَا هَا هُنَا
سَنزُرُ عُنُودَهَا فِي الْغَيْدِ الْمُقْبَلِ

(١) من قصيدة عنوانها « غابة القسطل » .

المأساة

النص الأول للشاعرة فدوى طوقان (١)

يا وِطَنِي مالِكِ يَخْنِي عَلِي
رُوحِكَ مَعْنَى المَوْتِ مَعْنَى العَدَمِ
أَمْضِكَ النَجْرُوحُ الذِي خانَهُ
أُسْباتُهُ فِي المَازِقِ المَحْتَدِمِ
جُرْحُكَ ما أَعْمَقَ أَعْوارَهُ
كَمْ يَتَنَزَّى تَحْتَ نابِ الأَلَمِ
أَيْنَ الأَلَى اسْتَضْرَجْتَهُمْ ضارِعاً
تَحْسِبُهُمْ ذُرَّكَ وَالْمَعْتَصِمِ ؟
ما بِالهُمِ قَدِ حالِ مِنْ دُونِهِمْ
وَدُونَ مَأْسِباتِكَ حِسِ أصَمِّ
قَلْبَتِ فِيهِمْ طَرْفَ مُسْتَجِدِّ
فَعَزَّكَ المُنْدَفِعِ المَقْتَحِمِ
وإِخْجَلتَا حَتَّامِ أهْواؤُهُمْ
تُغْرِقُهُمْ فِي لُجْجِها المَلْتَطِمِ ؟
هُمُ الأَنانِيُّونَ قَدِ أَعْلَقُوا
قَلوبَهُمْ دُونَ البَلاءِ المَلِيمِ
لا رُوحَ يَسْتَنْهَضُ مِنْ عَزَمِهِمْ
لا نَخْوَةَ تَحْفِيزُهُمْ لا هِمَمِ
أَحْنُوا رِقابَ السَدِّيلِ يا ضَعْفَهُمْ
واِسْتَسَلِّمُوا لِلقِادِرِ المَحْتَرِمِ

(١) من قصيدة عنوانها (بعد الكارثة) وحدي مع الأيام ص ١٢٧ *

النص الثاني للشاعر هارون هاشم رشيد (١)

أَبْنُ مِنْى الْقِيَارُ وَالصَّهْبَاءُ
وَالغِنَاءُ الْجَمِيلُ أَيْنَ الْغِنَاءُ
يَا لِنَفْسِي وَيَا لِحَرِّرَقَةِ نَفْسِي
طَوَى الْحُبِّ وَالْهَوَى وَالنَّهَاءُ
أَنَا بَعْدَ الَّذِي أَصَابَ بِلَادِي
مِنْ بَلَاءٍ كَأَنَّكَ بِكَمَّاءِ
وَفِلَسْطِينَ غَادَةَ الشَّرْقِ قَالُوا
قَدْ أَصِيبَتْ أَصَابَهَا الْإِغْمَاءُ
فَجَاءَ وَانْطَوَى الْبَسَاطُ وَجَفَّتْ
خَمْرَةُ الْبِكَاسِ ، وَاخْتَفَى النُّشْدَمَاءُ
فَإِذَا الْمَوْطِنُ الْعَزِيزُ ذَكِيلٌ
وَإِذَا الْأَهْلُ أَهْلُهُ غُرْبَاءُ
خَيْمَ الصَّمْتِ أَيُّ صَمْتٍ مَرِيعٍ
لِبِسْتَهُ الْمَأْذَنُ الْبَيْضَاءُ
مَاتَ فِيهَا الْأَذَانُ فَهُوَ نَوَاحٍ
وَتَلَاشَى الدَّشْعَاءُ فَهُوَ رِثَاءُ
وَالنَّوَاقِيسُ فِي الْكِنَائِسِ تَبْكِي
قَدْ عَرَاهَا الذَّهْوُولُ وَالْإِعْيَاءُ

(١) من قصيدة عيوانها (أين منى) مع الغرباء ص ١٢٣ .

النص الثالث للشاعر عيسى الناعوري (٢)

سَقَطَتْ° يُضَرِّجُهَا النَّجِيعُ° عَلَى الثَّرَى
ومضت° كحلْمٍ° كان في الأحلام
وتمزقت° بيدِ الخيانة° والنخنا
أعلامها الغراء° وهي دوامي
وتفرقت° عنها الصَّحابُ° وأُغمدت°
فيها السشيوف وهن° بعد ذوامي
أعراسها انقلبت° ماتم مرّة°
دميت° بهن° حناجر الأيَّام
وقبابها° لله ما لقبابها
عناد الشموخ° بها ذليل الهام
صوت الأذان أبح° والأجراس° منا
عادت° ترن° كعهدنا من عام
والسَّامرون تبددت° حركاتهم°
وتشرّدوا° كجماعة أيتام
ضاعت° فلسطين الشهيدة° وانطوت°
واحسرتاه° لعهدنا البسام
لو كان أخضعها العدو° بجيشه
خف° المصائب° وهان شرب° الجام
لكنها° قد سلّمت° لعادوها°
بيدٍ ملطخةٍ من الإجرام

(١) من قصيدة عنوانها (صرخة أسى) أناشيدى ص ٦٥ والشاعر من أبناء الأردن .

قَد سَكَمَتْهَا لِلْيَهُودِ عَصَابَةٌ
رِعْدِيدَةٌ بَرَّتْ مِنْ الْإِسْلَامِ

* * *

لَهْفَى عَلَى وَطَنِ الْأَبَاةِ تَمَرَّتْ
أَسْلَؤُهُ بَبْرَانِ الْخَشَامِ

وَدِيَارُهُ يَا حَسْرَتًا لِدِيَارِهِ
حَمَلٌ تَمَزَّقَ فِي يَدِ الضَّرْغَامِ

عَاثَ الْغَرِيبُ بِهَا وَشَرَّدَ أَهْلَهَا
فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ كَالْأَغْنَامِ

يَأْسُ يَطُوفُ بِكُلِّ نَفْسٍ حَرَّةٍ
وَالْيَأْسُ أَفْتَكُ مِنْ شِفَارِ حُسَامِ

نقمة على الملوك والرؤساء والحكام

النص الأول للشاعر أبي سلمى (١)

يا أخى أنتَ معي في كلِّ درَبٍ
فاحمِلِ الجُرْحَ وَسِرِّ جَنباً لِحَبِّبِ
نَحْنُ إِن لَمْ نَحْتَرِقْ كَيْفَ السَّنَى
يَمَلَأُ الدُّنْيَا وَيَهْدِي كَلَّ رَكْبِ ؟
سِرِّ مَعِي فِي طُرُقِ العُمُرِ وتُؤَلِّ
أَيْنَ مَنْ يَحْمِي النِّحْمَى أَوْ مَنْ يُلَبِّي ؟
فَهِنَا الأَيْتَامُ فِي أَدْمُعِهِمْ
وَهُنَا تَهْوَى العَذَارَى مِثْلَ شَهْبِ
وَشُيُوخٍ حَمَلْتُمَا أَعْوَامَهُمْ
مُتَّقِلَاتٍ بِشَطَايَا كَلَّ خَطْبِ
هَمْ ضَحَايَا الظُّلْمِ هَل تَعْرِفُهُمْ
إِنَّهُمْ أَهْلَى عَلَى الدَّهْرِ وَصَحْبِي ؟

* * *

يا رِفَاقَ الدَّهْرِ هَلْ شَرَّدَكُمُ
فِي الوَرَى غَدْرَ عَدُوٍّ أَمْ مُحِبٍّ ؟
زُعمَاءُ دَنَسْتُمَا تَارِيخَكُمُ
وَمُلُوكُ شَرَّدوكُم دُونَ ذَنْبِ

(١) من قصيدة عنوانها (المشرد) ديوان المشرد ص ٧ .

وجيوش" غفرَ اللهُ لها
سكمتَ أوطانكم من غيرِ حربِ
ذول" تحسبها شرقيةً
فإذا أمعنت فالحكّم غربي
يومَ هزّت للوغى راياتها
حكمتَ فيه على تشريدِ شعب

النص الثاني للشاعر نفسه (١)

يا فلسطينُ كيفَ أهتفُ والقلبُ
ينادي ولا يلقى مُجيباً ؟
من يلبّي النداءَ يطلبُ ثأراً
ودماً ضائعاً ، وحقاً سكيناً ؟
أمّلك ؟ وهم إذا نسبَ العارُ
إليهم أبي أنتساباً معيباً ؟
أرجال ؟ أين الرشوةُ لمّا
زحفوا يكتفون تلك الدثروبا ؟
أبها الناسِجونَ آلامِ شعبِ
كيف تجلّونها رداءً قشيباً

* * *

قلّ لمن يرفعون في كل قطرٍ
عربيّ السيماءِ يبدو ولكنّ
حكّموا باسمه الشعوبِ وساروا
ودعوا باسمنا فكنتنا الضحايا
ذول" كالدشمي تمثّل دوراً
علماً خافقَ الجناحِ عجيباً
وراءَ السيماءِ وجهها غريباً
فأضلّوا باسم الشعوبِ الشعوبا
وأرونا التشريدَ والتعذيبا
رسموه لها وفصلاً مريباً

(١) من تصيدة عنوانها (التراب الخضيب) المصدر السابق ص ١٣ .

النص الثالث للشاعر مصطفى زيد الكيلاني (١)

ألا إنكم يا قوم أذهب ريحكم
زعامة رهطٍ حوّلوا النور غيبتها
يميناً لقد نال الزعامة فيكم
أناسٌ تفشّوا في العروبة كالوفا
تعدّشونهم غيب الحوادث أروؤساً
وإن تنصّفوا كانوا ذيولاً وأذنباً
ظهورهم بالخزي أضحت مطية
تنأخ إلى المستعمرين ومركباً
هم أسلموا الجزائر غدرأ رءؤوسكم
وأنتم نيام لا تحشون ما النبا
وهم ساوموا الأحرار عن حرّ أرضكم
فتبأ لها من صفقة تجرح الإبا
فيا ويحكم حتام تغلى صدوركم
لقد بلغ السيل السموات لا الزمبي
ويا ويحكم ضاعت فلسطين منكم
غداة اتخذتم ساحة الحرب ملباً
فلسطين قد أعطينا الدرس قاسياً
فبتنا نرى برق الزعامة خلباً

(١) من قصيدة عنوانها « من وحى النكبة » مجلة القلم الجديد — العدد الخامس وقد أصدر الأستاذ عيسى الناعوري هذه المجلة في عمان ولم تعش الا سنة واحدة اذ صدر العدد الأول منها في سبتمبر سنة ١٩٥٢ والثاني عشر في أغسطس سنة ١٩٥٣ ولذا سنكتفي عند الاشارة اليها بذكر العدد دون الشهر .

ثورة على العرب والعروبة

النص الأول للشاعر مصطفى زيد الكيلاني (١)

بنى العُربِ ما للسيفِ في كفِّكم نبا
فما أضيعَ الآمالَ فيكم وأخيبا ؟
رضيتم بأصفادِ العبيدِ فيالها
عُبُوديَّةَ يرضى بها العُربُ مذهباً !
أيعربُ يدري أنْ غَدوتم أذلَّةً
لعمرى لقد سَوَّدتُم وجهَ يعزباً ؟
فلا تدعوا مِيناً أبوةَ يعربِ
أعوذُ بربِّي أنْ يَكُون لكم أباً

* * *

بنى العُربِ قد برأتُ منكم محمداً
فما كان إلا ثابتَ الجأشِ أغلباً
فما أنتمُ نسلُ الأباةِ الألى بنوا
صروحَ النعالى الشَّمَّ شرقاً ومغرباً
وما أنتمُ من طينةِ الأمةِ التي
ترى داعيَ الجليِّ بشيراً محبباً

(١) من قصيدته السابقة (من وحى النكبة) .

النص الثالث للشاعر عيسى الناعوري (١)

أَرْضَ الأَبَاةِ وَمَوْطِنِ الشُّهَدَاءِ
لَهْفِي عَلَيْكَ طَعِينَةَ الأَحْشَاءِ
لَهْفِي عَلَى الأَحْصَارِ كَيْفَ أَذْلَهُمْ
غَدْرُ الصَّحَابِ وَصَوْلَةُ الغُرَبَاءِ
لَهْفِي عَلَى البَكَدِ الحَبِيبِ وَقَدْ غَدَا
بَعْدَ الجَمَالِ مُمَزَّقَ الأَحْشَاءِ
تلكَ المَشْهُولُ النَّائِمَاتُ عَلَى السُّتَى
ضَاعَتْ بِبَلَا حَرْبٍ ، وَسَقَّكَ دِمَاءِ
وَجِبَالُهُ الشَّمَاءُ ذَلَّ جَبِينُهَا
بَعْدَ العُبُلَا والعِزَّةِ القَعَسَاءِ
سَكَبَتْكَ حُسْنُكَ يَا شَهِيدَةً عَصْبَةَ
هِيَ لِلْعَدُوِّ كَالَّةِ صَمَاءِ
خَانُوكِ أَشْنَعُ مَا تَخُونِ أَذْلَكَةَ
لَكِنَّ رَمُوكِ هُمُ بِذَلِكَ الدَّاءِ
كَذَبُوا فِكْمُ جَاهَدْتِ قَبْلُ وَحِيدَةً
خَصْمِينَ جَبَّارِينَ دُونَ وَتَاءِ
شَهِدْتِ لَكَ الأَيَّامُ واعْتَرَفَ العَدَا
بِبَطْوَلَةِ جَبَّارَةِ شَمَاءِ
إِنَّ الخِيَانَةَ يَا شَهِيدَةً قَدْ نَمَتْ
وَتَرَعْرَعَتْ بِمَنْابِرِ الخُطْبَاءِ

* * *

(١) من قصيدة عنوانها (نقمة) من وحي معاهدة رودس وضياع المثلث العربي - أنثيدي ص ٦٠ .

أَيْنَ الْجِيُوشِ الزَّاحِفَاتِ إِلَى الْوَعَى
وَقَلُّوبَهَا تَهْفُؤُ لِيَوْمِ لِقَاءِ ؟

أَيْنَ الْمَدَافِعُ لَا يَكْلُشُ دُوَيْشَهَا
وَالطَّائِرَاتُ تَنْزُرُ فِي الْأَجْوَاءِ ؟

خَرَسَ الْجَمِيعُ فَلَا سِلَاحَ وَإِنَّمَا
كَلَّشَ السِّلَاحُ مَقَاوِلَ الزَّشْمَاءِ

* * *

أَبْنُ الشُّعُوبِ ؟ وَأَيْنَ آيْنُ إِبَاؤُهَا
يَقْضَى عَلَى زُمَرِ الْخَنَا النُّحْمَاءِ ؟

أَيْنَ الشُّعُوبُ تَهْتَبُ بَعْدَ هَوَانِهَا
لِكِرَامَةِ هُدْرَتٍ بَغِيرِ حَيَاءِ ؟

فَتْرِيْلُ هَذَا النُّعَارِ عَنْ تَارِيخِهَا
فِي ثَوْرَةٍ مِنْ حِقْدِهَا شَعْوَاءِ ؟

أَوْ مَا نَزَالَ نَعْدَشُ أَرْقَامًا بِلَا
حِسٍّ يَثُورُ وَهَمَّةٍ عَكِيَاءِ ؟

سَبْعُونَ مَلِيُونًا وَسَبْعُ مَمَالِكِ
وَجِيُوشَهَا يَا خَيْبَةَ الْإِحْصَاءِ ؟

سَبْعُونَ مَلِيُونًا أَمَامَ عِصَابَةٍ
رَعْدِيْدَةٍ ، وَنَذْلٍ فِي الْهَيْجَاءِ ؟

سَبْعُونَ مَلِيُونًا ، أَحَقًّا إِنْنَا
سَبْعُونَ مَلِيُونًا مِنَ الْأَحْيَاءِ ؟

* * *

إِنِّي كَفَرْتُ بِأُمَّتِي فِي يَوْمِهَا
وَبِأُمَّسِهَا ذَاكَ الْبَعِيدِ النَّبَاتِي

إِنِّي كَفَرْتُ بِشَبِيبِهَا وَشَبَابِهَا
بِنِسَائِهَا وَرِجَالِهَا الْجَبِينَاءِ

بِرِعْوسِهَا وَرِعَاعِهَا وَبِكُلِّ مَنْ
فِيهَا مِنَ الْعُظَمَاءِ وَالِدَّهْمَاءِ

* * *

تصوير اللاجئين

النص الأول للشاعر أبي سلمى (١)

يا فلسطين أين تربتك العذراء
حرّ قلبي على الترابِ خَضِيياً
أيها النازحون كيف تهاويتم
أين أنتم ؟ إن القلوبَ تنادى
ليبتكم° في ملاعب الحرب كنتم°
لو حملتم عبء القضية أنتم
لجلوتم عرائس المجد فوق الأفق
أو دُفنتم° هناك طيَّ تراب

تفتنضها ييد المجتاح
بشظايا الأعراض والأرواح
نَجُوماً على غريب البطح ؟
فيحول النداء رَجْع نواح ؟
في فلسطين وحدكم في السّاح
وكفرتم بعصبة الأثسباح
بين السّنى وخفق الوشاح
طَهَّرته الدّماءُ قبل البراح

* * *

يا أحبّائى ، والفراق طويئ°
الليالى أحنى عليكم من الأهل
كلّ طفل كأنه دَمعةُ الفجر
وفتاةٍ كأنها عبَقُ الزّهْر
لو فرشنا القلوبَ حرّى لنتمم°
وأمنتم° غوائلَ العُربِ لا الدهر

ما على القلب إن بكى من جنّاح
وأندى من الوجوه الصّباح
تراامت° على مَحْيَا الصّباح
تلاشى على ذيول الرّياح
بين أحنائها وتلك الصّفاح
وظللتم° بأوفى جنّاح

* * *

(١) من قصيدة عنوانها (النازحون) ديوان المشرّد ص ٣٧ .

أيها النازحون ماذا لقيتم°
وحمكتم° ذلّ السؤال ثقيلًا°
قل لمن يدعى المروءة أقصر°
قل لمن يدعى العروبة ما كنت
أسد° خادر° عليها و لا يسمع
غير دُنْيَا الآلام والأتراح
بعد تاريخ ثورة وكفاح
وأمسح° اليوم دمعَة التمساح
عليها إلا يدُ السقّاح
منك الأعداء غير النباح

النص الثاني للشاعرة فدوى طوقان (١)

خلال دُخانِ عَلا واستدار
على العتبات تدبُّ هَوام
وبين الزوايا عناكبٌ تحبو
وأبصرتُ أشلاءَ قومي هنا
عيونٌ مُمقّاة° ، بُعثرت°
وأيدٍ مَقطّعة° ووجوه

رأيت الحمى خربةً ما حيله°
وتعبّرُ قافيةً قافله°
وتمعنُ في زحفها واغله°
وهناك على طرُق المسابله°
على الأرض حباتها السائله°
غذا التشرّب ألوانها الحائله°



وكان هناك وراء الدُخان
قطيعٌ وديع ° ° بقية قومي
تظللهم في العراء الخيام
براكين خامدة° لا تفور

قطيع° تشتت في كل بيد°
فهذا شريد° وهذا طريد°
وقد أخلدوا في هدوء بليد°
استحال اللظى في حشاها جليد°

(١) من قصيدة عنوانها (حلم الذكرى) مهداة الى روح شقيقها ابراهيم — مجلة صوت البحرين — السنة الرابعة — العدد الخامس جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ هجرية .

قُصَارِي مَطْلَمَحِهِمْ لِقَمَّةٌ مُغْمَسَةٌ بِهَوَانِ الْعَبِيدِ
تَجُودُ بِهَا كَفٌّ جِلَادِهِمْ لَتَخْدِيرِهِمْ كُلَّ صُبْحٍ جَدِيدٍ

* * *

النص الثالث للشاعرة نفسها (١)

أَخْتَاهُ هَذَا الْعِيدُ رَفَاءٌ سَنَاهُ فِي رُوحِ الْوَجُودِ
وَأَشَاعَ فِي قَلْبِ الْحَيَاةِ بِشَاكْسَةِ الْفَجْرِ السَّعِيدِ
وَأَرَاكَ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ قُبِعْتَ تَمَثَالًا ثَقِيًّا
مَتَهَالِكًا يَطْوِي وِرَاءَ هَمُودِهِ الْمَاءَ عَتِيًّا
يَرِنُوا إِلَى اللَّاشِيءِ مَنْسَرِحًا مَعَ الْأَفْئِقِ الْبَعِيدِ

* * *

أَتُرَى ذَكَرْتِ مَبَاهِجَ الْأَعْيَادِ فِي يَافَا الْجَمِيلَةِ ؟
أَهْفَتِ بِقَلْبِكَ ذِكْرِيَّاتُ الْعِيدِ أَيَّامِ الطَّفُولَةِ ؟
إِذْ أَنْتِ كَالْحَمْسِثُونَ تَنْطَلِقِينَ فِي زَهْوٍ غَرِيرِ
وَالْعُقْدَةِ الْحَمْرَاءِ قَدْ رَفَتِ عَلَى الرَّأْسِ الصَّغِيرِ
وَالشَّعْرُ مُنْسَدَلٌ عَلَى الْكَتْفَيْنِ مَحْلُولِ الْجَدِيلَةِ

* * *

إِذْ أَنْتِ تَنْطَلِقِينَ بَيْنَ مَلَاعِبِ الْبَلَدِ الْحَبِيبِ
تَتْرَاكُضِينَ مَعَ اللَّيْلَاتِ بِمَوْكَبِ فَرَحِ طَرُوبِ
طُورًا إِلَى أَرْجُوْحَةِ نَصَبْتِ هُنَاكَ عَلَى الرَّمَالِ
طُورًا إِلَى ظِلِّ الْمَغَارِسِ فِي كَنْوَزِ الْبُرْتُقَالِ
وَالْعِيدُ يَمْلَأُ جَوْكَئِنْ بِرُوحِهِ الْمَرْحَ اللَّعِيبِ

* * *

(١) من قصيدة عنوانها (مع لاجئة في العيد) — وحدى مع الأيام ص ١٢٩

واليوم : ماذا اليوم غير الذكريات ونارها ؟
واليوم : ماذا غير قصة بؤسكن وعارها ؟

لا الدارُ دارٌ ، لا ولا كالأمس هذا العيد عيد
هل يعرفُ الأعياد أو أفراحها روح طريد ؟

عان تُقلِّبُه الحياة على جسيم قفارها

النص الرابع للشاعرة سميرة أبتى غزالة (١)

مَسَّتْ في وجوم الإباء والطريد
وشاحُ الشقاء على جِسمها
وفي صدرها أنفةُ الفاقدات
نظرتُ إليها وفي لهْفَةِ
كطيفٍ حبيبٍ لحلمٍ حبيبٍ
وفوق المحيَّا وشاحُ الغيبِ
وقصةُ ذاك النعيم السليبِ
ترأى لعيني خيالٍ حبيبِ

* * *

سَلِمِي تُعانِقُ أُنْسِي الرَّزَايَا
وقد أسلمتُ روحه للاله
وفي الجِسم من طَعَنَاتِ الرَّزَايَا
تَشُدُّ إلى الصدرِ طِفْلاً رُضِيعاً
ومالتُ عليه بِشِكْلِ مَرِيحٍ
بقايا حطامِ النِّعَمِ الصَّرِيعِ

النص الخامس للشاعر هارون هاشم رشيد (٢)

هَتَفَ الموتُ وهو ناب وظفرُ
وَعَوَتْ تصرُّخُ الرياحِ وَهَبَّتْ
والرَّشْعُودِ الرَّعْنَاءِ مِلءِ فَمِ الكونِ
لا مَفَرُّ من قبضتي لا مَفْرَشُ
عاصِفَاتٍ جَمُوحَةٍ لا تَقْرُ
دَوَى على الفُضَاءِ وَزَأْرُ

(١) من قصيدة عنوانها (مشهد من مآسى الحياة بين اللاجئين)
الرسالة — العدد ٩٤٩ — ١٠/٩/١٩٥١ .

(٢) من قصيدة عنوانها (أين المفر) مغ الغرباء ص ٢٧ :

سحبٌ تُرسلُ الوعيدَ ونذرُ
وإذا الكونُ واجمٌ مكفهراً
ويطغى جُموحه المستمر
ولا ركدَه البكاءُ المرر

والسَّماءُ اختفتْ فلم يبق إلا
فإذا الرِّحمةُ استحالتْ بلاءً
وإذا الماءُ جامعٌ يغمز الأرضَ
فهوى بالبيوتِ لم يرحم الزَّشغبَ



وَصَمَّتْهُ وهى خوفٌ وذعرُ
وهل يدفعُ النيةَ صدرُ ؟
فإذا بيئتها المهْدَمُ قبرُ
فهو من بعده دموعٌ وفقرُ
هو فى واقعِ الحقيقية جحرُ
فقدَ خدرِ ، وما حواه الخدرُ
تراموا على الطريقِ ومروا
ما لهم ملجأً ولا مستقرُ
وهيهات أن يغيض بحرر

رُبَّ أمٍّ حنت على طفلها البكر
ألصقتَه بصدرها خشية الموت
وعجوزٍ هوى الجدارُ عليها
ويتيمٍ قضى أبوه شهيداً
هدمت فوقه العواصف بيتاً
وفتاة مكلومة القلب تبكى
وصغارٍ مشردين بلا أهلٍ
وكثيرين قد أفاقوا حيارى
هتفوا بالسماء أن تحبس الغيث

النص السادس للشاعر مصباح العابدی (١)

وإن عذوبك فلا تنتخب
وخل إليهم كريم النسب

لئن شرردوك فلا تكتئب
وإن أنكروك فصنّ ودّهم

(١) من قصيدة عنوانها (الى اللاجئين الفلسطينيين رمز الكفاح)
والخطاب موجه للاجئ - مجلة العالم العربى - القاهرة - العدد ٧٠ -
ابريل سنة ١٩٥٣ .

وحاذر فديتك أن تشمتكى
وصبرا جميلاً على حكمها
صروف الزمان ووقع النوب
فإنك كبش الفدا للعرب

* * *

نيا موقداً جَذوةَ المشرق
ويا سيداً أعتقَ الموثقين
بمصرٍ تكَلَّى وفي جأقٍ
وما زال في القيد لم يُعتق
ويئن فييكي الثرى تحته
وقلبُ العروبة لم يخفق

* * *

ثباتاً فمثلك من يئبتُ
فغيظك هذا الذي تكبت
وتأبى الهزيمة روحَ البطل
وكهفك هذا الذي تنحتُ
سيغدو شواظاً إذا ما اكتمل
ونشوؤك فيه الذي يئبتُ
لسوف يهزُّ شِعافَ الجبلِ
محطَّ الرجاء ونبع الأمل

النص السابع للشاعر معين بن يسيسو (١)

لم يترك السَّيلُ غيرَ الحبلِ والوتدِ
من ذلك الشعبِ أو من ذلك البلدِ
وغير بعض العرايا السَّاحبين على
تلك الوحُولِ بقاياهم من الولدِ
وغير ما شاهدت عيناك من جُثثٍ
منفوخةٍ لم تنزل مجاهولةِ العَدَدِ
هنا حطامٌ ، هنا موتٌ ، هنا غرقٌ
هنا بقايا رغيِفٍ عالقٍ بييدِ

(١) من قصيدة عنوانها (السيول) - المعركة ص ٦ .

هنا العيون التي تصطك^١ ميتة
هنا الشِّفاهُ التي تدعو لِثَارٍ غد

* * *

تلك البقية من شعبي ومن بلدي
ما بين باكٍ ومجنونٍ ومترعِدٍ
تلك البقية من شعبي فذاك أباي
وتلك أُمي وما في الخيش من أحسَد
إن جئتَ تسألَ عن أطفالها صرخت
وقهقهة السَّيلِ لم تحبَل ولم تلد
يا من نصبتَ لهم سِود الخيام على
صُفر الرِّمال لقد غاصت إلى الأبد

النص الثامن للشاعر محمود نديم الأفغانى (١)

أخى فى القلب والأحشاء "آلام" ونيران
وفى جنبى طعنات وفى الأعماق بركان
لمن أشكو لظى همى ومن أرجوهم خائنا !!

* * *

أخى ، يأيتهما اللاجئ
ومن أودت به الأييام
من قُطِبِ ، إلى قُطِبِ
حتى تنهت في الدرب

(١) من قصيدة عنوانها (أخى يأيها اللاجئ مثلئ) .

تحيات" وإكبار" وأجـلال" من القلب
لمنّ لم يحن منه الهـام
رغم تتابع الخطب

* * *

أخى يأيها اللاجيءُ مثلى
جـرّعنا الكأس . رغم الأنف
وقالوا ويلهم باعوا
أخى .. هل نحن من باعا ؟
أينمنا . كاننا
أشـكالاً وألواننا
كراماتٍ وأوطاننا
أخى هل نحن من خاننا ؟

* * *

أخى يأيها السابحُ في
أخى في البؤسِ والآلامِ
أخى لا تئأس اليـومَ
أخى لابـدّ من فجـرٍ
بحرٍ من الهـمِّ
يا بن الخـالِ والعـمِّ
ولا تركن إلى العـمِّ
أخى لابـدّ من يـوم

* * *

أخى يأيها الضاربُ
أخى لم أنس أوطـانـي
وهل أنسى هوى خـيلٍ
أخى صـبـراً ، أخى صـبـراً
في سـهلٍ وفي قفـرٍ
برغم الجـوعِ والفقرِ
هواه في دـمـي يـجـرى
أخى لابـدّ من فـجـر

* * *

سلامٌ الله يا يافـنا
سلام يا عروس الشرقِ
سلام كوكب الدنيا
سلامٌ متبّت الجـدِ
ممن ذاب من وجـدِ
سلام جنّة الخـلدِ

النص التاسع للشاعر رجا سميرين (١)

وضمة أنت في جبين الدهور
يا خياماً في القفر مثل القبور
يا نثار الأنعام ، يا سببة التاريخ
والناس في جميع العصور
أنت مأوى للبوأس شيدك الظلم
على رسنم حقتنا المهـدور
أنت سفر الآلام سطره البغى
بأيدي مخصوبة بالشرور
* * *

كم حوى نسجك الأرش عزيزاً
يسفح الدمع في دجى الديجور
رائياً عيشه الكريم وعهداً
قد قضاه متعماً في القصور
يوم أن كان في الديار كريمياً
يترع الكأس من مدام الشرور

النص العاشر للشاعر خليل زقطان (٢)

أنا في ظلال الواقع المشحون
بالأرزاء أحيى
أنا رغم آلامى الجسام
غدوت أطوى اليأس طياً
وأقود أمالى على أشلاء
حلم كان غياً
* * *

(١) من قييدة عنوانها (خيام اللاجئين) الضائعون ص ٢١ .
(٢) من قصيدة عنوانها (قسماً بجوع اللاجئين) ديوان صوت الجياع

أنا قد صحتُ على الجراح
أنا قد صحتُ وإذ أنا ملقى
أنا قد صحتُ على العروبة
أنا قد نظرتُ المستجير
تسيلُ من بعضى لبعضى
بأرضٍ غـ غـ غـ ير أرضى
تزدري جهرا وتغضى
وإذ به يا قومُ عرضى

* * *

أخى ما هذه الخيمات
وما هذى الجبالُ الجردُ
فلا ترضَ وإن زادوك
بعُد القصر تُعطاهَا
بعُد السَّهْلُ تُؤواها
إلا الأرضُ إياها

أثر البُعْدِ عَنِ الدَّيَّارِ

وأين أحبـأبى وسُمـارى
حالمـةٍ بالمجـدِ والغارِ
فـعـطـطـرتْ أَيْـامِ آذـارِ
تُهـدى إليها وتـنى أسـتارِ
تاريخُ أشـواقى وآثارِ
ومـلـتـقى الجـارةِ بالجارِ
تـروى حـكـايـاتى وأخـبارِ
مَهـوى صـبـابـاتِ وأسـرارِ
ما بين مِشـواري ومِشـوارِ
يُعـقـد في أطـرافِ زنارِ
أحلامٌ عشاقِ وأطيارِ
أكرـمَ من طـلِّ وأمطارِ
حَبـاتٌ أكـبادٍ وأبصارِ
مـتـشـورة في الأفقِ العـارى

هل تسألين النجم عن دارى
دارى التى أغفتْ على ربوةٍ
تفتح الزهرُ على خدِّها
الشمسُ لا تضحكُ إلا لها
والتيبنةُ الخضراءُ فى ظلِّها
مكعبنا يومَ رفيفِ المنى
والعين خلفَ الدارِ فى المنحنى
درُب الصبـايا لو تنورتـه
حام على أنفاسهن الهوى
الأملُ الحلو على رجبـه
والكرم ما أرحم أفياءه
من عرقِ الفلاح أنداءُه
والبيدرُ السمحُ على صدره
أغنيةُ الرعاى وراء الرشيما

النص الثاني للشاعر محمود الحوت (١)

يا رعى الله مَوطِنِي يومِ كانتْ
ويموج المدى البعيد ويزهو
والبساتين والحدائق غُلْباً
تتنادى بها العصافير شَكْتِي
هل أُنْكَ الحديث عن جنة الله
تلك أرضى وما تَرَى في يَمِينِي
تنبضُ الأرض بالحياة الطروبِ
بِرَطِيبٍ من المُرْوجِ لعوبِ
حالياتٍ بكل ثوبٍ قشيبِ
من شُرُوقِ النهار حتى الغروبِ
وعن خُلْدِهِ الطليق الرحيبِ ؟
حفنة من ترابِ أرضِ السَلِيبِ

* * *

إيه يا حفنة التُّرابِ اعذري
وتناهي إليك يَسْأَلُكَ الصَّفْحُ
كم دماءٍ عليكِ في كل دهر
إنَّ في كل ذرةٍ منك جِيلاً
الدمع إذا ما جرى كسيل اللهبِ
وما في سـؤاله من عجيبِ
سفكتها جِراحنا في الحروبِ
من شبابٍ فدوكِ يوماً وشيبِ

النص الثالث للشاعر هارون هاشم رشيد (١)

هناك هناك وراء الحدودِ
هناك بلادي تراث الجودِ
نُئِنُّ من العار عار اليهودِ
وتصرخُ أقداستها بالوجودِ

* * *

(١) من قصيدة عنوانها « حفنة تراب » وقد قدمت للشاعر حفنة من تراب وطنه فلسطين وهو مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية فأثارت حينه وأوحت إليه بهذه الأبيات .

(٢) من قصيدة عنوانها « هناك بلادي » مع الغرباء ص ٣٦ *

هناك هناك أغاني صباي°
ونجوى شبابي وذكرى هوأى°
وحقلى وما زرعته يداي°
وعوداً تركت حزيناً ونأى°

* * *

هناك تنادى على التلال°
تقول حبيبي حبيبي تعال°
وألف حنين وألف سؤال°
يشق إلى عنان الخيال°

* * *

وخلف الحودود تلوح قرانا
تكاد على بعبدها أن ترانا
تكاد تشق إلينا الزمانا
فما عرفت للمعالى سوانا

النص الرابع للشاعر عصام حماد (١)

تقول علام هجرت النسيب وفيما سلوت حديث النغل°
أجف معين الهوى الثر في قلبك البكر° أم غاض نبع الأمل°
أصوِّح روضك قبل الأوان وزهر الصبابة فيه ذبل°

* * *

(١) من قصيدة عنوانها « غزل في الاغلال » الآداب — أبريل سنة ١٩٥٥

وفي مقلتي دَمْعَةَ حائِرة
 حياءً عن الفِتنةِ الآسِرةِ
 وأشربُ من كأسِكِ العاطرةِ ؟
 يلكوكُ مصائبهُ القاهرةِ
 قصيُّ وأطرافهُ قاصرةِ
 وأختي عن صدرها حاسرةِ ؟
 توكولُ نائِحَةً هادرةِ ؟
 وأضحكُ في النكبةِ الغامرةِ ؟
 وصحبي بالضحكةِ الساخرةِ ؟
 وأدرجُ على أرضها الطاهرةِ
 وأنعمُ بالائِها الزاخرةِ
 وأطربُ لأنغامها السّاحرةِ

أجبتُ وفي كبدي حرقةُ
 أحبكُ لكن فطمتُ الفوادِ
 وكيف تتراني أهفو غراماً
 وما في صحابي سوى ساغبِ
 وآخر ظمآن والماءُ عنه
 وكيف أطيقُ الغطاءَ الثقيلِ
 أصدحُ بالأغنياتِ وأُمي
 أأرقصُ في ماتم الثآكلاتِ
 وأستقبلُ الدمع مع إخوتي
 كأنني لم أحبُ في دارهمُ
 ولم أطمعُ الخبزَ من خبزها
 ولم أشربُ الماء من راحها



وننهضُ كالقَدْرِ المبرمِ
 بهيئِ السّنى ضاحِكُ المبسمِ
 وأنفخُ في رُوحه من دمي
 وأهتفُ باسمكِ مِلءَ فمي
 وعنوانِ إيداعها الملممِ

غداً ننفضُ العارُ عن هامنا
 غداً يطلعُ الفجرُ فجرِ الشعوبِ
 غداً أحملُ النكاي يا غادتي
 أشخلدُ ذكركُ في الخافقينِ
 فإنك رمزُ جمالِ بلادي

النص الخامس للشاعر علي هاشم رشيد (١)

ما الصَّبّاحُ الجميلُ والإمساءُ
 والهواءُ العليلُ والأنداءُ

(١) من قصيدة عنوانها « أمنياتي » أغاني العودة — ص ٣٩ .

ونداءُ الطيورِ . وهي نشاوى
إن روح الأسماع ذاك النداءُ
والصَّبَا والشبابُ وهو ربيعُ
والرَّيَّاضُ الحِسانِ والسَّرَّاءُ
وحَنِينُ الأَنْعَامِ والأَمَلُ الحُلُونُ
وعَذْبُ النَّشِيدِ والأَصْدَاءُ
والرَّشْبُ الخُضْرُ ، والزهورِ حساناً
والضَّيَاءُ البَهِيحُ والسَّلْءُ
وحَدِيثُ الأَمْوَاجِ للشَّطِّ
والنَّهْمَسُ بِسْرِ الغُيُوبِ والأَضْوَاءُ
بِمَنَى للْفُؤَادِ إن أمانِيه

رَجُوعِي لِمَوْطِنِي واللقَاءُ

* * *

يا فلسطين أنتِ مِلاءُ فؤادِي
أَتْرَانِي نَسِيتِ فَيْكَ الرَّوَابِي
أَمْ تَرَانِي نَسِيتِ أبنَاءَ قَوْمِي
أَيْنَ أَضْحَرَ وَأَيْنَ أَمْسَوْا فَباتوا
يا بِلادِي وفِيكَ يَحَلُّو نَشِيدِي
يا فلسطينِ هَلْ اليكِ اهْتِداءُ ؟
فِي الربيعِ الجميلِ منها الرِّواءُ ؟
إِذ دَهْتنا بِرَوْعِها البَلْواءُ ؟
أَيْنَ مِنى البَنونَ والآبَاءُ ؟
إنَّمَا أنتِ للأمانِي اللِّواءُ

(١) النص السادس للشاعرة دعد الكيالي

أياريح الشمال صبا فؤادي لوطن صبوتي وحنين قلبي
أياريح الشمال فبلغيه تبأريجي وأشواقى وحبى
وقولى إننى قدمتُ وجداً به وفقدتُ أحلامى ولبى

* * *

أياريح الشمال وذكريه
وغنّيه بأشواقى وحنزنى
ألا بالله إن عطّرت سفحاً
به فاروى له ما شئت عنى
وإمّا شمت منزلنا فنوحى
وقولى سوف تنقضى بالتعنى
هناكم غرّدت كالطير صبحاً
أغاريداً يسلسلها التمنى
هناكم أرقصت نجماً وأشجّت
أماسياً بأنغامٍ وحنن
وتبسّم للنجوم الزههر طوراً
وأنبأ للطيور بكل غصن

* * *

(١) من قصيدة عنوانها « أياريح الشمال » وللشاعرة طائفة من القصائد فى المأساة .

أياريح الشمال ونشقينى
وزهر اللوز والليمون صبْحاً
أياريح الشمال وأسمعيني
أياريح الشمال وخبْريني
إذا ما عُدتِ زهر البُرْتقال
ولا تنسى أزهير الجبال
حنين الطير فى تلك المجال
فإنى قد ضعفت عن السؤال

الأهل في السَّقِيلِ

النص الأول للشاعر فدوى طوقان (١)

سَتَجَلِي الغَمْرَةَ يامَ—وَطَنِي
وَيَمَسَّحُ الفَجْرَ غواشي الظلمِ
والأهـلُ الظامئُ مهمـا ذَوِي
لَسَوْفَ يَرَوِي بلهيبِ وَدَمِ
فالجَـوهرُ الكامِنُ في أمَّتِي
ما يَأْتَلِي يَحْمَلُ معنَى الضَّرَمِ
هو الشَّبَابُ الحَيُّ ذُخْرُ الحَمَى
اليَقِظُ المَسْتُوفِزُ المُنْتَقِمِ
غاشوا جناحيه ، وقالوا انطَلِقِ
وشَارِفِ الأفقِ وَجُزْءِ بالقَمَمِ
واستنهضوه لاقتحامِ اللَّظَى
والقَيْدِ— يا للقيدِ— يَدْمَى التَّكَمِ

النص الثاني للشاعر يوسف الخطيب (٢)

أَنَا مِشْعَلُ "أنا مارج" جَبَّارُ
لا الرِّيحُ تَخْمِدُنِي ولا الإِصْـارُ
سَأْمُدُّ في الآفاقِ ألسنة اللظى
حَمْرًا لها في الخافقين أُوَارُ

(١) من قصيدتها السابقة (بعد الكارثة) .

(٢) من قصيدة عنوانها (مشيئة الجبار) — العيون الظماء للنور

ولأحرقنَّ اللَّيْلَ حتى تنجلي
أَسْدَانُهُ فَتَوَقَّدي يا نارُ
لِلْمَيِّتِينَ دُمُوعَهُمْ وَجِرَاحَهُمْ
ولجذوتي سَاحُ الوَغَى والثَّارُ
وللسِّوفِ أَعْسَلُ جِبْهَتِي حتى تثرى
مِثْلَ الضَّحَى ، ويذوبُ عنها العارُ

* * *

أنا للحياة ولنَّ أَظْلَمَ مُشْرَدًا أَقْسَمْتُ لا أَرْضِي ولا أَخْتَارُ
ومشيئتي قَدَرٌ على أَقْدَامِهِ تَتَمَسَّحُ الأيَّامُ والأقْدَارُ
أنا مجرمٌ "أنا حاقِدٌ" أنا سَيِّءٌ حتى تُعَادَ إلى ذويها الدَّارُ

النص الثالث للشاعر نفسه (١)

أما ترانا في الدَّجَى نَغْتَلِي وَمَوْعِدِ الثَّارِ يَنادِينَا
نَسْعَى إلى الفَجْرِ وما نَأْتَلِي نُمَرِّقُ اللَّيْلَ بأيدينا
إِنَّ كُنْتِ لا تَعْرِفُ من أُمَّتِي فاسألِ عَن العُرْبِ النَّميادينا ؟

* * *

سَنَلْتَقِي يَوْمًا على مَوْعِدِ لِثَّارِ في يافا وفي الكَرْمِ
سَيُجْمَعُ التَّارِيخُ أَشْتَاتَنَا واحِدَةَ الرِّأْيَةِ وَالْحَجْفَلِ
ويَعْلَمُ الشَّدَاذَ مَنْ أُمَّتِي وأيُّ دارِ حُرَّةٍ موئلي ؟

(١) من قصيدة عنوانها (موعِد مع الثَّار) المصدر السابق ص ٩١ .

النص الرابع للشاعر أبي سلمى (١)

فلسطينُ الحبيبةُ كيف أحيَا
بعيداً عن سهولك والهضابِ ؛
تناديني الشَّفوحُ مَخضَبَاتٍ
وفي الآفاقِ آثارُ الخضابِ
تناديني الشَّواطئُ باكياتٍ
وفي سَمْعِ الزمانِ صدى انْتحابِ
تناديني الجدولُ شارداتٍ
تسيرُ غريبةً دون اغترابِ
تناديني مدائنكِ اليتامى
تناديني قراكِ مع القبابِ
ويَسألُنِي الرَّفاقُ ألا لِقَاءَ
وهلْ مِنْ عَوْدَةٍ بعد الغيابِ ؛
أَجَلْ سَنَقْبَلُ الشَّرِبَ المُنَدَى
وفوقِ شِفَاهِنَا حُمْرُ الرِّغَابِ
غداً سَنَعُودُ والأجيالُ تُصْنَعِي
إلى وَقَعِ الخَطَى عند الإيابِ
مع الرَّاياتِ دَامِيَةِ النِّحَواشِي
على وَهَجِ الأسنَةِ والحِرَابِ
أَجَلْ سَتَعُودُ آلاف الضَّحَايا
ضحايا الظلمِ تَفْتَحُ كلَّ بابِ

النص الخامس للشاعر هارون هاشم رشيد (١)

سنعودُ يا أختاهُ للوطنِ
رغم الليالي العابثاتِ بنا
سنشقى أسفارَ الظلامِ غداً
سنسيرُ بالفجرِ الجميلِ قوياً
رغم الشقاءِ وقسوةِ الزمنِ
والجوعِ والتشريدِ والمحنِ
سنشقها ونعودُ للمدنِ
جبارةً تقضى على الوهنِ

* * *

إن السهولَ الخضرَ تنتظرُ
والذكرياتُ الهانياتُ بها
وملاعبُ الأحلامِ تائقةُ
وكرومنا والشططُ والشجرُ
والحبُّ والآصالُ والبكرُ
تهفو لنا والنأيُ والوترُ

* * *

سنعودُ يا ليلي مع الفجرِ
سنعودُ بالآمالِ باسمِمةً
سنعودُ أكباداً مؤجمةً
وهناك نرفعُ رايةً طويتُ
والزهرِ والحسونِ والقمرى
في هوكبِ التحريرِ والنصرِ
تواقيةً للوطنِ الحُرِّ
ونعيدُها تزهو على الدهرِ

النص السادس للشاعر محمد العماد (٢)

لا ينقذ الأوطان غير دماءِ
وعزائم تذرُ العدو محطماً
ومواكب تترى من الشهداءِ
واهى الصفوفِ مُثنتت الأجزاءِ

(١) من قصيدة عنوانها « سنعود » مغ الغرباء ص ٧١ .
(٢) مجلة الراى — السنة الأولى العدد ٣ — ١٨/١/١٩٥٤ .

وسواعِدٍ مَفْتُولَةٍ تَبْنِي عَلَى أسُسٍ مِنَ التَّنْظِيمِ وَالْإِنْشَاءِ
وَطَنِي فُؤَادِي بِكُلِّ أَرْوَعٍ مَاجِدٍ وَوَقَيْتَ كُلَّ مِصْبِيَّةٍ وَبَلَاءِ
وَطَنِي الْجَمِيلِ عَلَى رُبَاكَ طَهَارَةَ وَعَلَى ثَرَاكَ قَدَاسَةَ الْإِسْرَاءِ
وَعَلَى جَبِينِكَ مِنْ بَقَايَا خَالِدٍ آثَارُ مَجْدِ خَالِدِ الْأَنْبِيَاءِ
تِلْكَ الْمَعَارِكِ مَا يَزَالُ غُبَارُهَا فَوْقَ السُّفُوحِ مُعْطَرِ الْأَفْيَاءِ

النص السابع للشاعر علي هاشم رشيد (١)

أخى لا تَكَلِّمْنِي إِنْ بَكَيتُ عَلَى عُمُرِي
أَلَسْتَ تَرَى مَا يَضْمُرُ الدَّهْرُ مِنْ غَدْرٍ ؟
أَكُنْتَ قُبَيْلَ الْيَوْمِ تَحْلُمُ أَتَنَّا
سَيَقْدِفُنَا قَفْرٌ مَحِيلٌ إِلَى قَفْرِ ؟
وَهَلْ خَطَرَتْ يَوْمًا بِذَهْنِكَ أَتَنَّا
سَنَأْكُلُ مِنْ عَدَمٍ وَنَشْرَبُ مِنْ فَقْرِ ؟
شبابٌ لَنَا مِثْلَ الزُّهُورِ تَشْتَتُوا
فَيَقْدِفُهُمْ قَطْرٌ عَضُوبٌ إِلَى قَطْرِ

* * *

نَسِيْتُ فُؤَادِي إِنْ نَسِيْتُكَ مَوْطِنِي
فَمَا لِي لِعَصْرِي حِينَ أَنْسَاكَ مِنْ عُدْرٍ
وَإِنْ أَنَا لَمْ أَذْرِفْ دُمُوعًا فَإِنِّي
أَحْمَلُ صَبْرِي مَا يَنْبِئُ بِهِ صَبْرِي
فَإِنْ نَحْنُ شَتَّتْنَا سَيَجْمَعُنَا غَدًا
نَدَاءٌ "مَجِيدٌ حِينَ نَهْتَفُ لِلشَّارِ"

(١) من قصيدة عنواها « وداع نازح » اغاني العودة — ص ١١٧ *

ومن يطأب الأمالَ بالجد والهدى
سيجنى ثمار الجد بالفوز والنصر

النص الثامن للشاعر أحمد يوسف (١)

يأيها الوطن الغالى سقاك حيا
فأنت أكرم أرضٍ حاكها بشرٌ
ذكراك فى قلبى الدامى يُعاودها
شوقٌ يلين إلى تحنانه الحجرُ
نفسى تُحدثنى مما أنوء به
بأن حُبَّك لا يُبقى ولا يذُرُ
يا موطنى أنت آمالى وما حملتُ
منى الجوانحِ لا ميينَ ولا ضجرُ
هل للعروبة حظ فيك مؤتلق
يُحىي لهم من قديم المجد ما هجروا ؟
وهل بنو العرب شاء الله أن يثبوا
من رقدةِ النومِ فالآمالِ تحتضرُ ؟
ماذا ادخرت من الذكرى لمن فقدوا
بفقدك المجد وانتابتهم الغيرُ ؟
إن السياسات سامتنا الهوان وما
نلقاه منها حياةٌ كلشها كدرُ

(١) من قصيدة عنوانها « يا موطنى » القلم الجديد الأردنية العدد

النص التاسع للشاعر خالد نصرة (١)

من دم الثَّـأْر من ثَخِينِ الجِـرَاحِ
سوف أسقى غدى ، وأروى سـالـاحـي

من لظى الحِقِّـدِ والأذى والمآسى
نسجت قبضة الجهـادِ وشاحـي

يا فلول الدجى ، ويا جَحْفَلِ الظلم
استعدا إلى لقاء الصَّـبـاحِ

قد صحت أمتى لتكتسح الضمـيمِ
والاضطهاد كل اكتساحِ

جذوة الوعى ألهبَّتْ كل قلبٍ
وأنارت له طريق الكفـاحِ

(١) من قصيدة عنوانها « يا فلول الدجى » البيان العدد ٦٢٠٧ —

الأغاني والأناشيد

النشيد الأول للشاعر محمود نديم الأفغاني

قسماً بروح الخالدين

أنا من أنا في العالمين° أنا من ربى البلد الأمين°
أنا من فلسطين الطعين° أنا من فلول اللاجئين°
لكننى رغم السنين° أنا ما وهنت° ولن ألبين°
سأظل مرفوع الجبين° وسأستردك يا عـرين°

قسماً بروح الخالدين

وطنى أذوب لذكركا° وطنى أحين° لِعهدكا°
أنا نعمة° من روحكا° أنا جَذوة° من ناركا°
أنا سوف أحرق خصمكا° وغداً أطهر أرضكا°
لكم مهجتي ودمى لكا° سأظل° أهتف باسمكا°

سأظل أهتف كل حين

وطنى الحبيب المفتدى° وطن المروعة° والندى°
دُم° سالماً رغم العدا° دُم° للبطولة° سيّدا°
نحن الشباب لك الفيدا° لالـن° نبالى بالردي°
إن طال أو قصّر المدى° سنبيد° كل من اعتدى°

سنعيد عهد الفاتحين

زد° يا زمان تحكما وتجربرا وتظلثما
أنا لن أطاطيء طالما في خافقى تجرى الدما
أنا يعربنى كما عبس الزمان تبسما
سأطهرنك يا حمى فاشهد أيارب السما

ولأنت خير الشاهدين

النشيد الثانى للشاعر كمال ناصر (١)

نشيد العودة

يا أخى اللاجئ عش لا تيأس فالأسى يحيى كرام الأنفس
إنما العودة فرض "خالد" لربنا يافا وبيت المقدس

* * *

ها هو الساحل مشتاق إليك أرضه الخصبة تحتاج يدك
لعنة الأجيال قد تبقى عليك إن نسيت البيت بيت المقدس

* * *

قد رضينا العيش ما بين الخيام ورضينا النذل ما بين الأنعام
قدّموا السمّ إلينا فى الطعام فغدونا كالقطيع الأخرس

* * *

(١) جريدة البيان العربية فى نيويورك . السنة الخامسة والأربعون —
العدد ٦٢٠٦ — ١٦/٤/١٩٥٥ .

مزقوا الخيمة و امشوا قَدُّمًا وانسجوا هذى البقايا علما
ولتَسَلْ فوق الثرى منكم دما فى سبيل الوطن المقدس

النشيد الثالث للشاعر هارون هاشم رشيد (١)

نشيد بلادنا

بلادنا بلادنا من أجلها جهادنا
من أجلها استشهادنا بلادنا بلادنا

* * *

الكَرْمَلُ المَعَطْرُ والسَّاحِلُ المَخْضُوضُ
واللوزُ والصنوبرُ والبرتقالُ المزهَرُ
وما بنى أجدادنا بلادنا بلادنا

* * *

من رَفَحٍ لِمَصْفَدٍ خريطة لبلدى
رسمتها فى كَبِدِي ورثتها لولدى

* * *

لها غداً سنرجعُ وأرضنا سنزرعُ
فجاهدوا وأبدعوا تهيئوا تجمعوا
ففى غدٍ ميعادنا بلادنا بلادنا

(١) المصدر السابق - العدد نفسه من جريدة البيان ١٦/٤/١٩٥٥ .

التشيد الرابع للشاعر نفسه (١)

تشيد فلسطين

من كهوف البؤس من ليل الخيام°
سوف نمضى دائماً إلى الأمام°
سوف نمضى في عنادٍ واحتدام°
ويشق الشعب أستار الظلام°
بنفوسٍ لاتبالي بالعنا

دائماً فوق الشفاه° دائماً هذا التشيد°
يملاً الدثنيا صداه° هاتفاً فينا يعيد°

إنما النصر لنا

الذرا السماء والنقب الحبيب°
والشطوط الخضر والمرج الخصب°
كلها نادت إلى اليوم الرهيب°
لانبثاق الفجر للنصر القريب°
لاندفاع الشعب حراً مؤمناً

الفصل الثاني

مأساة فلسطين في شعر أبناء الأقطار العربية

في مصر

مولد إسرائيل

نص للشاعر على الجازم (١)

أليس من أحجيات الدهر قُبْرَةٌ
رعناءٌ تزحمُ في الوكر الشواهِينا ؟
وتأبِه " ما له دار " ولا وطن
يَسْطو على دارنا قسراً ويَقْصينا ؟
فيا جبالٌ اقذفي الأحجار من حمم
ويا سما أمطري مهلاً وغسيلنا
ويا كواكبُ آن الرّجمُ فانطلقى
ما أنت ؟ إن أنت لم ترمى الشياطينا
ويا بحارُ اجعلى الماء الأجاج دماً
إذا عكّتْ رايةً يوماً لصا هيونا

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين » استقيناها عن مصدرين :

أولاً - الفتح - العام الثامن عشر - العدد ٨٥٨ .

ثانياً - الأهرام - العدد الصادر بتاريخ ١١/٦/١٩٤٨ .

العهد عندهم خلف" ومجسدة

فما رأيانهم إلا مرائيننا

* * *

مَرَّ حَى لِدَوْلَتِهِمْ مَاتت لِمَوْلَدِهَا

فَكَانَ مِيْلادُهَا حُزْناً وَتأبِينِنا

جاءوا مهنين أرسالا على عجل

فحينما نطقوا كانوا معزينا

وَأَصْ تَطْرِيْهِمْ نوحاً وَمَنْدَبَةً

وَأَصْبَحَ الْبِشْرُ تَقْطِيْياً وَتَعْضِيْنا

رواية" ما أقاموا سببك حبيكتها

ولا أجادوا لها حفظاً وتلقينا

قد حيرتنا أمساءة" ؟ أمهزلة" ؟

فالسُّخْفُ يَضْحِكُنَا وَالْجَهْلُ يَبْكُنَا

لَهَا قَوَانِيْنٌ مِنْ عَدْلِ وَمَرْحَمَةٌ

قد نَفَذُوا بَعْضُهَا فِي (دِيرِ يَاسِيْنَا)

* * *

نَفْسِيْ فِدَاءٌ فِلَسْطِيْنٍ وَمَا لَقِيْتِ

وَهَلْ يَنْجِي الْهُوْىَ إِلا فِلَسْطِيْنَا ؟

نَفْسِيْ فِدَاءٌ الْاَوْلى الْقَبِيْلَتِيْنِ غَدَتْ

نَهْباً يَزَاحِمُ فِيْهِ الذَّئْبُ تِنِّيْنَا

قَلْبُ الْعَرُوبَةِ اِنْ تَطْعَنَهُ زِعْنَفَةٌ

كُنْنا لَهَا وَلِأَشْقَاها طَوَاعِيْنَا

وَقَلْعَةُ الشَّرْقِ اِنْ مُسَّتْ جَوَانِبُهَا

خُضْنَا لَهَا جِثْثُ الْقَتْلِ مَجَانِيْنَا

وَأَسْطُرٌ مِنْ تَوَارِيخٍ مُخَلَّدَةٍ
كَانَتْ لِمَجْدِ بَنِي الْفُصْحَىٰ عَنَاوِينَا
فَقَبِّلُوا تَرْبَ « حَطِين » فَإِنْ بِهِ
دَمَ الْبَطُولَةِ مِنْ أَيَّامِ حَطِينَا
أَرْضٌ بَدَلْنَا بِهَا الْأَرْوَاحَ غَالِيَةَ
دَاعِينَ اللَّهِ فِيهَا أَوْ مَلْبِيئِنَا
* * *

قَدَشَّرَدُوا الْعَرَبَ وَاسْتَأَقُوا حَرَائِرَهُمْ
فَأَيْنَ فِتْيَانِنَا أَيْنَ الْمَحَامِدُونَ ؟
مِنْ كُلِّ عَادٍ لَهُ فِي الشَّرِّ فِلْسَفَةٌ
أَسْرَارُهَا عِنْدَ « مَوْثَى » وَابْنُ غُورِيُونَا
لَا يَعْرِفُ الرِّثْءَ فِي أَهْلِ وَلَا وِلْدٍ
وَلَا يَرَىٰ غَيْرَ جَمْعِ الْمَالِ قَانُونَا
الْأَلْفُ تُصْبِحُ فِي كَفَيْهِهِ — بَيْنَ رَبًّا
وَبَيْنَ مَالَسَتْ أَدْرِيهِهِ — مَلَايِينَا

* * *
بَنَى الْعَرُوبَةَ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَكُمْ
سِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ إِنَّ الْمَوْتَ يَحْمِينَا
وَخَلَقُوا لِلْعَلَا وَالْمَجْدِ خَالِدَةً
تَبْقَى حَدِيثَ اللَّيَالِي فِي ذَرَارِينَا
مَاذَا إِذَا مَا فَقَدْنَا إِرْثَ أُمَّتِنَا
وَمَا الَّذِي بَعْدَهُ يَبْقَى بِأَيْدِينَا ؟
إِنْ لَمْ تَصُونُوا فِلَسْطِينَا وَجَبَّهَتَهَا
ضَاعَتْ عُرُوبَتِنَا وَأَنْفَضَّ نَادِينَا
(م ٣٠ — الشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْحَدِيثُ)

حرب فلسطين

النص الأول للشاعر على محمود طه (١)

أخى جاوزَ الظالمون المَدَى فحقّ الجهادُ وحقّ الفِدا
أنتركتهم يَغصبون العروبة مجدّ الأبوةِ والسؤددا ؟
وليسوا بغيرِ صليلِ السيوفِ يُجيبون صوتاً لنا أو ندا
فجرّدْ حُسامك من غمّدهِ فليس لهُ بعدُ أن يُغمدا

* * *

أخى إنّ في القدّس أختاً لنا أعدّ لها الذابحون المُدَى
أخى قَمِّمْ إلى قبلةِ المشرقيينِ لنحمي الكنيسةَ والمَسجدا
أخى قَمِّمْ إليها نَشْتِقُ النُغمار دَمًا قانِيًا ولظىً مرّعدا
فلسطين يحمي حماكِ الشباب وجلّ الفدائيُّ والمُفتدى
فلسطين تحميكِ منّا الصّدورُ فإمّا الحياةُ وإمّا الرّدَى

النص الثاني للشاعر نفسه (٢)

شرفاً كماءَ النّبلِ أيّ بطولَةٍ راع الكماءَ فنونها وضروبها ؟
ومواقفِ لكمُ تشيّدُ بذكرها دُوكُ وراءَ النّصارِ قام رقيبها

(١) من قصيدة عنوانها « أنشودة الجهاد في يوم فلسطين » أخذناها عن مصدرين :

أولاً — الأهرام ١٢/٢/١٩٤٧ .

ثانياً — الرسالة — العدد ٧٨٣ — ١٩٤٨/٧/٥ .

(٢) من قصيدة عنوانها « في موكب الأبطال » حيا فيها الشاعر أبطال

الفالوجية •

الرسالة — العدد ٨٢٠ — ١٩٤٩/٣/٢١ .

الرسالة — العدد ٨٢٣ — ١٩٤٩/٤/١١ .

ومَلاحِمُ الأبطالِ في فاشوجيةٍ
قصصُ الكِفاحِ غريبُها وعجيبُها
(هومير) ماغنَى بها (طروادة)
وكمثلُها ما ألهمتهُ حروبُها
خربوا الحصارَ على الكُماةِ فجاههم
فطنَ الشجاعةُ في الحروبِ أريئها
متمرّسٌ بطباعِها متفرّسٌ
في روعها يقظُ الخطى مرهوبُها
طلعتْ به أفريقيًا وتطلعتْ
آجامُها وجبالُها وسهوبُها

النص الثالث للشاعر العوضى الوكيل (١)

دارت رَحاها واستمَرَ مريرها
وطغتْ زَمازمتُها ولجَّ قنيرُها
حميتْ على الأسدِ الغضابِ دروعُها
فانداحَ في لججِ الفُضاءِ زئيرُها
من كلِ أروَعٍ تطبّبه شهُوةُ
لِنَصْرٍ يكفحُ جانبيه سَعيرُها
يمضى إلى غاياته وكدَّأنه
قدَرٌ يبيدُ خصومه ويُبيرُها
أختُ تَضامُ فكيف يَكُلُّ دونها
إنْ لَمْ يُجرها فالنِقاءُ مجيرُها

(١) من قصيدة عنوانها « في تكريم أبطال الفالوجة أيضا » . الرسالة —
العدد ٨٢٣ — ١٩٤٩/٤/١١ .

وشَقِيْقَةٌ أَحْنَتْ عَلَيْهَا عَصْبَةٌ
أَمْصَارُهَا أَسْلَابُهُمْ وَتُغَوَّرُهَا

* * *

أَرَأَيْتَ لِلْأَبْطَالِ فِي (فُلُوجَةٍ)
قَصَصًا تَأَلَّقُ فِي الْعَيْونِ سَطُورُهَا

إِنْ أَعْطَشَتْ دُمِيَا الْكِفَاحِ تَأَلَّقَتْ
فَأَضَاءَ آفَاقِ الْكِنَانَةِ نُورُهَا

فَصَلِّ مِنْ التَّارِيخِ تَرْنُو نَحْوَهُ
حِقْبُ الزَّمَانِ وَتَشْرُئِبُّ عَصُورُهَا

حز على البذل واشادة بالتضحية والاستشهاد

النص الأول للشاعر أحمد مخيمر (١)

نلتَ الشهادةَ فاهناً أيها البطلُ
بمِثْلِ عَزْمِكَ تَبَنَى مَجْدَهَا الدُّوْلُ
أمامكَ الجنَّةُ الخَصْرَاءُ تَفْتَحُهَا
لكَ الدماءُ التي أهرقت والأسائلُ
السَّابِقُونَ مِنَ الأبطالِ قَدْ دَخَلُوا
والمساعدون من الأحرارِ قَدْ وَصَلُوا

* * *

إن يقتلوك فبالذل الذي شربوا
من راحتيك ، وبالضيم الذي نهلوا
لو لم يُعَنِّهمُ بنو التاميز ما حملوا
رُحْماً ولا قاتلوا لو أنهم حملوا
أخسبُ ما شهدته الأرض من أمم
كأنهم من قرار الذل قَدْ جُبِلُوا

* * *

يا حامى القدس من كيدٍ يُرادُ به
خِلا العرين ، ومات الضيغم البطلُ
أغناك عزمك عن نظم وعن خطب
فلم تنزل بلسان السيف ترتجلُ

* * *

(١) من قصيدة عنوانها «عبد القادر الحسينى» . الرسالة — العدد

يا بن الحسين تحيات " نرددها
ما أشرق الشبح ، أو ما ابيضت الأصل
جنات عدن إلى لثقياك ظمئة"
والسابقون لدار الخلد ، والرستل
فانعم بخلدك في أبهائه فرحاً
إن الخلود جزاء "أيثها البطل

النص الثاني للشاعر محمد رجب البيومي (١)

صعدت روحها إلى عالم الغيب
كعطر يفوح بين الزهور
الطيور الجميلة الشدو غنت
في ابتهاج ، أحب بشدو الطيور
أخذت نايها الحزين وغنت
بين أترابها بلحن مريـر
سألها • أفي الخلود نواح
وعويل "يهيج وجد الصدور ؟
فأجابت : شهيدة تطلب الثأر
حيثاً لقلبها الموتور
ليس ينسى فؤادها في فلسطين
أنيباً يذيب صمّ الشخور
ذكرت قصة الكفاح فجادات
عينها كالحياء بدمع غزير

(١) من قصيدة عنوانها « المجاهدة الشهيدة حياة بلاسة التي استشهدت
في مجزرة دير ياسين الوحشية » الرسالة - العدد ٧٩١ - ٣٠/٨/١٩٤٨ •

ذكرت مصرع العدالة في دنيا
أحيطت بجائمات المشدور

* * *

الكماب الحصان يزحفن للنصر
كموج يفيض جمّ الهدير
و [حياة] شهيدة الحق تسطو
في جحيم الوغى كليث همور
رفعت راية البطولة فاعجب
للواء في كفّ ظبي غريير

المأساة

النص الأول للشاعر محمد عبد الغنى حسن (١)

أرض البطولة هــهـه عبّراتى
تهدى إليك وهـهه حسراتى
الليل لفئك فى سـوواد ثيابه
وطواك فى عصف الرياح العباتى
ذهبت بشاشتك النضيرة وانطوى
ذاك الضيياء الحلو فى الظلمات
دهمتك من عصـب الزمان عصابة
أفاقـة منهُومة الشـهوات
لا تـتقرّ على الثرى أحداقهم
إلا على العـدوان والغارات
كانوا على الإسمـلام منـذ قيامه
حرباً ، وكانوا مبعث النكبات
أفظتهم الدنيا فلم يجدوا سوى
أرض الكـرام وموطن السرورات
أرض " يـصـون المسـلمون تـرابها
بالطيب الغالى من المهجـبات

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين الشهيدة » ماض من العمر ص ٣٩ .

النص الثاني للشاعر محمد مصطفى الماحي (١)

فلسطين الثمينة كنت هدياً
رآه أخو الهوى صيداً سمينا
فكم قاسيت من كيدٍ جناباه
ذوو رحمٍ غدوا حرباً طحونا
وشر الكيد ما يجنيه أهله
خليق أن يكونوا الذئبائدينا
فكديتُك إذ غدا أهـلوك نهياً
وباتوا في العراء هـردينا
غزتهم عصابةً ملئت حقدوداً
فأجلتهم ، وشتت القطينا
وسامتهم كوارث غاشيات
أقضتهم وشتيت الجنينا
نبت بهم المذاجع حين أمسوا
يسقون المذلة والشجوننا
وكانوا في مواطنهم كراماً
فصاروا البائسين اللاجئيننا
يلقون الإغاثة من عدوٍ
يرى في بذلهـا كرمنا ولينا

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين » ديوان الماحي ص ١٠٣ .

النص الثالث للشاعر كمال النجمي (١)

خلت فلسطين من ساداتها النشجب
وأقفرت من بنى آباءها الشهب
طارت عن الشاطيء الخسالى حمائمُه
وأقلعت سفن الإسلام والعرب
يا أخت أندلس بذلاً وتضحيةً
وطول صبرٍ على الأرزاء والنشوب
ذهبت في لجة الأيام ضائعةً
ضاياع أندلس من قبل في الحقب
وطوّحت ببنيك الصبيد نازلةً
بمثلها أمة القرآن لم تصب
أهلوك أين هم ؟ شطت مهاجرهم
وأسلموا كخماص الطير للعطب
اللاجئون بأهليهم وصبيتهم
والتائهون بهم في كل مضطرب
والنازحون عن الأوطان شتتهم
بطش العدو وبأس الحادث الحزب
ويقتل النفس من غمٍّ ومن كمدٍ
فناؤهم وهم منبا على كئيب

* * *

يا آل يعرب في مصرٍ وجيرتها
ملاؤم سمع هذا الكون بالصخب

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين الضائعة » . الرسالة — العدد
٩٢٧ — ١٩٥١/٤/٩ .

لما تكلم صهيون بلهزمه
جاوبتم السيف بالأسجاع والخطب
أضعتم بلاداً عاش الخليلُ به
وأنزل الله فيهِ أول الكتبِ

تصوير اللاجئين

النص الأول للشاعر محمود حسن اسماعيل (١)

أخى قد مزقت ريح الدشجى
وساقتنى على الأرض
وهذا الشبح المطرود
ينادى أين ملكُ الله
وأين الأرضُ تحملنى
وبعض خُطى فى
بيتى وأيامى
بهذا الهيكل الدامى
فى هذا الأسمى الطامى
تخبطُ فيه أقدامى؟
وتدفن بعض ألامى؟
هذا الدشجى المتفجر الهامى؟

* * *

هنا فى خيمة البهتان
لدى مأوى كحد الميتِ
رُميت كدعوةٍ وقفتُ
يصبُّ التيهُ فى خلدى
فأشربُ حيرتى وبكائى
وأذرفُ أدمعى الخرساء
والطغيان والزبور
فى النسبِ يان محفور
على درب المقادير
خطا الظلمات فى النور
من كفاء الأعاصير
فى صمتِ الدياجير

* * *

(١) من قصيدة عنوانها « من دموع اللاجئين ». الرسالة — العدد

أطفئـالى مع الفجر
بين مداخل المسخر
على نعش ولا قبر
بلا سكن ولا عمر
بعض ندادك للجمـر
للظلمات للقمـر

أخى قد غال ذئب الجوع
وبعثرهم جنون السيل
فلا أدري لهم شبحاً
كما كانوا هنا عادوا
ظلمت أنوح يا ربنا
فجاء الموت يفغرنا

* * *

وصوت العمار أخزانا
شيئاً فوق دنيانا
والتشريد ألواننا
أكلنا القوت حرمانا
لبسنا الموت أكفاننا
وجدنا الناس ذؤباننا

ضباب الذئب غثنا
ولم يترك لنا الطاغون
أذاقونا عذاب التبييه
إذا صمنا من الجوع
وإن نحنا من العثري
وإن رثنا ندى الناس

* * *

ما شئتم الإسلام والعربا ؟
لم يتمزقوا غضبا ؟
بهم تتجرع النوبا ؟
وتشكو القييد واللها
ساقوا اللهو واللعبا
صحا على أفواهكم كذبا

سألوهم وأسألوا
وكيف على تراب الذئب
وكيف غدت فلسطين
تنوح على سياستهم
وهم لمذابح الشبهوات
وقالوا : الشـرق : قلت

النص الثاني للشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي (١)

خرس " فمـن عن ويلهـم يتكلم
ومعذبون لهم تقام جهنم
جنت السياسة مثلما جنت الوغي
والظالمون العاشمون عليهم
وتشردوا لا يملكون وجودهم
لو كان يملك الوجود البهيم
ضاعت معاقبهم ، وضاعت قبلها
أمم " وهان معزز " ومنعم
إن المصيبة لا مثيل لرزئها
فبما روى التاريخ أو ما يعلم

النص الثالث للشاعرة جليلة رضا (٢)

كلما استيقظ طفل بين أجواء القصور
هانئاً يختال مزهواً بثوبٍ من حرير
ينثنى ناعم الأطراف وضياء الجبين
زهرة بالدار تنمو وتروى بالحنين
في نعيم العيش في فيض الأمانى والسرور

* * *

اذكري يا أم طفلاً آخراً تحت السماء
زائع الأبصار مكدوم الأمانى والرجاء

(١) قصيدة عنوانها « اللاجئون » من السماء ص ١٥٤ .

(٢) قصيدة عنوانها « اذكري يا أم » اللحن الباكي ص ١٢٤ .

شردته^١ الأمة النكراء في عرض الوجود
من نواحي « غزة » الفيحاء والماضي المجيد
هائماً أشبه^٢ بالأشباح في وادي الفناء

* * *

هو قبل البؤس والحرمين ابن الأكرمين
وهو يا شرق^٣ ابنك المنسى^٤ ابن الراحمين
هو قبل الذل^٥ طير^٦ مثل أطيبار الربيع
هو قبل الجوع زهر^٧ من أزاهير الرشبع^٨
هو بعد الظلم حلس^٩ الفقر وابن الملاجئين^(١)

(١) هناك عدد من الشعراء في مصر عدا من تخيرنا لهم نصوصا استلهم
المأساة نذكر منهم الشاعر محمد الأسمر الذي أوحى له فلسطين بقصائد ستة
في ديوانه من ص ١٩٥ — ٢٠٥ وقصيدة سابعة عنوانها « الحق » نشرتها
الأهرام في عددها الصادر في ١٩٤٨/٧/٢٠ *
وللشاعر محمود غنيم قصيدة عنوانها « سلالة يعرب » نشرتها الرسالة
في العدد ٧٦٤ الصادر في ١٩٤٩/٢/٢٣ ، وقصيدة ثانية عنوانها « يا أخت
عمورية » نشرتها الرسالة أيضا في العدد ٨٧١ الصادر في ١٩٤٨/٦/٢١ .

في سوريات

نقمة على الملوك والرؤساء

نص للشاعر سليمان العيسى (١)

الشعلة الظمأى نشيدي والزفرة الحاررى قصيدي
لا تــــســــأليني أن أعــــنــــي بين جلجلة القيــــود
أنا في بلاد لا تجيــــد سوى المذلة والســــجود
المسوت والإبداع لا يتلاقيان على صــــعيد
خلق الطليق من اللحــــون لغير قيثار العبيــــد

* * *

يا أمة أدلت أمس ببأسها ورفعت هامى
أخلقت وحدك للقبور وللهمــــود وللظلام؟
ملك الخنوع لفــــرط ما مرغت روحك في الرغــــام

* * *

أوليت أمــــرك خادعين يمزقونك كيف شــــاءوا

(١) من قصيدة عنوانها « بعد هدنة فلسطين » مع الفجر ص ١٥٠، وله في المأساة قصائد أخرى تضمنها ديوانه السابق وديوانه « أعاصير في السلاسل » و « شاعر في النظارة » .

الأساة

النص الأول للشاعر عمر أبي ريشة (١)

أمتى هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم ؟
ألقاك وطرفي مطرق خجلاً من أمسك المنصرم
ويكادُ الدمعُ يهْمِي عابثاً ببقايا كبرياء الألم
أين دنيائك التي أوحى إلى وترى كل يتيم النغم ؟
كم تخطيت على أصدائه مَلْعَب العزِّ ، ومغنى الشمم
وتهاديت كأني صاحب مئزري فوق جباه الأنجم
حلم مرةً بأطيف السنى وانطوى خلف جفون الظلم

* * *

أمتى كم غصّةٍ داميةٍ خنقت نجوى علاك في فهى
أى جرحٍ في إبائي راعف فاتته الآسى فلم يكتئم ؟
الإسرائيل تعالو رايةً في حمى الهدر ، وظلّ الحرّم ؟ !
كيف أغصيت عن الذلّ ولم تنفضي عنك غبار التهم ؟
أو ما كنت إذا البغى اعتدى موجةً من لهبٍ أو من دم ؟

(١) من قصيدة عنوانها « بعد النكبة » مقاطع من قصيدة نظمها سنة ١٩٤٨ ديوان عمر أبي ريشة — المجلد الأول — دار العودة — بيروت سنة ١٩٧٩ .

فِيمَ أَقْدَمْتِ وَأَحْجَمْتِ وَلَمْ
يَتَّسِفِكَ الثَّأْرُ ، وَلَمْ تَتَّقِمِي
اسْمَعِي نَوْحَ الْحَزَانِي وَاطْرَبِي
وَانظُرِي دَمْعَ الْيَتَامَى وَابْسَمِي
وَاتْرَكِي الْجَرْحَى تَدَاوِي جُرْحَهَا
وَأْمْنِي عَنْهَا كَرِيمَ الْبَاسِمِ
وَدَعِي الْقِسَادَةَ فِي أَهْوَائِهَا
تَقْفَانِي فِي خَسِيسِ الْمَغْنَمِ
رُبَّ وَامْتَنَتُمْ مَاهُ انْطَلَقَتْ
مَلَأَ أَفْوَاهِ الْمَسَابِيَا الْيَتِيمِ
لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لِكِنِّهَا
لَمْ تَلَامِسْ نَخْوَةَ الْعَتِصِمِ

* * *

أُمَّتِي كَمْ صَنِمٍ مَجَّدْتِهِ
لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طَهْرَ الصَّنَمِ
لَا يُلَامُ الذُّبُّ فِي عُدْوَانِهِ
إِنْ يُّكُ الرِّاعِي عَدُوَّ الْمَغْنَمِ
فَأَحْبَسِي الشَّكْوَى فَلَإِي لَمَا
كَانَ فِي الْحُكْمِ عَبِيدُ الدَّرْهِمِ

النص الثاني للشاعر بدر الدين الحامد (٢)

فِي مِيَادِينِكَ دَمْعٌ وَدَمٌ
نَزَّحَ الْأَهْلُ وَدَيْسَ الْأَجَمُ
وَهَضَى التَّسَارِيخُ لَمْ يَحْفَلُ بِنَا
فَبَكِي الْمَهْدُ وَنَاحَ الْحَرَمُ

(١) من قصيدة عنوانها « في مأساة فلسطين » مجلة القلم الجديد —

مَا لِمَتِكَ الْخَيْلُ فِي السَّاحِ كَبَتْ°
مَا الْأَبْطَالُ الْتَوغَى قَدَّ وَجَمُوا؟
لِيَتَهُمَ مَا جَرَدَوْهَا حَمَلَةً°
ضَحِكْتَ مِنْهَا عَلَيْنَا الْأَمَمُ°
وَطَوَيْنَا صَفْحَةَ الْحَرْبِ فَمَا
لِعَزِيزٍ بَعْدَ هَذَا كَلِمُ°
نَحْنُ كَالْقَطْعَانِ فِي رَحْبِ الثَّمْضَا
نَمْلَأُ السَّهْلَ وَلَكِنْ غَنَمُ°
أَحْبَسُ الْآهَ بِصَدْرِي الْمَاءُ
أَيْ آهٍ لِي وَقَدْ كُنتُ الْفَمُ؟

* * *

ومعاذَ الله أن أنسى الألى
لا يبالون المنياتِ وهُمُ°
غَفَرَ اللهُ لَهُمْ هَلْ عَمُوا
مثلاً يَرَوِي عُلَاهُ الثَّمَمُ°
فَهُوَ فِي الْأَجْدَاثِ أَكْفَانُهُمْ°
أينما سِرْتُ شَهِيدٌ مُعَلَّمُ°
بذلوا في الرَّوْعِ أَرْوَاحَهُمْ°
فِي رَحَى الْمِيدَانِ سَيْلٌ عَرِمُ°
أَنَّهُمْ فِي الْخَلْقِ لَحْمٌ وَدَمُ°

* * *

كم فقاةٍ خَرَجْتُ مِنْ خَدْرِهَا
ومشتُ فِي اللَّيْلِ حَيْرَى تَلْطَمُ°
ولكم طفل ذبيح ولكم
من شيوخٍ بالحروب اصْطَلَمُوا
يَتَكْوَهُمْ فِي الْعَشِيِّاتِ وَلَا
مَلْجَأٌ يَحْمِي وَلَا مُعْتَصِمُ°

أين ؟ لا أين : قطيع" سـسـارح
في البراري والنشامي نـوـم
بـسـارك الله عـيـكم دـفـنت
نـخـوة العرب فـعـيشوا واسـلـموا

* * *

يا فلسطين لك الذكري ولى
مدمع بعند النوى منسجم
إن بكى (الرندي) ثرى (اندلس)
فلمعناك بشعري مآتم
يا فلسطين وداعاً باكياً
شملنا انبت فهل يكتئم ؟

النص الثالث للشاعر أنور العطار (١)

فلسطين يادنيا المجادة والحب
وبأ مهبط الإلهام واللحم العذب
عليك سلام العرب يندى مواجعا
ويشرب دمع العين غرباً إلى غرب
تطوف بك الذكرى ويهفو لك الهوى
كأنى منك الجسم خلوأ من القلب

* * *

ديار الهوى لأزلت مـخـضـرة المنى
تـرف على مغناك فينانة العشب
دـهـتك من الدنيا كوارث جمّة
وألقت بك الويلات في مزلق صعب

(١) من قصيدة عنوانها « فلسطين » .

وما غير الأيام مهما تفاقمت
بأعظم مما ذقت من فادح الخطب

* * *

أيئدو مطاف الجدر نهباً مفسماً
ولا تغضب العرباء لانهب والسلب ؟

وكانت إذا نابت دياراً أذية
تفجرت الأرواح بالسمر والغضب ؟

حنانيك ربى ملىعرب لم تفق
وما خلقت إلا من الشب والهب ؟

فما بالمها إن هاجها البغى لم تهج
وإن قرعت بالسب أغضت على السب ؟

أحقنا توانت عن منازلة العدا
أصدقاً وليت الصق ضرب من الكذب

وهل غصب العادي دياراً أحبتي
وقرعت نفوس العرب طوعاً على الغضب ؟

* * *

ذياً حادياً إمنا تيممت أرضها
فعرّج عليها وانثر الزهر في الدرب

ومجدد دماء أهرقت في رحابها
وسكسبل لها وجدى وصور لها حبى

وقل يا دياراً مضها لا عج الأسى
وأسلمها الباغى إلى المهّم والكرب

أيا طول شجوى إن خلصت إلى العدا
ولم ترّجعى يا دارة العرب للعرب

النص الرابع للشاعر عادل الفضبان (١)

بالأمس حررت الشامُ وفي غدٍ
تتجوو فلسطين من الأغرَابِ
أمن العدالة أن تكون ربوعها
وطناً لكلِّ مثيرٍ ومُرابٍ ؟
هيهات ما هي سلعة تقنى ولا
عقب الوغى سلب من الأسلاب
لن تستباح وفي الزمان عزائم
وسواعد عريضة الأحسابِ
مالم يسؤخذ بالسلاح يضيع في
أبحاث هؤتمرٍ وزور كتابِ
ياشرق لا تسكن إلى دعة المنى
فالغرب كشر عن نيب ذئاب
يبنى الحضارة ثم يهدم ركنها
ويسرّدها فيها نعيب غرابِ
جرّد سؤوفك واخبرن مضاءها
هيهات يقطع صارم بقرابِ

تصوير اللاجئين

نص الشاعر على دهر (٢)

وخيامٍ للاجئين كساها الثلجُ
في الليل برودة كالقراءِ
خلفوا في ديارهم كسوة العز
وباتوا في كسوة الغرباءِ
يتراءى لهم خيال قُصور
غادرؤها في الجنة الفيحاءِ

(١) من قصيدة في رثاء الزعيم السوري سعد الله الجابري . وللشاعر في المأساة قصيدتان أخريان ومصدرهما مجلة الكتاب التي أصدرتها دار المعارف
(٢) من قصيدة عنوانها (اللاجئون) حنين الليالي ص ٧٩ .

أين جيرانهم وأين ذووهم
فرقتهم أيدي الزمان ونار
رُبَّ طفل ألقته في الليل رعباً
نسيت خدرها وطاشت لدى
واجتماع الأحابيب والأقرباء؟
الخصم في تيه ذلة وبلاء
أمه بين هامد الأشلأ
القصف المدوي في الغارة الشعواء

الأمل في المستقبل

نص للشاعر الدكتور زكي المحاسني (١)

ما هزمتنا لكي نموت ونفنى
ونبكي الحياة إن نحن عشنا
نحن قوم ما نام فينا على الضيم
أبي ولا على الدهر هتبا
كفك الشعير عن مرأى فلسطين
فشعر الدماء أبقى وأغنى
غدنا المرتجى كما رمت آت
باننقام سيغيب العار عنا

(١) الدكتور شوقي ضيف — فنون الأدب العربي — الرثاء — ص ٥٢ .

فِي لِسَانِ

جلاء الانجليز عن فلسطين ومولد إسرائيل

نص للشاعر فؤاد الخطيب (١)

بِئِنَّتُمْ فَمَا شَيْئَكُمْ دَمْعَةٌ هَطَلَتْ
وَلَا تَعَطَّلْتِ الْآحَادُ وَالْجُمُوعُ
وَلَا تَزْعَزَعُ مِنْ مَهْدِ الْمَسِيحِ لَكُمْ
رُكْنٌ ، وَلَا نَكَّسَتْ أَعْلَامَهَا الْبَيْعُ
وَهَلَكَلَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى فَلَا نَذْرُ
تَنْتَرَى ، وَلَا وَجْهَهُ الْوَضَّاحُ يَمْتَقِعُ
وَقَدَّ رِحْلَتُمْ فَكُنْتُمْ عِلَّةً ذَهَبَتْ
وَمَا تَرْحُزُحُ مِنْ آفَاتِهَا الْوَجَّاعُ
* * *

يا جيرة [المانش] والتوراة تنبئكم
عن اليهود فهل بالوحي منتفع ؟
لم يحمدا الله والآيات تبهرهم
فهل يكون لكم في حمدهم طمع ؟
وكيف مسح اديكم أن يفارقهم
من ذلك الطبع لئوم فيسه منطبع ؟

* * *

(١) من قصيدة عنوانها « الى المنتدبين الراحلين » قالها في وداع السلطات البريطانية يوم ارتحالها عن فلسطين في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ بعد أن وطدت فيها أقدام اليهود الصهيونيين تنفيذا لتصريح بلفور . وللشاعر قصيدة أخرى عنوانها « فلسطين الثكلى » ومصدرها ديوانه .

إن الثَّالِثِينَ عاماً من وصايَتِكُمْ
كاللُّغْزِ تُؤْمَضُ من أثْنائِهِ اللُّشْمُ
فالعربُ عَزَلٌ ، وما كانت صوارمكم
يوماً بغير دماء العزْلِ تَقْتَتِعُ
ولليهود كما شئتُمْ مِصَانِعُهُمْ
من السِّلَاحِ وَهَنُكُمْ عِنْدَهَا الصَّنْعُ
إن يَصْلُبُوكُمْ وَيَغْزُوكُمْ فِلا عَجَبُ
فالحب يغفر إصرَ القومِ والتَّوَلَعُ

المأساة وتموير اللاجئيين

نص للشاعر عاطف كرم (١)

عائِبِي المَجْدَ واعْصِفِي يا مَلاحِمُ
غَرِقْتَ بِالدِّمَاءِ أَرْضَ المَراحِمِ
أى أَفْئِدِ هُنَاكَ مابات قَفْرًا
وسـديما معطل النَجْمِ قاتمُ
نَزَحُوا والجِراحُ تَبْرِي المَنابِيا
والرَّدى مرعف الجِوارِحِ حائِمُ
أين يارب دَرَبُهُم أين ؟ يا غيبُ
ألم يَبِقُ في البَريَّةِ راحِمُ ؟
وانثنروا شُرُوداً وللجِوعِ أَظْفارُ
طِـوَالِ " وللشِّقاءِ مَناسِمُ
شَبِعَ الفَقْرُ مِنْهُم ، وارْتَوَى الظلمُ
ومُدَّتْ على النَجْيعِ الولائِمُ

(١) من قصيدة عنوانها « عودة اللاجئيين » الآداب — يناير سنة ١٩٥٥
وهناك قصائد استوحت للمأساة للشاعر ابراهيم شرارة ومصدرها مجلة
الآداب البيروتية من سنة ١٩٥٣ — ١٩٥٥ .

قل لحامى الجناة فى القدس : رَوَّعت
فأين النهى وأين المــــزاعِمُ ؟
أمن العـدلِ أن تـسودَ السبـايا
ويُساقَ الأحرارُ سَوقَ العنـائمِ ؟
إن تـكنُ تـلكم الحـضارةُ غنـى
يا ضواري ، وهلكى يا ضياغمُ

* * *

يا فلسطين أى سرٍّ وجميع
أنت فى موكب الفِدا والعظائم ؟
يا فلسطين ما ذكركِ إلا
وبقلبي جرحٌ على العمر ناقيم
أمتى أين عــــزتى وإبائى
بك إن نادَتْ الجراحُ البلاسم ؟
يا بلادى قُومى لقد صرَّع الحق
وحنَّت إلى الأيـاب القشـاعمُ
هكذا يكتب الخلودُ : يراعُ
من دماءٍ ، وصفحةً من ملاحمُ

في العراق

نقمة على الملوك والرؤساء والحكام

وثورة على العرب والعروبة

النص الأول للشاعر عدنان الراوي (١)

أخى ناموا وما قاموا	عبيدهم وأغنام
وقد طال بهم ليل	وأذرى حصدهم نذل
فما أرهقهم ثقل	وما أرقتهم ذل
وما أيقظهم طبل	صخورهم وأصنام
فما قاموا لقد ناموا	عبيدهم وأغنام

* * *

وأزرى بهم الغرب	فما أجدى بهم عتب
وأوهى مجددهم خطب	وقد طافت بهم حرب
وقالوا إنهم عرب	عروضهم وأنعام

* * *

ويسقى أرصهم وغد	ويطوى بأسهم حقد
ويكوى عزمهم كيد	لهم تاريخهم مجد
وفي إجماعهم سعد	أساطيرهم وأوهام

النص الثاني للشاعر نفسه (١)

سَأَكْفُرُ بِالكَوْنِ وَالْعَالَمِينَ وَأُنْكِرُ كُلَّ عَقِيدٍ وَدِينٍ
وَأَمْسِكُ قَلْبِي عَنِ أُمَّتِي وَأَبْعَثُ شِعْرَ الْمَهْوَى وَالْفُتُونِ
سَأَنْسِي بَأْنِي فِي مَوْطِنِي إِلَى الْعَرَبِ يَنْسُبُهُ الْأَوْلُونَ
فَأِنِّي يَكُنْتُ وَفِي صَبَوْتِي شَكْرًا ، وَفِي مَقَلَّتِي الْأَيْنِ

* * *

سَأُرْجِعُ لِلشَّعْرِ أَشْكَو بِهِ حَيَاةَ الْعَبِيدِ وَعُمُقَ الشَّجُونِ
فَلَا ذَاكُم « لَنْدُنِي » الرَّؤْيَى وَلَا ذَاكَ « لَلْأَنْكَلِيزِ » مَعِينِ
وَلَا قَالَ « شَرْتُوكِ » كَيْتَ وَلَا تَقْدَمُ « صَهْيُونَ » نَحْوَ جَنِينِ
وَلَا ذَاكُم « يَعْزِبِي » الْمَنَى وَلَا ذَاكُم « أَعْجَمِي » يَخُونِ

* * *

(١) من قصيدة عنوانها (أستغفر الله) المصدر السابق ص ٨٥ .
وقد استوحى الشاعر مأساة فلسطين بفيض من قصائده التي نذكر منها :
أولا — جيشنا وجنودنا — كلام النار يا جيش — ثورتان عربيتان —
جيش العروبة أقدم — حربنا الأخيرة — نحن واللاجئون — العبد والسيد —
زمان — ساسة — عيد العبيد .

ومصدر هذه القصائد ديوان الشاعر « من العراق » .
ثانيا — ملحمة شعرية بعنوان الأوديسة أعدها للطبع تحت عنوان
النشيد الأسود خص فيها فلسطين بثلاثة أناشييد هي الرابع والخامس
والسادس .

ثالثا — قصيدة طويلة عنوانها (أخی طوفنا الدُّلج) .
رابعا — قصيدة عنوانها (من حيفا) أوحى بها أن صديقا للشاعر سأل
طفلا لاجئا يبيع السجائر والكبريت قائلا له من أين أنت أيها الأخ العربي
فأجاب الطفل بلهجة العزيز المستذل أنا من حيفا وقد نشرتها جريدة لواء
الاستقلال العراقية سنة ١٩٥٠ — العدد ٩٦٤ .

خامسا — قصيدة عنوانها (قريتنا على البحر الأبيض المتوسط) نشرتها
مجلة الآداب في عدد ابريل سنة ١٩٥٣ .

يَكُومُ—وَتَنَى أَنَى يَأْسِ
وَأَنْدُبَ حَظَّ الْبِلَادِ الَّتِي
وَأَبكى الشَّبَابِ الْأَلَى هَزَّهُمْ
فَمَا هَزَّ شِعْرِي جَبَانًا وَلَا
وَإِنْ ضَاعَ حَقُّ الْبِلَادِ فَهَلْ
وَإِنْ نَهَبَ النَّاسُ أَوْ طَانَنَا
أَشِعْرِي يَثُورُ عَلَى هُدْنَةٍ
سَأَبكى بِشِعْرِي عَلَى أُمَّةٍ

فَأَضْحَكُ مِنْ فِطْنَةِ اللَّائِمِينَ
تَنَامُ وَيُوقِظُهَا النَّائِحُونَ
قَصِيدِي وَكَانُوا مِنَ الْعَامِلِينَ
تَأْلَمُ مِنْ شِعْرِي الْخَائِنُونَ
تَعُودُ الْحَقُوقُ بِشِعْرٍ حَزِينٍ ؟
فَهَلْ يُرْجِعُ الشَّعْرُ مَا يَنْهَبُونَ ؟
يَقْرُرُهَا مَجْمَعُ الْخَائِفِينَ ؟
تَلُودُ مِنَ الذَّلِّ بِالشَّاعِرِينَ

* * *

يَقُولُونَ قَدْ كُنْتَ فِيمَا مَضَى
وَتَفَخَّرُ بِالْعَرَبِ فِي حَاضِرٍ
و «نحن» و «نحن» فَأَيْنَ الَّذِي
أَحْكَى الْحَقِيقَةَ يَا سَادَتِي
سَأَذْكُرُهُمْ كَلِمًا أَبْصَرْتُ
سَأَذْكُرُهُمْ كَلِمًا بَكَّرْتُ
سَأَذْكُرُهُمْ كَلِمًا نَوَّحْتُ

تُبَاهِي بِقَوْمِكَ فِي الْمَادِحِينَ
وَتُرْغِي وَتُرْبِدُ فِي النَّائِرِينَ
تَقُولُ ؟ وَأَيْنَ تَرَاثُ السُّنِينَ ؟
سَلَامٌ عَلَى السَّاسَةِ الْحَاكِمِينَ
عَيُونِي فَرَدًّا مِنَ الْمَلَجِّينَ
إِلَى عَشَّتْهَا بَوْمَةٌ فِي الْمَغْصُونِ
حَمَامَاتُنَا فِي رَبِّهَا الْغَافِلِينَ

النص الثالث للشاعر خالد الشواف (١)

وَفُودٌ تَطِيرُ ، وَقَوْلٌ يَتَّقَلُ
وَأَنْتُمْ كَفَاكُمُ خِدَاعًا لَنَا
أَفَى كُلِّ يَوْمٍ لَكُمْ مَحْفَلٌ

سَمْنَا الْكَلَامَ فَأَيْنَ الْفَعَالُ ؟
فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّابِرِينَ الْمَلَالُ
تَقَدَّمَتْ سَهْرَةٌ وَاحْتِفَالُ ؟

(١) من تصييدة عنوانها (صرخة في آذان الزعماء) .

ويَنْفُضُ^١ عن ثَرَوَةٍ في الوعود
وَحَدَّامَ^٢ يَدْرُسُ^٣ أمر الحمى
أَفَى^٤ أَمْرِهِ يَذْمَمُ^٥ الارتجال
أما مِنْكُمْ^٦ مَخْطِئٌ^٧ واحد^٨
وعن أَمْنِيَّاتٍ^٩ عَرَّاضٍ^{١٠} طِوَالٍ^{١١}
مَلِيئاً^{١٢} وَيُعْرَضُ^{١٣} كل احْتِمَالٍ^{١٤} ؟
وكل الذي تَفْعَلُونَ^{١٥} ارْتِجَالٍ^{١٦} ؟
يُثِيرُ^{١٧} عَلَيْكُمْ^{١٨} بِأَمْرِ^{١٩} النَّضَالِ^{٢٠} ؟

* * *

فلسطيين باتت بأيدي اليهود
تهاوى بنوها ، وخرّ الشيوخ^١
أما فيكم نخوة تستثار^٢
إلام^٣ التّواني ، إلام^٤ القعود
أما هزكم سوء^٥ هذا المصير
فلسطيين إن لم تُحَرَّرْ^٦ فإن
فإن ليالي الشعوب حبّالي^٧
فماذا انتظاركم^٨ للقتال^٩ ؟
وأطفالها^{١٠} وطئت^{١١} بالنعال^{١٢}
لما لقيته^{١٣} ذوات^{١٤} الحجال^{١٥} ؟
وعدتم^{١٦} كثيراً^{١٧} ففيم^{١٨} المطال^{١٩} ؟
فقد هزّ^{٢٠} والله^{٢١} حتى^{٢٢} الجبال^{٢٣} ؟
مناصبكم^{٢٤} عرّضة^{٢٥} للزّوال^{٢٦}
وسوف يلدن^{٢٧} الدّواهي^{٢٨} الثقّل^{٢٩}

النص الرابع للشاعر نفسه (١)

بالأمس كانت^١ فلسطين قَضِيَّتِنَا^٢
والقدس^٣ في يومنا والباقيات^٤ غدا
وكان أدنى^٥ أمانينا^٦ عُرُوبَتِهَا^٧
فصار تدويلها^٨ الحلم^٩ الذي افتقدنا
وأنتم^{١٠} يا رجال^{١١} العُرب^{١٢} ما فعلت^{١٣}
آياتكم^{١٤} تلك^{١٥} بالجمع^{١٦} الذي احتشدا^{١٧} ؟
متى ستوحى^{١٨} لكم^{١٩} أحداث^{٢٠} عالمكم^{٢١}
يا حاكمين^{٢٢} بأن^{٢٣} « العدل »^{٢٤} قد فقدا^{٢٥} ؟

(١) من قصيدة عنوانها (تدويل القدس) وللشاعر غير هاتين القصيدتين في المسألة القصائد التالية : الثأر - نشيد الزحف - ترقب - الهدنة الثانية - في أعقاب الهدنة - غناء - ان السكوت على الاجرام اجرام .

وَأَنْ أَسْطُورَةً يَدْعُونَهَا « شَرْفًا »
بَاخَتْ ° وَكُلَّ ضَمِيرٍ بَعْدَهَا جَمَادًا
وَأَنْ شَيْئًا يُسَمَّى « الْحَقَّ » بَيْنَهُمْ °
أُودِيَ ° ، وَآخِرُ يَدْعَى « وَاقِعًا » وَوَلِدًا
مَلَأْتُمْ مَسْمَعِ الدُّنْيَا بِجَعَجَعَةٍ °
جَوْفَاءَ لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ صَدَى
مَاذَا تَقُولُونَ لِلتَّارِيخِ وَيُحْكَمِ
إِذَا بَعَارَ اللَّيَالَى حَدَثَ الْأَبْدَا ؟
يَأْسَاسَةَ الْعَرَبِ سَقَيْتُمْ ° شُعُوبَكُمْ
مِنْ كَرَمَةِ الْخُورِ الْقَتَالِ مَا قَصَدَا
لَا تَحْسَبُوا أَنَّهَا أَغْفَتْ ° وَإِنْ ثَمَلَتْ °
وَيْلَ الْحُكُومَاتِ مِنْ ثَارِ الشُّعُوبِ غَدَا

النص الخامس للشاعر على الحلبي (١)

هَلْ عَرَفْتُمْ مَنْطِقَ السَّاسَةِ °
خَدَّرُوا الْأَعْرَافَ مَذَّ
وَتَمَادَوْا فِي الْأَرَاجِيفِ °
وَتَبَارَوْا فِي الْخَطَابَاتِ °
وَرَأَوْا فِي الْمَأْكَلِ الدَّسْمَ °
وَقَضَّوْا مِنْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ °
ثُمَّ دَأَسُوا شَرَفَ الْعَهْدِ °
إِنَّهَا مَهْزَلَةٌ الدَّهْرِ °
زَفَّهَهَا النَّبْغَىٰ إِلَى °
فِي دُنْيَا الْفَضِيحَةِ °
كَانَتْ فِلَسْطِينَ جَرِيحَهُ °
وَقَدْ أَمَسَتْ ذَبِيحَهُ °
وَكَمْ كَانَتْ فَضِيحَهُ °
مِلْذَاتٍ مَثْرِيحَهُ °
لَيْتَ لِيهِمْ مَلِيحَهُ °
« بِمِيثَاقِ أَرِيحَهُ » °
وَقَدْ كَانَتْ صَرِيحَهُ °
دُنْيَا التَّقَاهَاتِ الصَّبُوحَهُ °

(١) من قصيدة عنوانها (مؤتمر أريحا) .

النص السادس للشاعر نفسه (١)

أسمعت عن صرعى اللثام
في زحمة الطرقات تصخب
ومساء « قبيا » المستجير
بجماجم المستشهدين
ويعج سَفح الطهر
تجذها الأيدي الحقيرة
بالجمهاير الفقيرة
يلوذ بالظلل النثيرة
تضح بالزق الوفيرة
بالجث الملاح المستنيرة

النص السابع للشاعرة أم نزار الملائكة (٢)

فلسطين حرق قلبى الألم
حنانك لا تشتكى فالقلوب
شوى القوم فى غفلة الميئين
كفرت بمجدك يا أمتى
أجامعة العرب ماذا جنينا
وتلك اليهود ، وتلك الوعود
رجونك براءاً لدامى الجراح
وأرهقنى بسعير النقم
استحالت وراى عليها الصمم
وسيقوا لذبحهم كالغنم
وما المجد إلا صراع ودم
وفيم انتهينا وأين القسم ؟
ترى هل خوت وطواها العدم ؟
فكنت الجراح وكنت الألم

النص الثامن للشاعر محمد مهدي الجواهرى (٣)

حماة الدار ما النكسات سر
ولا لغز يحار المرء فيه
فما ذهبت فلسطين بسحر
ولا شئ تكلف فى بجاد
فيجهل ما سداس من أحاد
ولا كتب الفناء بلا مداد

(١) من قصيدة عنوانها (قبيلة الشهيذة) وللشاعر غير هاتين القصيدتين — فى المأساة القصائد الآتية : حصاد العار — انتفاضة — عودة النازحين — دير ياسين — قبيلة — نحالين — يا فلسطين — العيد الكئيب — الذكر الدامية .

(٢) من قصيدة عنوانها (من جراحنا الدامية) القلم الجديد — العدد العاشر .

(٣) من قصيدة عنوانها « فلسطين » ديوان الجواهرى ج ١ ص ٧٧ .

وما كانت فلسطين لتبقى
وست جهاتها أخذت بجوع
شعوب" تسترَوْش فما يَبْقَى
وجيرتها يصاح بها بداد
وجهل واحتقار واضطهاد
على أثر لها ذل الصفاد

* * *

حماة الدار لولا سُم غاوي
ولباس" على خنك وغدر
ولولا نازلون على هواه
نسوا — إلا نفوسهم — وهاموا
أجرهم على ذهب فجرشوا
وقادوها له كبش افنداء
لكنتم طب علتها ، وكانت

أساغ شرابه فرط التصادي
ثياب الواقفين على الحيا
سكارى في المحبة والوداد
غراماً حيث هام بكل واد
فلسطيناً على شك القتاد
صنيع الهاربين من القادي
بكم تحدى على يد خير حاد

تصوير اللاجئين

نص للشاعر ابراهيم الوائلي (١)

لكم العيد نعيماً وهناءً
لكم العيد كانفاس الضحى
ولنا العيد ظلاماً دامساً
لكم العيد نشيداً ورؤى
ولنا العيد حنيناً وأسى

ولنا العيد جحيماً وشقاءً
ألقاً يبسم حسناً وبهاءً
لم نطالع فيه للفجر ضياءً
وأهازيجٍ ولحناً وغناءً
ومناحاتٍ وشجواً وبكاءً

* * *

(١) من قصيدة عنوانها (من وحى اللاجئين) الرسالة — العدد ٨٠١ —
١٩٤٨/١١/٨ وله في المسألة القصائد الآتية : يا بنت وايزمان — الأندلس
النانية — نهاية الملحمة . ومصدرها على الترتيب أعداد الرسالة ٧٩٣ ،
٨٠٩ ، ٨٧٨ .

نَحْنُ ما نحنُ ؟ أفي أوطاننا
نلبسُ التَّشْرِيدَ والذلَّ رِداءَ ؟
نحن ما نحن ؟ أعنَّ تثريننا
للطريدين غَدونا طُرداءَ ؟
الطفولاتُ عَراها ما عرى
من أذى اليَتيمِ ولم تكلِّ عَزاءَ
والأيامى وسَلوا تاريخها
هل أباحتْ لِسِنَى الشمسِ سَواءَ ؟
هيمنَ الثَّكَلُ عليها ومضتْ

تعبراً البيدِ وتطويها حَفاءَ

* * *

زَمَرُ" باتت على مسغبةٍ
تحصد الشوكَ وتقتاتُ الغنَاءَ

فيتيم أفطتَ اليَتيمَ به
من وحوشٍ ملئوا الليلَ غَواءَ

وفتاةٌ أسفدتْ راحتها
طفلةٌ تبكى ، وأماً نفَساءَ

ورضيعٌ كلما اشتدَّ به
ألمُ الجوعِ احتسى الدَّمعَ غِذاءَ

لم يجدْ في التَّدبُّرِ - إذ يكَمَسُه
بيدِ واهنةٍ - إلا دمَاءَ

* * *

أيها العدلُ سلاماً فلقد
مكثوا العالمَ رُعباً ومَضوا

فإذا الأمنُ خيالٌ كاذبٌ
وطيوفٌ نتجافانا ازْدِراءَ
خالقَ النبتةِ أمطرها السَّماءَ
جفَّت الأرضُ من الرىِّ فيا

في اليمن

قران التقسيم

نص للشاعر محمد محمود الزبيري (١)

هيئة الأمم

وفلسطين ذلك الوطنُ الغالي
أحقُّ قد اضمحلَّ وجُوده ؟
قصموا ظهره وقالوا مصاب
فادحٌ ينبغي لنا تضييده°
كلما أوجسوا من الشعب خوفاً
سلكوا أمره إلى من يبيده°
أمن العدلِ أن يفر ويُسْتَبقى
على الغضب كل لص يُجيده°
يطرُد الشعب من حماه ويستاق
إليه من كل شَعْب طريده°
لم يدمرُ حمى القوانين في العالم
إلا نَقوده ويَهْـودُه°
سوف بينى الشَّعب الأبى ضحاياه°
ويسترجعُ القديمَ جديدة°

(١) من قصيدة عنواتها (صحوه العرب) .

أنتم عالم من المغرب الأقصى
إلى الشرق خافقات بنوده

عالم واحد وإن زعمته
ألف شعب ثغوره وحوده

سوف يبقى حقيقة تملأ الأرض
ويبقى عوده وحسوده

في المملكة العربية السعودية

حرب فلسطين وحض على البذل

النص الأول للشاعر ابراهيم هاشم فلالي (١)

يا جنـدَ مكة والحطيمِ أعـدتم العهـد القـديمِ
لما وثبتم كالشيثوثِ لنـصرة البـلد الحميمِ
وأجبتهم داعي الجهادِ ونلتهم الشرف العظيمِ
صهيون حـدثتْ كيف كنتِ لـدى مقارعة القرومِ
لو لا الألى — عبر البحار — أتوكَ في ثوب الرحيمِ
كي ينقذك من الأعرابِ ما مشيت على الأديمِ
لا العربُ لا مصرُ العظيمةُ لا الكرامةُ ، لا الحلوُمِ
ترضى جيوارك للعروبةِ أو تراك على التخومِ
أو في فلسطين الأبيسةِ وهى منا في الصميمِ

* * *

يا شعبَ يعربَ وثبةً نشفى بها الصدر العظيمِ
فارهِفْ سلاحك واحتشدْ للحرب تبلغ ما ترومِ
ودع الكلامَ فليس ينفع في العدا قولُ الكليمِ
ماذا أفدنا بالخطابةِ والقصاصِ والنغومِ ؟
بالسيف لا بالقول يأخذ حقه البلدُ الهضمِ

(١) من قصيدة عنوانها (تحية الجيش السعودي العائد من فلسطين) ديوان الحانى ص ١٨ وقد استوحى الشاعر مأساة فلسطين في ديوانه بالقصائد التالية : صهيون — أين السلاح — انا لنشعلها — انذار — العروبة في مأتم — يا قومي — غارة صهيون .

النص الثاني للشاعر محمد حسن عواد (١)

يا مُلْتَقَى أَمَلِ العُرُوبَةِ فِي دَجَى
الْخَطْبِ الْأَحْمَمِّ وَرَدَّأَهَا فِي المَعْضِلِ
ضَمِي الصَّفُوفَ إِلَى الصَّفُوفِ لِتَسْتَوِي
لَكَ يَا فِلَسْطِينَ الحَيَاةُ وَتَعْتَلِي
وَتَكَلَّمِي مَا شِئْتَ حَيْثُ تَكَلَّمْتِ
دَعْوَى الْيَهُودِ بِبَاطِلٍ مُتْرَمِّلِ
قَوْلِي بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مَشْرُوعَةٍ
لِغَوَاةِ (وَيَزْمَنُ) أَوْ عَشِيرَةِ (شُؤْلِ) (٢)
الْحَالِمِينَ بِعَرَّشِ صَهِيُونَ عَلَى
أَنْقَاضِ تَاجِ أَمِيَّةِ المِتْكَلِ
وَالْعَادِرِينَ بِعِزِّ رَبِّ وَبِأَخْتِهَا
وَالْوَاغِلِينَ بِجُرْأَةِ المِتْفِئِلِ
سَنَعِيدُ (لِلرِمُوكِ) يَوْمًا ثَانِيًا
فِي قَلْبِ (تَلِ أَبِيبِ) عَوْدَةِ مَوغِلِ
أَوْ يَوْمِ (حَطِينِ) يَضُمُ عَنَاصِرًا
شَتَّى وَيَبْزُرُ مِيزَةَ المِسْتَبْسِلِ
أَوْ يَوْمِ (ذِي قَارِ) يِدَافِعُ عَنِ دَمِ
يَعْلَى وَيَصْرُخُ بِالحَيَاةِ وَيَبْتَكِلِي
سَقْرُونَ (سَعْدًا) بَادِئًا وَمُعْتَقِبًا
مُتَبْتَلًا فِي العَسْكَرِ المِتْبَسِّلِ

(١) من قصيدة عنوانها (الى فلسطين) ديوان في الأملق الملتهب ص ٨٩

(٢) شؤل أو شأؤول ملك قديم من ملوك اليهود واسم من أسمائهم

أو (خالداً) مُتَدَفَعاً مُتَوَغَّلَا
بحُسامه ، وبجيشه المتوغَّل

النص الثالث للشاعر فؤاد شاعر (١)

واضيعته وواهاً أيها العربُ
فيم الجمودُ وهذا الكون يَصْطُخِبُ ؟
ماذا أفدتُم من الإخلاق ويحكُمُ
الخطبُ حُمٌ ، فلا تُجدي به الخطبُ ؟
خكروا الحديثَ لحَدِّ السيفِ إن له
فصل الخطاب وفيه المنطق الذَّرِبُ
تحنى الرعوسُ لما يُمليه خاشعةٌ
حتى القلوبُ على أضلاعِها تُثبُ

* * *

يا يومَ حيفاً وما الأيامُ واحدةٌ
لأنتَ وحدك في تاريخها العُجبُ
انظرُ ورائك ماذا أنت مُبصره
وانظر أمامك ما تأتي به الحُقبُ
وقل لمن طربوا غَدراً رويدهم
فلن يطولَ بهم في غيهم طَرِبُ
سَيَندمون على عُقبى الوغى زدهم
يسيل فيه دم الأكبَادِ ينسربُ

(١) من قصيدة عنوانها « فجيعة العرب في تسليم حيفا » وحى الفؤاد ص ٢٦٧ وله في المأساة القصائد الآتية : سنسحق بالأقدام ذل التقسيم — تحية التقسيم — سئمت أحاديثي وعفت كلامي — ومصدرها الديوان .

النص الرابع للشاعر حسن عبد الله القرشي (١)

ما فلسطينُ جراحٌ أعولتُ ما فلسطينُ دمٌ لم يجمد
ما فلسطينُ بقايا أدمعٍ وأنينٌ حائرٌ لم يهجد
جرّ دوها فهي عثريٌ وضمني وهي مأساةٌ الضمير الأربد
عبث العادي فأصلها أذني واستتباها كل واهي الجلد
يا فلسطين عزاءٌ وارقبني في ضبابٍ اليوم أنوار الغد

قرار التقسيم ومولد إسرائيل

نص للشاعر طاهر زمخشري (٢)

ليس في الأرض للذليل ديارٌ
وفلسطينٌ للعُـرُوبـة دارٌ
وقرارٌ التقسيم أسودٌ داجٌ
وجلاءٌ اليهودٍ عنها نهـارٌ
ورثوا الـذـلَّ من قديمٍ وما
زال يقفّي خطاهمُ أين ساروا
فامشقوها مواضيياً لا تثبالي
ولها الدين في الكفاح منارٌ
واكتبوا بالدماء ميثاقَ صدقٍ
يشهدُ الدهرُ أننا أحرارٌ

(١) من قصيدة عنوانها « الشهيد » مواكب الزكريات ص ١٣٥ .
(٢) من قصيدة عنوانها « صرخة مدوية » ديوان أنفاس الربيع ص ١٤٤
والشاعر قصيدة ثانية عنوانها « نداء فلسطين » المصدر السابق ص ١٣٨ .

كل شبر من أرضها دونه الهول
ولثم الثمّات ، والنصر غار

* * *

أنفایات ذلّة وشقاء
تبتغى في مرابض الأسد داراً
أفمن قيل عنهم (أمّة الهدى)
فاكتبوا بالدّماء صفحة مجدٍ
لفظتها الأقطار والأمصار ؟
وبكهف الأسود ، كيف القرار ؟
كمن قيل (إنهم أشرار) ؟
إنما المجد للأبى شِعَار

في الكويته

هيئة الأمم - حرب فلسطين - المأساة

النص الأول للشاعر عبد الله زكريا الأنصاري (١)

قد سئمنا القول من كان وكنا
وملنا النظم ألفاظاً ووزناً
خطب" تلقى فلا نسمعها
غير أقوالٍ حوت دناودناً
وقصيد" زوّقت أوزانته
قد خلت أبياته من كل معنى
ليس يجدى زُخرف" من كلمٍ
لا ولا يدرِكُ شيئاً من تمنّي
نتمنّي والأمانى كـذب"
يا لها من أمنياتٍ ليس تقنى

* * *

مجلس الأمن وكم أسمعنا
من ضروب الزور في التحكيم فنا
لا أرى قصرك هذا أبداً
غير بيتٍ شيد للأحرار سجننا
يا [ليافا] أتراها هودت
بعد ما كانت لآل العُرب ركننا ؟

(١) من قصيدة عنوانها « قد سئمنا وملنا » .

وَ [لِحَيْفَا] أَتْرَاهَا أَقْفَرَتْ
وَحَلَّتْ أَرْبُعُهَا مَعْنَى فَمَعْنَى ؟
لَيْتَنِي وَالِدَهُرٌ فِي سَكْرَتِهِ
لَا أَرَى عَيْنًا وَلَا أَسْمَعُ أذْنَا

النص الثاني للشاعر نفسه (١)

نَكَأَ الْجَرْحَ مَا أَصَابَ فِلَسْطِينَ مِنْ الْجَوْرِ وَالْأَسَى الْمِلْحَاحِ
أَيْنَ لَا أَيْنَ ؟ أَيْنَ شِعْرِي لِأَرُوى مَا تَعَانَى ، وَأَيْنَ أَيْنَ صُدَاحِي ؟
عَاثَ فِيهَا الْمَشْرَدُونَ جِهَارًا وَأَبَاحُوا مَا كَانَ غَيْرَ مَبَاحِ

* * *

يَا فِلَسْطِينَ أَنْتِ أَنْشُودَةُ الْمَجْدِ
وَذِكْرُ الْمُقِيمِ وَالنِّزَاحِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ كَيْفَ اسْتَحَالَتْ
سُوحَكَ الْفِيحُ لِلْخُمَيْرِ الْإِبَاحِي
نَامَ عَنكَ اللَّيْثُ فَاسْتَأْسَدَ
الذِّئْبُ ، وَقَدْ جَارَ فِي الْقَضَاءِ الْمَتَاحِ

* * *

يَا بَنِي الْعَرَبِ وَالْعَدُوِّ مَجْدِ لَيْسَ تَتَمُو أَوْطَانَنَا بِالنُّشُوحِ
مَا عَلَيْهِ إِذَا اسْتَبَاحَ حَرَامًا أَيُّ لَوْمٍ ، وَمَالِهِ مِنْ جُنَاحِ
فَاطْلُبُوا الْمَوْتَ بِالْجِهَادِ لِيَنمو وَانْشُدُوا الْعَزَّ فَوْقَ هَامِ الْأَضَاحِ
قَدْ دَنَتْ سَاعَةُ الْجِهَادِ وَقَدْ حَلَّتْ فَحِيَا عَلَى الْعَلَا وَالْفَلَاحِ
فَحْيَا الْفَتَى عَلَى الشُّوْكِ خَيْرٌ فِي ذَرَى الْعَزِّ مِنْ خُدُودِ الْأَقَاحِ

(١) من قصيدة عنوانها « ثورة نفس » وله قصيدة ثلاثة عنوانها « فلسطين » .

في حضرموت

المأساة

النص الأول للشاعر أحمد السقاف (١)

يا ساكبَ الدَّمعِ آلاماً وأحزاناً
أضرمت في القلب والأحشاء نيراناً
قل لى بربك هل فارقتها لهباً
وهل غدت لبنى صهيون ميداناً ؟
وكيف خلّيت « حيفا » بعد نكبتها
وهل مررت على « عكا وبيسانان » ؟
و « دير ياسين » حدّت عن فجيعتها
ففى فجيعتها بعث " لوتاناناً
خَفَّ الدخيلُ إليها وهى آمنة"
فراح يذبح أطفالاً ونسواناً
أين المواثيقُ والأمنُ الذى زعموا
أينكب السلمُ أرض السلمِ عدواناً ؟
الحقُّ للمدفعِ القصِّافِ ليس لمن
يريدُ من « مجلس التضليل » إحساناً
[لكن قومى وإن كانوا ذوى عددٍ
ليسوا من الشرِّ فى شيءٍ وإن هانا]

* * *

(١) من قصيدة عنوانها « يا ساكب الدمع » القيت في الاحتفال بعيد
السنة الهجرية سنة ١٩٤٨ .

يا أيها القوم هبّوا ذا أوانكم
عار" عليكم إذا ما نتمم الآنا
الله أكبر إن بين اليهـــــــــــــــود لهم
بأرضكم عبوةً ملكا وسُطانا
موتوا ففي الموت إغــــــــــــلاء" لدينكم
ويمّموا الخلدَ في تكريم « رضوانا »
أيقطحُ الظلمُ من أحشائنا وطناً
ويخلق الأفكُ من صهيون إنسانا ؟

النص الثاني للشاعر نفسه (١)

إيهٍ شعري قد ذاب جسمي للخطب
وقلبي لهـوله قد تفتـر
أين ذاك الإبــــــــاءُ كيف استتــــــــام
القومُ عن حقهم متى العرب تتأر ؟
لهف نفسي على المخدرة العذراء
في أسر أنذل الخلق أحقــــــــــــــــر
تلطمُ الخدَّ للمهانة والعمار
وتبكي على العفــــــــــــــــاف المطهــــــــــــــــر

* * *

يا بــــــــــــلادي تفــــــــــــديكِ نفسي إنــــــــــــى
حائر الفكر في الوجود المزور

(١) من قصيدة عنوانها « في ركب محمد » القيت في احتفال بذكرى مولد الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم ، ونشرت بعد ذلك في أول عدد من مجلة الايمان الكويتية الذي صدر في يناير ١٩٥٣ وقد استوحى الشاعر مأساة فلسطين بقصيدتين أخريين عنوان الأولى « تحية الكويت لمصر » وعنوان الثانية « من الهام النبي صلى الله عليه وسلم » .

إن نظـرنا إلى الثـراء فإننا
في مجال الثـراء أقوى وأقـدر
أو نظـرنا إلى الجمـوع فلسنا
بأقل الثـعوب بل نحن أكثر
فلمـاذا غزتـك هـذى الحـثالات
ومن خـيرك الدخـيل تنـمر ؟
يجرح العـين أن ترى أن فينـا
قادةً بدلوا وجيـلاً تغـير
همهم في الحـياة أن يجمعوا المـال
وأن تبنتى قصـور وتعمـر

* * *

يا بلادى أنت السـناء من الكون
وأنت الجمـال يسبى ويسـحر
فاقبلى الشـعر أنـة من جـريح
ودمـاً سـال من شـهيد معـر

ثورة على العرب والعروبة وإشادة بمصر وجيشها

نص للشاعر أحمد باكثير (١)

يا بنى العـرب ، يا بنى العـرب لا
أسمع غير الصـدى إلى يعـود
أين أنتم لا در در" أبييكم
أقصـور" تضمكم أم لـود ؟

(١) من قصيدة عنوانها « بنى العرب » وللشاعر فى المأساة قصيدتان
أخريان عنوان الأولى « العمل لا القول » وعنوان الثانية « تلكم العقرب » .

أتركتكم جيش الكفانة يحمي
دونكم وحده وعنكم يزود ؟
عرب أنتم كذبتهم ؟ كذبتهم
إنما أنتم يهود يهود
لا بل ان اليهود أمثال منكم
هم أفاع تخشى وأنتم دود
لتمنيت لو نميت إلى الزنج
وما مئت بي إليكم جودود
إنما أنتم شنار وعار
ووبال دان وغوث بعيد
لعنات من السماء عليكم
تعزريها صواعق ورعود
إن أصلاب يعرب لبراء
منكم أيها العبيد العبيد

* * *

إيه يا مصر لا يذل لك الدهر
لواء ولا يفيل حديد
أنت أنت الرجاء حين طغى
اليأس علينا والهيم والتسهد

في السُّودَانِ

هيئة الأمم ومجلس الأمن

نص للشاعر عبد الرحيم عثمان صارو (١)

طالت على الأيام رقـدته
وخلًا من الوجدان والمهـج

فمتى ترى ثقـمـتـه
وتقرعين العـالم اللـهـج ؟

* * *

ثملت من الإغفاء عيناه
أم ذاب تحت جفـونه البصر ؟

يا ليت شـعرى أين مثـواه
بين الجـوانح أيها البـشر ؟

* * *

فيم المـجامع أيها النـاس
قبول "يسر ومنطق" عجب

ومواثق يتعجب المـناس
من حسـنها والدر والذهب

* * *

فيم الجـامع راح يـنهـزم
حق بها ويعـز بهتـان

(١) من قصيدة عنوانها « الضمير العالى » . الرسالة - العدد ٨٠٤ - ١٩٤٨/١١/٢٩ . وللشاعر قصيدة ثانية عنوانها « الى جيش مصر الباسل » العدد ١٨١٥ من الرسالة .

لو صحت النييات والذمم
لم يشق تحت الشمس إنسان

* * *

لو لم تك الأهواء غالبيةً
ومطامعٌ تعدو وتتبع
لم تذولوا للعرب واضحةً
غراء مثل الشمس تأتلق

* * *

تاه السلامٌ وحرار بينكم
ويكادُ يقضى نحبهُ طفلاً
تتمشـدقون به وفعلكم
يردى السلام ويورث القتلا

في ليبيا

الأساس

النص الأول للشاعر أحمد فؤاد شبيب (١)

يا بنى يعرب من تاريخكم سفرٌ حياتي
منه أمسى في نضالٍ زاخرٍ بالتضحيات
منه يومي في إيبائي ومضائي وثباتي
منه آمالٌ غدٍ يجمعنا رغم العُدادة
عُدَّةٌ "للحق للإيمان تُردى كلُّ عاتي
أمة تستلهم الماضي لتبني خير آت
وتحيلُ العزمَ ناراً كي تنال اليوم ثارا

* * *

أنا ما عشتُ سأحيا لكم نعم الوفيِّه
أنتم منى وإنسى لكم دارٌ أبيِّه
غايتي مجدٌ وتحريرٌ للأرضي العربيِّه
ما وفائي وفلسطين على الذلِّ شقيِّه ؟
من أنا إن لم تكن يعربٌ في الكون قوِّيه ؟
أنا من يحمي الذمارا ويرى في الصمت عارا

(١) من قصيدة عنوانها « تحية الأخوة العربية » القلم الجديد الأردنية -
العدد الحادي عشر .

النص الثاني للشاعر رفیق المهدي (١)

أبعد فلسطين الشَّهيدة عندنا
سرور" بعيد نحن بالحنن أخلق
فلسطين في الأعماق مازال جرحها
يعجّ دماً أو أدمعاً تترقرق
فلسطين لولا الغرب ما جاس حولها
لشذاد إسرائيل شمع ملبق
ولا صار ذكر الملاجئين إذا نما
إلى عربي قلبه يتمزق
متى يستفيق الشرق أي مصيبة
تؤثر في إحساسه فيحقتق ؟
متى يقتدى في فعله « بمصدق »
فقد ضرب الأمثال فعلاً مصدق (٢)
وحقق أن الحق يعملو وأنسه
وإن جار حيناً باطل سوف يزهق

النص الثالث للشاعر سليمان تريح (٣)

فيا قومي أعزّ الله قومي
فإن الحق لا يعطى بشكوى
فلا والله ما أجدي احتجاج
شريعة هذه الدثنيا نضال
ألا قوم يبادون افتداءً
دعوا سفه احتجاج أو شكاة
تقدّم والعدالة في سبات
ولا أجدت أفانين اللغات
وذود" عن حياضك بالظلمات
ويعطون الضريبة في ثبات

(١) من قصيدة عنوانها « أعياد الشرق » .

(٢) الدكتور محمد مصدق الزعيم الايراني المعروف .

(٣) د . محمد الصادق عفيفي - الاتجاهات الوطنية في الشعر

الليبي الحديث - ص ٣٥٧ .

دم الأحرار يدعو كل حسر لبذل دمائه في النائبات
هما شـيئان عز أو فناء وغيرهما : حياة" كالمات

النص الرابع للشاعر عبد الله معنيق (١)

يا بن الذبيحة يا عصام قد راعنى فِعْل اللئام
حشدوا طوائف في ربو ع الشرق تعبت بالسلام
سلبت كرام الناس حقهم وعاشت في الظلام
أطيب عيش العُرب والوطن المقدس في ظلام
فليحذر الغرب الظلوم غداة يندلع الضرام
ونعيدها شعواء تلتهم الصهاينة التهام

(١) د . محمد الصادق عفيق - الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي - ص ٣٥٩ .

في المغرب العربي

المأساة

النص الأول للشاعر محمد اليمني الناصري (١)

هذي فلسطين الشهيدة لم تجد
لو لم يكونوا كالغناء لصيِّروا
لكنهم° ركنوا إلى أعدائهم
كم حاولوا أن يصبحوا حلفاءهم
سل هيئة الأمم التي خفثوا لها
أم أرجأت كل المقاصد منهم
وتفننت فيما يُعرقل سـكـعـيـهم
حسبي فلسطين الشهيدة شاهداً
من مسلمى الدنيا لها أكفاءً
ضرب الرقاب من الغزاة شفاءً
فرموهـم في ظلمة وطفاء
لكنهم لم يصبحوا حلفاء
هل حققت لذوى الحقوق رجاء؟
قصداً لغير نهاية إرجاء؟
ويـرجـش من دنياهم الأرجاء
إن رتموها أضرموا الهجاء

النص الثاني للشاعر صالح الخرفي (٢)

يا فلسطين يا تراث الأوائل
لك في القلب راسخ الحب مهبا
يا فلسطين إن دهتك العوادي
إن يكن سـامـك الدخيل هواناً
حال مـعـنـك والمهوى غير حائل
صدعت صخرك الشريف قنابل
فلك - الدهر - في القلوب معاقل
سوف يدري متى تغول الغوائل

(١) من قصيدة عنوانها « صرخة الضمير الاسلامي في ذكرى النبي
التهامي » .

(٢) من قصيدة قال الشاعر في مقدمتها (ان الجزائر وهى تعوم في بحر
من الدماء لا تنسى فلسطين شريكها في المحنة وهى تقول لها .
ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمي
فالى اللاجئين وهم في مفترق الطرق ، والى العالم العربي وهو ينظر
اليهم في شئء من الذمول أهدي هذه القصيدة » .

رب طفل يئنُّ جوعاً ومَن° أجلاه عن أرضه يقيم المحافل
يسكب الدمع حسرة وهواناً كانسكاب السماء فوق جنادل
وفتاةٍ ترعرت فوق حجر الطَّهْر ، والدين مهدها والفضائل
تبعث الطرف يمنةً ويساراً وعن الأهل والديار تسائل
وشريدٍ من الشـيـوخ مَعْنَى جرّته الأراقم السّم قاتل
حوله تملاً للفضاء بكاء فنتية كالفراخ حمرّ الحواصل
تلفح الشمس جِلْدَه لهف نفسى أين ظل الرُّبَا وأين الخَمائل ؟
يا فلسطين أنتِ نكبةٌ دهرٍ سوف يبكيك كل آتٍ وراحل
ثكل الشَّرْق مجدّه إن تواني عنك يا مفخر الأبّاة البواسل
وثكلت القريض إن لم أردّد نكبة القدس أو أذيب الجنادل

النص الثالث للشاعر محمد الحلوى (١)

خطب ولا كخطوب هزّت العربا
فصارعوها وصدّشوا عنهم النوبا
ومنحة جرّعتنا العار مترعة
كؤوسه وسققتنا صابها لغبنا
تلك الفجيعة لم تُرزأ عروبتنا
بمثلها بين من عاشوا ومن ذهبنا
قد داهمتهم وهم لاهئون في دعةٍ
فما استطاعوا لها صدّاً ولا غلبنا

(١) من قصيدة عن النكبة العربية في فلسطين للشاعر محمد الحلوى عنوانها « دم العروبة غال » جاءت في مقال عن الشعر المغربي المعاصر للاستاذ ابراهيم السولامى - مجلة الرواد - السنة الخامسة - العدد الخامس - مايو سنة ١٩٦٩ .

ومن ينم بجوار النار مغتبطاً
وآمناً شرها يصبح لها حطاباً

* * *

عدمت قومي إن لم يثأروا لدمي
جری على عتبات القدس وانسكبا
دم سقى أرضها العطشى فما ظمئت
من بعده وروى القيعان والهضبا
دم العروبة غالٍ لا كفاء له
ولو شروه بما في أرضهم ذهباً
كانت مصاباً ، وكانت غصة وشجي
ونكسة وقضاء مبرماً كتباً

* * *

كفى بكاء فان النصر مرتهمن"
بوحدة تصلح الوضع الذي انقلبنا
وفي الخطوب لمن يمني بها عبر"
أجدى وأثمن مما ضاع أو ذهباً
متى سترفع أيدينا مشاعلها
وينصف الدهر من أعدائه القربا
إنى أرى الفجر قد لاحت بشائره
وموعد العُرب من دقائقه اقتربا

النص الخامس للشاعر على الغزالي (١)

ارحل أنا أفسست بالشهداء
وبجيشنا المغدور في الصحراء
بضفافنا تلك التي أسلمتها
كهدية لعصابة اللؤماء
ارحل فما عاد التامر ينطلي
والأرض أرضى والسما سماء
ومنابع البترول ليست طاقة
لمصانع « النابالم » والافناء
ارحل أيا جسر الردي لمواطني
يا قاتل الأطفال والضعفاء
النازحون على ضفاف قضية
أخري وكون معتم البغضاء
فكأنما لم يكفهم ما شردوا
باللؤم والتدليس في الصحراء
عشرون عاما عبر غزة أمة
مسلوبة التاريخ والآلاء
يتزعزع الأطفال في خيماتهم
وديارهم في قبضة الدخلاء
أحلامهم حيفا ولكن دونهم
متأمر مستأسد الآراء

* * *

(١) من قصيدة عنوانها أغنية لمعركة قادمة للشاعر على الغزالي ديوان أشعار الحزن المضنية - منشورات دار مكتبة الأندلس بنغازي سنة ١٩٦٨ من ص ٦٦ - ٧١ .

ارحل أنا غاد ليوم نهايتي
في الأرض في الأمواج والأجواء
ومن الجزائر من دمشق ومن ربا
بغداد والخرطوم في إسرائي
وطني تبارك ان بدأت معاركي
وتساقط الأبطال من شهدائي
مازال عندي للفدا مستبسل
يترقب التاريخ في استحياء
أختاه يا بنت العروبة والفتلا
يا عارى المهتوك في الأرجاء
إني كفرت بكل ما قدد سطرنا
وبكل ما في العرف من أعداء
إني سأكتم كل أنفاس العدا
بالغزاز بالنفابالم بالأدواء
وإذا الشعوب تآزرت لقضية
فالموت كل الموت للعملاء

الفصل الثالث

مأساة فلسطين في شعر الشعراء العرب في المهاجرة الأمريكية

حرب فلسطين ونقمة على اللوك والرؤساء والحكام

النص الأول للشاعر إلياس فرحات (١)

وحببت أهلك عوسجاً ووروداً
تخذوا على جسدي الطريق صُعوداً
لبنيه - لا المتعصبون - حدوداً
قصراً تشامخ في السَّما وعموداً
بذلاً لأبعث عزّه المفقوداً

وطنى حبيبتك سيّداً ومَسوداً
أبغى لهم رتب العلاء ولو أنهم
وطنى الذي لغة العروبة خطّطت
شيدت في لبناته بقصائدي
ولو استطعت قتلت مال ملوكه

* * *

مادام حائطٌ مجدهم مهدوداً ؟
كسبوا بخسران البلاد نقوداً
يمشى على جثث اليهود جنوداً
تكسو النقود من الربيع بروداً
كالمال عندك في « البنوك » رموداً
في البيد عاصفة تنسدّ البيدا
ذهب تحوُّله الرجال حديداً
جوداً كباذل نفسه مجهوداً
ومن النكذالة أن نعيش عبيداً

ماذا تفيد العرب ثروةٌ بعضهم
ما أفقرَ المتمولين إذا هم
لو كان لى نطفُ الكويت جعلتهُ
يا صاحب الآبار تقذف ثروةً
إن الشبيبة في الأزقة عندنا
فإذا جمعنا القوتين تحركتْ
منا رجال للجهاد ومنكم
والمجد مشترك فبإذل ماله
فمن النكذالة أن نعيش أعزّةً

(١) من قصيدة عنوانها « نطف الجزيرة وفلسطين » .

النص الثاني للشاعر جورج صيدح (١)

لهفى على الأجناد ما خرجوا
الصّدر في الميدان منكشف
أما الحصون فأمرها عجب
لر تنطق الأحجار لافتضحت
في ذمة الحكام سيل دم
دم خالدین نظنهم هلکوا
عن طاعة القواد فانهمزوا
والظهر بالخوآن منقسم
سكتت كأن بروجها رجم
أسماء من باعوا ومن غنموا
من هدره لم تبرأ الذم
أو ثاردين نظنهم سلموا

* * *

دنيا العروبة أدبرت° ومشت
العابثون بحقنا اتحدوا
ويح الملوک عروشهم نصبت
حتى متى هذا الخنوع لهم
ثورى عليهم إنهم رمم°
يا يوم يغلى في العروق دم°
يوم الشعوب تصول صولتها
مقلوبة° في رأسها القدم°
والقائمون بأمرنا انقسموا
كالنطع للأعناق يخترم°
يا أمة دانّت لها الأمم؟
بئس الشعوب تقودها الرمم°
ويهب° للثارات منتقم°
لا الحكم يردعها ولا الحكم°

(١) من قصيدة عنوانها « الحجيج » وقد تفضل الشاعر مقدم لنا في خلال وجوده بالقاهرة تصائده التي استوحيت مأساة فلسطين .

المأساة

النص الأول للشاعر رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي » (١)

كفى الميت منا أن يحسّ له فقد
أبعد هلاك الجَمع يستفقد الفَرد ؟
أبعد فلسطين يُنـاح على فتى
وهل بقيت في مُقلة دمعـة بعد ؟
بكائي على المليون أنضبَ أدمعى
فما أنا إلا النارُ والحجرُ الصلدُ
ألا دمعـة من لا جىءٍ أسـتمدها
فأبكيه بالبحر الذى جزره مد ؟
وما الحقد من طبعى ولكن إذا بغى
على وطنى الباعون فجرنى الحقد
ومن شبتت النيران حول وليده
فليس له من خـوض لجهتها بد
وما رد عنى عار قومى « تأمركى »
فهل أنا حقاً سـيدٌ وأخى عبد ؟

(١) من قصيدة عنوانها « أمتى فأمى » وقد أرسل الشاعر كتاباً الى صديقه الأستاذ عبد الله الخشن صاحب جريدة العالم العربى فى « بونس ايرس » قال فيه : « وبعد فهذا شعر خير ما فيه الصدق لم أتكلف به معارضة قصيدة المتنبى فى جدته كما تصورت ، ولا مبارأة سواه من قديم أو حديث . نظمته منساقاً كعادتى مع طبعى وشعورى مقدماً فى رثائى الأسبق عندى فالأسبق أمتى فأمى .

أن نكبة فلسطين لا يماثلها لدى نكبة ما فى الأرض ولا فى السماء كل خطب بهما فذح يهون بالنسبة اليها ، وكل انسان عربياً كان أم غريباً لا يحزن ولا يغضب ولا يثور فقد تجرد من كل شعور وكل انسانية وكل دين .
وقد تفضل الشاعر فقدم لنا فى أثناء زيارته القاهرة قصائده التى استوحيت مأساة فلسطين وهذه المقدمة لقصيدته « أمتى فأمى » .

تصوير اللاجئين

النص الأول للشاعر إلياس فرحات (١)

أضحية الكذب المقتنع
أوت الذئاب إلى مضاجعكم
أفتلبثون مشردين
وعيونكم حـيـرى
وقلوبكم ولهى مسعرة
والخيانة والرياء ؟
وأنتم فى العراء
مصيركم بيد القضاء ؟
تفتش عن ميادين الرجاء ؟
تفور بها الدماء ؟

ومن البلاء

تصديقكم بعض الوعود
وما الوعود سوى هراء

* * *

حيفا ويافا والجيل
والسهل والتل المنزر
تجتاحها أطيافكم
وتحس أن يد الهزيمة
وشاطيء البحر الكبير
بالزئابق والغدير
ليلا فتشعر بالسرور
تعصر القلب الكبير

فمن الجير ؟

ومتى يهز قلوبنا
بدويته صوت البشير ؟

* * *

إن لم تعودوا للحمى الباكي
والحقد يزأر فى مقدمة
وأنتم تهزجون
الكتائب والمنون

(١) من قصيدته عنوانها « الى اللاجئين » .

والليلة الليلاء مغمضة من الدخن العيون
فالعرب والإسلام في الدنيا كرهـ الزيزفون
والمسلمون أذلة تحت المقارع يرقصون

ويهمهمون :

إنّا بحمد الله رب العالمين لمسلمون

النص الثاني للشاعر جورج صيدح (١)

بنو فلسطين قُطعانٌ مثررة
عن الحياة ملائكة الموت راعيها
وكفأ صهيون بالأقداس عابثة
كأنما الله أمر ليس يعنيهـا
أما الملوكة فلا حس ولا بصـر
ولا حديث سوى الأسلاب تحصيها

-
- (١) من قصيدة عنوانها « ذكرى فلسطين » .
وهناك عدد آخر من القصائد للشاعرين القروي وصيدح استوحى
المساة وهناك شعراء مهجريون استوحوا المساة بقصائد نكتفى بالإشارة
إليها وإلى مصدرها .
- ١ — للشاعر موسى الحداد قصيدة عنوانها « يا ابنة المجد والعروبة »
ومصدرها أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية .
- ٢ — للشاعر نعمة الحاج قصيدة عنوانها « لعينك » ومصدرها القلم
الجديد الأردنية — العدد الثاني عشر .
- ٣ — للشاعر جورج كعدى تصفدة عنوانها « شبع الشعب » .
- ٤ — للشاعر الدكتور سليمان داود قصيدة عنوانها « لنكان وفلسطين »
ومصدر القصيدتين العدد الثاني عشر من مجلة القلم الجديد الأردنية .

خطيئة العرب لا « الأردن » يغسلها
ولا صبا « بردى » بالنشر يطويها
يحمرش في « النيل » وجه الماء إن رويت
وينحني رأس « صنين » لراويها
غاز الحياء ، وفاض النفط وابتلعت
آبار صحرائنا أمجاد ماضيها
لا عاد عييد على الأعراب إن هدروا
دم الشهيد وحث الكأس ساقبها

الفصل الرابع

الشعر القصصي

النص الأول للشاعر محمود محمد صائق (١)

قضى الأمر أيها المشرقان
جاءتلا بالسواء بيض الأمانى
واغربى يا شموس عن كل أفق
فحرام يحفنا النيران
أطرق الجدد واستبيح حمى الشرق
وعزى فى رزئنا الخافقان
ومضى الخلف بالمشارق صرعى
ومشى الغرب فى ركاب الجانى
إنها نكبة العروبة والشرق
ورزء الأديان والأوطان
وقضاء على العروبة فى أقدس
ما شيكدت من البنيان
آخر العهد يا فلسطين دمعى
يا عروس المروج والوديان

(١) من ملحمة عنوانها (رسالة الشعر القومى الى العالم العربى والشرق) الحلقة الثانية - من رسالة الشعر القومى - دار المعارف
أكتوبر سنة ١٩٤٩ .

جئت أرثيك لم أطقُ فدموعي
فيك خرسُ اللسان فصح البيانِ
أنت يا من يجلُّ فيك مصاب
الشرقِ عن ريشةٍ وعن تبيانِ
ودت الريشةُ النى جلجلَ الشعرُ
عليها لو حطمتها اليدانِ
وتنحى القرطاس لا كان يوماً
صفحة المسوء في سجل الزمان

النص الثانى للشاعر محمد شمس الدين (١)

تتادوا إلى الحرب لكنهم
وما فى البنادق إلا الهواءُ
تنادوا ولكن إلى فرقةٍ
تنادوا وياليتهم ما تنادوا
أتوها على الكره لم يصدقوا
ولا فى المدافع ما يحرقُ
وذلل فكان لهم مأزقُ
فإن السكوتَ بهم أخلقُ

* * *

فيا خجلة الأمس من وقفةٍ
ويا للمذلة من عصابة
توطد فى أرضنا دولةً
وما هى فى الأرض معدودة
مشينا على إثرها القهقرى
تدك المدائن بعد القرى
وتكتب عن خزينا أسطرا
ولا بأسها كان بين الورى
ولكنها أمتى فى شتات
يسير مقدّمها للورا

(١) من ملحمة شعرية عنوانها (النازحة) .

النص الثالث للشاعر محمود الحوت (١)

متى أرى الموحدةَ السمحاءَ بأسطةً
حنانها في الهلالِ الخصبِ والنَّيْلِ
فلا سياساتُ أربابٍ تحاكُ لنا
ولا مقاماتُ أصنامٍ تماثيل
ولا حدودُ مربيّاتٍ تمزقننا
وتزفحُ السدَّ بين النميلِ والميلِ
ونحنُ شعَبٌ لسان الله يجمعنا
وكل ماورثته وثبة الجيلِ

* * *

ويلى على أمةٍ نامت على ضعة
وما تنفّس من أمجادها رَمَقُ
كأن ما قيل من تاريخ صولتها
أسطورةٌ مدّ في آجالها الحمقُ
والقيادة الصيّد « جزارون » ما شبعوا
فهل تمرد من قطنعانها عنقُ ؟
خسئت من أمةٍ عزلاءَ لاهيةٍ
والموتُ من حولها يدنو وينطبقُ
إلى متى أنت يا شعباً يروح به
زورٌ ويغدو به في شرّقه ملقُ ؟
تخشى الألى حفروا الأجداث وانتظروا
على المقابر أن يودي بك الفارقُ ؟

* * *

يافا لقد جفَّ دمعى فانتحبت دماً
متى أراكِ وهل فى العمر من أمد؟
أمسى وأصبحُ والذكري مُجدِّدةٌ
محمولةٌ فى طوايا النَّفْسِ للأبد
كيفَ الشَّقِيقَاتُ واشسوقى لها مُدُنًا
كأنها قِطْعٌ من جنة الخلدِ ؟
ما حالُّها اليومَ يا يافا وهل نَعَمْتُ
من بعد أن سلَّمتُ أمسًا يَدًا بيدي ؟
وكيفَ من تَبَقَّى فى مرابعِها
وقد تَرَكَناه فيها غيرَ مُلتَحِدِ ؟
ما بالُ قلبى إذا ما سرتُ من بَلَدِ
يصيحُ من وَجَدَه فى الصدرِ وا بلدى ؟
مهما استقامَ له من عيشةٍ رغدِ
وجدته هازئًا بالعيشةِ الرَّغَدِ
تعبتُ لكننى مازلتُ فى تعبى
أشكو إلى الله لا أشكو إلى أَحَدِ

النص الرابع للشاعر إبراهيم العريض (١)

نَكْبَةٌ حَكَتْ بِأَهْلِ السَّنَنِ
فى حماهمْ لا تُوازِيها مُصِيبَةٌ
أمسٍ من أندلسٍ .. فى سَفْنِ
أين من عِبْرَةٍ ماضيها العروبة ؟

* * | *

(١) من ملحمة عنوانها (أرض الشهداء) .

أَلْفٌ أَلْفٌ نَزَحُوا عَنْ
هَذِهِ تَدَعُوا أَبَاهَا
كَمْ بَكَى فِيهِمْ وَحَيْدٌ
كَمْ سَعَى فِيهِمْ عَكِيلٌ
أَرْضِيهِمْ مِنْ سَوَاطِئِهِ
ذَلِكَ يَسْتَأْنِي لِعَرِسِهِ
مَا بَكَى إِلَّا لِأُمْسِيهِ
مَا سَعَى إِلَّا لِأَرْمَسِيهِ

فَنَعْنِي بِهِمُ اللَّيْلُ إِلَى مَطْلَعِ شَمْسِهِ

أَيُّ حَالٍ مَوْلَمٌ آلُوا إِلَيْهِ
نَضِبْتَ أَدْمَعٌ مِنْ بَيْكِي عَلَيْهِ
بَعْدَ ذَلِكَ الْعَزْ فِي أَرْضِ الْوَطَنِ
إِنَّمَا الْوِزْرُ عَلَى مَنْ لَا يُجَنُّ

* * *

النص الخامس للشاعر محمد علي الحوامي (١)

وَيْكَ يَا جَامِعَةَ الْعَرَبِ ذَوِي
أَيْنَ مِنْ يَوْمِكَ فِي وَادِي طَوِي
صِيحَةٌ دَوَّتْ عَلَى كُلِّ فَمٍ
فَانْبِرِي طَوْعاً لَهَا كُلِّ كَمِي
غُصِنَ الْمَجْدِ لِمَا يَكْتَسِي
يَوْمَ (فَرْدِينَانْد) فِي الْأَنْدَلُسِ ؟
وَقَرَّ الْأَذْعَرُ بِهَا سَمْعَ الزَّمَنِ
نَافِراً مِنْ (حَلْب) حَتَّى (عَدَن)
بِأَذْلَا مِنْ دَمِيهِ أَعْلَى ثَمَنِ
يَنْتَشِدُ الْعِزَّةَ إِرْثَ الْمُسْلِمِ

* * *

أَيُّهَا السَّادَةُ مِنْ أَشْرَافِنَا
قَدْ حَمَلْنَاكُمْ عَلَى أَكْتَاغِنَا
ثُمَّ عُدْنَا وَعَلَى آنَافِنَا
كَانَتْ الشَّامُ وَبَغْدَانُ لَنَا
يَا حِمَاةَ الْمَجْدِ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ
وَتَدَافِعْنَا إِلَى الْمَوْتِ زُمَرٍ
لِلرَّادِي وَسْمٌ ، وَلِلْوَسْمِ شَرَرٌ
يَوْمَ كُنَّا قَبْسَ الْمُقْتَبِسِ

(١) من ملحمة عنوانها « أندلس الشرق » ديوان النخيل ص ٤٣ .

ثم دار الدهر فانحطّ بنا ينشد الحقّ لنا من « رودس »

* * *

يا مغيب الشَّمْسِ جَدَدَتِ الأَسَى
نكباتِ بَذَّتْ الأندلسُ
كلماً قيل انتهتْ قُلْنَا عسى
وعسى كانت ولم تبحرْ لدى
ذهب العمر مع القول سدى
في فلسطين بما لم نطِقِ
إذ تَبَّنَّهاها بَنُو المِصْطَلِقِ
أن يعود الشَّرْقُ غُصَّ الشَّفَقِ
كل جيل عُدَّة المبتئس
وسوى الأَقْوال لم نلتمس

النص السادس للشاعرة فدوى طوقان (١)

تمثل أَرْضاً نمتُه وغذَّتُه من
وكم نبضتْ تحت كَفْيِه قلباً
تمثلوهو يلوبُ انتفاضَ ثراها
وماجُ بعينيه كَنزُ السَّنابلِ
ولاحَ له شجرُ البرتقالِ
صَدْرُها الثَّر شِيخاً وطفلاً
سخياً وفاضتْ عطاءً وبذلاً
إذا ما الرِّبيعُ أهْلأه
يَحْضنه الحقلُ خيراً مَطِلاً
وهو يَرِفُ عبيراً وظلاً

* * *

وهاجَتْ به فكرة كالعوا
تواكبُ تلك الطيِّفوف
أَتَعْصَبُ أَرْضِي أَيَسَّابِ حَقِي وأَبْقَى أنا ؟
حليفَ التَّشْرِيدِ أَصْحبُ
أَبْقَى هنا الأَموتَ غريباً
أَبْقَى ومن قالها ؟
صَف لا تَسْتَقِر
تسايرُ تلك الصُّورُ
ذِلَّة عارى هُنَا ؟
بِأَرْضِ غُـرِيبِهِ ؟
سأعودُ لأَرْضِي الحبيبه ؟

(١) من ملحمة عنوانها « نداء الأرض » الآداب يونية ١٩٥٤ .

بلى ساءُودٌ هناكَ
سـيـحـنـو عـلـى تـراها الكـرـيـمُ
سأرجعُ لابدٌ من عودتى
وقصة عارى بغير نهایه°
ولو زرعوا الذرْبَ مَوْتًا ونارا
وأَنْهـى بـنـفـسـى هـذـى الرّوایـه°
سَيَطْوَى كِتَابَ حَيَاتِي
وَيَطْوَى رُفَاتِي
سَأَرْجِعُ مَعَهُمَا بَدَتُ مِحْنَتِي
سَأَرْجِعُ لَابِدٌ مِنْ عَوْدَتِي
سَأَقْحَمُهَا عُنُوءَةً وَاقْتَدَارَا
فَلَا بَدَ لَابِدٌ مِنْ عَوْدَتِي

الفصل الخامس

الشعر المسمى

نص للشاعر برهان الدين العبوشي (١)

أيا جنةً الأحباب بالله أرجعي
فلسطين أمي ليس غيرك لي أمّا
فلسطين ما أبهى سهولك والربا
بك «الكرم» الفواح أبداع به كرمّا
وما أجمل الثغرين «يافا وعكة»
فإني رأيت الهمّ عندهما نعى
لك العز في «بيسان» والجرمق (٢) الذي
به «صفد» ازدانت فتاهت به رسماً
بكت «طبريا» البعد عن إخوة لها
فحال خبيثاً ماء «بحرتها» طعماً
تكاد تذيب النفس حزناً وحسرة
أيا ثكنة الأشبال اتقدي عزماً
فتالله إن لم ترجعي مستجدة
شباباً فلن نرتاح رُوحاً ولا جسماً

(١) من مسرحية عنوانها «شبح الأندلس» ص ٧٢ .

(٢) الجرمق هو جبل صفد الشاهق .

الفصل السادس

منزلة الشعر الحديث في مأساة فلسطين دراسة ونقد

منهجنا في النقد

أوردنا في الفصول الخمسة السابقة من الباب الثاني من القسم الثاني من البحث مائة وسبعة نصوص استلهمت مظاهر المأساة تفجرت بها شاعرية سبعين شاعرة وشاعراً يمثلون أبناء فلسطين وأبناء الأقطار العربية والشعراء العرب الذين يعيشون في المهاجر الأمريكية • من هذه النصوص خمسون نصاً تقريباً لأبناء فلسطين • واثنان وخمسون نصاً لأبناء الأقطار العربية وخمسة لشعراء المهاجر •

وأثبتنا فيما سبق منهجنا في نسبة كل شاعر إلى موطنه الأصلي لأننا نؤمن من أعماقنا بوحدة وطننا العربي الكبير ووحدة أمتنا العربية المجيدة التي تعيش على أرض هذا الوطن ووحدة أقطاره ، وإلغاء ما بينها من حواجز مصطنعة • ونرى أن الشعراء يتنقلون بين أقطار هذا الوطن كما تنتقل البلابل بين الرياض ، ووفقاً لهذا المنهج عددنا الزركلى والشريقى من شعراء سورية مع أن الأول يعيش في السعودية والثاني في الأردن (١) •

وقد قدمنا من الشعر الغنائي مائة نص بلغ عدد أبياتها ألف بيت

(١) أثبتنا ذلك في هامش صفحتي ٢٣٩ ، ٢٤٣ •

تقريباً ومن القصصى ستة ومن المسرحى واحداً وقسمنا شعر أبناء فلسطين إلى الموضوعات الآتية :

- ١ — قرار التقسيم
- ٢ — هيئة الأمم
- ٣ — مولد إسرائيل
- ٤ — حرب فلسطين
- ٥ — حى على البذل وإشادة بالتضحية والاستشهاد
- ٦ — المأساة
- ٧ — نقمة على الملوك والرؤساء والحكام
- ٧ — ثورة على العرب والعروبة
- ٩ — تصوير اللاجئين
- ١٠ — أثر البعد عن الديار
- ١١ — الأمل فى المستقبل

وتحت كل موضوع أوردنا النصوص التى تناولته ، وأضفنا إلى هذه الموضوعات أربعة أناشيد وضعناها تحت عنوان الأغانى والأناشيد وقسمنا أيضاً شعر أبناء الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية إلى ما تناوله من هذه الموضوعات وحرصنا على الوحدة الموضوعية للنصوص فلم نفتحها إذا تناولت موضوعين أو أكثر كما فتتتا بعضها فى القسم الأول من البحث (١) .



وقبل أن نورد النصوص التى تخيرناها استأنفنا عرضنا التاريخى للأحداث السياسية التى توالفت على فلسطين منذ أقرت هيئة الأمم

(١) لم نفتح الاثلاثة نصوص لثلاثة شعراء من أبناء فلسطين هم محمد العدناتى ومصطفى زيد الكيلانى وغدوى طوقان وأشرنا الى ذلك .

مشروع التقسيم في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ إلى الزمن الذي وقفنا بالبحث عنده وهو ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٥ •

وكان ذلك في الباب الأول من القسم الثاني من البحث واستغرق ثلاثة فصول تناولنا في أولها قضية فلسطين في هيئة الأمم ، وإقرار مشروع التقسيم ، والثورة عليه ، وجلاء الإنجليز عن البلاد وقضية فلسطين في الجامعة العربية وتناولنا في ثانيها أدوار حرب فلسطين نشوب القتال في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ فالهدنة الأولى فاستئناف القتال فالهدنة الثانية فالمأساة وتناولنا في ثالثها فداحة المأساة ومظاهرها الدامية ضياع فلسطين وتشرذ شعبيها ومولد إسرائيل وموقف كل من العرب واليهود وهيئة الأمم والحكومات والشعوب العربية ودور المرأة الفلسطينية في الكفاح بعد المأساة وأسباب المأساة والسبل المؤدية في نظرنا للعودة ، وأنهينا بذلك عرضنا التاريخي وكان هذا العرض موجزا مقتسقا مع هدفنا من البحث يبين الصلة بين الأحداث السياسية وبين الشعر ويوضح موقفه منها ، ويبين مدى تأثير مظاهر المأساة في الشعراء وتأثرهم بها ، ويساعد على فهم النصوص وتفسيرها ومنهجنا في دراسة هذا الشعر ونقده هو المنهج الفني نفسه الذي اتبعناه في القسم الأول ، وتتضمن دراستنا للشعر الذي استوحى مأساة فلسطين الجوانب الآتية :

- أولا : الموضوعات
- ثانياً : الأفكار
- ثالثاً : العواطف
- رابعاً : الصور
- خامساً : الأساليب

وأصدرنا أحكامنا في القضايا التالية :

- ١ — تصوير الشعر لمأساة فلسطين وتعبيره عنها ♦
- ٢ — أثر مأساة فلسطين في الشعر الحديث ♦
- ٣ — المأساة مصدر وحى وإلهام ♦

وختمنا هذا الفصل بمقارنة بين نكبة الأندلس ونكبة فلسطين وأنهينا

بذلك بحثنا ♦

الموضوعات

طرق الشعر الذي استوحى مأساة فلسطين من ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٠ موضوعات جديدة لم يطرقها من قبل لأن المأساة هي التي أوجدتها ، وأخرى قديمة طرقتها من قبل أما الموضوعات الجديدة فهي :

أولاً : قرار التقسيم ونعنى به موافقة هيئة الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بأغلبية أصوات أعضائها على تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية ، واتخاذ هذا القرار الصبغة الدولية .

ثانياً : هيئة الأمم ونعنى بها المنظمة الدولية التي قامت بعد الحرب العالمية الثانية لتصون السلام ، وتحقيق العدل ، وتناصر الحق ، وما انبثق عنها من مجالس ولجان ووسطاء ومراقبين .

ثالثاً : مجزرة دير ياسين .

رابعاً : مولد الأمة العربية وبعثها من جديد في الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ واعتبار هذا اليوم قبل المأساة عيداً عربياً قومياً ولدت فيه إرادة الأمة العربية وبعد المأساة يوماً مشئوماً ، وبداية للنكبة .

خامساً : مولد إسرائيل .

سادساً : حرب فلسطين نشوب القتال في ١٥ مايو فالهدنة الأولى فاستئناف القتال فالهدنة الثانية .

سابعاً : المأساة أو النكبة أو الكارثة .

ثامناً : أسباب المأساة وفي مقدمتها خيانة الحكام ، واختلاف الزعماء وفساد الأسلحة .

• **تاسعاً** : نقمة الشعوب على الحكام وثورتها عليهم

• **عاشراً** : اللاجئين وآلامهم المادية والمعنوية

• **حادى عشر** : الثأر

• **ثانى عشر** : العودة

أما الموضوعات القديمة التى سبق للشعر أن تناولها من قبل فهى :

• **أولاً** : حاجة الحق للقوة

• **ثانياً** : تمجيد البذل والفداء ، وإطراء البطولة والشجاعة

• **ثالثاً** : تخليد الشهداء ووضع أكاليل المجد على هاماتهم

• **رابعاً** : الوحدة العربية وروابط القومية العربية

• **خامساً** : الاعتزاز بالأمجاد العربية ، وإستيحائها ، واستعادة

• **ذكرياتها**

• **سادساً** : الثورة على فساد الأوضاع والنظم فى الدول العربية

• **سابعاً** : الدعوة للحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية

• **ثامناً** : التنديد بالاستعمار الغربى

• **تاسعاً** : محاربة الظلم والاستبداد

• **عاشراً** : مكانة فلسطين الدينية والتاريخية

المعنى والأفكار

تضمن الشعر الذى استوحى مأساة فلسطين أجود الأفكار وأروع الحقائق المستمدة من الواقع والتجربة والتاريخ والاجتماع والعلم فى الموضوعات المختلفة التى طرقها سواء أكانت موضوعات جديدة أو قديمة ، وتناثرت أبيات الحكم فى ثنايا نصوصه • ولا سبيل لإيراد كل الحقائق التى حفل بها المضمون الشعري لهذا الشعر ولكن هذا لا يمنعنا من عرض أهم هذه الحقائق فى الموضوعات المختلفة •

أولا — هولد إسرائيل

ردد الشعر الحقائق المعروفة عن اليهود من عبادتهم للمال ، وسلوكهم كل السبل لجمعه واستثماره ، وتنكرهم للفضائل والمبادئ والقيم ، ونقضهم العهود والمواثيق ، وانطوائهم على اللؤم والغدر ، ومن أنهم طريدو أقطار الدنيا ، وشذاذ آفاقها ، ومن أنهم كانوا حربا على الإسلام منذ فجره ، وكانوا مصدر المتاعب للعرب والمسلمين ومبعث النكبات

وهذه حقائق ثابتة مستمدة من القرآن الكريم ومن تاريخ اليهود ، ومن واقع أعمالهم وسلوكهم فى خلال حرب فلسطين •

ثانيا — حرب فلسطين

ردد الشعر شجاعة العرب ، وبطولتهم الحربية ، وانتصارهم على أعدائهم عبر عصور التاريخ الماضية فى ذى قار والقادسية واليرموك وحطين وعين جالوت • وأنهم حكموا شعوب العالم ، ونشروا على ربوعه ألوية الحق والعدل دون تفرقة بين عربى وعجمى أو بين مسلم وغير مسلم • وأن الدهر تغنى بمجدهم ، وأشاد بعدلهم •

ثالثا - المأساة

قرر الشعر أن ضياع فلسطين خسارة فادحة للعرب والمسلمين بل قرر أنها كارثة الكوارث ونكبة النكبات وأن ضياعها ذل الدهر وعار الأبد وفقدتها فقد لأمجادنا التاريخية التي نعتز بها • وأنها كانت للعرب كبش الفداء وأن أهلها الذين احترقوا قد أضاء سناهم دنيا العرب ، وأنها أيقظت العرب من غفلتهم ، وفتحت أعينهم على الخطر ، ولقنتهم أعلى الدروس ودفعتهم للثورة والتمرد على الحكام الخونة والأوضاع والنظم الفاسدة •

رابعا - أسباب المأساة

وعى الشعر الأسباب الحقيقية للمأساة فسجلها التسجيل الأمين ومن هذه الأسباب أن الدول العربية التي زحفت الى فلسطين تنازعت واختلفت والتنازع أول أسباب الفشل • وأن حكام هذه الدول خانوا شعوبهم ، وباعوا ضمائرهم وتتكروا لأمتهم وأن الأسلحة التي زودت بها الجيوش الزاحفة كانت أسلحة فاسدة وأن الاستعمار الغربي حاك مؤامره ضد العرب ، وأن أم الدواهي بريطانيا هي المسئولة الأولى عن وقوع المأساة •

خامسا - اللاجئون

قرر الشعر أنهم ضحايا الاستعمار الظالم • وضحايا غدره ومؤامراته وضحايا بريطانيا ، وضحايا خيانة الحكام ، وأن تشردهم عار على العرب والمسلمين وأنهم يجب أن يعودوا الى ديارهم •

سادسا - العسوة

رسم الشعر طريق استعادة فلسطين وقرر أن هذا الطريق هو طريق القوة • القوة المادية والروحية • القوة المادية التي تتمثل في قوة

الجيش وحسن تدريبها وصناعة الأسلحة وفي تغيير النظم الفاسدة والأوضاع المختلة وفي وحدة الدول العربية من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية • وفي الدعوة للحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية وفي الاعتماد على التنظيم والإنشاء والدراسة والتخطيط والقوة الروحية التي تتمثل في الإيمان بالله والثقة بانتصار الحق على الباطل ، والعدل على الظلم وصحوة الضمير الإنساني •

سابعاً — حاجة الحق للقوة

لم يظفر موضوع باهتمام الشعراء مثل موضوع الدعوة للقوة وإذا كان الشعر الذي استوحى فلسطين قبل المأساة قد تناول هذا الموضوع فإن شعر المأساة انصب كله في الدعوة للقوة على اعتبار أنها لغة العصر واللغة التي لا يفهم الاستعمار سواها ومن أجل هذا كرر الشعراء أنه لا يوجد شيء اسمه الحق • وإذا وجد فقد أودى في هيئة الأمم وولد بدله شيء يسمى الأمر الواقع وأن الحق للمدفع والطائرة والغواصة • وأن لغة الحديد والنار هي اللغة الوحيدة التي تعيد لصاحب الحق حقه ، وأن القوة هي الوسيلة الوحيدة التي يسترد بها العرب فلسطين •

العواطف

فجرت مأساة فلسطين عواطف الشعراء ، وأضمرت أحاسيسهم وألهبت مشاعرهم ، ولا يعرف الشعر الحديث مأساة عربية قومية عامة تضمرت فيها العواطف ، والتتهبت المشاعر كما تضمرت والتتهبت في مأساة فلسطين .

التتهبت العواطف وتعددت وتنوعت واتسقت مع مظاهر المأساة فكانت تارة عواطف أمل وتفاؤل ورجاء ، وأخرى عواطف يأس وتشاؤم وشك . وكانت حيناً عواطف رضا وأحياناً عواطف سخط وغضب وكانت مرة ثالثة عواطف فرح وبشر وسرور وعواطف أسى وحزن وأسف . وسنبداً بالعواطف في شعر أبناء فلسطين أولاً ثم بالعواطف في شعر أبناء الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية ثانياً وتشمل دراستنا للعواطف الشعر الغنائى والقصى والمسرحى .

العواطف في شعر أبناء المأساة

تضمرت عواطف أبناء المأساة أشد التضرم ، واحترق الشعراء وذابت أفئدتهم لوعة وحسرة وأسى ، وتقطعت نياط القلوب فكان الشعر دماء تتحدر من الأفئدة ، ودموعاً تتقاطر من الأعين في الحزن والألم ، وكان نيراننا تحرق وجمرات تميمت ، وقنابل تدمر في الثورة والغضب والسخط على خيانة الملوك والحكام والرؤساء ، واختلاف آرائهم ، وتفرق كآمتهم لقد لون الشعراء عواطفهم بالدماء ، وأشعلوها بثورة نفوسهم في الموضوعات المختلفة التي أوجدتها المأساة في الشعر .

وتطلبت هذه العواطف المتضرمة أنماطاً من الأساليب واستدعت ألواناً من الصور ، وابتكرت أفنانين من ضروب الخيال .

كانت عواطف أبناء المأساة غضبا وسخطا على قرار التقسيم ، وعلى الهيئة التي أقرته وعلى أعضائها الذين صوتوا الى جانبه ، ونعى الشعر للدنيا مصرع الحق والعدل في رحاب الهيئة ، وحض الدول العربية على الانسحاب منها بعد أن غدا الحق عندها أسطورة من الأساطير •

وعند نشوب القتال بين الجيوش العربية والعصابات اليهودية في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ كانت العواطف عواطف فخر وحماسة ، وتمجيد للبذل والتضحية ، وإعجاب بالبطولة والقوة وبهجة وسرور بتلبية نداء فلسطين ، والمسارعة الى إنقاذها من الاستعمار والصهيونية وعواطف أمل ورجاء وتفائل •

وبعد الهدنة الأولى غضب الشعر وسخط على الحكام والقادة والدول العربية وملوكها ورؤسائها والجامعة العربية ومجلسها وأعضائها الذين قبلوا الهدنة ، ودعا الى نقضها ، والانسحاب من هيئة الأمم وثار على مجلس الأمن والوسيط الدولي الكونت برنادوت •

وعندما استؤنف القتال طاف الأمل بخيال الشعر ولكنه لم يلبث أن فجع حين فرضت الهدنة الثانية •

وعندما وصلت حرب فلسطين الى النتائج المؤسفة التي انتهت إليها ثار الشعر ثورته العاتية على الدول العربية وجيوشها ورؤسائها وحكامها وألقى عليهم إصر الهزيمة وتبعة المأساة لأنهم باعوا أنفسهم للمستعمر ، وتكروا لعروبتهم ، وخانوا قوميتهم • وأصبحت القوائد حمما يتساقط على الرعوس ، وحجارة تهوى على الهامات ، وقنابل تتفجر ومدافع تدمر ، وصرخ الشعر هاتفا بالشعوب أن تثور على هؤلاء الملوك والحكام الخونة فتسقط عروشهم وتفتك بهم ، وتفضى عليهم وعلى فسادهم •

وبكى الشعر فلسطين ومقدساتها وأمجادها بكى المساجد والقباب

والمآذن والكنائس والنواقيس ، ورثى المدن والبلاد وسادته روح اليأس
والتشاؤم •

وحزن الشعر وتحسر على تشرذم اللاجئين وجوعهم وعريهم وضياعهم
وحيرتهم وقلقهم وبؤسهم وشقائهم وتكدسهم في العراء وتحت الخيام
السود ، وتحملهم قسوة الحياة ، وأضاء أملهم في العودة • وعزف أشجى
الحنان الإياب والرجوع للأوطان •

وأضرم في الصدور الثأر ممن اغتصبوا الوطن وتضرمت في هذا
الشعر عاطفة الشوق والحنين للديار والربوع والقرى والمدن والأحياء
والمنازل والحقول والكروم •

ومجد الشعر الشهداء الأبرار وخلد لهم وخلد المواقع التي دافعوا عنها
واستشهدوا فيها ووضع على رأس شهيد القسطل عبد القادر الحسيني
أكاليل المجد والفخار وبكى شجاعته واعتبر فقدته خسارة فادحة لأبناء
فلسطين خاصة وللعرب عامة •

وبعد اشتعال الثورات الشعبية في الدول العربية والقضاء على
الملوك والحكام الفاسدين ، وإصلاح النظم والأوضاع • سادت
الشعر روح التفاؤل والثقة بالأمة العربية وبنائها لكرامتها وتصميمها على
استعادة فلسطين •

العواطف في شعر أبناء الاقطار العربية

غضب الشعر وسخط على قرار التقسيم والهيئة التي أقرته ، وسخر
منها لأنها تنكرت لرسالتها ونصرت الباطل على الحق ، ونعى للعرب مصرع
الحق في رحابها وموت الضمير العالمي والعدل الإنساني •

واهتز الشعر طربا عندما اجتازت الجيوش العربية حدود فلسطين

في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ واعتبر ذلك مولدا جديدا للأمة العربية وبعثا لها
وأثار حمية الجنود وحماستهم وسادت القصائد روح الأمل والتفاؤل
واستعاد الشعر الأمجاد في اليرموك وحطين وعين جالوت •

وأسف الشعر لمولد إسرائيل وسخر منها ومن جيشها وقوانينها
وثار عليها وعلى طباع أبنائها كما ثار على الغرب والاستعمار الذي أمدّها
بالقوة وبخاصة بريطانيا •

وثار الشعر على الهدنة الأولى • وعلى هيئة الأمم ومجلس الأمن
والوسيط الدولي •

ولما وقعت المأساة وضاعت فلسطين وهام أبنائها على وجوههم في
الأرض أعلن الشعر سخطه وغضبه وثورته العاتية المدمرة على الدول
العربية السبعة وجيوشها السبعة وعلى ملوكها وأمرائها ورؤسائها وقادتها
وحكامها وزعمائها وساداتها وأشرافها ، وعلى الجامعة العربية وأعضائها ،
وقرارات مجلسها ولجانها السياسية ومؤتمراتها ووفودها التي كانت
تطير كل يوم من عاصمة الى أخرى ومآدبها وحفلاتها ومناقشاتهما
وتصريحات أقطابها •

وتحولت القصائد الى وقعات من الجمر ألقى على الملوك والرؤساء
والحكام الذين أداروا حرب فلسطين ولم تتأجج عواطف الحقد في موضوع
كما تأججت في الثورة على الملوك والحكام • وبلغت هذه العواطف حد
تحريض الشعوب على الثورة عليهم لأنهم باعوا ضمائرهم ، وخانوا
عروبتهم وقوميتهم وأضلوا شعوبهم ، وغدوا مطايا للاستعمار •

وتجلت في هذا الشعر روح اليأس والتقنوط من العرب والعروبة
ومن الأمة العربية ومن شعوبها في بعض الأحيان ووصل الأمر ببعض
الشعراء الى أنهم — في ثورة الأسي وغمرة الألم — كفروا بالعرب
والعروبة ، وكفروا بأمتهم وكفروا بشعوب هذه الأمة وتساءلوا عن إباء
هذه الشعوب ونخوتها وعزتها لتزيل هذا العار وتمحو هذا الذل ، ولم

يقف كفر الشعراء عند طبقة من طبقات الأمة بل شمل جميع طبقاتها وعناصرها الرجال والنساء والشباب والشيوخ وسيطر اليأس وانطفاً الأمل من كل خير يرجى من العرب •

وبكى الشعر مجد العرب الضائع وتاريخهم المشرق وتراثهم المجيد •
بكى مدن فلسطين التي تساقطت في أيدي اليهود مدينة بعد مدينة فأزالوا عنها طابعها العربي الإسلامي وطبعوها بالطابع اليهودي • بكى حيفا وعكا وصفد والناصرة ويافا والرملة واللد كما بكى منذ قرون مدن الأندلس الزاهرة قرطبة وقرطاجنة وطليلة وإشبيلية واعتبر الشعر فلسطين أندلسا ثانية وتشبهه شاعر بأبي البقاء الرندي في مرثيته للأندلس •

وأسف الشعر واعتصره الأسى لتشرذم اللاجئين وجوعهم وعريهم وخيامهم السود وحيرتهم وقلقهم • وتأججت عواطف الحزن والأسى على اللاجئين عند معظم الشعراء •

ولم ينس الشعر وهو يبسم ويعبس ويرضى ويسخط ويثور ويهدأ الضباط والجنود الذين خاضوا حرب فلسطين بشجاعة ودافعوا عن مواقعهم دفاع الأسود فسقط بعضهم في ميادين الشرف والبطولة شهداء أبراراً من أبناء فلسطين والأردن ومصر وسورية والعراق ولبنان والسعودية والسودان والمغرب فحيا نضالهم ومجد بطولتهم ، وخذل شهداءهم والبلاد والمواقع التي استشهدوا فيها • خلد عبد القادر الحسيني وحسن سلامة وأحمد عبد العزيز وأطرى شجاعة أبطال الفالوجة من أبناء الكنانة الذين حوصروا فيها مدة طويلة وانقطع الاتصال بينهم وبين قيادتهم فلم يهنوا ولم يستكينوا مع قلة ذخيرتهم ويأسهم من وصول المعونة إليهم وقد خلد الشعر هؤلاء الأبطال وخذل معهم الفالوجة •

وبعد الانقلابات التي حدثت في الدول العربية ، والثورات الشعبية التي قامت فيها فأطاحت بالحكام ، وقضت على الفساد ، وأصلحت النظم والأوضاع ، استرد الشعر أنفاسه وسادته روح التفاؤل بالأمة وبتأرها لكرامتها وتصميمها على أن تستعيد فلسطين •

العواطف في شعر شعراء العرب في المهاجر الأمريكية

حزن الشعر في المهاجر أشد الحزن على فقد فلسطين وضياعها فبكاها
وبكى مجد العرب وعزتهم وثار على اسرائيل ووحشيتها وتنكرها للقيم
والمبادئ وسخط وغضب وثار ثورة جارفة على الملوك والرؤساء والحكام
الذين خانوا في حرب فلسطين ، وحرض الشعوب على الثورة عليهم
• والتخلص منهم •

واعترضه الأسى والأسف لما يقاسى اللاجئين من ضروب البؤس
وألوان الشقاء •



واتفق الشعر في الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية مع الشعر في
فلسطين في الثورة على التقسيم وعلى هيئة الأمم وما انبثق عنها من
منظمات ولجان ووظطاء ومراقبين وبخاصة مجلس الأمن • وفي إشعال
حماسة الضباط والجنود الذين اجتازوا حدود فلسطين في ١٥ مايو
سنة ١٩٤٨ •

وفي الثورة على الهدنة الأولى والحض على نقضها وفي التفجع على
فقد فلسطين وبكاء مدنها ومغانيها ورتاء أمجادها وبكاء عزة العرب
وشرفهم ونخوتهم ورجولتهم •

وفي الثورة على مولد اسرائيل والسخرية منها ومن عبادة أبنائها
للمال وتنكرهم للقيم والمبادئ والثورة على الغرب ودوله والاستعمار
ومؤامراته وبخاصة بريطانيا وأمريكا وفي الثورة العاتية على الملوك والحكام
والرؤساء ودعوة الشعوب للثورة عليهم • والثورة على فساد الأوضاع
والنظم في الدول العربية والدعوة للحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية
والموحدة الشاملة والأسى والألم لشقاء اللاجئين وبؤسهم •

وانفرد الشعر الفلسطيني بثورته على التقسيم ودعوة عرب فلسطين

لمحور بالدماء ، وبعنف ثورته على الدول العربية السبعة وجيوشها وملوكها وزعمائها وعنف ثورته على مسرحية حرب فلسطين وأدوارها وفصولها •

وانفرد بعواطف الحنين للديار ، والشوق للربوع وإضرام الحقد والسخط في صدور أبناء فلسطين لمحو العار والأخذ بالثأر •

وكانت عواطف الشعراء في هذا الشعر أشد تضرما في ثلاثة موضوعات الأول المأساة • الثاني النقمة على الملوك والرؤساء • الثالث آلام اللاجئين • وتلونت هذه العواطف باللون الديني عند كثير من الشعراء في مصر وسورية ولبنان والمغرب العربي وحضرموت كما كانت عواطف شعراء المهاجر الأمريكية أشد تلهبا أمام موضوعين النقمة والسخط على الملوك والرؤساء والحكام وآلام اللاجئين •



ونعتقد أننا لسنا بحاجة لأن نقرر أن عواطف أبناء المأساة في الموضوعات المختلفة التي أوجدتها المأساة والتي لم توجد لها كانت أشد تضرما ، وأقوى تلهبا ، وأكثر عنفا وحدة من عواطف أبناء الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية • فهم الذين شردتهم المأساة ، وقذفت بهم من قطر الى قطر ، وطوحت بهم في مطارح النوى ، وهم الذين احترقوا بنار الاغتراب وتجرعوا غصص الضياع والتهيه والحرمان •

وقد شردتهم المأساة عن ديارهم فيمن تشرد ، وجرفتهم الأهوال الى حيث الغربية والشقاء واليبؤس ومن هؤلاء الشعراء أبو سلمى ويوسف الخطيب وقد نزحوا بعد المأساة الى سورية ومحمود الحوت وقد نزح الى لبنان وبرهان الدين العبوشى وقد نزح للعراق وكمال ناصر وقد نزح للقاهرة ومحمود الأفغانى وقد نزح للأردن •

وتتجلى في شعر هؤلاء الشعراء عاطفة الشوق والحنين للديار والمدن والذكريات الهائئات ، وملاعب الصبا وقد وصلت عاطفة كل شاعر من

أبناء المأساة الى أعلى درجاتها في موضوع معين فبلغت عند أبي سلمى أعلى درجات التلهب في الثورة على الملوك والحكام والدول وفي الأسي على النازحين وعند فدوى في المأساة واللاجئين وعند يوسف الخطيب في الثأر والانتقام • وعند هارون هاشم رشيد في الحنين للوطن والشوق للديار ، والعودة لفلسطين وعند العدناني في السخط على هيئة الأمم وما انبثق عنها من منظمات ولجان والثورة على اسرائيل وعند محمود الحوت في الثورة على الدول العربية •

وقد التقت عواطف الشعراء جميعا في هذا الشعر بعواطف أمتهم العربية ، وكانت تعبيرا صادقا عن مشاعرها وأحاسيسها اذ عبر كل شاعر منهم عن وجدان الأمة **الجماعي** من خلال وجدانه **الذاتي** كفرد في أسرة ، وعضو في جماعة تنعكس عليه آلامها وآمالها •

لقد أحس كل شاعر من هؤلاء الشعراء أنه خلية في جسم الأمة وأنه مرتبط أوثق الارتباط بواقعها ، وأن سعادته وشقاءه متوقفان على سعادتها وشقائها • فكانت عواطفه ومشاعره هي عواطف أمته وشعبه وكان كل شاعر لسان الأمة المعبر عما يختلج في نفوسها ، وترجمانها الأمين لما يضطرم في صدورها من أحاسيس •



ونقف لحظة عند شاعرين بلغت بهما ثورة النفس وثورة العاطفة حد اليأس والقنوط من الأمة العربية ومن وجودها ومن صلاحيتها للحياة أولا والكفر بها وبماضيها وحاضرها ثانيا • هذان الشاعران هما عيسى الناعوري في قصيدته « نعمة » وعدنان الراوي في قصيدته « أستغفر الله » لقد بلغت ثورة الناعوري على أمته حدا من العذف والقسوة فتساءل عن الشعوب وإبائها لتقضى على زمر الأخنا ولتهب بعد هوانها للكرامة المهذورة فتزيل العار عن تاريخها في ثورة شعواء من حقدتها ومضى الشاعر في تساؤله قائلا : أو مازلنا نحن العرب نعد أرقاما بلا حس يثور ؟

سبعون مليوناً وسبع ممالك وسبعة جيوش ونذل في حربنا أمام عصاية
رعديدة ؟ وينهى القصيدة بكفره بأمته في يومها وأمسها ، كفره بشبانها
وشيوخها ورجالها ونسائها وكل من فيها •

وبلغت ثورة عدنان الراوى على أمته التحد نفسه الذى بلغته ثورة
الناعورى فأعلن أنه سيكفر بالكون والعالمين وأضاف أنه سينكر كل
عقيدة ودين ، وينسى بأنه في وطن عربى •

نقف لنقرر أن هذا اليأس والتشاؤم كان عند الشعارين وليد لحظة
من لحظات ثورة النفس ، واحتراق الفؤاد ، واشتعال الاحساس •

ومن هذا القبيل ما ورد في قصيدة محمد العدناني « انقضوا
الهدنة » التي قال فيها عن اليهود إنهم نكثوا عهداً ففازوا وأيسروا ،
وصاروا كالأسود بفضل ختلهم وغدرهم وبؤنا نحن العرب — بسبب
حفظ العهد — بالشؤم والأذى • وأن عصرنا ليس عصر الشهامة والوفاء
ولا عصر الأكارم الماجدين ولكنه عصر الخيانة وعصر اللؤم واللؤماء •

إن هذه العاطفة وليدة ثورة نفس فمعاذ العلا أن ينتكر شاعر للقيم
والمبادئ إن للقيم والمبادئ في نظرنا مكانة سامية ولكن هذه القيم
يجب أن تستند الى جيش قوى •

ونقف لحظة ثانية عند عاطفة الحقد والسخط على الملوك والحكام
والرؤساء لنقرر أن خيانتهم أشعلت عليهم نار حقد الشعوب وسخطها ،
وأحست هذه الشعوب أن واجبها الوطنى الأول هو الثورة عليهم والتخلص
منهم ، وأذكى الشعر الذى استوحى المأساة في نفوس الشعوب عاطفة
الحقد والكراهية بما صور فيه هؤلاء الملوك والرؤساء من أحقر
الصور وأشنعها •

ولم يكتف الشعر بذلك بل حرض الشعوب صراحة وفي قوة على أن
تثور على حكامها ، وألقى على هذه الشعوب تبعه وصول هؤلاء الحكام

الى مناصبهم والنقد النزيه يملى علينا أن نسجل للشعر الذى استوحى
مأساة فلسطين موقفه من الانقلابات والثورات على الحكومات الرجعية
التي ثبتت خياناتها فى حرب فلسطين • تلك الثورات التي لم يفكر فيها
الذين قاموا بها إلا على ضوء الدرس القاسى الذى تلقنوه من حرب
فلسطين ومن هذه الثورات اغتيال الملك عبد الله ملك الأردن ، والانقلابات
المتوالية فى سورية وثورة الجيش المصرى فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ وما
أعقب هذه الثورات والانقلابات من تغيير جذرى فى بنى المجتمع العربى
 وإقامته على أسس جديدة من الحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية •

اهتز وجدان الأمة العربية بهذا الشعر الذى كان تعبيراً صادقاً عن
أحاسيسها وترجمانا أميناً لمشاعرها وحققها وغضبها على الذين أضاعوا
فلسطين وشردوا أهلها حرصاً على العروش والتيجان ، ومحافظة على
الجاه والسلطان •

ولقد أسهم الشعر العربى فى فلسطين والأقطار العربية والمهاجر
الأمريكية فى هذا التغيير •

فى فلسطين عند أبى سلمى والعدنانى ومصطفى الكيلانى وفى الأردن
عند عيسى الناعورى (١) •

وفى سورية عند عمر أبى ريشة وسليمان العيسى وبدر الدين
الحامد وفى لبنان عند محمد على الحومانى وفى العراق عند عدنان الراوى
وخالد الشواف والجواهرى وفى المهجر عند إلياس فرحات وجورج
صيدح •

ولقد كان الشعر منذ نشأته الأولى المحرك الأول للعواطف والمشير
الأول للإحساس والوجدان ، والمشعل للحماسة والحمية والنخوة •
وسيزل كذلك على مدى الدهر •

(١) من الانصاف أن نسجل لهذا الشاعر تأثره الشديد بالمأساة واستلهامه
مظاهرها بسيل من قصائده التي يزخر بها ديوانه « أناشيدى » •

الصُّور

زخر الشعر الذي استوحى مأساة فلسطين بالصـور الشعـرية الواقعية • ونعنى بها الصور المنتزعة من واقع المأساة وأهوالها وفواجعها •
والخيالية : ونقصد بها الصور المستمدة من الخيال بنوعيه الابتكاري الذي يبدع صوراً جديدة ، وتوضع به الأشياء في علاقات جديدة ، ويبث الحياة والشعور في الجماد ، والتفسيرى أو التصويرى أو البيانى الذى يوضح الصور عن طريق التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز •

وتنوعت الصور الشعرية بين كلية وجزئية وها نحن أولاء نقدم أروع الصور فى نظرنا فى الموضوعات المختلفة دون تفرقة بين شعر أبناء فلسطين وغيرهم •

١ - قرار التقسيم

صور تقسيم فلسطين بأنه تمزيق للوطن وهى صورة واقعية وبأنه قسم لظهر فلسطين وهى صورة خيالية •

٢ - هيئة الأمم

صورت فى صور عديدة من الاحتقار والازدراء ومن الصور الواقعية أنها زمرة باعت الذمم • وأن الحق عندها أصبح باطلاً وصور مجلس الأمن بأنه مجلس التضليل ، وبأن بناءه سجن للأحرار وأنه أسمع العرب فى التحكيم ألوانا من الزور • وصور برنادوت فى صورة العلج الذى يباع ضميره ، والشعبان المراوغ فى مفاوضته مع العرب وصور العدل فى رحاب الهيئة بالرجل الذى صرع ، والأمن بالخيال والضمير العالمى بالرجل النائم

الذى طال نومه • وصور السلام فى المنظمة الدولية بالإنسان الذى تاء
واحتار وبالطفل الذى كاد يقضى نحبه •

وصور الشرف بأنه غدا عند أعضاء الهيئة أسطورة والحق بالرجل
الذى مات ، والأمر الواقع بالمولود الذى ولد •

٣ — مولد إسرائيل

صورت إسرائيل فى أقبح الصور وأشنعها وأحقرها ، وصورت
الطباع المتأصلة فى نفوس اليهود فى صور متعددة ومن هذه الصور ما هو
منتزع من الحقيقة وما هو مستمد من الخيال •

فمن الصور الحقيقية أنها دولة الربا والمواخير والنقم ، وأنها ترى
فخرها ومجدها فى المال •

ومن الخيالية أنها جهض هيئة الأمم ، وأن جيشها المكر والنساء
وأنها ترفع أعلام الخنا •

وقد برع على الجارم فى تصويرها فى صورة قبرة رعناء تزحم
الشواهين فى الوكر وجعل ذلك من أحجيات الدهر وتصوير اليهودى القائه
الذى ليس له دار ولا وطن فى صورة اللص الذى يسطو على دارنا
قسرا ويقصينا •

وقد سخر الشاعر منها مر السخرية وتهكم بها وجعلها دولة ماتت
لمولدها فكان ميلادها حزناً وتأبيناً ، وكان قيامها رواية لم يستطع اليهود
حفظها وتلقينها وقد حيرتنا أمهزلة أم مأساة ؟ ولها قوانين من الرحمة
والعدل نفذ اليهود بعضها فى دير ياسين • ولكل فرد من أبنائها فلسفة فى
الشرف يعرف أسرارها موسى شرتوك ودافيد بن غوريون • فلا يعرف
الرزء فى أهل ولا ولد ، ولا يرى قانونا غير جمع المال ، ويصبح رقم
الألف من المال فى كفه ملايين عن طريق الربا وعن طريق وسائل أخرى

كفى عنها بقوله — ما لست أدريه — ويمثل هذا النص في نظرنا أقوى النصوص التي تناولت إسرائيل في صدق العاطفة وقوة الصور وسمو الأداء .

٤ — حرب فلسطين

صورت حرب فلسطين في صورة مهزلة ومسرحية ذات فصول مثلت الدول العربية القائمة يومئذ فصولها على المسرح وصورت البنادق والمدافع التي زودت بها الجيوش في صورة الخطب والتصريحات التي يدلى بها الحكام والرؤساء وصورت الهدنة الأولى في صورة النقمة التي حلت بالعرب والنعمة التي هبطت على اليهود .

وصور جورج صيدح في قصيدته « الحجيج » الجنود الذين حاربوا في فلسطين بأن صدورهم كانت منكشفة للأعداء ، وظهورهم منقصة بالخوثة .

٥ — المأساة أو النكبة أو الكارثة

ما أكثر الصور الشعرية التي صورت فيها المأساة وضخامتها وشداحة أهوالها ، وما أروع هذه الصور ، وأقواها أثراً في النفس وها نحن أولاء نتخير أقواها في نظرنا .

صور هارون هاشم رشيد في قصيدته « أين منى » المأساة في صورة كلية مؤلفة من عدة صور جزئية متناسقة تتمثل في البساط الذي انطوى والكأس التي جفت خمرها ، والندامي الذين اختفوا ، والأذان الذي مات والنواقيس التي بكت وأجزاء الصورة منتزعة من واقع المأساة .

وصورتها فدوى طوقان في قصيدتها « بعد الكارثة » في صورة الرجل المحتضر الذي أخنى على روحه معنى الموت . وقد أمضه الجرح الذي خانته أسنانه في المأزق المحتدم ، وكان جرحه عميق الأغوار يتنزى

تحت ناب الألم ؛ فالذين استصرخهم ضارعا ، وحسبهم ذرناه ومعتصمه ،
تتكروا له ، وحال من دونهم ودون مأساته حس أصم وحين قلب فيهم
طرفه مستنجدا عزه منهم المندفع المقتحم • والصورة حية نابضة ،
والخيال فيها رائع •

وصور عيسى الناعورى فى قصيدته « صرخة أسى » فلسطين بعد
الكارثة بسقوطها على الثرى مضرجة بالدماء وإغماد السيوف فى أحشائها
وبكاء الأذان وتوقف أجراس الكنائس عن الرنين وذل القباب وهى
صورة واقعية •

وصورها الشاعر محمود محمد صادق فى ملحمته « رسالة الشعر
القومى إلى العالم العربى والشرق » فى صورة المجد الذى أطرق ،
والحمى الذى استبيح ، والرزه الذى عزى الخافقان فيه • وفى أنها
نكبة العروبة والشرق ، ومصاب الأديان والأوطان ، وقاصمة الظهر ،
والدك من الأركان ، ومحو فلسطين من سفر العرب الخالد ، وارتكاز
الدخيل ، وحلول التتار على صورة قرصان اليهود ، والقضاء على
العروبة فى أقدس ما شيدت من البنيان والصور تنبض بالقوة والحياة
ومستمدة من الواقع والخيال فيها جميل وهى فى مجموعها تعبر عن
عاطفة الشاعر الحزينة وفجعيتها المريرة بفقد فلسطين •

وصورها الشاعر محمد مصطفى الماحى فى قصيدته « فلسطين »
فى صورة الهدى الذى رآه أخو الهوى صيدا سميناً ، وبمقاساتها الكيد
من ذوى الرحم • والصور واقعية وصورها الشاعر كمال النجمى فى
قصيدته « فلسطين الضائعة » بالشاطيء المهجور الذى طارت عنه حمائمه ،
وأقلعت منه سفن الإسلام والعرب وفى أنها أخت الأندلس بذلا وتضحية
وطول صبر على الخطوب والأهوال ، والصورة جميلة ومستمدة من
حقيقة المأساة وفداحتها ومن التشابه بين فلسطين والأندلس •

وصورها الشاعر محمد عبد الغنى حسن فى قصيدته « فلسطين

الشهيدة « ملفوفة في ثياب الليل السود ، مطوية في عصف الرياح ،
ذاهبة بشاشتها منطويا ضياؤها في الظلمات ، مدهومة بعصاة من عصب
الزمان متمثلة في اليهود الذين كانوا حرباً على الإسلام منذ قيامه ، وكانوا
مبعث نكباته ، والصورة جميلة وزاد من تأثيرها العاطفة الدينية .

وصورها الشاعر بدر الدين الحامد في قصيدته « في مأساة
فلسطين » وقد امتلأت ميادينها بالدموع والدماء . وبنزوح أهلها ،
واقترحام عرينها ، وسخرية التاريخ منا ، وصور مهد المسيح يبكي
والمسجد الأقصى ينوح ، والخيل وقد كبت في ساحة الحرب وأبطالنا وقد
وجموا وانتهاء الحرب بالصفحة التي طويت وصور العرب في صورة
قطعان الأغنام التي تملأ السهل . وبكاها كما بكى الرندى الأندلس .
وقد أبدع الشاعر في صور الواقعية والخيالية التي صورت عاطفته
الحزينة الملتاعة على فلسطين الضائعة .

وصور الشاعر عمر أبو ريشة في قصيدته « أمتي » أمتة العربية
بعد المأساة وطره مطرق خجلاً من أمسها اللامع ، وبأن الدمع يكاد
يهي من عينيه عابثاً ببقايا كبرياء أله . وبكائه دنياها التي أوجت إلى
وتره أقوى الألحان والتي كانت حلماً مر بأطياف السنى وانطوى خلف
جفون الظلمات .

وقد أبدع الشاعر في صور هذه القصيدة الواقعية والخيالية وصور
أساه على أمتة التي كانت في الماضي موجة من اللهب والدم إذا اعتدى
عليها والتي جرحت كبرياؤها بعد أن علت راية إسرائيل في حمى المهد
وظل الحرم ولم يشفها الثأر ولم تنتقم .

وهذه القصيدة تمثل في نظرنا أقوى النصوص التي استوتحت
المأساة . في صياغتها الرصينة ، وعاطفتها التي تفيض بالحزن ، وصورها
الحية الرائعة .

٦ - أسباب المأساة

خيانة الحكام

صور أبو سلمى في قصيدته التراب الخضيب ، في قوله :

أملوك وهم إذا نسب العار إليهم أبا انتساباً معيباً ؟

العار وقد أبا أن ينتسب للملوك لأن ذلك الانتساب يعيبه وهذه صورة جديدة ابتكرها خيال للشاعر لم أجد أشنع منها • صورة العار وقد تمثل رجلا يأنف ويأبى الانتساب للملوك لأن ذلك يعيبه والخيال فيها ابتكارى •

وصور أعلام الدول العربية بأنها عربية أسيما ولكن وراء السيماء وجها غريباً وصور رؤساء هذه الدول في أنهم باسم هذا العلم الذى يببدو وراء مظهره الوجه الغريب حكموا الشعوب وأصلوها •

وصور الدول العربية التى اشتركت في حرب فلسطين في صورة الدمى ، وفي أنها مثلت دوراً مرسوماً ، وفصلاً مريباً •

والصور طريفة تمثل قوة عاطفة سخط الشاعر ونقمته على الحكام من ملوك ورؤساء وقادة • ومدى احتقاره وازدرائه لهم •

وصور عمر أبو ريشة في قصيدته السابقة « أمتى » القادة يتفانون في خسيس المعنم ، واستعاد أطياف الماضى عندما انطلقت كلمة « وامعتصماه » فدفعت المعتصم لفتح عمورية وعندما لامست هذه الكلمة المنطلقة من أفواه الميتامى أسمع القادة فلم تجد فيهم نخوة المعتصم والصورة رائعة وضاعف من روعتها استحضار أطياف الماضى والمقارنة بين حكام وحكام • والخيال فيها ابتكارى وضعت به الأتسيا ، في علاقات جديدة •

وصور سليمان العيسى في قصيدته « بعد هدنة فلسطين » الحكام والولاة في صورة الخادعين الذين مزقوا الأمة كيف شاءوا • والداء الفتاك ، والذين افترشوا النعيم بدمار الأمة ، وماج الثراء حولهم ، وشيدت قصورهم بدم أبناء الأمة الجياع ودمعهم • والصور هنا بالغة الروعة • صورة القصور التي تبني بدماء الجياع ودمعهم •

وصورهم عدنان الراوى في قصيدته « ياس » في صورة العبيد والأغنام والصخور والأصنام وهي صور ناطقة بالاحتقار والازدراء •

وصور إلياس فرحات في قصيدته « نفط الجزيرة وفلسطين » حرص الملوك والأمراء والرؤساء على المال والجاه ، ومسئوليتهم عن المأساة في قوله :

لو كان لى نفط الكويت جعلته يمشى على جثث اليهود جنودا
وهذه صورة مبتكرة رائعة إذ جعل البترول جنودا يمشون على
جثث يهود فلسطين • حيث يتحول النفط إلى أموال ، وتتحول الأموال
إلى جيوش مدربة ، وأسلحة تزود بها هذه الجيوش فترسل إلى فلسطين
وتحارب اليهود فتنتصر عليهم ، وتسير فوق جثثهم •

ومن الصور الطريفة في القصيدة تشبيه الشباب المتناثرين في
الأرزقة في الدول العربية في كثرتهم وفي ركودهم وفي عدم الانتفاع بهم
بأموال أصحاب آبار النفط المقدسة في المصارف وتشبيه القوة المؤلفة
من الشباب والأموال بالعاصفة القوية • والصورتان رائعتان وهما
من الخيال التصويرى •

٧ — اللاجئون

حظى اللاجئون من الشعر الذى استوحى المأساة بأوفر نصيب
لأنهم الجانب المادى الحى من المأساة ، ويقارب عدد اللاجئين المليون
من أبناء فلسطين الذين شردتهم المأساة تحت كل كوكب وطوحت بهم

إلى كل قطر لم يتخيروا مكانا ولكن يد البغى أرغمتهم على أن يتيهوا في الأرض لا يعرفون لهم وجهة ولذلك استنقر فريق منهم في مصر وثمان في سورية وثالث في لبنان ورابع في الأردن وخامس في العراق وسادس في السعودية وسابع في الكويت وثمان في الخليج وتاسع في ليبيا والمغرب العربي وعاشر بقى في قطاع غزة الجزء الباقي من فلسطين بعد المأساة •

لقد مزقت المأساة شعب فلسطين وبعثرته في الأرض ونثرته على الدروب ، وشنتت شمل أسرته ، وفصلت أعضائها فأب في بيروت وأم في القاهرة وأخ في دمشق وأخت في بغداد وقرين في غزة وقرينة في عمان •

وقد ضاقت الأرض على رحبها باللاجئين ونبذهم العراء فوضعوا بادىء الأمر في خيام مهلهلة لا تقى حراً ولا قرا وحين كان يسقط المطر — وما أكثر سقوطه — وينحدر السيل يجرف معه هذه الخيام بما فيها ومن فيها ، وحين كانت تعول الريح وتثور الأعاصير تمزق هذه الخيام • ولكى تتماسك هذه الخيام وتقاوم الريح والمطر لجأت هيئة الأمم أو هيئة إغاثة اللاجئين التى ألفتها هيئة الأمم إلى طلائها بالقار وأصبحت الخيمة السوداء رمزاً للاجئ وبؤسه كما أصبحت بعد طلائها بالقار مسودة الوجه قبيحة المنظر مظلمة الجنبات • وحين تراخى الزمن باللاجئين قررت هيئة الأمم أن تكفر قليلا عما اقترفته معهم فقدمت لهم بعض الغذاء الذى لا يسد الرمق ولا يقيم الصلب وبدلتهم بالخيام أكواخاً هى بالمغاوير والكهوف أشبه منها بالنازل كدسوا فيها ورسوا رصا غير منظم وعاش اللاجئون بعد عشر سنوات من المأساة حتى سنة ١٩٦٠ فى بؤس وشقاء بؤس لا ينقطع وشقاء لا يزول ويزيد من أساهم أنهم يرون — على امتداد أبصارهم كل يوم — حقولهم وكرومهم وبساتينهم والأعداء يجنون ثمارها •

ومع هذه الآلام والأهوال التى يكابدها اللاجئون فانهم مؤمنون بربهم واثقون بنصره ، مؤمنون بحقهم فى العودة إلى وطنهم • وبانتصار هذا الحق ولو وقفت فى طريقه كل قوى الشر والعدوان •

وهم حاقدون قلوبهم نيران متأججة ، وأفئدتهم شعل ملتبهة لن يطفئها إلا النار يوم الجولة الثانية ، وهم مصممون كل التصميم على استرداد وطنهم وإنهم ليتحرقون شوقا إلى اليوم الذى يريقون فيه دماءهم على ثرى أرضهم الطيبة التى حنت عليهم وغذتهم من خيرها وبرها فى العهود الماضية •

لذلك لم يظفر موضوع من الموضوعات التى خلقتها المأساة باهتمام الشعر كما ظفر موضوع اللاجئين ، ولم تتعدد النصوص ، وتتكاثر القصائد والأغانى والأناشيد كما تعددت وتكاثرت فيه ، ولم يصل الابداع الفنى فى التصوير الشعرى إلى مثل ما وصل إليه فى موضوع اللاجئين • مادة شعرية ضخمة وعواطف محترمة أثرت الجانب العاطفى فى الشعر العربى الحديث وتحتاج وحدها لدراسة مستقلة •

وقد تناول الشعر آلام اللاجئين المادية والمعنوية أو النفسية ونريد بالمادية المظاهر الخارجية من جوع وعرى وحرمان وتشرد وبؤس وشقاء وبالمعنوية والنفسية المشاعر والأحاسيس والقلق والحيرة والاضطراب •

الآلام المادية

صور الشعر الآلام المادية للاجئين المتمثلة فى الجوع والعرى والحرمان وفقد الغذاء والكساء والمأوى ، والخيمة السوداء • وقد حظيت خيمة اللاجئين من الشعر باهتمام بالغ وصورت فى شتى الصور صورها رجا سمرين فى قصيدته « خيام اللاجئين » فى صورة الوصمة فى جبين الدهور ، والنعم النشاز ، وسبة التاريخ والناس فى جميع العصور ، ومأوى البؤس ، وسفر الآلام • والصور رائعة مستمدة من الواقع ، والخيال فيها جميل • وصورها محمود حسن إسماعيل فى قصيدته « من دموع اللاجئين » فى أنها خيمة البهتان والطغيان والزور ،

ومأوى كلحد الميت محفور في النسيان وقد رمى فيها اللاجئ كدعوة
وقنت على درب المقادير •

وصور الشاعر في هذه القصيدة الجوع في صورة ذئب اغتال
أطفال اللاجئ مع الفجر ، والسيل في صورة مجنون بعثرهم بين مداخل
الصخر فلا يدرى لهم شجراً على نعش ولا قبر كما كانوا هنا عادوا
بلا سكن ولا عمر • وصور الشاعر مرة ثانية جوع اللاجئين بأنهم إذا
صاموا من الجوع أكلوا القوت حرماناً وإذا ناحوا من العرى لبسوا
الموت أكفاناً ، وإن راموا ندى الناس وعطفهم وجدوهم ذئاباً •

وهذه الصور في نظرنا من أروع الصور التي صورت فيها خيام
اللاجئين • وهذا النص من أقسوى النصوص الشعرية التي استلهمت
المشردين في صياغته المتينة وعاطفته الملتهبة وصوره الرائعة • تشبيه
الجوع بالذئب الذي يغتال الأطفال ، والسيل بالمجنون الذي بعثرهم ،
وأكل الحرمان وارثاء الموت •

ورسم معين بسيسو في قصيدته « السيلول » صورة للأمطار التي
جرفت خيام اللاجئين فصور السيل وقد جرف الخيام بمن فيها ولم
يترك إلا الحبل والوتد من ذلك الشعب وإلا بعض العرايا الساحبين بقايا
أطفالهم على الوحول وإلا ما شاهدت عينك من جثث منفوخة مجهولة
العدد هنا حطام ، هنا موت ، هنا غرق ، هنا بقايا رغيغ عالق بيد ،
هنا العيون التي تصطك مينة ، هنا الشفاه التي تدعو لتأر غد • وهذه
صورة كلية تبعث الأسى وتثير الحزن أبدعت ريشة الشاعر رسم مناظرها ،
ووفق الشاعر في اختيار الألفاظ الملائمة وكأننا نرى بأعيننا هذا المشهد
الأليم المؤلف من حبال الخيام وأوتادها والعرايا الساحبين بقايا أطفالهم
على الوحول • والجثث المنفوخة المجهولة العدد والموتى والغرقى والحطام
الذي خلقتة السيلول وبقايا الرغيغ العالق باليد والعيون التي تصطك
والشفاه التي تدعو للتأر •

والمصورة رائعة على الرغم من أن صورها الجزئية صور حقيقية
منتزعة من الواقع الأليم •

ورسم هارون هاشم رشيد في قصيدته « أين المفر » صورة للرعود
والعواصف والأمطار التي تهدم أكواخ اللاجئين فصور الموت وحشا
ضارياً فاغراً فاه متمثلاً في الريح التي تصرخ والعواطف التي تثور والرعود
التي تترأر ، والأمطار التي تغمر الأرض والمياه التي تطغى وتجمع وأكواخ
اللاجئين التي تهوى عليهم فيبتلعهم الموت • فهذه أم حنت على طفلها
البكر وضمته لصدرها لتدفع عنه المنية فعجزت وهذه عجوز سقط
الجدار عليها فتهدم كوخها وأصبح قبراً لها • وهذه فتاة مكومة القلب
تبكى فقد الخدر وما حوى • وهؤلاء أطفال مشردون حيارى فقدوا
أهلهم •

والمصورة الكلية بارعة أجاد الشاعر رسم أجزائها ، والتنسيق بين
هذه الأجزاء وأبدع في رسم جوانب الصورة واختار الألفاظ الملائمة
السهلة •

ورسمت الشاعرة فدوى طوقان في قصيدتها « حلم الذكرى »
صورة كلية لوطنها فلسطين بعد المأساة فمن خلال دخان علا واستدار
رأت حماها في صورة خربة ماحلة الهوام على عنباتها ، وتعبرها قافلة
إثر أخرى ، وبين زوايا الخربة تحبو العناكب وتمعن في زحفها ، وحول
هذه الخربة أبصرت الشاعرة أشلاء قومها متناثرة هنا وهناك على طرق
السابلة عيون مفقأة بعثرت حباتها السائلة على الأرض ، وأيد مقطعة
ووجوه غذا التراب ألوانها الدائلة •

ووراء هذا الدخان قطيع تشتت • قطيع وديع بقية قوم الشاعرة
تظلمهم الخيام في العراء ، وقد أخذوا للسكينة كأنهم براكين خامدة
لا تقور استحال اللطى في حشاها جليداً قصارى مطامحهم لقمة مغمسة
بالهوان تجود بها كف جلادهم لتخديرهم كل صباح جديد •

وهذه صورة كلية مكتملة مكونة من عدة صور جزئية أجادت الشاعر
إبداعها • وتمثل هذه الصورة لوحة فنية تعتبر في نظرنا أروع لوحة
صورت مشهد فلسطين بعد المأساة وتناثر أشلاء أهلها على الطرق لقد
أبدع خيال الشاعر الابتكاري هذه الصورة الكلية الجديدة التي لم
توجد من قبل ، وابتكر صورها الجزئية وأجاد تنسيقها في المشهد
العام ووفقت الشاعر في اختيار الألفاظ والجمل المساييرة للجو النفسى
والعاطفى والملائمة للموضوع • خربة ماحلة ، تدب هوام ، عناكب تحبو
أشلاء قومى ، هنا وهناك ، عيون مفقاة ، أيد مقطعة ، وجوه حائلة وهذا
النص في نظرنا في أعلى درجات القوة في تضم عاطفة الشاعر الحزينة
المتاعة وروعة صورهِ وِرصانة أسلوبهِ لقد جلت المشهد حتى لكأننا
نُبصره بأعيننا •

الآلام المعنوية

وصور الشعر الآلام المعنوية والنفسية الأحساس بالبوأس ،
والشعور بالضياح والفراغ والغربة والوحشة وموجات القلق النفسى
والحيرة والاضطراب ، ولذع ذكريات الأيام المشرقة والعهود السعيدة •

وتتجسد هذه الآلام عندما يقبل العيد على الدنيا في كل عام حاملا
معه البسمة إلى كل ثغر ، والبهجة إلى كل قلب إلا قلوب اللاجئين التي
لم تستشعر معنى البهجة منذ شردوا وإذ يجد الناس في العيد وفي أيامه
السنى الذى يرف في روح الوجود ، والبشاشة التى تغمر قلب الحياة
يجد فيه اللاجئين الظلام الذى يجلل الدنيا بالسواد ، والكآبة التى
ينضب منها معين البشر ، وإذ يجد الناس في العيد الهناء والنعيم يجد
فيه اللاجئين الشقاء والجحيم •

رسمت فدوى طوقان في قصيدتها « مع لاجئة في العيد » صورة
لللاجئة في العيد فصورتها وقد قبعَت بين الخيام كالتمثال الشقى المتهاك

الذى يطوى وراء هموده الألم العتى • وساءلتها عن سر كآبتها وعما إذا كانت قد ذكرت مباحج الأعياد في يافا ، وهفت بقلبها ذكريات العيد أيام الطفولة يوم كانت تنطلق كالحسون في زهو والعقدة الحمراء ترف على رأسها ، والشعر ينسدل على كتفيها تنطلق بين ملاعب البلد الحبيب تتراخض مع اللدات بموكب الفرح حيث يملأ العيد الجو بروحه المرح • أما اليوم بعد المأساة والتشرد واللجوء فلا شيء إلا نار الذكريات ، وقصة البؤس والعار والنص جيد ، والصور مستمدة من واقع المأساة • والأداء سام •

ورسم الشاعر إبراهيم الواصل في قصيدته « من وحى اللاجئين » صورتين لآلام اللاجئين إحداهما للآلام الحسية والثانية للآلام النفسية أما الآلام الحسية فقد اختار نماذج من اللاجئين وصور كل نموذج في صورة جزئية كونت مشهداً عاماً ، فيتيم أفلت به اليتيم من الوحوش ، وفتاة أسندت راحتها طفلة تبكى وأما نفساء ، ورضيع اشتد به ألم الجوع فاحتسى دمه غذاء لم يجد في ثدى أمه حين لمسه بيده الواهنة إلا الدماء • والصورة رائعة وفق الشاعر في اختيار أجزائها وتنسيق هذه الأجزاء • ووفق في اختيار نماذج من اللاجئين تثير عاطفة الحزن والأسى •

وفي تصوير الآلام النفسية في القصيدة نفسها يصور الشاعر على لسان لاجيء أثر العيد في نفوس الناس وفي نفوس اللاجئين فيجعله للناس كأنفاس الضحى وللاجئين ظلاماً دامساً • ونشيداً ورؤى وأهازيج ولحنًا وغناء للناس ، وحنيناً وأسى ومناحات وشجواً وبكاء للاجئين • والصور جميلة وزاد من جمالها هذه المقابلة •

وصور أبو سلمى في قصيدته « النازحون » تربة فلسطين بالفتاة العذراء التي افتضتها يد المجتاح الغاصب وقد تخضب ترابها بشظايا الأعراس والأرواح واللاجئين وقد تساقطوا نجومواً على غريب البطاح

والليالى أحنى عليهم من الأهل ، وأندى من الوجوه الوضيئة وكل طفل من أطفالهم بدمعة الفجر التى ترامت على محيا الصباح ، وكل فتاة من فتياتهم بعبق الزهر الذى تلاشى على ذيول الرياح وخيال الشاعر هنا محلق لأنه أبدع صوراً جديدة لم تكن موجودة من قبل • القراب الخضيب بشظايا الأعراض والأرواح وتساقط الملاجئين كالنجوم على بطاح الغربية ، وحنو الليالى • ووفق فى اختيار الألفاظ والعبارات المسائرة للعاطفة •

٨ - الثأر

ونعنى به عاطفة الحقد المتقدة فى صدور الملاجئين على الذين اقترفوا جريمة تشريدهم • والذين اغتصبوا وطنهم وعزم الملاجئين المصمم على أن يثأروا لشهادتهم الأبرار ، للآباء والأمهات ، والأشقاء والشقيقات والأطفال والشيوخ الذين فتكت بهم العصابات اليهودية ويقف الشاعر يوسف الخطيب فى طليعة شعراء الثأر حيث يصور فى قصيدته « مشيئة الجبار » الملاجيء فى صورة المشعل والمارج الجبار الذى لا تخمده الريح ولا الإعصار والذى سيمد فى الآفاق ألسنة اللظى ، وسيحرق الليل حتى تتجلى ظلماته ، وإذا كان للميتين دموعهم وجراحهم فإن لجذوة حقدده ساح الوغى والثأر ، وسيغسل جبهته حتى تبدو مثل الضحى ويزول عنها العار والصور فى درجة عالية من القوة والروعة ، وتحمل فيها الألفاظ والكلمات شحنة من اللهب المتقد ، والثورة المتضربة وتبدو روعة هذه الصور فى أن الشاعر جعل من الملاجيء نوراً يضىء طريق الحرية ونوراً تحرق الأعداء ، نوراً يبىد الظلمات ونوراً تدمر المعتصبين والمجرمين ، والخيال الابتكارى واضح فى هذه الصور •

وفى قصيدته الثانية « موعد مع الثأر » يصور الدم العربى يغلى فى عروق العرب جميعاً فيدفعهم لخوض معركة الثأر الفاصلة مع الأعداء حيث يجمع التاريخ أشقات العرب فى الحاضر كما جمعهم فى الماضى وحيث تجمعهم فى الحاضر وحدة المصير فتتحد جيوشهم تحت لواء واحد

وقائد واحد ، ويسيرون نحو هدف واحد وهو تحرير فلسطين وعندئذ يعلم الشذاذ أن العرب هم العرب قديماً وحديثاً ويزيد من جمال هذه الصور أنها مستمدة من واقع تاريخ العرب •

وتؤكد فدوى طوقان في قصيدتها « بعد الكارثة » تصميم الأمة العربية على الثأر وتسوق هذه الصور وهي تناجي موطنها فلسطين فتصور العمرة وقد انجلت ، والفجر وقد مسح غواشى الظلمات • فالجوهر الكامن في الأمة العربية ما يزال يحمل معنى الضرم وشباب العرب هم دخر الحمى • وللثأر غداً هبة جارفة الهول عاصفة عامّة لأن المأساة ألهمت في قلب كل عربي حر جذوة تتوقد وتضطرم ومحال أن يقعد الأحرار عن ثأرهم ما دامت الثأر تعلّى في عروقهم •

وترجع روعة هذه الصور في نظرنا إلى ما فيها من تفاعل وأمل وثقة بالمستقبل حيث يشرق الأمل ، ويتبدد اليأس ويضىء الغد ، وإلى روعة الخيال التصويرى التي تجلت في الاستعارات والتشبيهات • والألفاظ مختارة والأداء في درجة عالية من السمو •

٩ - السود

ونعنى بها حنين اللاجئين إلى ديارهم وأوطانهم وأثر بعدهم عن الديار ، وفراق الأحباب ، ولهفتهم وشوقهم إلى مدنهم وبلادهم وأحيائهم ومنازلهم وآمالهم الباسمة في الغد المشرق ، وأمانيتهم الضاحكة في العودة الكريمة والرجوع الحلو إلى مراتع الصبا ومرابع الطفولة إلى أرضهم التي استودعوها أعلى الذكريات إلى المدن والقرى والحقول والمزارع والكروم والبساتين إلى يافا وبرتقالها المعطر الشذى وشاطئها الفاتن وإلى حيفا وكرملها الساحر الرؤى ، إلى عكا ومعالمها التاريخية الباقية ، إلى الرملة البيضاء إلى اللد إلى مجدل عسقلان ذات المغارس والأشجار والأعنان والثمار ، إلى الفالوجة وعراق المنشية والسوافير وحقولها

ومزارعها وهضابها ووهادها إلى السهول الخصبة والحقول المخضرة بين سنابل القمح ، وكروم العنب ، وأشجار البرتقال والليمون واللوز والمشمش فالأرض تناديهم والحقول تدعوهم ، والأشجار والشمار تنتظرهم لقد برح بها الشوق الذي برح بهم ، وعصف بها الحنين الذي عصف بهم •

لقد دفعت عاطفة الحنين الشاعر أبا سلمى في قصيدته « داري » إلى تصوير داره في صورة كاعب حسناء أغفت على ربوة حاملة بالمجد والغار تفتح الزهر على خدها فعطرت أيام آذار ، لا تضحك الشمس إلا لها ، القينة الخضراء في ظلها تاريخ أشواقه وآثاره حيث كانت ملعباً له مع الأتراب يوم رفيف المنى وكانت ملتقى الجارة بالجار •

والصورة بالغة الروعة وزاد من روعتها استعادة ذكريات الماضي والألفاظ تفيض رقة وعذوبة • أين أحبابي وسماوي ربوة حاملة • تفتح الزهر • خد • عطرت تضحك الشمس رفيف المنى •

وصور في قصيدته الثانية « سنعود » عذابه في الحياة وهو بعيد عن فلسطين • حيث أخذ ينجى بلاده الحبيبة قائلاً لها كيف أحيا بعيداً عن سهولك وهضابك ؟ تناديني السفوح مخضبات والشواطئ باكيات والجداول شاردات ، وتناديني مدائنك اليتامى ، وقراك والمساجد والقباب ويسألني الرفاق هل من عودة بعد الغياب ؟ وأجيب أجل سنقبل تريك المندى سنعود وتصغى الأجيال إلى وقع خطانا عند الإياب •

وكما يقف الشاعر يوسف الخطيب في طليعة شعراء الثأر يقف هارون هاشم رشيد في طليعة شعراء العودة إذ ينجى في قصيدته « سنعود » أختنا نازحة قائلاً لها سنعود يا أختاه للوطن رغم الشقاء ورغم قسوة الزمن ، ورغم الليالي العابثات بنا ورغم • الجوع والتشريد والحن ويمضى في القصيدة فيصور السهول وهي تنتظر ، والكروم والشواطئ والشجر والذكريات الهانيات والآصال والبكر • وملاعب الأحلام التي تهفو والناي والوتر •

ويسمى الشاعر فتاته ليلي ويؤكد لها أننا سنعود ويخاطبها قائلاً
سنعود يا ليلي مع الفجر والزهر والحسون والقمرى سنعود بالآمال
باسمة وعندئذ نرفع الراية التي طويت ونعيدها تزهر على الدهر وهذا
النص رائع في صورته المشرقة المتعددة المتتابعة وفي أدائه السهل الجميل
واختيار ألفاظه وكلماته وقد وفق الشاعر في أنه استمد صورته من بيئة
فلسطين ومناظرها الفاتنة وزاد من جماله تكرار كلمة سنعود والموسيقى
الشجية العذبة •

وصور في قصيدته « هناك بلادي » حنينه حين قال هناك بلادي
وراء الحدود ، هناك أغاني صباح ، ونجوى شبابه وذكرى هواه وحقله
وما زرعت يدها وعوداً حزينا تركه ونايا • هناك تناديه التلال قائلة له
يا حبيبي تعال وألف حنين وألف سؤال وخلف الحدود تلوح له القرى
التي تكاد ترى أهلها على البعد ، وتكاد تشق الزمان إليهم • والصور
جميلة ، والألفاظ عذبة والموسيقى شجية •

وصورت دعد الكيالي في قصيدتها « أياريح الشمال » شوقها إلى
فلسطين حين ناجت ريح الشمال ضارعة إليها أن تحمل معها سلامها
لوطنها وتصف تباريح الشوق ، وأن تمر على منزلها فتتوح ففى رحابه
كثيراً ما غردت وصاغت النجوى الحاناً للبدر والزهر • وتمضى في التصوير
طالبة من ريح الشمال أن تتشقها — بعد عودتها من الوطن — زهر
البرتقال وزهر اللوز والليمون وأزهار الجبال والصور جميلة مستوحاة
من طبيعة فلسطين ، وفتنة مناظرها ، وسحر أشجارها وأزهارها •

وصور عصام حماد في قصيدته « غزل في الأغلال » حنينه في
صورة حوار أجراه بين فتاة سألته عن سبب هجره النسيب وأجابته لها
وفي رد الشاعر يختار نماذج من المأساة قائلاً كيف أهفو غراماً وما في
أصحابي إلا الساعب الذي يلوك مصائبه والظمان الذي لا يجد الماء •
وكيف أطيق الغطاء وأختي حاسرة الصدر وكيف أصدح بالأغاني وأمي
تولول نائحة • أرقص في مأتم الثالكات وأضحك في النكبة الغامرة •

ويستعيد ذكرياته في الوطن مع الأصحاب كأنه لم يجب في دارهم ولم يدرج على أرض بلاده ولم يطعم خبزها ولم يشرب الماء من كفها ولم ينعم بالآثها ويغرب لأنغامها والنص جميل ، وصوره جيدة وأداؤه قوى •

وصور على هاشم رشيد في قصيدته « أمنياتي » أمانى قلبه بأنها ليست في الصباح الجميل والإمساء ولا في الهواء العليل والأنداء • ولا في نداء الطيور ولا في الصبا ولا في حنين الأنغام ولا في الأمل الحلو ولا في النشيد العذب ولا في الربا الخضر ولا في حديث الأمواج للشط ولكنها في الرجوع للوطن ، ففلسطين ملء فؤاده لن ينسى فيها الروابي حين يكلها الربيع بالعشب والزهر ، ولن ينسى قومه الذين دهتهم المأساة •

وصور محمود الحوت في قصيدته « حفنة تراب » شوقه لفلسطين وحنينه لربوعها في صور جميلة متمثلة في أرضها التي تنبض بالحياة الطروب والمدى البعيد الذي يموح ويزهو بالمروج الرطبية اللعوب ، والبساتين والحدائق الحاليات بالأثواب القشبية تتنادى بها العصافير من شروق الشمس إلى غروبها وفي أنها جنة الله في الأرض وخلده الطليق الرحيب •

وقد أوحى حنين اللاجئيين للديار ، وشوقهم وتلفهم على العودة إلى شعراء فلسطين أقوى الأغاني والأناشيد التي تصور هذا الحنين والشوق واللهفة وأمل العودة والرجوع •

وانقسم الشعراء طوائف تغنت طائفة بفلسطين بعامة تاريخها وجوها ومجدها وطهر أرضها وسحر مناظرها ، وفتنة مغانيها • وتغنت طائفة ثانية بمدينة معينة وطائفة ثالثة حضت اللاجئيين على تمزيق الخيام ونسجها أعلاما والزحف بها إلى فلسطين •

فمن الطائفة الأولى التي صورت الحنين إلى فلسطين بوجه عام هارون هاشم رشيد في نشيده «بلادنا» حيث رسم في كبده خريطة لبلاده من

رفع لصفد وورثها لولده من بعده ، وهتف باسم اللاجئيين قائلاً سنرجع غدا لها ، وسنزرع أرضنا بها ، وفي نشيده الثانى نشيد « فلسطين » • حيث ذكر جميع أجزاء فلسطين الذرى السماء والنقب والشطوط الخضر والمرج الخصيب • والشاعر محمود نديم الأفغانى فى نشيده « قسما بروح الخالدين » حيث صور حنينه للوطن عامة فى أنه يذوب لذكره ، ويحن لعهدده وأنه نعمة من روحه وجذوة من ناره ومن الطائفة الثانية التى تغنت بمدينة معينة وبالحنين لها الشاعر محمود الحوت الذى بكى مدينته يافا وسنعرض لذلك فى ملحمة المهزلة العربية والشاعر محمود الأفغانى فى قصيدته « أخى يأيها اللاجئى مثلى » يرسل سلامه إلى يافا منبت المجد وعروس الشرق وكوكب الدنيا وجنة الخلد •

ومن الطائفة الثالثة التى حضت اللاجئيين على تمزيق الخيام ونسجها أعلاما للزحف الشاعر كمال ناصر فى نشيد « العودة » والشاعر خليل زفطان فى قصيدته « قسما بجوع اللاجئيين » •

ونعود للموضوعات القديمة التى سبق للشعر أن تناولها لنسوق الصور الرائعة فى نظرنا فيها •

١٠ — تمجيد البذل والفسداء

صور على محمود طه فى قصيدته « فى موكب الأبطال » أبطال الفالوجة فى صورة الذين وقفوا مواقف مجيدة أشادت بذكرها الدول التى قام مراقبوها وراء النار ويقصد بهم الشاعر المراقبون الدوليون وملاحمهم بأنها قصص غريبة وعجيبة من الكفاح • وهى ملاحم لم يغن بها « هوميروس » صاحب الإلياذة « طروادة » ولم تلهمهم حروبها مثلاً ما ألهمت حروب أبطال الفالوجة •

وجعل الشاعر العوضى الوكيل فى قصيدته « فى تكريم أبطال الفالوجة أيضاً » لهؤلاء الأبطال قصصاً تتألق سطورها فى العيون إن

أظلمت دنيا الكفاح تألقت قصص بطولتهم فأضاء نورها آفاق الكنانة
وصور بطولتهم في صورة فصل من التاريخ ترنو نحوه حقب الزمان •

١١ — تخليد الشهداء

صورت بطولة الشهداء في صور زاهية حيث صور كمال ناصر في
قصيدته « مصرع البطل » عبد القادر الحسيني الموت في صورة رجل
وطلب إليه أن يتيه ويفاخر لأن سهمه لم يطش • وصور الموت أيضاً في
صورة من يتحاشى أن يرى البطل الذي تحداه وصور البطل فوق النعش
في صورة أنثسودة الجهاد الظافر •

أما الشاعر محمد العدناني في قصيدته « القائد الشهيد عبد القادر
الحسيني » فقد صور جنان الخلود مزعردة هاتفة بالشهيد تلو النشيد
والنيرات في الأفق يوقعن لحن الترحيب بابن الصيد • وصوره في صورة
جحفل من العزم والإقدام والبأس وتلاشى الأبطال بين يديه ، وتهاويهم
كتهاوى أوراق الخريف والمجاهدين قصيداً والبطل بيت القصيد •

١٢ — التنديد بالاستعمار الغربي

وصور الشاعر محمد مهدي الجواهري في قصيدته « فلسطين »
الاستعمار الغربي وبخاصة بريطانيا في صورة سم غاو أساع شرابه
فرط التمادي وفي صورة الولوغ في دم الخل المصافي واللباس على ختك
وغدر ثياب المحايديين •

وصور عادل الغضبان الغرب في صورة وحش ضار كثر عن أنيابه
وصورة من يبني الحضارة ويهدم ركنها ، ويسره فيها نعيب الغربان •

١٣ — مكانة فلسطين الدينية والتاريخية

صورت فلسطين في أجمل الصور وأزهاها وأقدسها صورها على الجارم في صورة أولى القبليين ، وقلب العروبة وقلعة الشرق ، وأسطر من تواريخ مخلدة كانت عناوين لمجد بنى الفصحى ، وصور تراب حطين في صورة تراب امتزج به دم البطولة من أيام موقعتها • وصورت أرض فلسطين بالأرض التي بذل العرب والمسلمون بها أرواحهم غالية داعين الله فيها أو ملبين وصور فقدها بفقد إرث أمتنا ، وأنا إن لم نصن فلسطين وجبهتها ضاعت عربوتنا وانفض نادينا •

وهذه صورة رائعة مستمدة من الواقع والتاريخ وقد أضفى عليها خيال الشاعر المزيد من القوة •

وصورها على محمود طه في قصيدته « أنشودة الجهاد » في صورة مجد الأبوة والسؤدد ، والأخت الشقيقة التي أعد لها الذابحون المدى ، وقلبة المشرقين •

وصورها أنور العطار في صورة دنيا المجادة والحب ، ومهبط الإلهام والحلم العذب •

الشعر القصصي

١ — رسالة الشعر القومي

قدمنا منه ستة نصوص الأول « رسالة الشعر القومي إلى العالم العربي والشرق » للشاعر المصري محمود محمد صادق وهي ملحمة طويلة بلغ عدد أبياتها ٣٧٧ بيتاً أذاعها الشاعر في أواخر سنة ١٩٤٩ وطبعتها دار المعارف في العام نفسه (١) ونشرت صحيفة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٩/١٠/١٩٤٩ مقداراً كبيراً من أبياتها ، وعمت جامعة الدول العربية نشرها وقد عرضنا منها أحد عشر بيتاً في النصوص وأربعة في المقارنة بين نكبة فلسطين ونكبة الأندلس .

وفي الصفحة الخامسة تحدث الشاعر عن آفاق الرسالة وأهدافها وأجواء القصيدة ومن هذه الآفاق والأهداف : رثاء فلسطين — نكبة العروبة — كارثة أجيال — اندلس الثانية — الصهيونية التتارية — وحشية وهول — إجرام دولي — فقد الضمير — وداع — حطمت ريشتي — المشردون — كلنا في الخطر — إلى الجولة الثانية — ثأر الكرامة — نهضة وبعث — دويلة ملفقة . وتحت كل أفق من هذه الآفاق أبيات تستوحيه .

وعن أجواء القصيد قال : للتاريخ والأجيال : نحن الآن في أواخر عام ١٩٤٩ وقد بلغت محنة العروبة أقصاها . ومنذ عام فقط كانت الأمال مزدهرة وجيوش العرب تنتقل من نصر إلى نصر للقضاء على الصهيونية الطاغية حتى تدخلت الدول العظمى وتألّبت على العروبة فوقعت الهدنة المشؤمة وكان ما كان من تفرق الكلمة ، وقيام الدويلة

(١) طبعتها تحت عنوان « رسالة الشعر القومي إلى العالم العربي والشرق » الحلقة الثانية وبلغ عدد صفحاتها .٤ صفحة من القطع الكبير .

الصهيونية ، وتشريد المليون ، وضياع دماء المجاهدين ، واستشراء مطامع الدول الاستعمارية والآن لابد من عمل هائل وحاسم ، وقيادة ملهمة وإلا عم الويل لجميع العالم العربي بل الشرق بأسره • لابد أن يغسل العار ويرفع الضيم ويشفى جرح الكرامة حتى ترتفع الرعوس ، ويرتفع الروح المعنوى وإلا انهار كل شىء لابد أن تتدفق أمواج الشرق متلاحقة متدافعة جارفة حتى ترتد أمواج المطامع وإلا غرقت السفين وهكذا الحياة أبدا إما مد وإما جزر وانحدار ^(١) وتأتى بعد ذلك أفاق الرسالة وأهدافها التى تحدثنا عنها •

وفى الصفحة السادسة يضع الشاعر هذا العنوان « مرثية المراثى فى مأساة المآسى » استشهد فلسطين ويكى ضياع فلسطين فى الأبيات التى عرضناها من الملحمة •

وتدور أفكار الملحمة حول ضخامة المأساة وأنها نكبة العروبة والشرق وقاصمة الظهر وخطب جيل ودهر وعار الأجيال ، ومصاب الآباء للأبناء والأندلس الثانية وحول اللتفتات لتاريخ العرب الماضى واستعادة ذكرى فتح المعتصم لعمورية وحول ما يقاسيه اللاجئون من جوع وحرمان وبؤس والثورة على الخلاف والأحزاب فى الدول العربية والدعوة الى الوحدة القومية والحرية والعدالة الاجتماعية والإشادة بالشعوب لأنها أدت واجبها ودعوة العرب لليقظة والتأهب والاستعداد ومواجهة الأحداث للجولة الثانية والاستعانة بكل وسائل القوة المادية والمعنوية والكفر بالغرب والعمل على قيام الوحدة الشاملة بين دول العرب ، واستعادة فلسطين فيما حياة كريمة وإما موت كريم •

وعاطفة الشاعر فى الملحمة قوية لم يخب أوارها ولم تخف حدثها على الرغم من طول الملحمة وتعدد الجوانب التى استلهمتها •

وقد بلغت هذه العاطفة ذروتها فى بكاء فلسطين ووداعها وداع من

لا يؤمل لقاء سلام على الرياض التي كانت بالأمس مرتع الخلان ، وسلام على الربوع التي كانت قبلة الركبان ، وسلام على القباب التي كانت معقل الأديان • واصطبغت هذه العاطفة أحيانا باللون الديني فزادها قوة وتضرما •

وأسلوب الشاعر يتسم بالجزالة والقوة ، والتوفيق في اختيار الألفاظ المسائرة للعواطف والجو النفسى لقد طوع الشاعر اللغة ، فدانت له التراكيب والملحمة في نظرنا أقوى ملحمة شعرية استلهمت المأساة احتدام عاطفة ، وتضرم إحساس ، وجزالة أسلوب وروعة أداء • لقد عاش الشاعر المأساة بكل وجدانه ، وصور أهوالها ، وانعكست مظاهرها في شعره وعبر عنها أقوى تعبير •

٢ - النازحة

الملحمة الثانية « النازحة » للشاعر اللبناني محمد شمس الدين • وتشتمل على ثمانية وثلاثين نشيدا يتألف كل نشيد من خمسة أبيات وعدد أبياتها ١٩٠ بيتا وهي مطبوعة سنة ١٩٥٠ وقد عرضنا تسعة أبيات منها ولكي نسلط الضوء عليها ننقل عن الشاعر تقديمه لها « في الصفحات التالية حديث نازحة أجلاها الصهاينة عن وطنها فغادرته وأمها وولدها مشردين أذلاء وكان لفرط الإعياء والتعب أن ماتت أمها وولدها على الطريق جوعا وتعبا وبقيت هي لتموت ببطء أسى وكآبة » •

وحول هذه الفكرة تدور الملحمة فيصور الشاعر هذه النازحة وقد لاحت له في الطريق والفجر يثشق ظلام الليل ويضيء الآفاق في عينيها دموع وفي وجهها شحوب وفي قلبها أسى فسألها عما يحيط بها من ضروب الألم وعما في جوانحها من غالى الذكريات وأجابته وقصت عليه قصتها قائلة له :

درجت على تراب فلسطين المخملى الموشى بطيب الندى والزهر ،

وكحلت جفنى بالضواحي الباسمات والصور الضاحكات • ونشأت مع
« سامح » تربي هوى تظلنا دوحة الحب وتحنو علينا أغصانها ، وابتنينا
لنا عشا رثفنا فيه كؤوس السعادة ورففت علينا أجنحة البشر والهناء ؛
وعزف لنا الكون أحلى أناشيده وأعذب أنغامه وغدت حياتنا رفيفاً من المنى ،
ونشيداً من السرور ، ولم يدر في خلدنا أن الليالى ستعدو ، وأن الفراق
سيكون مصيراً لنا فاذا صهيون المشرّد يخرم النار في بلادنا • ويشعل
الفتنة ويطلب مسرى الرسول ومهد المسيح ليكون وطنه فنشعلها ضده
وخذ الذين أمدوه بالبقاء حرباً مدمرة معترين بأن وراءنا مصر والعراق
والأردن وسورية والحجاز وتدافعنا للموت أفواجا وزمراً وفي إحدى
المعارك سقط سامح في حومة الشرف وخلفنى مع طفلى وحيدى أسيرى
عذاب وعناء ولكم كان يشتد حزنى عندما يسألنى طفلى عن أبيه فيخرس
لسانى وأيقظ صوت اليتامى العروبة فقامت تهز الحسام وأجمعت أمرها
وأرسلت جيوشها للأعداء وتراءى لنا فى الدجى أن فجراً سيبزغ وأن
العروبة فى مجدها ستمزق شمل العدو ، ولاحت لنا أطياف الأبطال الميامين
المتى به حارثة الشيبانى وخالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص ودنيا
الخالدين ولكن الذين تنادوا للحرب من العرب أتوها على الكره لم
يصدقوا وأشعلوها وما فى البنادق إلا الهواء وما فى المدافع ما يحرق
وفى صباح حزين روعنى الرصاص يئز مع الشمس وحولى طفلى وأمى وقد
أطل العدو ليجلينا عن حمانا وسرت وطفلى نشق البقاع ونطوى الدروب
سيرا على الأقدام وأدرك العناء المميت أمى فماتت على الدرب لم ترحل
ولم يبق فى مقلنى دموع لأسكبها فى الأسى المقبل فواريتها تحت ظل ظليل
وجسمى يخور ، وغاب النهار وجاء المساء وجلست وحدى وقد نام طفلى
على الجوع وأخذت أناجى الدجى والأنين متسائلة إلى أين أمشى ورجوت
الله أن يميئتى لأنسى العذاب وتعرب ذكرياتى عن خاطرى • وحاولت
أن أوقظ طفلى ولكنه كان قد ودع الحياة وقلت أى بنى تفرقنا أبدي سباً
وصار الفضاء لنا المختبأ تركنا الديار وعزها وافترشنا الأرض • وغابت
الفتاة فى ذهول وغاب الشاعر وختم ملحمته بهذه الأبيات •

وسرت وفي مَهجَتِي غُصَّة
وباتتْ فلسطين في خاطرِي
ودُنِيَا القِيَامَةِ لاحت ظِلَالَا
وعادتْ إلى القَلْبِ غِرْنَاطَة
فأطْبقتْ جفنى على دَمْعَة
تئن على دَمْعَة النازحه
وأبصرتْ غادَتَهَا النَّائحه
حَزَانِي وصخرتْهَا الصَّادحه
ومأساة أندلس الذابحه
وما أَشْبَهَ اليوم بالبارحه

ولقد وفق الشاعر في رسم هذه الصورة الرائعة للنازحة التي تخيلها ،
وأضفى خياله عليها الحياة فكانت نموذجا بشريا ناطقا • وجعلها تقص
عليه قصتها وصور مشاعرها وأحاسيسها أصدق التصوير •

وهذه الملحمة في نظرنا قصة مؤثرة ممتعة ظهرت فيها خصوصية
خيال الشاعر ، وابتكاره الصور من تشبيهات واستعارات موفقة في أسلوب
رشيق سلس وموسيقى شجية وعاطفة متضمة ينبعث منها أساه في
كل بيت •

٣ - المهزلة العربية

الملحمة الثالثة « المهزلة العربية » للشاعر الفلسطيني محمود الحوت
وتحتوى على ستة وعشرين نشيدا يتألف كل نشيد من ثمانية أبيات ولكل
نشيد قافية مع الاحتفاظ بوحدة الوزن الشعري في أناشيد الملحمة وهذا
الوزن هو بحر البسيط • وقد طبعت في العراق في مايو سنة ١٩٥١
وقد عرضنا منها ثمانية عشر بيتا من ثلاثة أناشيد وتحكى
المهزلة قصة المساة منذ اليوم الخامس عشر من مايو
سنة ١٩٤٨ الذى دخلت فيه الجيوش العربية حدود فلسطين ،
وتتلون عاطفة الشاعر حسب المواقف والموضوعات المختلفة من الحماسة
والفخر والأمل إلى السخرية واليأس ومن النقمة على الملوك والحكام إلى
الثورة على الأوضاع الفاسدة في الدول العربية والدعوة إلى إصلاح هذه
الأوضاع وإلى الوحدة العربية الشاملة •

وتعنف عاطفة الشاعر وهو يتهكم ويسخر من الدول العربية التي أرسلت جيوشها للحرب في فلسطين ، والخطة الحربية التي سارت عليها ومن أدوار مسرحية هذه الحرب ، ومن طلب الدول العربية الى عرب فلسطين أن يلقوا السلاح ، ويبتعدوا عن المعركة بحجة أنهم ليسوا مدربين على القتال وليسوا منظمين تنظيمًا حربيًا كالجيوش •

قصت المهزلة أحداث المأساة وأهوال النكبة وأدوار الحرب حدثًا حدثًا ومظهرًا إثر مظهر وفصلاً فصلاً كيف نشب القتال وكيف فرضت الهدنة الأولى ، وكيف خرقها اليهود كل يوم عشرات المرات واحتلوا — بسبب خرقها — أرضاً جديدة وبلاداً جديدة وكيف استؤنف القتال وكيف توقف وينتهي الدور الأخير من المهزلة بضياع فلسطين وتشريد أهلها ، وتلفيق التهم ضدّهم والطعن في وطنيتهم والدفاع الحق عنهم كما تثور عاطفة السخط عند الشاعر على خيانات الحكام والرؤساء والقادة ، والآيب هيئة الأمم ، وأساليب الختل والخديعة التي سلكها الوسيط الدولي ، وجريمة بريطانيا •

ويدعو الشاعر الى الوحدة العربية الشاملة التي تضم مصر وسورية ولبنان والأردن والعراق ، والتي تزيل السدود والحواجر المصطنعة بين الأقطار العربية وتقضى على فساد الحكام وأطماع الملوك •

وتتضرم عاطفة الشاعر حزناً وأسى على ضياع بلاده وحنيناً للعودة إليها وفي آخر نشيد يناجي مدينته يافا ويصور شوقه المشتعل إليها • ويحسن استخدام الصور البيانية في تصوير هذه العاطفة إذ يجسم مدينته يافا الساحرة ويهبها العقل والشعور • ويخاطبها قائلاً : يا يافا لقد جف دمعي فبكيت دماً متى أراك وهل يمتد بي العمر لأراك ثانية • أمسى وأصبح وذكراك مجددة محمولة في طوايا نفسي للأبد ، كيف الشقيقات ما أشد شوقى إليها فما تلك المدن إلا قطع من جنة الخلد • ما حالها اليوم يا يافا وهل عرفت معنى النعيم بعد أن سلمت للعدو يدا بيد • وما حال

الذين ظلوا بها من أبناء فلسطين • كلما سرت من بلد الى آخر يصيح
قلبي من وجده قائلا وابلدى • مهما استقام له من عيش رغد في أى بلد
وجدته هازئا بالعيش الرغد •

وقد جمع الشاعر في صورته بين الواقع والخيال واستخدام الخيال
بنوعيه الابتكاري والتصويرى واستمد الصور من واقع المأساة وأحداثها
وأحوالها وتاريخ العرب الزاهر في العصور الماضية •

وساق أفكارا جيدة وبخاصة في علاقة الدول العربية بهيئة الأمم
وارتباطها بها وعاطفة الشاعر المتقدة تنفر له الغموض الذى يكتنف بعض
الأبيات ، والأداء المباشر والاعتماد على سرد الأحداث في بعض
الأحيان •

٤ - أرض الشهداء

الملحمة الرابعة « أرض الشهداء » لشاعر البحرين الأستاذ
إبراهيم العريض التى نشرتها دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٥١ ،
وأهداها الى الذين سيغسلون عار الأبد ولعنة الأجيال ، الى محررى
فلسطين وحدد لها زمانا ومكانا أما الزمان فهو من سنة ١٩٤٧ الى ١٩٥٥
وأما المكان فهو أرض فلسطين •

وصدرها بهذه الأبيات :

يا فلسطين وما كنت سِـوَى بيعة الأرض على كَف السِّماء
أشْهدى أن بيانى قد روى فيك ما يَرْضَى قلوب الشهداء

هذه التربة مذغنى بها أهل الحُداء°
لم يطهرها من الرجس سِـوَى تلك الدِّماء°
كم زكا المسجد من أعرافهم بعد الفناء°
كم بكى الغيث على أجسادهم وسط العراء°

كم ربيع مرّ لم يعرج عليهم بهنّاء
فاستمر العُود عودا ما به أدنى رواء
وشبّاء طال من فرط البلاء
وتمّادى الظلمُ فيها لغزاة أدعياء
فكأن الليل شيء ما له معنى انتهاء
ثم جاء الفجرُ يسعى بتباشير الضياء
فإذا البعثُ له ألف لسان في الفضياء
غنت البيد بها — ثانية — لحن السماء
هذه أرضك يا دَعْد وأرض الشهداء

وقد بلغ عدد صفحاتها ١٣٦ صفحة من القطع الصغير وضمت خمسة
أناشيد : جبل الزيتون ، ونشيد الانشاد ، وباب الواد ، وهيكل سليمان ،
قبة الصخرة . وتناولت مأساة فلسطين ، وقد تخيل الشاعر فتاة تدعى
« دعدا » قصت على قريبها « ظافر » وهما يرعيان الغنم أحداث المأساة
فحدثته عن أخيها حمدان الذي استشهد في المعركة وهو يحارب اليهود
وعن الفتيات الجميلات اللاتي أرغمتهن « الهاجناه » على الانضمام
إليها ، والحرب في صفوفها وحين دارت المعارك بين جنودها وبين العرب
وانتصروا وأخذوا فريقا من الأسرى واستبان لهم أن من بين الأسرى
عددا من الفتيات دفعهم شرفهم الى اطلاق سراحهن ، ولم يرتكبوا معهن
ما ارتكبه اليهود من وحشية مع سيدات دير ياسين . وكانت قائدة ركب
هؤلاء الفتيات فتاة تدعى « ثامار » لها من فتنة الجمال وتألقه ما يفتك
بالقلوب . ومضت دعد قاصة على ظافر كيف دخلت الجيوش العربية
فلسطين ، وقاتلت اليهود ودكت حصونهم ، واحتلت مستعمراتهم ،
وأصبحت تل أبيب على مرمى المدافع العربية ، وكيف بدأت تباشير
النصر تلوح في الأفق وإذا ذئب عربي يغدر بقومه وينتج عن غدره
انحراف الحرب عن غايتها ووقوع المأساة وجلاء مليون من أهل فلسطين
عن أرضهم وديارهم .

ويصمم ظافر على الانتقام من هذا الذئب وينفر للجهاد مع عدد من الأحرار الأباة يباغتون الذئب في جحره ويردونه قتيلا ويسيرون إلى حرب اليهود ويخوضون معهم معركة حاسمة ينتصرون فيها انتصاراً باهراً ويطهرون أرض فلسطين من رجسهم وفي هذه المعركة يستشهد ظافر ، وتصاب ثامار بجراح وتلتقى بدعد ثم تلتقى ماري وهي فتاة نصرانية كانت جارة لثامار تترد عليها أيام السلم ثم شردتها عصابات الهاجناه تلتقى بدعد حيث وحد الكفاح في فلسطين بين المسلمين والنصارى وتتعانقان وتقرر ماري أن تقضى بقية حياتها في دير ، ويختم الشاعر الملحمة مصوراً حزن دعد على ظافر ووقوفها على قبره باكية فراقه وشجاعته :

وقفت دعد على قبر ترى فيه الحبيب
في يديها وردة قبلك فاها العندليب
إنها لم تنس ، والأنجم تببدو وتغيب
كيف كانا يرعيان الشاء إذ أقبل ذيب
إنها تذكر والذكرى لها لقط عجيب
صوته العذب وقد مالت فثناها يجيب
أنا يا دعد له ثم مضى لا يستريب
فليطب نفساً فما في الوطن الغالى غريب

وأرض الشهداء أطول الملاحم الشعرية التي استوحيت مأساة فلسطين وقد رسم خيال الشاعر البارع صورة صادقة لأحداثها وصورها حية نابضة ماثلة للعيان على لسان دعد في صور من الواقع الدامى والخيال المجنح مستمدة من تاريخ العرب وبيئتهم ومجد البطولة والاقدام وسخط على خيانة الحكام وغدر الذئاب ، وعاطفته مشبوبة وقلبه محترق أسى ولوعة وحسرة على فقد فلسطين وعلى مالحق العرب بفقدائها من ذل وعار وروح الأمل والتفاؤل تسيطر على الشاعر وتجعله ينهى الملحمة بنجس

العرب وتطهير أرض فلسطين من اليهود وقد عرضها في أسلوب مشرق
وموسيقى عذبة •

٥ — أندلس الشرق

الملحمة الخامسة « أندلس الشرق » للشاعر اللبناني محمد علي
الحوماني وقد ألقاها في ندوة شعرية من الندوات التي يقيمها المركز العام
لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة سنة ١٩٥٣ ونشرها بعد ذلك في
ديوانه « النخيل » وعدد أبياتها ١٢٠ بيتاً وسار فيها على نظام الموشحات
الأندلسية التي تتكون « كل موشحة منها من خمس فقرات تسمى كل
فقرة بيتاً وكل فقرة تنقسم إلى جزأين الأول مجموعة أشطار تنتهي
بقافية متحدة فيما بينها ومغايرة للمجموعة التي تقابلها في فقرة أخرى
والثاني شطران أو أكثر تتحد فيهما القافية في كل الموشحة والجزء الأول
الذي تختلف فيه القافية من بيت إلى بيت يسمى غصناً والذي تتحد
قافيته في كل الموشحة يسمى قفلاً » (١) •

وتتناول الملحمة أحداث المأساة منذ أطلقت جامعة الدول العربية
صيححتها التي دوت على كل فم واستجاب لها كل كمي من أبناء يعرب من
حلب حتى عدن وزحف الجيوش العربية إلى فلسطين من كل دولة وكيف
رفت الأمانى وتبسمت الأمل ولاحت بوادى النصر وإذا الهدنة الأولى
تفرض على العرب ، وإذا الحرب تتحرف عن الغاية وإذا الآمال تخيب
والمأساة تقع ومجد العرب يسقط وأبناء فلسطين يتشردون وتتضرم
عاطفة الشاعر سخطاً على الجامعة العربية ودولها وحكامها ورؤسائها
فتصورهم في أقبح الصور وتتلون هذه العاطفة باللون الدينى فتترداد
ضراماً واشتعالاً وتتلهب حزناً وأسى على ضياع فلسطين التي جددت
الأسى بما لم يطق العرب والمسلمون والتي بذت نكباتها نكبات الأندلس
إذ تبناها اليهود •

(١) الدكتور أحمد هيكل — الأدب الأندلسى ص ١٤٥ — ١٤٦ •

وكلما قيل انتهت النكبات قال الشاعر عسى ، ولكن عسى كانت ولم
تبرح لدى كل جيل من الأجيال عدة المبتئس وضاع عمرنا مع القول
سدى لم نلتمس سوى الأقوال •

وتزخر الملحمة بأروع صور الخيال المستمدة من البيئة العربية
ومظاهرها ومن هذه الصور جامعة العرب التي ذوى فيها غصن المجد
قبل أن يكتسى • وصيحتها التي وقر الذعر بها سمع الزمن وصورة الأيم
التي تشردت في الفلاة وعلى مبسمها دمعة الحائر والردى يطغى على
معصمها •

وتصوير الزعماء بالذنين حملهم الشعب على أكتافه ، وتدافع إلى
الموت فعاد بسببهم وعلى أنوف أبنائه وسم للعسار وتصويرهم بذباب
الأرض ، وبالذنين وقعوا في الشرك الذي نصبته له « أم الدواهي »
بريطانيا فوقعوا فيه وهم سبع دول ، وتداعى مجدهم تحته •

والأسلوب محكم النسيج ، متين البناء ، صيغت جملة وعباراته في
أقوى صياغة ، واختيرت كلماته فخمة جزلة • تبدو فيه آثار القرآن
الكريم ، ودراسة التاريخ العربى منذ فجر الإسلام ، وحياة أبطاله
الخالدين •

٦ — نداء الأرض

الملحمة السادسة « نداء الأرض » للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان
وقد بلغ عدد أبياتها ٦٤ بيتاً • ونداء الأرض ملحمة قصصية لا تصور
المأساة ولكنها تصور حنين اللاجئين وشوقهم ولهفتهم على العودة إلى
أرضهم المغتصبة في فلسطين وهى بهذا تختلف عن الملاحم السابقة في
موضوعها المستفاد من عنوان الملحمة وأسلوبها أسلوب قصصى وفيها
قصت الشاعرة قصة لاجىء من أبناء فلسطين هزه الشوق إلى أرضه
بعد مرور سبع سنين على تشرده فتمثل هذه الأرض التي نمته وغذته

وهاجت به فكرة هي العودة إلى أرضه وأخذت هذه الفكرة تترداد وتقوى وتغلى وتضطرم في روحه وحسه وكيانه حتى أقبل الربيع • وفي ليلة من لياليه مشى ذاهل الخطو سليب الإرادة تدفعه قوة لا ترد كان الحنين بداء ألح به كأن صوتاً من أرضه يجلبجلب في أعماقه ، ويجذبه إلى ما وراء الحدود وهناك تناهت خطاه وتسمرت قدماه وتيقظ وعيه ، وأهوى على أرضه في انفعال يشم ثراها ، ويعانق أشجارها ، ويضم لآلىء حصاها ، ومرغ كالطفل في صدرها الرحب خده وفمه ، وألقى على حضنها كل ثقل سنين ألمه ، وهزته أنفاسها وهي ترعش روضة حب وأصغى إلى قلبها وهو يهمس همسة عتب قائلاً له : رجعت إلى ، فيجيب : نعم رجعت إليك وهذه يدي وسأبقى هنا وسأموت هنا هيبئى مرقدى • وكانت عيون العدو على خطوتين رمته بنظرة حقد ونقمة وصوبت لصدره طلقتين مزقتا جوف السكون وأردتاه قتيلاً •

وهذه أروع ملحمة في نظرنا صورت حنين الملاجئين إلى أرضهم ابتكرها خيال الشعاعرة التي صورت أولاً كيف نبقت الفكرة في قلب الملاجيء ، وثانياً كيف أخذت تنمو وتزداد وثالثاً كيف سيطرت واستبدت حتى أخضعت لها وتتمثل روعة الصور في تصوير الأرض وهي تغذى الملاجيء من صدرها الثرشيخا وطفلا وفي موجان كنز السنابل بعينيه والحقل يحضنه خيراً مطلاً وفي شجر البرتقال الذي لاح له وهو يرف عبيراً وظلاً وفي تصوير الألم الذي مر به خلال سبع سنين وهو حليف التشرد يسأل نفسه متى سيعود فيكون الجواب صمماً • وفي حبه للأرض وهو يهوى على أرضها في انفعال يضم ثراها ، ويعانق أشجارها ، ويضم حصاها ، ويمرغ كالطفل خده وفمه في صدرها ويلقى على حضنها كل ثقل سنين الألم وفي إصغائه إلى قلبها وهو يهمس همسة عتب رجعت إلى وفي إجابته رجعت إليك — سأبقى هنا — سأموت وفي انهاء القصة بموت الملاجيء نتيجة طلقتين أطلقتهما عليه أيدي الأعداء •

والعاطفة متضزمة مثلبهة • والأسلوب سهل عذب ضاعفت موسيقاه

من جماله •

الشعر المِرحى

لم يتح لنا أن نطلع منه إلا على مسرحية واحدة وهى مسرحية « شبح الأندلس » للشاعر الفلسطيني برهان الدين العبوشى صاحب مسرحية وطن الشهيد التى تناولناها فى القسم الأول من البحث .

وشبح الأندلس مسرحية شعرية تقع فى ٧٥ صفحة من القطع المتوسط وقد نشرتها دار الكتشاف ببيروت فى أول أغسطس سنة ١٩٤٩ واستوحت مأساة فلسطين ومعركة جنين الكبرى (١) التى كان الجيش العراقى يعسكر فيها وعلى الجانب الأيسر من غلاف المسرحية هذه الأبيات :

من كان يطمع فى الخلود غفى فلسطين الخلود
أبوابها الفولاذ تفتحتها المدافع والجنود
فى قلبها سكن الشهيد وبالشهيد غدا تعود

وأهداها إلى فلسطين الباسلة وكان الإهداء هذه الأبيات :

بلادى إليك العذاب المذاب بصفحة عمري وهذا الكتاب
فأنت الحياة وأنت الممات وأنت الطعام وأنت الشراب
وقفنا لاجلك لأننحنى لغير جلالك فوق الشراب
ألا فاطمئنى ولا تقنطى فإن القنوط نذير الخراب
ستعلو بنودك فوق البنود وتشرق شمسك بعد الغياب
ويجمع شممك بعد الشتات ويبسم شعرك بعد اكتئاب

واستهلها بمقدمة تحدث فيها عن مادتها ومضمونها ، واعتذر عن مواطن القصور لأنه لم يسبق له أن قرأ رواية شعرية عربية فى مأساة

(١) مدينة جنين هى مدينة الشاعر وتقع فى القسم الشمالى من فلسطين

فلسطين وقصد من تسميتها « شبح الأندلس » أن ينبه العرب شعوبا وملوكا وحكومات إلى ما هم فيه من خلاف ونزاع يكفى بعضه لضياح فلسطين وبلاد العرب كما ضاعت الأندلس وليعيد إلى ذاكرة كل عربى رواية خروج العرب من الأندلس التى مثلت كثيراً على مسارح فلسطين ليتعظ بها الناس ويمضى قائلاً : « نحن الآن نمثل رواية خروج العرب من فلسطين فمتى يمثل العرب رواية دخول فلسطين وتحريرها » ؟

وتتناول المسرحية قصة المأساة وأحداثها الدامية منذ زحف الجيوش العربية إلى فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ إلى توقيع إتفاقية الهدنة الثانية وضياح البلاد وتشريد شعبها ، وأسباب الهزيمة والتتديد بخيانات الحكام والقادة الرؤساء .

وتحظى معركة جنين مدينة الشاعر بقسط وفير من المسرحية حيث أسهم فيها الشاعر بسلاحه إلى جانب شعره ، ووقف على أسرارها ، وشهد عددا من القرى التابعة لها يسقط فى أيدي اليهود .

وتتألف المسرحية من ثلاثة فصول يضم الأول أربعة مشاهد والثانى خمسة والثالث ثلاثة .

وفى المشهد الأول ترفع الستار عن المسرح ويدخل شاعر بيده كتاب وراع يحمل عصاه وجرابه .
الشاعر :

بلادى سئمتُ العيش فى القيـد ليـتنى
يُفكُّ إسرائى أو أغيب فى قبرى
لقد برمت نفسى من الناس كلهم
وقد سئمت رُوحى الحياة على وزر
أهبتُ بهم هبوا من النوم واتقوا
فحيح الأفاعى قد تقلبُن فى الجحر

وحذرتهم مكر الثعالب في الحمى
فما سمعوا قولي فبت على جمر
ولو كنت ذامال لأصغوا جميعهم
إلى ولو أنى دعوت إلى كفر

الراعى :

حنانك لانتفك تندب أمة
تصفق للأصنام عجباً وما تدرى
فوفر عليك الدمع ياصاح وامتسق
حساماً فعضو الشر عولج بالبتر
إذا أنت لم تعدد سلاحاً ومدفعاً
وجيشاً أميناً لن تعز مدى الدهر

ويختم الشاعر مسرحيته بهذه لأبيات :

شباب فلسطين استعدوا وجندوا
ولا تهنوا فالياس لم يزد العمرا
روايتم يا قوم ماتم فصلها
فإن قمير العرب لم يكتمل بدرأ
أعدوا وشدوا واستعدوا وجندوا
فاما حياة العز أو نزل القبرا
فقولوا معى عاشت فلسطين كلها
لنا فى أمان وليعش شعبها حرأ

الجميع : عاشت فلسطين • عاشت فلسطين

يا للثأر ، يا للثأر

وعاطفة الشاعر متوقدة وحنينه إلى فلسطين عاصف وقد صورها فى

الأبيات التي عرضناها من المسرحية في أجمل الصور فهي أمه الرؤوم ،
وسهولها ورباها أجمل السهول والربا وثغراها يافا وعكا أجمل ثغرين •

والأسلوب سهل واضمح يلائم المسرح وهذه العاطفة الوطنية الصادقة
المتفائلة تجعل للمسرحية قيمة فنية على الرغم مما اعتورها من قصور
فنى فى البناء والتخطيط المسرحى والخلو من عنصر الصراع والعقدة
والانتقال التدريجى وعلى الرغم من أن الحوار نظم تسرد فيه الأحداث ،
وتروى الأخبار ، وتوصف المعارك •

الأساليب

كان الشعر الذي عرضناه ممثلاً لفنون الشعر الرئيسية الثلاثة الغنائى والقصى والمسرحى ، وكان شعراً قومياً سياسياً وطنياً وتتناول دراستنا لأساليبه النواحي الآتية :

- ١ — درجات الأداء •
- ٢ — بنية القصيدة •
- ٣ — الأوزان والقوافى •

درجات الأداء

تفاوتت الأساليب الشعرية فى صياغة الجمل « وبناء العبارات واختيار الألفاظ ، واستخدام الصور • تفاوتت درجات الأداء الفنى فى الأصالة والتقليد والمحافظة والتجديد والجزالة والرقعة نتيجة لتفاوت الشعراء فى المواهب الفنية والطاقات الشعرية واختلاف منابع الثقافة ، وتعدد النزعات والاتجاهات وأبرز هذه الاتجاهات اتجاهان :

الأول : الاتجاه الاتباعى ونعنى به التقليدى المحافظ الذى يتمثل فى محاكاة القدماء ، والأخذ من أفكارهم ومعانيهم وصورهم وفى التأثر بالأساليب القرآنية ، والاقتباس منها ، واستخدام عباراتها ويميل إلى الاحتفاء بجزالة الألفاظ وترصيع الأساليب بفنون البديع •

الثانى : الاتجاه الابداعى ونقصد به التجديدى الحديث الذى يتمثل فى التجديد فى الأفكار والمعانى والصور والصياغة ، وفى استلهام روح العصر ، ووضوح أثر الثقافة الحديثة •

ويجنح إلى سهولة الألفاظ ، واستخدام أكثرها دورانا على الألسنة ،
وتجنب الزخارف اللفظية •

وتتخذ محاكاة القدماء في الاتجاه الإنباعي صوراً متعددة منها أن
يضمن الشاعر قصيدته ببيت لشاعر قديم كما فعل أحمد السقاف حين
ضمن قصيدته ببيت الشاعر الجاهلي قريط بن أنيف أحد شعراء بني
العنبر الذي يقول فيه :

لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
واعتيره جزءاً من قصيدته ، وأشار إلى أنه ليس من مقوله •

ومنها أن يضمن قصيدته ، ببيت لشاعر قديم بعد أن يحور في
ألفاظه ويحافظ على معناه كما فعل محمود محمد صادق في قوله :

إيك ما شئت خير ملك مضاع لم تزد عنه طارق الحدثن (١)
المتضمن بيت أم آخر ملوك بني الأحمر بالأندلس حين استولى
عليها الأسبان الذي تقول فيه :

إيك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال
وقول خالد الشواف :

فإن ليالى الشعوب حبالى وسوف يلدن الدواهى الثقال
المتضمن معنى بيت الشاعر القديم :

والليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب
وقول محمد مصطفى الماحى :

وشر الكيد مايجنيه أهل خليق أن يكونوا الذائدين

(١) أوردنا هذا البيت مع أبيات أخرى عند دراستنا للحمة الشاعر
« رسالة الشعر القومي الى العالم العربى والشرق » •

المتفق مع معنى بيت طرفة بن العبد المشهور :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند
ومنها أن يأخذ الشاعر بعض صيغ وجمل وتراكيب شاعر قديم
كقول على الجارم :

قد شردوا العرب واستاقوا حرائرهم

فأين فتياننا أين الحمامونا

الذى يذكرنا بقول المرقش الأكبر عمرو بن سعد :

إني لمن معشر أفتى أوائلهم قيل الكماة إلى أين الحمامونا ؟

والقصيدتان من وزن واحد وهو بحر البسيط ومن قافية واحدة
وقول أحمد مخيمر :

أغناك عزمك عن نظم وعن خطب فلم تنزل بلسان السيف ترتجل

الذى يذكرنا بقول أبي تمام :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب

والقصيدتان من بحر البسيط أيضاً ومن قافية واحدة وقول فؤاد
شاكر :

يا يوم حيفا وما الأيام واحدة لأنت وحدك في تاريخها العجب

الذى يذكرنا بقول أبي تمام أيضاً :

يا يوم وقف عمورية انصرفت عنك المني حفلا معسولة الحلب

والقصيدتان من بحر البسيط وقافيتهما واحدة :

ومن استخدام العبارات القرآنية قول محمود الحوت :

هل أتاك الحديث عن جنة الله وعن خلده الطليق الرحيب ؟

وقول على الجارم :

ويا بحار اجعلى الماء الأجاج دما إذا علت راية يوما لصهيونا

وقول محمد مصطفى الماحى :

فلسطين الشهيدة كنت هديا رآه أخو الهوى صيدا سمينا

وقول بدر الدين الحامد :

ومعاذ الله أن أنسى الألى بذلوا فى الروع أرواحهم

وقول طاهر زمخشري :

أفمن قيل عنهم « أمة الهدى » كمن قيل « إنهم أشرار »

ومنها نقل الصور والأخيلة المستمدة من الصحراء وبدائها وطيوورها
ووحوشها ومظاهر الحياة فيها من تشبيهات واستعارات وكنايات ومن
هذه الصور :

جاوز الليث فى الدواجى عرينه — حمل تمزق فى يد الضرغام —
صم الصخور — صوح الرووض — غاص النبع — قبرة تزحم الشواهين —
ذئب يزاحم القتين — جلد الأراقم — يوم الكريهة — الأسنه والشفار —
طهر الأزار — منجل الموت — شرب الجام — تحصد الشوك —
تقتات العشاء — حجر الطهر •

ومن التراكيب : يفلق الهام — بيت القصيد — أمس الدابر —
المجد الأثيل — خماص الطير — النجيع الأدكن — غيمة ربداء —
شوك القتاد •

ومن الألفاظ : رعديد — الوغى — الضروس — غيب — جهام —
آض — زعنفة — السها — المشتري — الخافقان — إنداح — ينكل —
الأسل — النشامى — اصظلموا — تطبيه — تلفف — بجاد •

أما الاتجاه الابداعي أو التجديدي فيتجلى في تجديد الصياغة ،
وواقعية الأفكار ، وجدة الصور واستلهام روح العصر ، وظهور آثار
الثقافة الحديثة ومنه قول خالد الشواف :

متى ستوحى لكم أحداث عالمكم يا حاكمين بأن العدل قد فقدا
وأن شيئاً يسمى «الحق» عندهم أودى ، وأخر يدعى «واقعا» ولدا

فأحداث العالم التي توحى بفقد العدل ، وموت الحق عند أعضاء
هيئة الأهم ومولد ما يدعى بالأمر الواقع • أفكار جديدة في صياغة
جديدة والأفكار مستوحاة من روح عصرنا •

وقول فدوى طوقان :

يراكين خامدة لا تفور استحال اللظى في حشاها جليد

فكلمات براكين وخامدة وجليد حديثة وصورة تحول النار إلى جليد
صورة حديثة •

وقول هارون هاشم رشيد :

سنعود بالآمال باسممة في موكب التحرير والنصر
وموكب التحرير تعبير حديث من وحي العصر •

وقول علي محمود طه :

« هومير » ما غنى بها «طروادة» وكمثلها ما ألهمته حروبها
وليد ثقافة استوعبت إلياذة هوميروس ، وحروب طروادة •

ومن صور الاتجاه الابداعي : لغة النار والحديد — ورققات فض
عنها الخريف ختم الهمود — الأعوام المثقلة بشظايا الخطوب — ضحايا
الظلم — زعماء دنسوا تاريخكم — دول تحسبها شرقية — فاذا أمعنت
فالحاكم غربى — دول كالدمى — المدافع لا يكمل دويها — الطائرات تنز

في الأجواء — حملتم عبء القضية — تظلمهم في العراء الخيام — تجود
بها كف جلادهم — خيمة البهتان والزور — خيام في القفر كالقبور —
مأوى للبؤس — الواقع المشحون بالأرزاء — جذوة الوعي — الشعلة
الظمأى — الزفرة الحرى — جلجلة القيود — الأدمع الخرساء •

ومن التراكيب والجمال : إن القرار سيمحى — وهج النقود —
مندوب الخنا والجرائم — غادروا هيئة الأمم — دولة الربا — هددته
نقمة على العرب — لا تسألى المستعمرين — بأيتها الشعب النبيل — قرر
مصيرك — من عرق الفلاح — البيدر السمح — فجر الشعوب — الجوهر
الكامن في أمتي — أسس من التنظيم والإنشاء •

من المفردات : الغرب — لندنى — الانكليز — اللاجئين — تدويل
القدس — ميثاق أريحا — جوع — جهل — احتقار — اضطهاد —
الواقفون على الحياد — قرار التقسيم — مجلس الأمن — تاه السلام —
نفت الكويت — صاحب الآبار •

والاتجاه الاتباعى هو الاتجاه الغالب على معظم أساليب هذا الشعر
ونجده عند الغالبية العظمى للشعراء في فلسطين عند محمود الحوت
ومحمد العدنانى وفتح الله عواد السلوادى ومصطفى زيد الكيلانى
ومصباح العابودى ورجاسمرين وعلى هاشم رشيد ومحمد العمدة
وأحمد يوسف •

وفي مصر عند على الجارم والعوضى الوكيل وأحمد مخيمر ومحمد
عبد الغنى حسن ومحمد مصطفى الماحى ومحمود محمد صادق ومحمد
رجب البيومى وكمال النجمى والدكتور أحمد زكى أبى شادى •

وفي سورية عند أنور العطار وعادل الغضبان والدكتور زكى
المجاسنى وبدر الدين الحامد وعلى دمر • وفي لبنان عند الشيخ فؤاد
الخطيب ومحمد على الحومانى • وفي العراق عند محمد مهدى الجواهرى

وإبراهيم الواصل والشاعرة أم نزار الملائكة • وفي السعودية عند فؤاد شاكِر وإبراهيم الفلالى ومحمد حسن عواد وظاهر زمخشرى وحسن القرشى • وفى الكويت عند عبد الله زكريا الأنصارى وفى حضرموت عند على أحمد باكثر وأحمد السقاف وفى اليمن عند محمد محمود الزبيرى وفى ليبيا عند رفيق المهدي وفى المغرب العربى عند اليمنى الناصرى وصالح الخرفى وسليمان تريح ، وعلى الفزانى ، ومحمد الحلوى •

كما نجد الاتجاه الابداعى عند الأقلية من الشعراء • فى فلسطين عند أبى سلمى وفدوى طوفان وهارون هاشم رشيد وكمال ناصر ومعين بسيسو ويوسف الخطيب ومحمود الأفغانى وعصام حماد وخليلى زقطان وخالد نصره وسميرة أبى غزالة • ودعد الكيالى • وفى الأردن عند عيسى الناعورى وفى مصر عند على محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وجليلى رضا وفى سورية عند عمر أبى ريشة وسليمان العيسى وفى لبنان عند عاطف كرم ومحمد شمس الدين وفى العراق عند عدنان الراوى وخالد الشواف وعلى الحلوى وفى البحرين عند إبراهيم العريض وفى السودان عند عبد الرحيم عثمان صارو وفى ليبيا عند أحمد فؤاد شنيب •

بنية القصيدة

وكما تفاوتت أساليب هذا الشعر تفاوت البناء الفنى فى قصائده فتحققت الوحدة العضوية والموضوعية فى معظم نصوص الشعر الغنائى التى عرضناها من قصائد موحدة الوزن والقافية وموحدة الوزن متعددة القوافى وموشحات وأغان وأناشيد وكانت القصيدة بنىء متماسك العناصر ، وكلاً مترابط الأجزاء يمثل كل بيت جزءاً من المعنى ويرتبط بما قبله وما بعده ارتباط اللبنة بغيرها فى البناء إذا سقطت أو تغير وضعها اختل المعنى وانهار البناء •

وتعنى هذه الوحدة وحدة الإطار الذى يضم عناصر التجربة ، ووحدة اتجاه الصور ووحدة الخط الذى تنتظم فيه الأفكار • والوحدة

العضوية تستلزم الوحدة الموضوعية أو الفكرية وتبدو الوحدة العضوية واضحة في قصائد شعراء الاتجاه الابداعي .

وهناك نصوص قليلة افترقت الوحدة العضوية وتحققت فيها الوحدة الموضوعية وقد انتقينا منها أبياتا وغيرنا وضعها فلم يضعف ذلك منها وتبدو هذه الوحدة في قصائد شعراء الاتجاه الاتباعي الذين يرون — كما يرى الأقدمون — اعتبار البيت وحدة للقصيدة ، واستقلاله عما قبله وعما بعده وإذا كنا قد افترقنا الوحدة العضوية والموضوعية في كثير من القصائد التي استوتحت المحنة قبل المأساة ، فإن الوجدتين قد تحققنا في أكثر القصائد التي استوتحت فلسطين بعد المأساة .

أما الشعر القصصي فقد تحققت الوحدة العضوية في الملاحم الستة التي عرضنا أبياتا منها بين كل نشيد ونشيد ، وجزء وجزء . وأما المسرحية فقد اهتزت فيها هذه الوحدة من ناحية البناء الفني واتجاه الخط المسرحي .

الأوزان والقوافي

وقد صبت هذه الأساليب الشعرية في خمسة قوالب شكلية .

الأول وحدة الوزن والقافية . والتزام هذه الوحدة في جميع أبيات القصيدة جريا على نظام القصيدة العربية القديمة وفي هذا القالب صبت أكثرية النصوص .

الثاني القافية المنوعة : التي نوع فيها الشعراء حين قسموا القصيدة إلى مقطوعات تتناول كل منها فكرة ، وجعلوا لكل مقطوعة قافية مع التزام وحدة الوزن الشعري في القصيدة . وفي هذا القالب صبت طائفة من القصائد تقل عن قصائد القالب الأول .

الثالث أوشحات : ومن أمثلتها موشح محمود الحوت « روح الجهاد » « وأندلس الشرق » للشاعر محمد علي الجوماني .

الرابع المربعات : الخامس الخمسات : وتتمثل المربعات والمخمسات في الأغاني والأناشيد وقد تلاعت الموسيقى الشعرية مع عواطف الشعراء وموضوعاتهم ، وأفكارهم وتنوعت فكانت تارة صاخبة وأخرى هادئة وكانت أحياناً مرتفعة وأخرى منخفضة ولكنها بوجه عام كانت حلوة الرنين عذبة النغم شجية الوقع •

وكانت القوافي سهلة مألوفة اختيرت لها الحروف الخفيفة السهلة وتجنبت الحروف الثقيلة كالضاد والطاء والقاف •

وتناولت الأوزان البحور الشعرية المعروفة تامة ومجزوءة وكان حظ البحور الطويلة أكبر من حظ القصيرة فمن الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل والخفيف والمتقارب نصوص كثيرة والسبب في ذلك أن هذه البحور تلائم موضوعات الشعر القومي الذي استلهم المأساة من حماسة وإثارة حمية ونجدة ووصف مظاهر المأساة ، وثناء الشهداء وبكاء المدن والبلاد •

ووشيت الأساليب بفنون البديع من جناس وطباق ومقابلة وحسن تقسيم فمن الجناس الناقص قول أبي سلمى :

سيروا على وضح النهار فالحق من نور وثار
وقول العوضى الوكيل :

يمضى إلى غاياته وكأنه قدر يبيد خصومه ويبرها
وقول بدر الدين الحامد :

في ميادينك دمع ودم نزع الأهل وديس الأجم
ومن الطباق قول أبي سلمى :

يا رفاق الدهر هل شردكم في الورى غدرعدو أم محب
وقول عيسى الناعورى :

أعراسها انقلبت ماتم مرة دميت بهن حناجر الأيام
ومن المقابلة قول إبراهيم الواظلي :

لكم العيد نعيما وهناء ولنا العيد جحيما وشقاء
ومن حسن التقسيم قول معين بسيسو :

هنا م حطام ، هنا موت ، هنا غرق هنا بقايا رغيف عالق بيد
وقول رجاسمرين :

يا نشاز الأنعام يا سبة التاريخ والناس في جميع العصور



وقد سلمت هذه الأساليب من اللحن ، وخضعت لقواعد اللغة
العربية نحواً وصرفاً وبناء وإعراباً ، وسلمت ألفاظها من تنافر الحروف
ومن الغرابة ومن التعقيد • كما سلمت من العامى والأجنبي والدخيل •
ولم يثذ عن قواعد اللغة إلا الأساليب الآتية :

(ا) وعيناه بالنار ترمى الشرار ص ٤٢٣ والصواب ترميان
لتحصل المطابقة بين المبتدأ والخبر •

(ب) هناك تنادى على التلال ص ٤٤٧ والصواب تناديني تقول
ناديته وناديت به (١) والأسلوبان للشاعر هارون هاشم رشيد •

(ح) إلا الأرض إياها ص ٤٤٤ والصواب إلا الأرض نفسها أو
عينها والأسلوب للشاعر خالد نصره وهذه الأساليب في القسم الثاني من
البحث وفي القسم الأول أسلوبان •

(١) الفيروز ابادى — القاموس المحيط — ج ٤ فصل النون والواو
والياء •

(أ) ولن تجدى كإيانا نصيرا ص ٢٦٠ والأسلوب للشاعر محمد مهدي الجواهري •

(ب) سرورية من دونها هزة السكر ص ٢٦٤ والأسلوب للمرصافي •

وهناك ألفاظ غير عربية منها : برنادوت — عزريل — بن يهوذا — البوست — المنتفوري — موشى شرتوك — بن غوريون — هومير — طروادة — لندنى — الانكليز — وايزمان — شسؤل — تل أبيب — الجنوك — تأمركى — فرديناند •

تصوير الشعر لمأساة فلسطين وتعبيره عنها

من خلال هذه النصوص التي عرضناها من الشعر الغنائي والقصصي والمسرحي لشعراء فلسطين والأقطار العربية وشعرائنا في المهجر الأمريكية وعلى ضوء دراستنا لموضوعات وأفكار وعواطف وصور وأساليب هذا الشعر نقرر :

إن الشعر العربي قد صور مأساة فلسطين ، وعبر عنها ويصدق هذا الحكم على الشعر الغنائي والقصصي ولا يصدق على الشعر المسرحي صور الشعر مأساة فلسطين على أنها مأساة العروبة والإسلام ونكبة العرب والمسلمين ، وأضخم وأفسد كارثة نكبت بها الأمة العربية في تاريخها الحديث ، وعلى أنها مأساة الضمير الانساني بل أفدح مأساة إنسانية في القرن العشرين نحر فيها العدل ، ووئد الحق •

صور الشعر كل مظهر من مظاهر المأساة ، وكل حدث من أحداثها وكل فاجعة من فواجعها وسجل كل واقعة ، ورصد كل ظاهرة ولم يكن في تصويره كالألة التي تلتقط الصورة من الطبيعة ولكنه أعرب عن صدى المأساة في نفوس الشعراء ، وانعكاس آثارها في شعرهم ، وليس من وظيفة الشعر ولا من طبيعته أن ينقل الأخبار ، ويسجل الوقائع ، وإلا كان تاريخاً وإنما وظيفته أن ينفعل بالأحداث ويبرز صداها في النفس •

ولو أن الشعر اكتفى بأن سرد لنا وقائع المأساة ، وسجل أحداثها ورصد مظاهرها لقلنا إنه لم يصور المأساة •

صور الشعر المأساة بعرض مظاهرها وأسبابها ، وتجليه فواجعها وآثارها وتعميق الاحساس بفداحتها وأهوالها ، والدعوة القوية الحارة

لمحو عارها ، ولم يكن الشعر الذى صور المأساة مجرد صراخ وعويل ، وبكاء واستبكاء • وإثارة أشجان وآلام بل كان شعر فكر ووعى وتخطيط وبناء • عرض أسباب المأساة عرضاً فكرياً واعياً ، ورسم الطريق لحلها ولم يرسمه من الناحية العاطفية بل رسمه من الناحية الفكرية والسياسية • بكى فلسطين وصور شقاء النازحين ولكنه أيضاً اتخذ من المأساة درساً غالباً فأيقظ الوعى ، ودعا لاستعادة فلسطين بجولة ثانية وعبأ لهذه الجولة الفكر والشعور فى الأمة العربية فلن تكون هذه الجولة إلا بالجيوش المدربة ، والأسلحة الفتاكة ، والأعلام الخافقة ولن تصل هذه الجيوش إلى أعلى درجة من القوة إلا بالوحدة العربية الشاملة التى تضم الدول العربية ففى هذه الوحدة القوة العظيمة للعرب •

ونقف هنا لحظة لنقرر أن تصوير الشعر للمأساة أقوى من تصويره للمحنة قبلها الصور هنا أشد روعة ، والخيال أكثر خصوبة ، والعواطف أشد ثورة واضطراباً • بعد المأساة عنفت الألفاظ ، وقست الجمل ، وانطلقت من القصائد أسنة اللهب •

صور الشعر قبل المأساة ألوان الظلم الذى اقترفته بريطانيا مع عرب فلسطين لتحقيق وعد بلفور ، وضروب البطولة والشجاعة التى أبدأها الفلسطينيون فى معركتهم ضد الانتداب والصهيونية وموقف التأييد الذى وجدوه من إخوانهم فى الأقطار العربية •

وصور الشعر بعد المأساة مظاهر ضعف العرب كأمة ، وتصددع بنائهم ، وبعثرة جهودهم ، بل صور وجودهم وما فيه من أزمات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، وكشف لهم عن مكنم الداء واقترح الدواء والفكر العربى مدين لشعر المأساة بما فتح فيه من منافذ وما أوجد من طاقات ، وما حدد من أهداف وغايات للعالم العربى وللوجود العربى •

أثر مأساة فلسطين في الشعر الحديث

هزت مأساة فلسطين ضمير الأمة العربية أعنف هزة عرفت في تاريخها الحديث ، وأشعلت عواطف شعرائها ، وفجرت في قلوبهم ينباع الشعر ومنذ وقوعها في سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٦٠ وهى النبع الفياض في الشعر الحديث ظهر أثرها واضحا في عشرات الدواوين الشعرية الكاملة التى استلهمت محتوياتها جوانب المأساة ومظاهرها المختلفة ، وفى مئات القصائد الشعرية المستمدة من فواجعها وأهوالها ومن واقع العرب المؤلم ، وحاضرهم الذليل ، وأملهم فى المستقبل الباسم والغد المشرق المؤذن بالاستجابة لنداء الثأر ، وغسل العار ، واستعادة فلسطين .

ظهر أثرها فى شعر أبنائها وفى شعر أبناء الأقطار العربية وفى شعر الشعراء العرب فى المهاجر الأمريكية .

ظهر فى الشعر القومى الوطنى السياسى الاجتماعى الذى أطلقنا عليه اسم الشعر الغنائى فى مئات من القصائد والمقطوعات والموشحات والأغاني والأناشيد ، وفى الشعر القومى الوطنى السياسى الاجتماعى القصصى والمسرحى .

ظهر أثرها فى الشعر الحديث فيما أوجدت من موضوعات ، وما استحدثت من أفكار ، وما تطلبت للتعبير عن موضوعاتها وأفكارها من ألفاظ وجمل وعبارات ، وما أبدعت من صور ، وما ابتكرت من أخيلة ، وما أثرت به العاطفة .

ظهر أثرها فى الشعراء الذين أوجدتهم وفجرت فى نفوسهم ينباع الشعر ولولاها لما غنوا ولما أبدعوا بل ولما عرفوا فى دنيا الشعر

وفي الشعراء الذين حولت اتجاهاتهم الشعرية الذاتية والرومانسية والغنائية والفنية إلى الاتجاه القومي .

خلقت المأساة من أبناء فلسطين وبناتها شعراء وشاعرات لم تعرفهم فلسطين من قبل فجرت فيهم ينابيع الشعر وأمدتهم بالطاقات ومنهم معين بسيسو وخليل زقطان وهارون هاشم رشيد ، ويوسف الخطيب ورجاسميرين والشاعرة دعد الكيالي .

وحولت الاتجاهات الشعرية لعدد من شعراء فلسطين وشاعراتها المعروفين من قبل إلى الاتجاه القومي ومن هؤلاء الشعراء : محمود الحوت الذي كان شاعرا وجدانيا ، وأبو سلمى الذي كان شاعر الحسن والجمال ، ومحمود الأفغانى الذى كان شاعراً غنائياً وفدوى طوقان التى كانت تهوم فى آفاق الخيال ، وتشكو الوحده ، وتلوذ بالتأملية . وغلبت الاتجاه القومي على سائر الاتجاهات فى شعر عيسى الناعورى فى الأردن وعدنان الراوى وخالد الشواف وابراهيم الوائلى وعلى الحللى فى العراق ، وعمر أبى ريشة وسليمان العيسى فى سورية ، وعلى محمود طه ومحمود حسن اسماعيل فى مصر .

كانت المأساة النبع الذى لا يجف والمعين الذى لا ينضب فى الشعر الحديث ، وكانت نقطة الانطلاق التى انبعثت منها دعواته للثورة على حاضر العرب وواقعهم الأليم وجعلت من الشعر الحديث شعر العروبة والقومية والوطنية والسياسية . شعر الثورة على الاستعمار وقاعدته اسرائيل ، وعلى فساد الأوضاع والنظم والدعوة لبناء المجتمع العربى من جديد على أسس جديدة .

والمأساة هى التى جعلت كل شاعر استوحاها يتخذ موقفا وطنياً يحدده ويؤمن برسالة يدعو لها ، ويتبنى قضية قومية يدافع عنها وقد تعددت المواقف والرسالات والقضايا وفريق آمن بالوحدة العربية باعتبارها طريق القوة الوحيد الذى يستعيد به العرب فلسطين ، وفريق

دعا للحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية باعتبارها أسسا جديدة في بناء الأمة العربية ، وفريق حارب الاستعمار وفريق ثار على الحكام والرؤساء وحرص على الاطاحة بهم •

والمأساة أنزلت الشعراء من عالم الخيال إلى دنيا الواقع وجعلتهم يعيشون واقع أمتهم ويتفاعلون معها ، يشعرون بشعورها ويعبرون عن آلامها وآمالها في شعر واقعي واضح القصد بعيد عن التهويمات الخيالية ، والصرخات العاطفية ، والأحلام الرومانسية وجعلت من الشعر الذي استوحاها شعراً ملتزماً هادفا يدعو للحرية والوحدة ، والقضاء على الاستعمار وأذنابه والخيانة وأوكارها ، وفساد الأوضاع والأنظمة وبناء الأمة العربية من جديد وتوكيد ذاتها ، ومنحها الثقة بالنفس والقدرة على تغيير حياتها •

ولم يغفل هذا الشعر النزعات الانسانية حيث دعا لتحقيق العدل وإقرار الحق ، واحترام المبادئ والقيم ، وكفاح الظلم والطغيان والاستبداد ، وقاوم الباطل ، وحارب الخداع والختل ، والالتواء والتمويه ، وبيع الضمائر والنفوس •

ونقف هنا لحظة لنقرر أن أثر المأساة في الشعر الحديث أقوى من أثر المحنة فيه قبل وقوع المأساة أثر المأساة أعم وأشمل لأنه شمل جميع الأقطار العربية التي لم نجد منها قطرا واحداً لم يظهر أثر المأساة في شعر أبنائه بل قل أن نجد شاعراً عربياً لم يظهر أثر المأساة في شعره على حين أن شعر المحنة قبل المأساة لم يشمل جميع الأقطار ، ولم يظهر عند كثير من الشعراء •

والمادة الشعرية بعد المأساة أغزر وأضخم إذ كانت في هذه السنوات الثمانية أضعاف ما عثرنا عليه خلال ثلاثين سنة قبل المأساة •

ولقد قضينا زمنا طويلا في الموازنة بين القصائد لاختيار أقواها في

نظرنا ، وما كان المقدار الذى تخيرناه — على سعته — إلا نقطة من خضم فلكل شاعر من الشعراء الذين تخيرنا لهم قصائد أخرى فى المأساة أشرنا إليها حيناً وأغفلنا لإشارة إليها أحياناً ولم نتخير للشاعر الواحد إلا قصيدة فى الغالب وقصيدتين فى النادر ، وكنا نكتفى بالقليل من الأبيات ، ولم نورد من القصائد التامة المرتبة إلا طائفة قليلة (١) .

ولم تكن غزارة الشعر الذى استوحى المأساة مقصورة على الشعر الغنائى بل تجاوزته إلى الشعر القصصى فتعددت الملاحم التى عرضنا منها ستاً .

أثر المأساة فى الشعر ابتداء من سنة ١٩٤٨ أكبر وأعظم خطراً من أثر محنة فلسطين فيه قبل هذه السنة فالى جانب الموضوعات التى أوجدتها المأساة تناول الشعر جوانب الضعف فى بناء الأمة العربية وعالج كل جانب وضع يده على مكن الداء ، وحدد الدواء تناول أوضاع الأمة العربية الفكرية والسياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية ، وحدد الشعر موقف هذه الأمة من اسرائيل العدو المشترك ، وممن يمدونها بأسباب البقاء والقوة ويمهدون لها طريق العدوان والتوسع ، وموقف الأمة من المنظمات الدولية التى تحيزت لإسرائيل ومن الدول ومن الأحلاف العسكرية ومن المعسكرين المتصارعين الرأسمالى والشيوعى .

وظهر أثر المأساة فى الشعر الحديث فى الفكر الحديث . وتكوين الشخصية العربية والتعبير عن الذات العربية واعتناق فلسفة القوة ومخاطبة المستعمر بلغة المصلحة والكشف عن جوانب القوة الكامنة فى الأمة العربية وما تملكه من مقدرات وإمكانيات تتيح لها إذا اتحدت وتضامنت أن تملأ إرادتها على الذين أوجدوا إسرائيل . وأن تعيد الحق إلى أهله .

(١) لجأنا الى ذلك تفادياً لتضخم المادة الشعرية فى الكتاب وطفيانها على الدراسة التحليلية .

المأساة مصدر وحي وإلهام

وقفنا بالكتاب في طبعته الثانية عند سنة ١٩٦٠ بمعنى أننا عرضنا مظاهر المأساة وأحداثها حتى ذلك التاريخ ، وتخيرنا من النصوص الشعرية ما استوحى المأساة وفواجعها في الفترة نفسها ، وما ضمته الدواوين الشعرية التي تم طبعها حتى سنة ١٩٦٠ ، وقدمنا الكتاب للمطبعة في هذه الطبعة الثانية في أوائل عام ١٩٨٥ ، وبين الزمن الذي وقفنا بالبحث عنده ، والزمن الذي قدمنا فيه الكتاب للطبع خمسة وعشرون عاما ، أو ربع قرن من الزمن ظلت فلسطين ومأساتها الدامية في غضونها ينبع وحي ، ومصدر إلهام للشعراء من أبنائها أولا ، وللشعراء من أبناء الأقطار العربية ثانيا ، وللشعراء في المهاجر الأمريكية ثالثا .

وصدرت طائفة من الدواوين لشعراء فلسطين في الفترة الواقعة بين ١٩٦٠ و ١٩٨٥ نكتفى بالإشارة إليها .

أولا : الشاعر هارون هاشم رشيد صدر له :

(أ) حتى يعود شعبنا بيروت ١٩٦٦

(ب) فدائيون عمان ١٩٧٠

(ج) مزامير الأرض والدم بيروت ١٩٧٠

ثانيا - الشاعر على هاشم رشيد - صدر له :

(أ) شموع على الدرب القاهرة ١٩٦٧

(ب) الطوفان القاهرة ١٩٧٠

ثالثا - الشاعر حسن البحري - صدر له :

(أ) حيفا في سواد العيون دمشق ١٩٧٣

رابعاً — الشاعرة دعد الكيالي صدر لها :

(أ) ولم تمطرى يا غيوم
بيروت ١٩٧٠

بالإضافة الى الدواوين الآتية :

١ — من فلسطين ريشتى — للشاعر عبد الكريم الكرمى أبى سلمى
بيروت ١٩٧٠

٢ — فلسطين فى القلب — للشاعر معين بسيسو
بيروت ١٩٦٤

٣ — فى غمرة النكبة — للشاعر كامل توفيق الدجاني
بيروت ١٩٧٠

٤ — المرافىء البعيدة — للشاعر سعيد تيم
بيروت ١٩٧٩

٥ — ديوان أحمد يوسف الريماوى
١٩٦٠

٦ — من شعر الثورة الفلسطينية — للشاعر نفسه — منجزات نادى
جدة الأدبى

٧ — أنغام فوق سجن الكبت للشاعر نفسه
دمشق ١٩٧٩

٨ — يا كرم الزيتون الأخضر للشاعر نفسه
دمشق ١٩٨١

٩ — الأرض المباركة — للشاعر عدنان على رضا النحوى بيروت ١٩٧٨

١٠ — موكب النور — للشاعر نفسه
بيروت ١٩٨٠

١١ — جرح الآباء — للشاعر أحمد فرح عقيلان — منشورات نادى
نادى المدينة المنورة

١٢ — رسالة الى ليلى — للشاعر نفسه — منشورات نادى المدينة
المنورة
١٤٠٤ هـ — ١٩٨١

أما دواوين الشعراء فى الأقطار العربية ، والمهاجر الأمريكية التى
صدرت فى غضون هذه الفترة فلا نرى ما يدعونا للإشارة اليها لأنها
نالت حظاً كبيراً من الشهرة والذيع .

بين نكبة الأندلس ونكبة فلسطين

في سنة ٩٢ هـ ٧١١ م وفي خلافة الوليد بن عبد الملك اجتاز طارق ابن زياد المضيق الذي سمي باسمه فيما بعد من إفريقيا إلى أسبانيا والتقى بملك القوط « لذريق » في سهول « شريش » ونشبت بين العرب والقوط معركة حاسمة انتصر فيها العرب واستولوا على البلاد وأطلقوا عليها اسم الأندلس وحكموها حقبة طويلة من الزمن امتدت ثمانية قرون وقسمها المؤرخون إلى عصور سياسية ستة :

الأول عصر الولاة : ويبدأ بالفتح الإسلامي وينتهي بقيام دولة بنى أمية في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ ٧٥٥ م .

الثاني عصر بنى أمية : ويبدأ بتأسيس عبد الرحمن الداخل دولة لبني أمية في الأندلس وينتهي بانتهاء دولتهم سنة ٤٢٢ هـ ١٠٣١ م .

الثالث عصر ملوك الطوائف : ويبدأ بسقوط دولة بنى أمية وقيام عدة ممالك مستقلة في الأندلس وينتهي باستيلاء المرابطين على البلاد سنة ٤٩٣ هـ ١٠٩١ م .

الرابع عصر المرابطين : ويبدأ باستيلاء يوسف بن تاشفين على الأندلس وينتهي باستيلاء الموحيدين على البلاد سنة ٥٤١ هـ ١١٤٦ م .

الخامس عصر الموحيدين : ويبدأ باستيلائهم على الحكم في الأندلس وينتهي بسقوطهم وحصر الدولة الإسلامية في مملكة غرناطة سنة ٦٦٨ هـ ١٢٦٩ م .

السادس عصر بنى الأحمر : ويبدأ بتأسيس مملكة غرناطة على أيديهم وينتهي بتسليم المدينة إلى الأسبان سنة ٧٩٨ هـ ١٤٩٢ م .

وقد بكى الشعر العربي يومئذ ضياع الأندلس واستيلاء الأسبان

عليها وإخراج المسلمين منها • بكى مجد العرب والمسلمين • بكى المساجد
والقباب والمجالى والمعانى والطبيعة الضاحكة والرياض والأشجار والأنهار
والمياه والظلال والجنة الضائعة والفردوس المفقود فما بلاد الأندلس
إلا كما صورها بن خفاجة فى قوله :

يا أهْلَ أُنْدَلُسِ اللهُ دَرَكُكُمْ
ماءٌ وظلٌّ وأشجارٌ وأنهارٌ
ما جَنَّةُ الخلدِ إلا فى ديارِكُمْ
ولو تَخَيَّرْتُ هذى كنتُ أختارُ
لا تحسبوا بعدها أن تدخلوا سقرًا
فليس تدخل بعد الجنة النار

بكى الشعر المدن الزاهرة ، والحواضر المشرقة بكى قرطبة وقرطاجنة
وإشبيلية وطليلة وبلنسية وغرناطة • وتعددت المراثى الشعرية والقصائد
الحزينة الباكية أسفا وحسرة على خروج المسلمين من الأندلس •

رثاها ابن أبار القضاعى عندما دهم النصارى بلنسية سنة ١٢٣٧ م
بقصيدة يقول فيها :

يا للجزيرةِ أضْحى أهلها جَزْرًا
للحادثاتِ وأمسى جَوْشها تَعْسًا
تقاسمَ الرومِ لانالت مقاسمهم
إلا عقاتلها المحجوبة الأنسا
وفى بكنسية منها و « قرطبة »
ما ينسِفُ النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الإشراكُ مَبْتَسِمًا
جذلان وارثكل الإيمان مَبْتَسِمًا

وحيرتْهَا العَوَادِي النَّعَائِشَاتُ بِهَا
يَسْتَوْحِشُ الطَّرْفُ مِنْهَا ضَعْفٌ مَا أَنْسَانَا (١)

وأروع هذه المراثي مرثية أبي البقاء صالح بن شريف الرندي
المشهورة التي يقول فيها :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ
فَلَا يُغَرُّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُؤْلُ
مَنْ سَرَّهَ زَمَنُ سَاعَتِهِ أَرْزَمَانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَثْبِقِي عَلَى أَحَدٍ
وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوفَانُ يَهُونُهَا
وَمَا لِمَا حَكَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوفَانُ
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
هُوَ لِي أَحَدٌ وَأَنْهَدُ تَهْلَانُ
فَأَسْأَلُ « بَلَنْسِيَّةَ » مَا شَأْنُ « مَرْسِيَّةِ »
وَأَيْنَ « شَاطِئَةَ » أَمْ أَيْنَ « جِيَانِ » ؟
وَأَيْنَ « قَرْطَبَةَ » دَارَ الْعُلُومِ فَكَمْ
مَنْ عَالِمٌ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
وَأَيْنَ « حِمَصَ » وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نَزْهِ
وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَأْخُذُ وَمِلَانُ
قَوَاعِدُكَنْ أَرْكَانُ الْبِلَادِ فَمَا
عَسَى الْبِقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ

(١) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني - نفع الطيب ج ٢ ص ٥٧٨ .

تبكى الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الألف هيّمان
على ديارٍ من الإسلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عثمان (١)

وبكى الشعر الحديث فلسطين ومساجدها وقبابها ورؤاها الساحرة
ومفاتها الخلابه ، بكى مقدساتها وآثارها وأطلالها ، وبكى أمجاد العرب
والمسلمين التاريخية فيها بكى اليرموك وحطين وعين جالوت • وبكى مدنها
الزاهرة وثغورها الضاحكة وعرائسها الجميلة بكى يافا وحيفا وعكا
وطبرية والناصره واللدو الرمله ورثاها واعتبرها الأندلس الثانية واستعاد
الشعراء ذكرى ضياع الأندلس وقارنوا بينها وبين فلسطين ومن هؤلاء
الشعراء كمال النجمي في قصيدته فلسطين الضائعة (٢) وبدر الدين الحامد
الذي شبه نفسه بأبي البقاء الرندي في قصيدته في مأساة فلسطين (٣)
والشاعر محمود محمد صادق الذي يقول في ملحمة « رسالة الشعر
القومي إلى العالم العربي والشرق » تحت عنوان أندلس الثانية •

* * *

دونك الخطب بعد أندلس الزهراء
هل سواه من الفجائع ما جلّ
قل كما قيل للملك في الحمراء
إبك ما شئت خير مثلك مضاع
ناهيك ماله من ثان ؟
يُعِيد المصَاب للأذهان ؟
لما بكى على الجدران
لم تزد عنه طارق الصدّان

ومحمد شمس الدين في ملحمة « النازحة » ومحمد علي الحوماني
في ملحمة « أندلس الشرق » وبرهان الدين العبوشي في مسرحيته « شبح

(١) المصدر السابق ص ٥٩٤ .
(٢) ص ٤٧٤ .
(٣) ص ٤٨٤ .

الأندلس « الذى قصد من هذه التسمية أن ينبه العرب الى ما هم فيه من خلاف ونزاع يكفى بعضه لضياح فلسطين وبلاد العرب كما ضاعت الأندلس ، ولبعيد الى ذاكرة كل عربى رواية خروج العرب من الأندلس وإبراهيم العريض فى ملحمة « أرض الشهداء » •



وبين نكبة العرب والمسلمين الأولى بالأندلس ونكبتهم الثانية بفلسطين أوجه شبه ونواحى اختلاف •

فمن أوجه الشبه بينهما :

أولاً : أن المسلمين فتحوا فلسطين فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب سنة ٦٣٧ م وظلت بلادا عربية إسلامية الى أن اغتصبتها إسرائيل بمعونة الاستعمار فى سنة ١٩٤٨ وفتحوا الأندلس فى عهد الوليد بن عبد الملك الأموى سنة ٧١١ م وظل لواء العروبة والإسلام يرفرف على ربوعها الى أن استولى عليها الأسبان وزال مجد العرب والإسلام ١٤٩٢ م •

ثانياً : نكبة الأندلس ، ونكبة فلسطين نكبتان فادحتان للإسلام والعروبة والعرب والمسلمين فى مختلف ديارهم وأقطارهم •

ثالثاً : أخرج المسلمون من ديارهم فى الأندلس وخلفوا وراءهم مدنا وبلاداً ورياضا وبساتين وجنات تجرى من تحتها الأنهار وأخرج عرب فلسطين من ديارهم بطرق ووسائل وتحت تأثير ظروف أشد قسوة وصعوبة من الظروف التى أخرج بها المسلمون فى الأندلس •

رابعاً : كما بكى الشعر العربى قديماً مدن الأندلس الزاهرة قرطبة • وطليطلة وقرطاجنة وغرناطة وإشبيلية بكى الشعر الحديث مدن فلسطين الزاهرة يافا وحيفا وعكا وطبرية والناصرية واللد والرملة • وكما بكى الشعر

قديمًا مغانى الأندلس ومساجدها وقبابها ومجد العرب الضائع بها • بكى
الشعر حديثاً مجالى فلسطين ومساجدها وقبابها ومآذنها وكنائسها ومجد
العرب والمسلمين بها •

خامساً : أصاب العرب والمسلمين عار بضياع فلسطين حديثاً كما
أصابهم بضياع الأندلس قديماً •

سادساً : كان لاختلاف ملوك الأندلس ، وإيثار كل ملك منهم
مصلحته الخاصة على مصلحة الأمة والبلاد أكبر الأثر فى ضياع الأندلس
أو النكبة بها • ولازلنا نذكر قول ابن رشيق القيوانى :

مما يترهدنى فى أرض أندلس ألقاب معتمد فيها ومُعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهـر يحكى انتفاخا صولة الأسد

وكان لاختلاف حكام الدول العربية التى حاربت فى فلسطين أكبر
الأثر فى ضياع فلسطين •

سابعاً : استنثار الشعر الذى استلهم نكبة الأندلس نخوة المسلمين
والعرب واستنهض همهم لإغاثة البلاد والمبادرة إلى إنقاذها واستنثار
الشعر الذى استوحى نكبة فلسطين همم العرب والمسلمين ونخوتهم •

ثامناً : للشعر الذى رثى الأندلس وبكى مدنها وتاريخها وحضارتها
والشعر الذى رثى فلسطين وبكى مدنها وتاريخها ومجدها قيمة فنية عالية
لأنه زفرات صعدها شعراء أحسوا بالنكبتين والتقت عواطفهم الحزينة
بعواطف الملايين من أبناء العرب والإسلام •

أما المفارقات فهى :

أولاً — تختلف فلسطين عن الأندلس إذ أن فلسطين بلاد عربية تقع
فى قلب البلاد العربية تجاور مصر وسورية ولبنان والأردن يحيط بها

العرب إحاطة السوار بالمعصم وليس بين فلسطين وبين هذه الأقطار حدود ولا سدود طبيعية من بحار وأنهار وجبال • أما الأندلس فلم تكن في الأصل بلادا عربية لأنها جزء من أوروبا وليست من الوطن العربي والفتح الإسلامي هو الذي جعل منها بلادا إسلامية عربية •

ثانياً - لم ينهض العرب والمسلمون في مصر والشام والعراق والحجاز للدفاع عن الأندلس ، ولم يتكثروا ويتحدوا لإنقاذها وكان الذين يهبون للدفاع عنها هم عرب شمال أفريقيا • في حين أن الدول العربية السبعة تكثرت واتحدت وأرسلت جيوشها السبعة لتحارب في فلسطين •

ثالثاً - حين جلا عرب الأندلس عن بلادهم انتقلوا من قارة إلى أخرى من أوربة إلى افريقيا فلم تنكأ جراحهم رؤية بلادهم صباح مساء ولم يروا أعداءهم يجنون خير أرضهم • وحين شرد عرب فلسطين ظل فريق كبير منهم على خطوط الهدنة في غزة والأردن يرون كل يوم أعداءهم يزرعون أرضهم ويجنون ثمارها •

رابعاً - أن العار الذي لحق العرب والمسلمين بضياح فلسطين أكبر من العار الذي لحقهم بضياح الأندلس ونكبة العرب بها أكبر من نكبتهم بالأندلس • لأن فلسطين بلاد عربية قبل الإسلام فلما جاء الإسلام باركها وجعل منها أولى القبلتين ومسرى الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ولأنها مهبط الأنبياء والرسل ولأن بها أمجادا تاريخية لا توجد في غيرها • وهى بذلك تفوق الأندلس وتجعل استعادتها أمراً محتملاً على العرب والمسلمين •

مصادر البحث

أولا - الدوريات

- ١ - جازات من الصحف الفلسطينية التالية :
 - فلسطين - الدفاع - الصريح - الميزان
- ٢ - الأهرام من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥٠
- ٣ - مجلة الفتح من سنة ١٣٤٤ - ١٣٦٧ هـ
- ٤ - مجلة الشبان المسلمين من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٤٠ م
- ٥ - مجلة الرسالة المصرية من ١٩٣٣ الى سنة ١٩٥٣
- ٦ - مجلة الثقافة المصرية من ١٩٣٨ إلى سنة ١٩٥٢
- ٧ - مجلة الأديب البيروتيه من ١٩٤٢ - ١٩٥٥
- ٨ - مجلة الأداب البيروتية من ١٩٥٣ - ١٩٥٩
- ٩ - مجلة القلم الجديد الأردنية ١٩٥٢ - ١٩٥٣
- ١٠ - مجلة صوت البحرين البحرانية ١٣٦٩ - ١٣٧٣ هـ
- ١١ - مجلة البعثة الكويتية

ثانيا : المخطوطات الشعرية

- ١ - فؤاد الخطيب - ديوان الخطيب
- ٢ - رجا سمرين - الضائعون
- ٣ - على هاشم رشيد - أغاني العودة
- ٤ - الأفغانى - قصائد شعرية
- ٥ - خالد الشواف - قصائد شعرية
- ٦ - على الحلبي - قصائد شعرية

- ٧ — عدنان الراوى — قصائد شعرية •
- ٨ — أحمد السقاف — قصائد شعرية •
- ٩ — على أحمد باكثير — قصائد شعرية •
- ١٠ — محمد العيد آل خليفة — قصائد شعرية •
- ١١ — محمود الحوت — قصائد شعرية •

ثالثا : المراجع العامة

- ١ — القرآن الكريم •
- ٢ — ابن خلكان • وفيات الأعيان مطبعة بولاق الأميرية القاهرة ١٢٩٩ هـ
- ٣ — أحمد بن محمد المقرئ : نفع الطيب مطبعة السعادة القاهرة ١٩٤٩
- ٤ — البلاذرى : فتوح البلدان مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٥
- ٥ — الفيروزآبادى : القاموس المحيط المطبعة الأميرية ١٣٠١ هـ
- ٦ — ياقوت الحموى : معجم البلدان مصر سنة ١٩٢٣

رابعا : المصادر التاريخية

- ١ — أحمد رمزى : من وحى فلسطين مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٤٩
- ٢ — أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية دار المعارف القاهرة ١٩٥٥
- ٣ — أمجد الطرابلسى : شعر الحماسة والعروبة فى بلاد الشام القاهرة ١٩٥٦
- ٤ — إميل الغورى : المؤامرة لكبرى القاهرة ١٩٥٥
- ٥ — جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة القاهرة ١٩٥٦
- ٦ — خليل السكاكيني : كذا أنا يادنيا القدس ١٩٥٥
- ٧ — ساطع الحمصرى : حولية الثقافة العربية — السنة الثانية القاهرة ١٩٤٩
- ٨ — سعدى بسيسو : إسرائيل جناية وخيانة حلب ١٩٥٧

- ٩ — عارف العارف : تاريخ القدس دار المعارف القاهرة ١٩٥١
- ١٠ — عارف العارف : النكبة صيدا لبنان ١٩٥٦
- ١١ — عبد الله التل : كارثة فلسطين دار القلم القاهرة ١٩٥٩
- ١٢ — عمر صالح البرغوثي و خليل طوطح : تاريخ فلسطين القدس ١٩٢٣
- ١٣ — عيسى المسفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية
يافا ١٩٣٧
- ١٤ — قدرى طوقان : بعد النكبة بيروت ١٩٤٨
- ١٥ — قسطنطين زريق : معنى النكبة بيروت ١٩٤٨
- ١٦ — محمد أمين الحسينى : حقائق عن قضية فلسطين القاهرة ١٩٥٧
- ١٧ — محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم القاهرة ١٩٥٧
- ١٨ — محمد عزت دروزة : حول الحركة العربية لبنان ١٩٥٦
- ١٩ — محمد عزت دروزة : الوحدة العربية بيروت ١٩٥٨
- ٢٠ — محمد على علوبة : فلسطين وجاراتها القاهرة ١٩٥٤
- ٢١ — محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الإستعمارية
القاهرة ١٩٤٧
- ٢٢ — مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين يافا ١٩٤٧
- ٢٣ — مصطفى الشهابى : القومية العربية القاهرة ١٩٥٩
- ٢٤ — موسى العلمى : عبرة فلسطين بيروت ١٩٤٩
- ٢٥ — ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية في فلسطين والأردن
القاهرة ١٩٥٧
- ٢٦ — نمر الخطيب : من أثر النكبة دمشق ١٩٥١
- ٢٧ — يوسف هيكل : القضية الفلسطينية يافا ١٩٣٧

خامسا : الدواوين الشعرية

- ١ — ابراهيم الدباغ : الطليعة ج ٢ القاهرة ١٩٣٧
- ٢ — ابراهيم طوقان : ديوان ابراهيم بيروت ١٩٥٥
- ٣ — ابراهيم العريض : أرض الشهداء بيروت ١٩٥١
- ٤ — ابراهيم ناجى : ليالى القاهرة ١٩٤٣
- ٥ — ابراهيم هاشم الفلالى : ألحانى دار المعارف القاهرة ١٩٥٠
- ٦ — أحمد رامى : ديوان رامى القاهرة ١٩٤٧
- ٧ — أحمد زكى أبو شادى : من السماء نيويورك ١٩٤٩
- ٨ — أحمد شوقى : الشوقيات ٤ أجزاء القاهرة ١٩٣٦
- ٩ — اسكندر الخورى البيتجالى : مشاهد الحياة القدس ١٩٢٧
- ١٠ — اسكندر الخورى البيتجالى : دقات القلب القدس ١٩٣٣
- ١١ — اسكندر الخورى البيتجالى : الأم وآمال القدس ١٩٦١
- ١٢ — إلياس فرحات : أحلام الراعى البرازيل ١٩٥٢
- ١٣ — إيليا أبو ماضى : الجداول نيويورك
- ١٤ — إيليا أبو ماضى : الخمائل نيويورك
- ١٥ — برهان الدين العبوشى : مسرحية وطن الشهيد القدس ١٩٤٧
- ١٦ — برهان الدين العبوشى : مسرحية شبح الأندلس بيروت ١٩٤٩
- ١٧ — برهان الدين العبوشى : جبل النار بغداد ١٩٥٦
- ٨ — بشارة الخورى : الهوى والشباب دار المعارف القاهرة ١٩٥٣
- ٩ — جليلة رضا : اللحن الباكي القاهرة ١٩٥٤
- ١٠ — جمعية الرابطة العلمية الأدبية فى النجف :
الفلسطينيات + مجموعة قصائد العراق ١٩٣٩

- ١١ — جميل صدقى الزهاوى : ديوان الزهاوى المطبعة العربية
القاهرة ١٩٢٤
- ١٢ — جميل صدقى الزهاوى : الأوشال
بغداد ١٩٣٤
- ١٣ — جورج صيدح : نبضات
باريس ١٩٥٣
- ١٤ — حافظ إبراهيم : ديوان حافظ إبراهيم المطبعة الأميرية
١٩٥٢
- ١٥ — حسن عبد الله القرشى : مواكب الذكريات م الرسالة
القاهرة ١٩٥١
- ١٦ — حسن كامل الصيرفى : الشروق دار المعارف القاهرة ١٩٤٨
- ١٧ — خليل زقطان : صوت الجياح القدس ١٩٥٣
- ١٨ — خليل مطران : ديوان الخليل ٤ أجزاء دار الهلال القاهرة ١٩٤٩
- ١٩ — خير الدين الزركلى : ديوان الزركلى القاهرة ١٩٢٥
- ٢٠ — رشيد سليم الخورى : ديوان القروى البرازيل ١٩٥٢
- ٢١ — سليمان العيسى : مع الفجر حلب ١٩٥٤
- ٢٢ — سليمان العيسى : أعاصير فى السلاسل حلب ١٩٥٤
- ٢٣ — سليمان العيسى : شاعر فى النظارة حلب ١٩٥٤
- ٢٤ — شلبى الملاط : ديوان الملاط بيروت ١٩٢٥
- ٢٥ — شكيب أرسلان : ديوان الأمير شكيب القاهرة ١٩٣٥
- ٢٦ — صالح بن على الحامد العلوى الحضرمى : ليالى المصيف
القاهرة ١٩٥٠
- ٢٧ — صلاح الأسير : الواحة بيروت ١٩٤٣
- ٢٨ — طاهر زمخشرى : أنفاس الربيع القاهرة ١٩٥٥
- ٢٩ — عباس محمود العقاد : ديوان العقاد مطبعة المقتطف
القاهرة ١٩٢٨

- ٣٠ — عبد الرحيم محمود : ديوان عبد الرحيم محمود عمان ١٩٥٨
عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) : المشرّد دمشق ١٩٥٣
- ٣١ — عبد المحسن الكاظمي : ديوان الكاظمي بغداد
- ٣٢ — عدنان الراوي : من العراق بيروت ١٩٤٩
- ٣٣ — علي الجارم : ديوان الجارم دار المعارف القاهرة ١٩٣٨
- ٣٤ — علي الجندي : أغاريد السحر القاهرة ١٩٤٧
- ٣٥ — علي دمر : حنين الليالي القاهرة ١٩٥٤
- ٣٦ — علي محمود طه : الملاح التائه القاهرة ١٩٣٢
- ٣٧ — علي محمود طه : ليالي الملاح التائه القاهرة ١٩٤١
- ٣٨ — علي محمود طه : شرق وغرب القاهرة ١٩٤٧
- ٣٩ — عمر أبو ريثة : ديوان أبي ريثة حلب ١٩٣٧
- ٤٠ — عيسى الناعوري : أناشيدي حماه
- ٤١ — فدوى طوقان : وحدي مع الأيام القاهرة ١٩٥٢
- ٤٢ — فؤاد شاكر : وحى الفؤاد القاهرة ١٩٥٠
- ٤٣ — كامل أمين : نشيد الخلود القاهرة ١٩٤٧
- ٤٤ — معروف الرصافي : ديوان الرصافي القاهرة ١٩٥٦
- ٤٥ — معين بيسيرو : المعركة القاهرة ١٩٥٢
- ٤٦ — محمد الأسمر : ديوان الأسمر القاهرة ١٩٥٣
- ٤٧ — محمد العدناني : اللهب لبنان ١٩٥٤
- ٤٨ — محمد حسن عواد : في الأفق الملتهب القاهرة
- ٤٩ — محمد شمس الدين : النازحة لبنان ١٩٥٠

- ٥٠ — محمد عبد الغنى حسن : من وراء الأفق دار المعارف
القاهرة ١٩٤٧
- ٥١ — محمد عبد الغنى حسن : من نبع الحياة دار المعارف
القاهرة ١٩٤٩
- ٥٢ — محمد عبد الغنى حسن : ماض من العمر م مصر ومكتبتها
القاهرة ١٩٥٤
- ٥٣ — محمد على الحوماني : ديوان الحوماني صيدا لبنان ١٩٢٧
- ٥٤ — محمد على الحوماني : النخيل القاهرة ١٩٥٤
- ٥٥ — محمد مصطفى الماحي : ديوان الماحي القاهرة ١٩٥٧
- ٥٦ — محمد مهدي الجواهري : ديوان الجواهري بغداد ١٩٥٢
- ٥٧ — محمود الحوت : المهزلة العربية بغداد ١٩٥١
- ٥٨ — محمود حسن اسماعيل : هكذا أغنى القاهرة ١٩٣٨
- ٥٩ — محمود غنيم : صرخة في واد القاهرة ١٩٤٨
- ٦٠ — محمود محمد صادق : رسالة الشعر الى العالم العربي والشرق
دار المعارف القاهرة ١٩٥٤
- ٦١ — مصطفى وهبي التل : عشيات وادى الياس عمان ١٩٥٤
- ٦٢ — هارون هاشم رشيد : مع الغرباء القاهرة ١٩٥٤
- ٦٣ — وديع البستاني : الفلسطينيات لبنان ١٩٤٦
- ٦٤ — يوسف الخطيب : العيون الظماء للنور دمشق ١٩٥٥

سادسا — الدراسات الأدبية

- ١ — أحمد الشايب — أصول النقد الأدبي — القاهرة ١٩٦٠
- ٢ — أحمد الشايب — الأسلوب — القاهرة ١٩٥٦
- ٣ — أحمد حسن الزيات — في أصول الأدب — القاهرة ١٩٤٥
- ٤ — أحمد حسن الزيات — دفاع عن البلاغة — القاهرة ١٩٤٥
- ٥ — الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل — الأدب الأندلسي القاهرة ١٩٥٨
- ٦ — جورج صيدح — أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية
بيروت ١٩٥٧
- ٧ — سيد قطب — النقد الأدبي — القاهرة ١٩٥٤
- ٨ — الدكتور شوقي ضيف — فنون الأدب العربي الرثاء
القاهرة ١٩٥٥
- ٩ — الدكتور شوقي ضيف — الأدب العربي المعاصر في مصر
القاهرة ١٩٥٧
- ١٠ — عمر المدسوقي — دراسات في النقد الأدبي — القاهرة ١٩٦٠
- ١١ — الدكتور كامل السوافيري — الاتجاهات الفنية في الشعر
الفلسطيني المعاصر — القاهرة ١٩٧٢
- ١٢ — الدكتور كامل السوافيري — الأدب العربي المعاصر في فلسطين
القاهرة ١٩٨٠

رقم (٢) الفلوجة — اسدود — بيت دراس —
المسمية الكبيرة — المسمية الصغيرة — المهجرة
اليهودية — الاستيلاء على الأرض العربية —
وجهة نظرنا — السوافير — تنمر اليهود بعد
الانتداب — تشجيع حكومة الانتداب لليهود —
امداد اليهود بالأسلحة — اضطهاد العرب
العرب في كل مرافق الدولة وابعادهم عن
الموظائف الرئيسية في بلادهم — الضغط
السياسي على عرب فلسطين ومقاومة الحكم
الذاتي — الحياة الاقتصادية والاجتماعية —
الحياة الفكرية والأدبية

٧٦ — ١٢٣

الفصل الثالث — كفاح فلسطين الوطني — أدوار الكفاح :

الدور الأول من سنة ١٩١٧ — ١٩٣١ —
صدام سنة ١٩٢١ — حادث البراق —
الدور الثاني من سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٧ —
المؤتمر الاسلامي — وفاة موسى كاظم
الحسيني — أحزاب فلسطين — وجهة نظرنا —
الشيخ عز الدين القسام — ثورة فلسطين
الكبرى سنة ١٩٣٦ — الدور الثالث من ١٩٣٧ —
١٩٣٩ — لجنة بيل توصى بتقسيم فلسطين —
وجهة نظرنا — الثورة على التقسيم والعدول
عنه — الكتاب الأبيض — فلسطين تجاهد وحدها
أولا — الدول العربية تساعد فلسطين —
دور المرأة الفلسطينية في الكفاح — الدور الرابع
من ١٩٣٩ — ١٩٤٥ — فلسطين في أثناء الحرب

الصفحة

الموضوع

الثانية — موقف اليهود — موقف بريطانيا —
موقف عرب فلسطين — الجامعة العربية —
انتهاء الحرب وأثره في فلسطين — الدور الخامس
من ١٩٤٥ — ١٩٤٧ — فلسطين بعد الحرب
الثانية — هدم سياسة الكتاب الأبيض —
تقرير اللجنة الانجلو أمريكية — مؤتمر
انشاص — مؤتمر لندن

١٢٤ — ١٨٨

الباب الثاني

الفصل الأول. — موقف الشعر العربي الحديث من مأساة
فلسطين من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ الى ٢٩ نوفمبر
سنة ١٩٤٧ — المحنة قبل المأساة — محنة فلسطين
في شعر أبنائها — الشعر الغنائي — الموضوعات
الشعرية — وعد بلفور — الاستعمار — الهجرة
اليهودية — المحافظة على الأرض — التضامن
والاخاء — الوعي القومي — التحض على
الثورة — تمجيد البذل والفداء — تخليد
الشهداء — الأغاني والأناشيد — في خلال
الحرب العالمية الثانية — شماتة بالانجليز في
أثناء غارات الألمان على بلادهم — في أثناء
الصراع بين اليهود والانجليز — ابتهاج بمولد
الجامعة العربية

١٨٩ — ٢٢٨

الفصل الثاني. — محنة فلسطين في شعر أبناء الأقطار
العربية — في مصر — في سورية — في لبنان —

الموضوع	الصفحة
في العراق — في اليمن — في حضرموت — في المغرب العربي — تونس — الجزائر — مراكش	٢٢٩ — ٢٧٠
الفصل الثالث — محنة فلسطين في شعر الشعراء	
العرب في المهاجر الأمريكية	٢٧١ — ٢٧٤
الشعر القصصي	٢٧٥ — ٢٧٨
الشعر المسرحي	٢٧٩
أثر الشعر في كفاح عرب فلسطين	٢٨٠ — ٢٨٥
الفصل الرابع — منزلة الشعر العربي في محنة فلسطين	
قبل المأساة في موكب الشعر العربي — دراسة ونقد — منهجنا في النقد	٢٨٦ — ٢٨٨
الموضوعات	٢٨٩ — ٢٩٨
العواطف	٢٩٩ — ٣٠٣
الصور	٣٠٤ — ٣١٣
الأساليب — الشعر القصصي	٣١٤ — ٣١٦
الشعر المسرحي	٣١٧ — ٣١٨
الشعر الغنائي	٣١٩ — ٣٢٧
تصوير الشعر لمحنة فلسطين والتعبير عنها	٣٢٨ — ٣٣٠
أثر محنة فلسطين في الشعر الحديث	٣٣١ — ٣٣٤

القسم الثاني — الباب الأول

الفصل الأول — مأساة فلسطين من ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧

الى ٣١ ديسمبر ١٩٦٠ — قضية فلسطين في
المحافل الدولية — الدور السادس من سنة
١٩٤٧ الى سنة ١٩٤٩ — قضية فلسطين في
هيئة الأمم — اقرار مشروع التقسيم —
الخريطة رقم (٣) — الثورة على التقسيم في
فلسطين — استشهاد البطل عبد القادر الحسيني
في معركة القسطل — مجزرة دير ياسين
الوحشية — قضية فلسطين في الجامعة العربية —
جلاء الانجليز عن فلسطين

٣٣٥ — ٣٥٢

الفصل الثاني — أدوار الحرب الفلسطينية —

الحرب في فلسطين — الهدنة الأولى —
الخريطة رقم (٤) — وجهة نظرنا — استئناف
القتال — الهدنة الثانية — المأساة

٣٥٣ — ٣٧٠

الفصل الثالث — فداحة المأساة

الدور السابع من سنة ١٩٤٩ — الى سنة ١٩٦٠
قيام اسرائيل — ضياع فلسطين — تدفق
اللاجئين — موقف هيئة الأمم — وجهة نظرنا —
موقف عرب فلسطين — حكومة عمرم فلسطين —
ضم الضفة الغربية من فلسطين للأردن —
قطاع غزة — كفاح أبناء فلسطين بعد المأساة —
موقف اليهود — الخريطة رقم (٥) — موقف

الصفحة

الموضوع

- الحكومات العربية — موقف الشعوب العربية —
دور المرأة الفلسطينية — أسباب المأساة —
سبيل الحل — تطورات وأحداث في العالم العربي
٤٠٧ — ٣٧١

الباب الثاني

موقف الشعر الحديث من مأساة فلسطين

من ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ الى ٣١

ديسمبر سنة ١٩٦٠

الفصل الأول — مأساة فلسطين في شعر أبنائها

- الشعر الغنائي — الموضوعات الشعرية —
قرار التقسيم — هيئة الأمم — مولد اسرائيل —
حرب فلسطين — حض على البذل والشهادة —
بالتضحية والاستشهاد — المأساة — نقمة على
الملوك والرؤساء والحكام — ثورة على العرب
والعروبة — تصوير اللاجئين — أثر البعد عن
الديار — الأمل في المستقبل — الأغاني والأناشيد
٤٠٨ — ٤٦٣

الفصل الثاني — مأساة فلسطين في شعر أبناء الأقطار

العربية

- في مصر — في سورية — في لبنان —
في العراق — في اليمن — في المملكة العربية
السعودية — في الكويت — في حضرموت —
في السودان — في ليبيا — في المغرب العربي
٤٦٣ — ٥٢١

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثالث — مأساة فلسطين في شعر الشعراء
٥٢٢	العرب في المهاجر الأمريكية •
٥٢٨	الفصل الرابع — الشعر القصصي •
٥٣٥	الفصل الخامس — الشعر المسرحي •
	الفصل السادس — منزلة الشعر الحديث في مأساة
٥٣٦	فلسطين — دراسة ونقد :
٥٤٠	الموضوعات
٥٤٢	الأفكار
٥٤٥	العواطف
٥٥٥	الصور
٥٧٦	الشعر القصصي — دراسة
٥٨٨	الشعر المسرحي — دراسة
٥٩٢	الأساليب —
٦٠٣	تصوير الشعر لمأساة فلسطين وتعبيره عنها
٦٠٥	أثر مأساة فلسطين في الشعر الحديث
٦٠٩	المأساة مصدر وحى والهام
٦١١	بين نكبة الأندلس ونكبة فلسطين
٦١٨	مصادر البحث
٦٢٦	الفهرس

اقرا للمؤلف

كتب مطبوعة

- ١ — الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر
مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة
- ٢ — الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود — حياته وشعره
دار العودة — بيروت
- ٣ — دراسات في النقد الأدبي
مكتبة الوعي العربي — القاهرة
- ٤ — الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠ — ١٩٦٠
دار المعارف — القاهرة

كتب تحت الطبع

- ١ — النقد الأدبي عند العرب — من ابن سلام الى عبد القاهر الجرجاني •
- ٢ — شعراء معاصرون •
- ٣ — رحلة مع أعلام التراث •
- ٤ — شاعر الوفاء ابن حمد ييس الصقلي — حياته وشعره •
- ٥ — أديب العربية اسعاف النشاشيبي — حياته وأدبه •
- ٦ — ماذا لقيت من الدنيا — سيرة ذاتية •

رقم الايداع ٤٤١٦ لسنة ١٩٨٥

مطابع سجل العرب

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com